البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى



دكتور
عبد اللطيف بن محمد الحميد
قسم التاريخ والحضارة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مكتبة العبيكان

البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى

١٣٣٢ ـ ١٣٣٧هـ / ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م

الدكتور
عبداللطيف بن محمد الحميد
قسم التاريخ والحضارة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى
الرياض ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م

٩٥٣,٠٩ الحميد، عبد اللطيف بن محمد.
٤٥٩ح البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى: ١٣٣٢-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م / عبداللطيف بن محمد الحميد. - ط ١. - الرياض: ع.م. الحميد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٥٦٧ ص؛ ٢٤ سم.
ردمك ١ - ١٨١ - ٢٧ - ٩٩٦٠
١. الجزيرة العربية - تاريخ العصر العثماني. ٢. البحر الأحمر - تاريخ. ٣. الدولة العثمانية - العلاقات الخارجية - بريطانيا.
٤. الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨. أ. العنوان.

رقم الإيداع: ١٤/١٤١٣
ردمك: ١ - ١٨١ - ٢٧ - ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

* الفصل الرابع

* الفصل الخامس

* الفصل السادس

* الفصل السابع

* الفصل الثامن

قائمة بالاختصارات

(P.R.O) Public Records Office.
C.O. Colonial Office
F.O. Foreign Office
W.O. War Office
(I.O.R) India Office Records.
F - dept - Foreign Department
L/P & s / Library Political and Secret
V.R - Viceroy.
(U .O .D, M. E .C) University of Oxford, Middle East Centre
Conf - tele - Confidintial telegrame.
Const - Constantinople.
Govern - Goverment
(S. I. R) Sudan Intelegence Report.

إهداء

إليك يا أبي

يامنْ زرعت لنحصد

وشقيتَ لنرتاح

وسهرت لننام

فأفنيتَ عمركَ في تربيتنا وتعليمنا

وها أنت ترحل عنّا في موسم الحصاد

وتنطفئ شعلة عمرك الغالي

رحمك الله

وجزاك عنا خير الجزاء . . .

يا أبــي .

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده.

قلما تجتمع لمنطقة ما من العالم المميزات الجغرافية والحضارية والسياسية مثلما اجتمع لمنطقة البحر الأحمر بموقعها الوسط كشريان حيوي للمواصلات العالمية، وبتوسطها بين حضارات العالم المختلفة من عربية وأفريقية وغيرهما، وبمجاورتها المنطقة التي انطلق منها نداء الحق للدعوة للإسلام ..

تفاعلت هذه المميزات مع حقبة تاريخية حاسمة من الصراع الدولي الذي بلغ مداه ـ في فترتنا هذه ـ بنشوب الحرب العالمية الأولى.

ولم تكن دولة الخلافة العثمانية تعيش أيام شبابها وقوة سلاطينها وجيوشها في مملكة المسلمين المترامية الأطراف والتي تشكل منطقة البحر الأحمر جزءا حيويا منها، بل رافق فترة فتوة الدول الاستعمارية النصرانية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وغيرهما، وذروة نشاطها وقوتها وتربصها لاقتسام الغنيمة وتوزيع إرث ما أطلقوا عليه الرجل المريض الذي أرادوا أن يجهزوا عليه تماما ويخمدوا أنفاسه.

تمثل دراسة موضوع الصراع العثماني البريطاني في الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر خاصة خلال الحرب العالمية الأولى أهمية كبرى انطلاقاً من هذه الاعتبارات الدينيةوالحضارية.

لم تحاول الدراسات الموجودة التي عالجت مثل هذا الموضوع أن تجعل من منطقة البحر الأحمر وحدة إقليمية واحدة في الصراع العثماني البريطاني في فترة الحرب العالمية الأولى وإنما عالجت فترة الحرب كجزء مكمل لفترات سابقة، أو تحت منحن آخر حين عالجت أجزاء من منطقة البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى كوحدات منفصلة قائمة بذاتها.

ومثلما افتقرت الدراسات المشار إليها إلى النظرة الشمولية زمنياً وجغرافياً افتقدت إلى الاعتماد على الوثائق والمصادر الأصلية وإن اعتمد بعضها على نتف من

هذه وتلك لاتفي بإشباع الباحث أو تسد له رمق.

على هذا الأساس كان البحث عن وثائق ومصادر هذه الفترة هو الهدف الأول للوصول إلى دراسة جادة مستفيضة لحقيقة الصراع بين الدولة العثمانية وبريطانيا في المنطقة. ولم يكن الوصول إلى هذ الهدف سهلا ميسراً بل سبقه عامان أمضيتها في بريطانيا للبحث بين ملفات الوثائق والمصادر في دور الأرشيف البريطاني.

وعلى الرغم أن فترة هذا الموضوع قصيرة زمنياً إلا أن حجم الأحداث فيها كان كبيراً، هذا بالإضافة إلى المساحة المكانية المترامية في منطقة البحر الأحمر ببلدانه المختلفة في الأعراق والأنظمة.

وقد تم تقسيم هذا البحث إلى ثمانية فصول تقسيماً اعتمد الامتداد الإقليمي والتطور الزمني في إطار وحدة الموضوع.

الفصل الأول

وتناولت فيه دراسة منطقة البحر الأحمر قبيل الحرب العالمية الأولى وعمدت إلى استعراض القوى المحلية في المنطقة وأوضاعها وثقلها، ثم القوى الكبرى ذات النفوذ في المنطقة، وانتهيت بالعلاقات بين الدولة العثمانية وبريطانيا قبل الحرب في المنطقة.

أما **الفصل الثاني** فقد خصصته لدراسة:

كيفية نشوب الحرب بين الدولتين ابتداءً بالظروف والأسباب الدولية التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى، ثم إعلان الحرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا، ودرست بعد ذلك سياسة كلتا الدولتين في المنطقة بعد إعلان الحرب بينهما.

أما في **الفصول الستة التالية** فقد تناولت الصراع بين الدولتين في المنطقة في بلدان البحر الأحمر المختلفة كمصر والسودان والحجاز وجنوب غربي الجزيرة العربية مع ربطها بعمليات البحر الأحمر وسياسة الدولتين، وجعلت هذه الدراسة على مرحلتين زمنيتين الأولى من عام ١٩١٤م/١٣٣٢هـ إلى عام ١٩١٦م/١٣٣٤هـ، والثانية من أواسط عام ١٩١٦م/١٣٣٤هـ إلى نهاية الحرب فقد كان لكل مرحلة سمات خاصة خضعت لتطورات ونتائج سير المعارك في الجبهات المختلفة كما خضعت من جانب آخر للمتغيرات المحلية في منطقة البحر الأحمر.

عني الفصل الثالث:

بمصر والسودان وقد تناولت فيه الأجراءات البريطانية لتثبيت نفوذها في مصر والسودان، والمشروع العثماني لغزو مصر والقناة وما صاحب ذلك من سياسات ومواقف للدولتين في تلك المنطقة.

أما **الفصل الرابع** فقد اشتمل على دراسة:

للوضع في الحجاز وسياسة الدولتين هناك وعلاقات الشريف حسين بالطرفين.

ويستعرض **الفصل الخامس**:

أحداث الصراع بين الدولتين في جنوب غربي الجزيرة العربية والإجراءات العثمانية في اليمن وعسير، وخطط بريطانيا في عدن والمحميات وعسير واليمن، وسياسة الدولتين هناك في مطلع الحرب، والعمليات الحربية بين الدولتين.

وبالفصل الخامس تنتهي دراسة المرحلة الزمنية الأولى التي تنتهي عام ١٩١٦م/١٣٣٤هـ والتي كانت أهم سماتها النشاط العسكري والسياسي والدعائي العثماني والتحفز البريطاني ومواجهته هذه النشاطات بالدفاع السلبي والدراسة المتأنية التي أتت ثمارها بنهاية المرحلة وعلى هذا فنجد في الفصول الثلاثة الأخيرة ـ

أحداث المرحلة الثانية للصراع في المنطقة وهي الفترة التي شهدت انتقال التحرك العسكري البريطاني من الدفاع إلى الهجوم، بعد الهدوء العسكري الذي صاحبه تحرك سياسي في المنطقة. فقد شهدت المرحلة الأولى التحركات العثمانية للهجوم على قناة السويس والاستعداد لغزو لحج وعدن، وبث روح الجهاد الإسلامي ضد الحلفاء. وفي هذه الفصول الأخيرة نلمس تحول الموقف لصالح بريطانيا بنهاية المرحلة الأولى نتيجة لظروف وعوامل متعددة اثبتها وقمت بتحليلها.

يختص **الفصل السادس** بمصر والسودان (المرحلة الثانية) وفيه استعراض للعمليات الحربية بين الدولتين في الحدود الشرقية لمصر، وشرح للوضع في مصر والسودان، ثم الحبشة وأرتيريا والحدود الغربية لمصر، وأخيراً العمليات الحربية النهائية على حدود مصر وفلسطين.

أما **الفصل السابع** فقد تم تناول أحداث ثورة الشريف حسين في الحجاز وموقف الدولتين منها وتتبع العمليات العسكرية في شمال الحجاز، والموقف العثماني حتى نهاية الحرب.

ويدور **الفصل الثامن** مع أحداث جنوب غربي الجزيرة العربية في المرحلة الثانية، والإجراءات البريطانية هناك، والوضع السيا سي والعسكري في تلك النواحي، والعمليات الحربية حتى نهاية الحرب في تلك المنطقة.

مصادر البحث:

تم الرجوع إلى الوثائق البريطانية والعثمانية والعربية، والبريطانية منها بشكل كبير، وذلك نظرا لكثرتها وشمولها وتغطيتها لأحداث الفترة، عن طريق مئات التقارير والمراسلات المتبادلة، ولاحتوائها على مراسلات متبادلة مع القيادات المحلية، وعلى بعض الوثائق والمراسلات العثمانية سواء ماتم الاستيلاء عليه، أو الحصول عليه من العناصر المحلية. وقد غطت هذه الوثائق أحداث منطقة البحر الأحمر بالتفصيل.

أولا: وثائق دار السجلات العامة ببريطانيا .Public Record Office (P.R.O)

١ ـ وثائق غير منشورة من وزارة الخارجية Foriegn Office F.O وقد رجعت إلى أكثر من ثمانين ملفا من سلسلة FO 371 ، كل ملف يحتوي على مئات الوثائق جعلتها في متن وحواشي البحث وأثبتها في قائمة المصادر والمراجع، ولايتسع المجال لذكرها في هذه المقدمة. وأفادتني في تغطية أحداث الفترة بكاملها.

٢ ـ وثائق غير منشورة من وزارة المستعمرات .Colonial Office Co ورجعت إلى بعض الملفات الخاصة بأوراق مجلس الوزراء البريطاني تحت رقم CO 535/44 وCO 535

٣ ـ وثائق غير منشورة من وزارة الحرب War Office رجعت إلى الملف رقم WO 95/4360

ثانيا: سجلات وزارة الهند India Office Records

واعتمدت فيه على بعض الملفات ومنها:

L/P & S/11/113

L/P & S/10/558

وبعض هذه الوثائق المنشورة في شكل كتيبات عن بلدان منطقة البحر الأحمر أثناء الحرب، كعدن وعسير والحجاز وجزيرة العرب تحت أرقام:

L/P & S/٢٠/E ٥٥, ٧٧, ٨٠, ٨١, ٨٤, ٨٥,

ثالثا: وثائق مركز الشرق الأوسط بجامعة أكسفورد ,.U.O.O. M.E.C
University of Oxford, Middle East Centre.

وفيه بعض الوثائق المهمة التي جلبت من أرشيف مدينة العقبة والأرشيف السوري عن الشريف فيصل بن الحسين.

رابعا: دار الوثائق القومية بالقلعة (القاهرة)

تم الرجوع إلى محفوظات مجلس الوزراء المصري، نظارة الخارجية حول بعض قرارات قوات الاحتلال البريطاني، وطريقة تناولها آنذاك، وبعض المراسلات المتبادلة مع الصدارة العظمى باستانبول.

خامسا: الوثائق العثمانية والمصادر العربية والمترجمة:

وقد سافرت إلى استانبول ثلاث مرات، وفي كل مرة كانت تتعثر عملية الحصول على وثائق من دور الأرشيفات هناك، نظراً لصعوبة الحصول عليها بالطرق الرسمية المسبقة، وتمت الاستعانة بالوثائق العثمانية الموجودة بدور الوثائق البريطانية والموجودة في المذكرات الشخصية للقيادات العثمانية المشاركة في الحرب العالمية الأولى، وحوت هذه المذكرات والكتب على برقيات ومراسلات متبادلة بين القادة العثمانيين.

وقد رجعت لمذكرات بعض الساسة والقادة العثمانيين منها:

ـ مذكرات أحمد جمال باشا الذي عمل قائداً للجيش الرابع العثماني وقائداً

للحملة العثمانية على قناة السويس، وقد ضمّن هذه المذكرات إجراءات الحكومة العثمانية في الحرب ومحاولاتها مع الشريف حسين، وآثار ثورة الشريف ضد مخططات الحكومة العثمانية.

ـ ومنها ماكتبه الجنرال العثماني علي فؤاد "كيف غزونا مصر"، وقد شارك في معارك القناة، وكتب تحليلاً جيداً ومنصفاً لمواقف القيادات العثمانية وخطط الدولة العثمانية لغزو القناة، وسير الحملة وإخفاقها.

ـ ومنها ماكتبه أحمد رؤوف بك "كيف دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى" والرجل من كبار القادة العثمانيين، تحدث عن الأسباب التي أدت إلى دخول الدولة العثمانية معترك الحرب العالمية.

ـ إضافة إلى مذكرات عثمانية أخرى، كمذكرات متصرف عسير سليمان شفيق كمالي باشا والتي نشرتها مجلة العرب، ومذكرات السلطان عبدالحميد وما كتبه القائد العثماني حسين حسني أمير عن تشكيلات جيش الصاعقة العثماني "بيلدرم".

وهناك كتبا ومذكرات عربية الأصل أو مترجمة ويأتي في مقدمتها الكتب التالية:

ـ مذكرات الشريف عبدالله بن الحسين في الآثار الكاملة للملك عبدالله ابن الحسين، وهو من المصادر الهامة التي تعبر عن وجهة نظر الشريف عبدالله ووالده الحسين، وأحداث ثورة الحسين على الدولة العثمانية.

ـ كتاب هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، لأحمد فضل بن علي محسن العبدلي، من أسرة العبادل حكام لحج التي استولى عليها العثمانيون ويعتبر من المصادر المعاصرة للأحداث.

ـ كتابات القادة العثمانيين المذكورة آنفاً، كمذكرات جمال باشا وجمال باشا الصغير، وعلى فؤاد، وكلها مترجمة إلى العربية.

ـ الكتابات الإنجليزية المترجمة، ككتاب لورنس، أعمدة الحكمة السبعة وهو من المصادر الهامة حيث شارك مؤلفه في أحداث الحرب العالمية الأولى، وكتاب العمليات الحربية في مصر وفلسطين للكولونيل كيرزي وهو من المصادر

الهامة التي قامت على ماورد في الوثائق والخرائط الرسمية والمذكرات الشخصية التي كتبها بنفسه أثناء اشتراكه في هذه العمليات الحربية.

- مذكرات محمد فريد زعيم الحزب الوطني بمصر الذي شارك في بعض المداولات السياسية في استانبول في بداية الحرب والمعروفة "بأوراق محمد فريد ـ مذكراتي بعد الهجرة"، ومذكرات أحمد شفيق باشا رئيس ديوان الخديوي عباس والمعروفة بـ "مذكراتي في نصف قرن".

سادسا: وثائق منشورة في شكل كتب، وأهمها:

- Hurewitz, J.C. (ed), The Middle East and North Africa In World Politics.

- Aitchison, C.U. (ed) Acollection of Treaties, Engagements and Sanads, Vol. XI.

سابعا: دوريات ومجلات: وتأتي في مقدمتها:

- جريدة القبلة، أنشأها الشريف حسين بعد إعلان الثورة، برئاسة محب الدين الخطيب، وقد تضمنت تفاصيل للثورة وتعتبر لسان حال الشريف حسين.

- جريدة الوقائع المصرية، وفيها كثير من القرارات التي أصدرتها السلطات البريطانية.

بالإضافة إلى بعض الدوريات المثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

ثامناً: مراجع باللغة العربية:

وأهمها ماكتبه محمد بن أحمد العقيلي عن "المخلاف السليماني" وماكتبه توفيق علي برو عن "العرب والترك في العهد الدستوري العثماني"، و "العرب والترك في الحرب العالمية الأولى". وكتابات سليمان موسى عن "الحركة العربية" وعن "المراسلات التاريخية" وأخيراً كتاب "يقظة العرب" لجورج انطونيوس، والمؤلفون الثلاثة الأخيرون يكتبون من وجهة نظر القومية العربية التي تزعمها نصارى الشام ولبنان.

تاسعا: مصادر ومراجع باللغة الإنجليزية:

وتأتي في مقدمتها الكتب التالية:

- Macmun, G., and Falls, C., Military Operations, Egypt and Palastine,

وتأتي أهمية هذا الكتاب بأجزائه لاعتماده على وثائق رسمية بتكليف من لجنة الدفاع الإمبراطوري في بريطانيا وفيه تفاصيل عن العمليات التي قامت في مصر وفلسطين والحجاز وعدن.

- El-Edroos, S.A, The Hashmite Arab Army 1908-1979,

وفيه تفاصيل كاملة مدعمة بالخرائط عن ثورة الشريف حسين وعمليات فيصل بن الحسين في شمال الحجاز.

- Bullard, Reader., Britain and the Middle East,

وفيه عرض شامل لسياسة بريطانيا في المنطقة.

بالإضافة إلى الكتب الوثائقية المذكورة آنفاً والكتب الخاصة بمناطق معينة كالحجاز وعسير وعدن مدرجة في ثنايا البحث.

وأخيراً أشكر لأستاذي الفاضل الدكتور عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم المشرف على الرسالة جهده الكبير في احتضان هذا العمل وترشيده وفق النهج العلمي السليم، كما لا أنسى جهود مشرفي السابق الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين المسدي جزاه الله خيراً، وجهود أساتذة القسم الكرام، وجميع من ساهم في هذا العمل. لكل هؤلاء جزيل الشكر على جهودهم المخلصة ونصائحهم المفيدة. والحمدلله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول

منطقة البحر الأحمر
قبيل الحرب العالمية الأولى

* الأبعاد الجغرافية والتاريخية لمنطقة الدراسة.
* القوى المحلية في المنطقة.
* القوى الكبرى ذات النفوذ في المنطقة.
* العلاقات بين الدولة العثمانية وبريطانيا في المنطقة.

يعتبر البحر الأحمر[1] بمثابة حوض ضيق مستطيل من المياه يميل محوره في اتجاه شمال شمال غرب إلى جنوب جنوب شرق، حيث يفصل هذا البحر سواحل شبه الجزيرة العربية عن السواحل الأفريقية، ويتفرع في الشمال إلى خليجي السويس والعقبة، وتفصلهما شبه جزيرة سيناء، كما يتصل البحر الأحمر بالبحر المتوسط عن طريق قناة السويس التي تمر عبر البحيرات المرة وبحيرة التمساح ويتصل بخليج عدن والمحيط الهندي في الجنوب عن طريق مضيق باب المندب، وتعزى تسمية هذا البحر إلى وجود نوع من الطحالب يتكون بلون أحمر ويتكاثر بسرعة كبيرة مغطياً مساحات واسعة من الماء[2]، إضافة إلى تسميات وتعليلات أخرى في الكتب الجغرافية.

الأبعاد الجغرافية والتاريخية لمنطقة الدراسة:

يبلغ طول البحر الأحمر من السويس إلى باب المندب حوالي ١٢٠٠ ميلاً ويتفاوت عرضه بين ٢٥٠ ميلاً في القسم الجنوبي إلى ١٣٠ ميلاً في القسم الشمالي[3].

ويتضح من هذا التفاوت في العرض أن القسم الأوسط منه أوسع المناطق[4] ومن هنا فكل جزء من هذا البحريعبر عن أهمية خاصة .. فالمنفذ الشمالي عبر قناة السويس يضمن الاتصال بدول البحر المتوسط والعالم الخارجي والجزء الأوسط من هذا البحر باتساعه يجعل لموانئه ومصايده أهمية خاصة، والمنفذ الجنوبي عبر باب المندب ينفتح على بقية أجزاء العالم.

والواقع أن التحديد الجغرافي للبحر الأحمر من السويس إلى باب المندب هو تحديد مرتبط بالظاهرة الجغرافية البارزة الموجودة في جنوبه وهو مضيق باب المندب

---

(١) انظر ملحق الخرائط.

(٢) أنور عبدالعليم، البحار والمحيطات، الدار القومية للطباعة والنشر، الاسكندرية، ١٩٦٤، ص ٢٥٣، ٢٦٧.

(٣) Encyclopaedia Britannica, Vol. 19, 1954, p 26.

(٤) ذكر بعض الجغرافيين المسلمين في أوائل القرن الثامن الهجري أطوالا لهذا البحر متقاربة مع تقديرات القياس الحديثة، انظر شمس الدين أبي عبدالله محمد أبي طالب الدمشقي (ت ٧٢٧هـ)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، ب. ت)، ص ١٦٥.

.. أما البحر الأحمر تاريخياً فلا يمكن فصله عن خليج عدن وميناء عدن والساحل الصومالي، كما لايمكن فصله عن قناة السويس شمالا، فإذا مانظرنا إلى خريطة البحر الأحمر بصورة عامة نجد أن أهم الملامح البارزة فيه هي قناة السويس ومضيق باب المندب وخليج عدن، بينما تبرز عدة جزر متناثرة على طول البحر الأحمر تختلف في درجة أهميتها من مجموعة لأخرى، وهناك عدد من الموانئ الهامة على طول سواحل هذا البحر، بالإضافة إلى ميناء عدن.

وقد كان افتتاح قناة السويس للملاحة في ٢٠ نوفمبر ١٨٦٩/١٢٨٦ هـ حدثا هاما في تاريخ البحر الأحمر والبلاد المطلة عليه .. ويبلغ طول القناة من بورسعيد إلى السويس حوالي ٨٧ ميلاً منها ٦٦ ميلاً قناة محفورة و ٢١ ميلاً خلال البحيرات[١]، وبموجب اتفاقية الآستانة في ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨م/١٣٠٥هـ المقررة لحرية المرور في قناة السويس اتفقت الأطراف الدولية الموقعة عليها ومنها فرنسا وألمانيا والنمسا وأسبانيا وبريطانيا وإيطاليا وروسيا والدولة العثمانية على عدم المساس بحرية استخدام القناة سواء في وقت الحرب أو في السلم، ومواد أخرى تحدد مصالح هذه الدول في القناة[٢]. وسيتضح مدى تمسك هذه الدول بالاتفاقية في الأزمات التي وقعت بعد ذلك وخاصة الحرب العالمية الأولى.

تقسم جزيرة بريم مضيق باب المندب إلى طريقين حيث يبلغ عرض أحدهما ١٢ ميلاً وهو المضيق الواقع بين الجزيرة والساحل الأفريقي، أما المضيق الآخر الصغير بين الجزيرة ورأس باب المندب فإن عرضه لايتجاوز الميلين وهو خطر على الملاحة[٣]

أما خليج عدن فيبلغ اتساعه في جزئه الغربي بين عدن شمالا ورأس خنزير في الجنوب حوالي ١٢٣ ميلا يزداد إلى ١٨٠ ميلاً تقريباً في الجزء الشرقي وطوله من

---

(١) (IOR) L/P & S /20/ E77, The Red Sea and Gulf of Aden Pilot SixthEdition, The Admirlty, London, 1909, p 61.

(٢) نص المعاهدة في كتاب، عبدالعزيز الشناوي وجلال يحيى، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، ١٩٦٩، ص ٦٦٠-٦٦٥.

(٣) West Arabia and the Red Sea, by Naval Intelligince Division, London, 1946, p 139..

منفذ خليج تاجوره في الغرب إلى رأس جردفوي في الشرق حوالي ٤٥٠ ميلاً ويشابه خليج عدن البحر الأحمر في كثير من المظاهر الجغرافية[1].

وهذا التشابه في المظهر الجغرافي بالإضافة إلى الاتصال الطبيعي بين الخليج والبحر عبر المضيق يجعل من خليج عدن والبحر الأحمر وحدة جغرافية مما ساعد على جعلها وحدة تاريخية واحدة.

وكغالبية بحار العالم يوجد في البحر الأحمر عدة جزر نذكر منها:

جزيرة بريم:

وتقع في أضيق جزء من مضيق باب المندب وتبعد عن الساحل الغربي بمسافة واحد ونصف ميلاً و تسعة أميال من الساحل الأفريقي ويبلغ طولها ثلاثة ونصف ميل وعرضها واحد وربع ميل، وتشغل خمسة أميال مربعة، ولاتوجد بها مياه[2]

جزيرة فرسان:

وهي من أكبر جزر البحر الأحمر وأكثرها سكانا وأخصبها تربة وتبعد عن مدينة جازان ٥٠ ميلاً إلى الغرب وتوجد بها عدة قرى، كما يتبعها عدد من الجزر[3]

جزيرة قمران أو كمران:

وهي قريبة من الساحل اليمني[4]، وتبعد عن ميناء الصليف بأربعة أميال وتبلغ مساحتها ٢٢ ميلاً مربع ومواردها الاقتصادية محدودة[5].

---

(١) (IOR) L/P & S /٢٠/E٧٧, Op. cit.p.5.

(٢) (IOR) L/P & S /20/ E55, Military Report on the Aden Protectorate General Staff, India, Simla, 1915, p. 55.

(٣) محمد بن أحمد العقيلي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية مقاطعة جازان المخلاف السليماني، الطبعة الثانية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٩٧٩، ص ١٢٥ـ١٢٦.

(٤) ذكر الهمداني (الجغرافي اليمني) أشهر الجزر المجاورة للسواحل اليمنية وعدّد منها دهلك وكمران وجزائر سقطرى، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٤، ص٦٨ـ٦٩.

(٥) محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب، جغرافية اليمن الشمال والجنوب، ج٤، الطبعة الأولى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٢، ص١٨٧.

وفي مدخل خليج العقبة تقع جزيرتا تيران وصنافير، بينما تعترض مدخل خليج السويس مجموعة من الجزر أهمها جزيرة شدوان وجزر جوبال وجزر طويله[1].

وتبرز عدّة موانئ هامة في البحر الأحمر وخليج عدن نخص منها مابقي على أهميته في العصر الحديث، فعلى الساحل الغربي مثلا: السويس وسواكن وبورسودان وجيبوتي وزيلع وبربره، وعلى الساحل الشرقي ينبع وجده والحديدة والمخا وعدن[2].

تلك أبرز الملامح الجغرافية للبحر الأحمر، وهي كما نرى تضفي على البحر ذاته أهمية خاصة، فالمنفذ الشمالي عبر قناة السويس، والجنوبي عبر مضيق باب المندب، بالإضافة إلى جريانه بين قارتي أفريقيا وآسيا، جعل لهذا البحر موقعا ممتازا بين بحار العالم.

وكان لتوسط حوض البحر الأحمر بين أقاليم مختلفة الانتاج أن أصبح معبرا لمرور التجارة سواء بطريق البحر عبر موانيه أو البر عبر ظهيرة، كما ساعد على نشر التجارة على طول سواحل البحر الأحمر وخلجانه على الجهتين العربية والأفريقية منذ القدم[3].

وقبيل دخول العثمانيين المنطقة، في أوائل القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي، جدّت عوامل أصابت النشاط التجاري في البحر الأحمر بالتدهور ومن هذه العوامل نجاح البرتغاليين في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحويل النشاط التجاري إلى هذا الطريق، ومحاولة البرتغاليين محاصرة القوى التجارية العربية والقضاء عليها. ولكن بعد دخول العثمانيين كقوة لها وزنها في المنطقة، أصبحت مسئولية حماية البحر الأحمر وسواحله تقع على عاتق العثمانيين الذين كان عليهم مراقبة الأطماع البرتغالية في هذا البحر ومداخله حيث بذل العثمانيون جهدا كبيرا للحفاظ عليه كبحيرة إسلامية، وحصروا النشاط التجاري في القوى الإسلامية رغم الصعوبات، تطبيقا لخطة المماليك قبل ذلك في قفل البحر الأحمر أمام الغزاة

---

(١) أمين محمود عبدالله، الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر، المطبعة الحديثة، أسيوط، ١٩٧١ ص١٧ـ٢٠.

(٢) (IOR) L/P&S/20/E77, Op cit, pp 4-6.

(٣) أمين محمود عبدالله، مرجع سبق ذكره، ص١٠٣.

الأجانب[1].

من هنا تبدأ جذور السياسة العثمانية في منطقة البحر الأحمر من هذه الفترة وهي سياسة، مهما كانت دوافعها وأهدافها، كانت لصالح القوى الإسلامية المتواجدة في المنطقة، تلك القوى المحلية التي لم تكن بإمكانياتها المحدودة لتستطع أن تقف وحدها تجاه قوة كبيرة كالبرتغاليين، دفعتها مصالحها الاقتصادية وأهدافها الدينية إلى الهجوم على المنطقة.

وأخذت بريطانيا وهي الدولة التي أصبحت لها مصالح في الشرق أكثر من غيرها منذ بدأت تبسط نفوذها على الهند، في ممارسة الحقوق التي حصلت عليها من الدولة العثمانية، كحق الاتجار والرسو في موانئ الدولة العثمانية تحت ظل الراية الانجليزية[2].

إلا أنه مع وصول الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨م/١٢١٣هـ، ومع تصدي الانجليز للمشروعات الف نسية، وكذلك نتيجة لظهور والي مصر الطموح محمد علي، ومجابهة بريطانيا لمشروعاته، كل هذا زاد في التنافس الدولي في المنطقة[3].

وكان فتح قناة السويس للملاحة سنة ١٨٦٩/١٢٨٦هـ نقطة تحول هامة في تاريخ البحر الأحمر، إذ أصبح معبرا هاما بين البحر المتوسط والمحيط الهندي، ولم يعد هذا البحر طريقا للمسافرين والبريد إلى الهند سب، بل أصبح واحدا من أهم الطرق الطرق البحرية التجارية الرئيسية في العا [4]

ومن الطبيعي بعد ذلك أن تزداد المنافسة عن ذي قبل بين الدول في المنطقة

---

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني ١٥١٧ـ١٧٩٨م، بحث مقدم إلى سنمار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس عن "البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة"، القاهرة ١٩٨٠، ص٢٤٢ـ٢٤٦.

(٢) شوقي عطالله الجمل، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤، ص١٨.

(٣) جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩، ص٣٧.

(٤) فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٨ـ١٩١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٧٦، ص٣٧٢.

خصوصا وأن افتتاحها قد تزامن مع نمو مصالح الدول بعد النمو الهائل في الصناعات وفي عمليات التبادل التجاري.

ومهما يكن من أمر، فإنه مع احتمال أي مواجهة عسكرية في المنطقة نتيجة للتنافس الدولي، تبدو أهمية جزر البحر الأحمر ومضايقه وموانيه الهامة للأطراف المتنازعة، كما ستبرز أهمية بعض البلاد المطلة عليه أما لأهمية الموقع الاستراتيجي أو لتوفر الموارد الاقتصادية.

القوى المحلية في المنطقة

إن تحديد البعد الجغرافي والتاريخي لمنطقة البحر الأحمر قبيل الحرب العالمية الأولى، يعطي تصورا لأوضاع المنطقة ولواقعها المحلي والدولي، ويلقي أضواء على القوى المحلية المؤثرة في الأوضاع في منطقة البحر الأحمر.

وإذا كانت القوى المحلية هي العناصر الأصلية في المنطقة، والتي تتفاعل مع أحداث المنطقة بشكل مباشر، فإن تحديدها يعطي الخلفية التاريخية للصراع بين الدولتين في المنطقة، ولذا يمكن إعطاء نبذة جغرافية وتاريخية عن القوى الموجودة في المنطقة وعن وضعها وثقلها في المنطقة.

أ ـ مصر والسودان(١)

تعد مصر من كبرى البلاد المطلة على البحر الأحمر، حيث تكتسب أهميتها ومكانتها من الموقع الفريد الذي تتمتع به، إذ تمتد أراضيها لمسافات طويلة على البحر الأحمر والبحر المتوسط، كما أن جريان قناة السويس في أراضيها أعطاها أهمية خاصة، وبالتالي كانت محط أطماع الدول المتنافسة خصوصا إذا أضفنا إلى ميزة الموقع الاستراتيجي الأهمية الاقتصادية لهذه البلاد حيث نهر النيل والأراضي الخصبة.

ولما كان تاريخ السودان في العصر الحديث يرتبط ارتباطا عضويا بتاريخ مصر فسأحاول أن أربط دائما بين مصر والسودان ـ باعتبارهما كتلة واحدة ـ أثناء الحديث

---

(١) انظر ملحق الخرائط.

عن هذين البلدين في ثنايا البحث.

فالوحدة السياسة التي قامت بين البلدين في أوائل القرن التاسع عشر حتى الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢/١٣٠٠هـ، وإخلاء السودان ثم استعماره وإنشاء نظام الحكم الثنائي في السودان بين مصر وبريطانيا في سنة ١٨٩٩/١٣١٧هـ[١]. كل هذه الأمور جعلت من البلدين بلدا واحدا.

ولذلك فشبه جزيرة سيناء مع أراضي واسعة شرق قناة السويس، مع الساحل الغربي للبحر الأحمر حتى رأس قصار Ras Kasar والحدود الجنوبية لبلاد النوبة السودانية تعتبر أراضي مصرية[٢] آنذاك.

وتحدد معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م/١٢٥٦هـ. وضع مصر الدولي قبل الحرب العالمية الأولى، حيث تم الاعتراف بقدر كبير من الاستقلال الذاتي لمصر، وضمان عرش مصر في أسرة محمد علي[٣] ، ولم يكن يحد من الاستقلال سوى قيد السيادة العثمانية ودفع الجزية بمقتضى تلك المعاهدة[٤].

ولذا فالخديوي يحكم البلاد بموجب حق الوراثة، ومايزاوله من سلطة يتأثر من حيث مداه وقوته بالسيادة الاسمية التي تزاولها الدولة العثمانية، كما أنه يتأثر، بعد ١٨٨٢م بوجود الاحتلال البريطاني في مصر. ومن هنا يمكن القول أن أي قرار سياسي يصدر من الخديوي كان محكوما بهذه الاعتبارات، وكان له رد فعل في معارضة أو موافقة هذه الدولة أو تلك.

وفي فترة ماقبل الحرب كان عباس حلمي الثاني هو خديوي مصر، وقد اعتلى كرسي الخديوية عام ١٨٩٢م/١٣١٠هـ، وكان شابا جريئاً طموحا قريبا إلى شعبه الذي أحبه، رغم العقبات التي واجهته، والتي تمثلت في سلطة اللورد كرومر

---

(١) محمد فؤاد شكري، مصر والسودان، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣، ص٥.

(٢) (IOR) L/P&/20/E77, Op. cit, p.4.

(٣) Hurewitz, J.C., (ed) The Middle East and North Africa in World politics, Vol 1, 2nd Edi, London, 1975, pp 271, 276.

(٤) عبدالرحمن الرافعي بك، ثورة ١٩١٩ ـ تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٦، ص٩.

(Cromer)[1] في البلاد. وقد حاول الخديوي الاستعانة بالدولة العثمانية لمقاومة سيطرة الاحتلال، كما أصبح محور الحياة السياسية والوطنية في ذلك الوقت، ولكن لم يستمر الخديوي على موقفه هذا، إذ خار عزمه أمام تسلط الانجليز في البلاد[2].

وهكذا فإن النشاط السياسي في عهد الخديوي عباس والذي يؤثر بصورة أو بأخرى على الثقل السياسي للسلطة المحلية (الخديوية) قد انهار أمام الضغوط البريطانية، كما ظهر من سياسة الخديوي ميله للعثمانيين عندما حاول الاحتماء بهم، وبذا فإن الإنجليز وضعوا نصب أعينهم أن أي أحداث مستقبلية في مصر سيكون للخديوي وللدولة العثمانية دور تختلف درجة خطورته بقدر التفاهم الذي يكون بينهما.

إلا أن الخديوي عباس بدأ يعيد النظر في موقفه العدائي إزاء سلطات الاحتلال بعد عدة حوادث منها حادث فاشوده ١٨٩٨م/١٣١٦هـ، إذ رأى أن فرنسا لاتنوي معارضة بريطانيا في احتلال مصر، ثم إبرام الوفاق الودي في ١٩٠٤/١٣٢٢هـ بين فرنسا وبريطانيا الذي وافقت فيه الأولى على إطلاق يد الثانية في مصر، ومن ثم أدرك الخديوي أن لاجدوى من التمادي في معارضة النفوذ الإنجليزي وعندها بدأت تجربة سياسة جديدة تقوم على التعاون بين الخديوي وممثل سلطات الاحتلال، وخصوصا بعد رحيل كرومر وقدوم السير ألدون جورست Eldon Gorst[3]

إلا أنه بعد وفاة السير ألدون جورست في سنة ١٩١١م/١٣٣٠هـ رأت بريطانيا انتهاج سياسة جديدة لإعادة الحكم المطلق الذي كان يمارسه اللورد كرومر في مصر بعد أن اتضح لها فشل سياسة الوفاق التي مارسها جورست إبان فترة توليه مهام المعتمد البريطاني في مصر، وقد تمثل هذا الفشل في تزايد قوة الحركة الوطنية

---

(١) اللورد كرومر لقب عرف به القنصل البريطاني إيفلين بارنج Baring, Evelyn (١٨٤١ـ١٩١٧) عين في عام ١٨٨٣ ممثلا وقنصلا عاما لبريطانيا في مصر، وأصبح الحاكم الفعلي لمصر حتى عام ١٩٠٧ وعرفت الفترة التي حكمها بفترة الحماية المقنعة. انظر:

Kenyon, J.P., (Editorial Consultant), Adictionary of British History, First Published London, 1981, p. 32.

(٢) عمر عبدالعزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٦٢ـ٣٧٣.

(٣) محمود حلمي مصطفى، دراسات في تاريخ مصر السياسي، مكتبة الطليعة أسيوط، ص٣٨ـ٣٩.

وعدائها للاحتلال، فعينت أحد رجالها العسكريين الأقوياء وهو كتشنر Kitchener[1].

فالحركة الوطنية بأحزابها المختلفة قوة سياسية لها ثقلها على الساحة في مصر، فقد كانت علاقتها بالخديوي قوية قبل أن يخضع للاحتلال، فلما لم يبد الخديوي بعد ذلك أي اعتراض على تزايد السيطرة البريطانية في الإدارة حدث انقسام في صفوف الحركة الوطنية التي ظلت متماسكة فترة من الزمن، فانقسمت إلى ثلاث أحزاب سياسية هي الحزب الوطني وحزب الإصلاح الدستوري وحزب الأمة[2].

سعى الإنجليز إلى كسب الخديوي إلى جانبهم وفصله عن الحركة الوطنية إذ رأوا أن تعاونه مع الحركة الوطنية في سبيل مصالح شعبه يمثل خطرا على مصالحهم، فالسلطة المحلية في البلاد ترتكز على محورين هما الخديوي والأحزاب، وأي تعاضد بين هذين المحورين يشكل قوة لصالح البلاد وخطر على مصالح الدول الكبرى في مصر وبخاصة على بريطانيا.

أما عن الإدارة ونظام الحكم في السودان فقد نصت اتفاقية الحكم الثنائي المصري البريطاني للسودان في ١٨٩٩م على أن "تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان إلى موظف واحد يلقب حاكم عموم السودان ويكون تعيينه بأمر عال خديو بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولايفصل من وظيفته إلا بأمر خديو مصدر برضاء الحكومة البريطانية"[3].

فالإنجليز انفردوا بالسيطرة على السودان رغم اتفاقية الحكم الثنائي التي تجعل مصر شريكة لها في حكم السودان. ولذا فثقل السلطة المحلية في السودان يعتبر ضعيفا.

هذا عن مصر والسودان، أما بقية أجزاء الساحل الغربي للبحر الأحمر، فإن هناك صحراء ممتدة بين البحر الأحمر ووادي النيل تتصل إلى الجنوب حتى مدخل البحر الأحمر، فهذه الأراضي الساحلية تتبع لعدة قبائل محلية لم تخضع لأي سلطة

---

(١) المرجع السابق، ص٧٨-٧٩.

(٢) عمر عبدالعزيز عمر، مرجع سبق ذكره، ص٣٧٣-٣٧٤.

(٣) رئاسة مجلس الوزراء المصري: السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ إلى ١٢ فبراير ١٩٥٣ ص٥-٨.

خارجية إلا عندما تجبر بواسطة قوة كبيرة، وقد حصلت إيطاليا على أجزاء من هذه السواحل[1]

ب ـ أرتريا والصومال

في سنة ١٨٩٠م/١٣٠٨هـ، أصدرت السلطات الإيطالية مرسوما بتوحيد الممتلكات الإيطالية في ساحل البحر الأحمر، في مستعمرة واحدة سميت أرتريا وتضم هذه المستعمرة موانئ هامة في مقدمتها مصوع، كما يبلغ طول السواحل التي تم احتلالها مايقرب من ٦٥٠ ميلا، والمنطقة يتولاها حاكم عسكري له سلطات عسكرية ومدنية لتنظيم المستعمرة[2].

وبحلول القرن العشرين أصبح الصومال مقسما من الناحية السياسية إلى الصومال الفرنسي الذي يقع في خليج عدن على بوغاز باب المندب، وإلى الصومال البريطاني الذي يشمل القرن الشمالي الشرقي من القارة على طول الشاطئ الجنوبي لخليج عدن، ويحده من الشرق والجنوب الشرقي الصومال الإيطالي، ومن الغرب الصومال الفرنسي، كما استعمرت إيطاليا ماعرف بالصومال الإيطالي الذي يمتد على الساحل الشرقي لأفريقيا ويشمل السواحل الشرقية للقرن الأفريقي[3].

وهذه الأجزاء من الساحل الغربي للبحر الأحمر وأعني أرتريا والصومال تختلف عن مناطق البحر الأحمر على أساس أن القوى المحلية هنا ليس لها حضور كبير على الساحة السياسية مقارنة بالمناطق الأخرى، فليست هناك حكومة محلية تنتظم مجموعات السكان تحت لوائها، وإنما هي قبائل متعددة أو مجموعات سكانية في المدن، ومن المؤكد أن السلطات الاستعمارية في هذه المناطق قد فتتت كل سلطة ممكنة لأي قوة محلية قد تتمثل في إمارة أو دويلة وجعلت حكم هذه المناطق وقفا عليها.

---

(١) (I OR) L/P&S/20/E 77, Op. cit. p. 4.

(٢) شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠، ص٣٦٢.

(٣) راشد البراوي، الصومال الكبير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦١، ص١١ـ١٢.

جـ ـ عدن والمحميات[١]

قامت بريطانيا باحتلال عدن في عام ١٨٣٩م نظراً لأهميتها الكبيرة كمحطة في طريق المواصلات البريطانية إلى الهند ولأهميتها التجارية كبوابة تجارية للتجارة مع الداخل. حيث احتلت منطقة في عدن تقدر بخمسة وسبعين ميلا مربعا[٢].

وعدن عبارة عن شبه جزيرة صخرية تتصل بالبر ببرزخ رملي مستطيل الشكل، يبلغ طوله ٧ كم، وتقع على الساحل الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب. وهي منطقة صغيرة ومجدبة، وتشتمل على عدة أقسام وهي التواهي وفيها دار المقيم البريطاني، ودور الممثلين السياسيين. ومدينة عدن الأصلية، والمعلا وخورمكسر، بالإضافة إلى عدة قرى وهي الشيخ عثمان، والحسوي وبئر جابر[٣].

وتمتد محمية عدن وهو الاسم الذي يطلق على عدن والمشيخات الأخرى المحيطة بها التي عقدت بريطانيا مع مشائخها معاهدات الحماية بعد احتلالها لعدن، من أراضي البحر الأحمر المجاورة إلى رأس سجار قرب خط الطول ٥٤ شرقاً، بينما يبدأ خط الحدود من حصن مراد قرب بريم ويمتد لأكثر من ٢٠٠ ميلاً إلى نقطة على وادي بانا قرب قعطبة[٤].

وهذه السلطنات والمشيخات المحمية هي:-

سلطنة لحج

تشغل قبيلة العبدلي التي تشكل هذه السلطنة منطقة يبلغ طولها ٣٣ ميلاً وعرضها ٨ أميال، وتقع باتجاه من شمال إلى شمال غرب عدن، ويطلق على هذا

---

(١) انظر ملحق الخرائط.

(٢) (PRO) FO 371/3054, Secret B 247. British Interest In Arabia, January 1917.

(٣) أنور الرفاعي وآخرون، جزيرة العرب جغرافيا، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والآداب، دمشق ١٩٤٩، ص٦٥-٦٧.

(٤) (IOR) L/P&S/20/E55, Op. cit, pp 27-29.

الإقليم لحج وعاصمته الحوطه، ويعتبر العبادلة أكثر تحضرا من كل القبائل في المنطقة[1].

مشيخة الصبيحة

وتقطنها قبيلة الصبيحة وتمتد تلك المشيخة من المنطقة المحاذية للبحر الأحمر من رأس عمران حتى باب المندب، وينقسمون إلى عدد كبير من العشائر[2].

سلطنة الفضلي

وبها أقوى القبائل القريبة من عدن، وتقع شمال شرق عدن، وتمتد لمسافة ١٠٠ ميلا على طول الساحل من الحدود الشرقية للعبدلي قرب العماد إلى الحدود الغربية للعولقي عند المقاطن[3]. وشقره هي الميناء الرئيسي للسلطنة وتقع على بعد حوالي ٧٠ ميلا من عدن[4].

مشيخة العقربي

وتقطنها قبيلة العقربي فخذ من العبدلي، استقلت عنهم حوالي عام ١٧٧٠م/ ١١٨٤هـ، ويشغلون الخط الساحلي من بير أحمد إلى رأس عمران، وبير أحمد هي القرية الوحيدة للعقربي[5].

سلطنة ومشيخة العولقي

وتنقسم قبيلة العولقي إلى قسمين العولقي العليا والعولقي السفلى وكل منهما محكومة بحاكم مستقل، والعوالق العليا تنقسم أيضا إلى قسمين أحدهما تحت

---

(١) Hunter, F.M., An account of the British Settlement of Aden in Arabia, Frank Coss & Co. Ltd, London, 1968, pp 155-156.

(٢) Aitchison, C.U., (ed.) Acollection of Treaties, Engagements and Sanads, Vol XI, Kraus Reprint, Nendeln, 1973, p 7.

(٣) Ibid, p 9.

(٤) Hunter, F.M., Op, cit., p 156.

(٥) Aitchison, C.U. (ed) Op, cit., p. 12.

سيطرة سلطان والأخرى تحت سيطرة شيخ، وتحد بلاد العولقي من الشمال بأراضي بيحان، ومن الغرب بقبائل العوذلي والفضلي، ومن الجنوب بالبحر الأحمر ومن الشرق بقبيلة الواحدي[١].

سلطنة الحوشبي

وتقطن قبيلة الحوشبي منطقة تبعد عن عدن بحوالي ٤٠ ميلاً شمال عدن، ويقيم السلطان في المسيمير العاصمة[٢].

سلطنة يافع

وتنقسم هذه السلطنة إلى يافع السفلى ويافع العليا، وأراضي قبيلة يافع متسعة جدا في الداخل، واليوافع من أكثر القبائل الداخلية تنقلا وسفرا لاتصالاتهم التجارية مع الهند وبورنيو[٣]. وتمتد أراضي يافع العليا من نقطة على الشاطئ الشرقي لعدن حتى حدود حضرموت شرقا، أما يافع السفلى فيحدها شمالا يافع العليا وجنوبا وشرقا بلاد الفضلى وغربا الأميري والحوشبي[٤].

سلطنة العوذلي

وتشغل سلطنة العوذلي مساحة كبيرة، وتقع بين الفضلى في الجنوب والعولقي في الشرق واليافعي في الغرب[٥].

وهناك مجموعة من الإمارات القبلية كمشيخة العلوي وإمارة الضالع[٦]. كما أن هناك أيضا عدة إمارات أو قبائل بعيدة عن عدن وتقع إلى الشرق ربما لايتسع مجال البحث لذكرها لعدم تأثيرها المباشر في أحداث المنطقة.

---

(١) Ibid, p 14.

(٢) (IOR) L/P&S/20/ E55, Op., cit., pp 65-67.

(٣) Aitchison, C.U., Op, cit, p. 17.

(٤) أحمد حسن شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، الطبعة الثالثة، الرياض ١٤٠٠هـ، ص٤٥-٤٦.

(٥) Aitchison, C.U., Op. cit. p. 20.

(٦) Ibid, pp 23-25.

تلك أهم الإمارات والمشيخات التي تحيط بعدن، وهي كما رأينا مناطق قبلية تحكم بواسطة رؤساء القبائل، وهذه المشيخات والسلطنات تمارس سلطتها في أراضيها، ومن الطبيعي – والمنطقة مركز تجمع قبلي ـ أن تحدث صدامات بين القبائل حول مناطق النفوذ التي لم تكن ـ في أغلب الحالات ـ محددة تحديدا قاطعا.

ولما كانت هذه التجمعات تعيش غير بعيد من عدن فقد بدأ الإنجليز عند احتلالهم عدن يعقدون مع العشائر اتفاقات سموها عهود صداقة وولاء، وقد تدرجت هذه العهود، وانتقلت من دور الولاء إلى دور الحماية[1].

ولذا فمفهوم الاستقلال السياسي لهذه الإمارات (المحميات) يختلف حسب قوة الإمارة ومدى تطبيقها لبنود المعاهدات المعقودة، التي هدف الإنجليز منها ـ في مجملها ـ إلى تكبيل سلطة الحاكم وخصوصا في علاقاته الخارجية.

بيد أن هناك نوعا من الاستقلال الإداري للمحمية نفسها، عزّزه حرص الإنجليز على عدم التدخل فيما يجري في داخل المحمية، إلا مايؤثر بشكل أو بآخر على الوجود البريطاني في المنطقة.

ولما كان الولاء القبلي لحاكم القبيلة في الغالب الأعم قويا فإنه يجعل لهذه الإمارات ثقل في الساحة، يؤثر ولاشك في أحداث المنطقة.

د ـ اليمن[2]

يمكن تحديد بلاد اليمن في الفترة قبيل الحرب العالمية الأولى، من الشمال بخط غير محدد يدخل اللحية وخمر في حدود اليمن، ومن الجنوب بمحمية عدن ومن الغرب بالبحر الأحمر، أما الحدود الشرقية، فغير واضحة ومتغيرة. ويقدر طول البلاد من ٢٠٠ ميلاً إلى ٢٥٠ ميلاً من الشمال للجنوب، و ١٥٠ ميلا من الشرق إلى الغرب[3].

---

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، ج١، الطبعة الأولى لمجموعة الأعمال العربية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ببيروت، ١٩٨٠، ص٤٤٥ـ٤٤٧.

(٢) انظر ملحق الخرائط.

(٣) (IOR) L/P&S/20/E 84 Ahandbook of Arabia, Vol 1, Admiralty

وقد حدد أمين الريحاني هذه البلاد من الجنوب بخط يمتد من المخا على البحر الأحمر إلى تعز فماويه فقعطبه، ومن الشمال بخط يمر في بلاد خولان وبني بشر، وغربيا بالبحر الأحمر، ومن الشرق بالربع الخالي[1].

ومن المؤكد أن هذا الاختلاف في تحديد الحدود يرجع إلى أن المناطق الحدودية لليمن، مناطق قبلية يصعب تحديدها بالدقة. والمهم في الأمر أن اليمن بهذا الموقع تأخذ صفة خاصة، فهي تجاور عدن والمحميات، وتملك سواحل واسعة على البحر الأحمر، فلا غرو أن يكون لها نصيب كبير في أحداث المنطقة.

واليمن في تلك الفترة خاضع لحكم الأئمة وقد كان تولي الإمام المتوكل على الله يحيى بن المنصور بالله محمد بن يحيى، الحكم في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م[2].

والواقع أن الحكم في اليمن متعدد ومتنوع، ففي بعض النواحي كان الحكم بيد العثمانيين ماعدا بعض القبائل المتمردة، والتي يعد أهمها حزام أرضي من الساحل إلى مرتفعات جنوبي الحديدة، والذي يسيطر عليه الزرانيق، وفي المناطق الساحلية تتوزع السلطات بالتساوي تقريبا بين العثمانيين والإمام، ويحتفظ الإمام بولاء خاص من قبل بعض القبائل الرئيسية، فحمدان وخولان وعانس، في الجزء الشمالي من البلاد من عمران وحتى الحدود الشمالية يعتبر فيها الإمام هو القوة الوحيدة[3].

ومن هنا فالسلطة المحلية المتمثلة في الإمام يحيى، تستمد ثقلها على الساحة السياسية من القبائل الموالية للإمام، ومن التراث التاريخي لحكم الأئمة في اليمن بحكم استمراره الطويل.

War Staff, Intellegnce Divison, 1916, p 145.

(١) أمين الريحاني، مرجع سبق ذكره، ج١، ص٧٦.

(٢) عبدالواسع بن يحيى الواسعي، تاريخ اليمن، المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن الطبعة الثانية، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٤٧، ص٢٩٩.

(٣) (IOR) L/P&S/20 E 80, Handbook of Yemen, First Edition Arab Bureau, Cairo, 1917, p 39.

هـ ـ عسير[1]

عسير هي ذلك الجزء من غربي الجزيرة العربية الذي يمتد بين اليمن والحجاز رغم أن هذا المدلول حديث الاستعمال وضع كاسم يشمل مناطق أكثر من منطقة الحافة الجبلية أو سلسلة الجبال الرئيسية والعقبة، والتي تقطنها أربع قبائل وهي بني مغيد وبني مالك وعلكم الهول ورفيده والذين يقطنون جميعا حول العاصمة أبها، وحتى ذلك الوقت ـ قبيل الحرب العالمية الأولى ـ لم يكن الأهالي غالبا يرمزون إلى هذه اللفظة "عسير" على تلك الحدود أو على منطقة واضحة محددة، ومهما يكن من أمر يمكن القول بإطلاق لفظة عسير وتهامة ونجران ليشمل كل المنطقة بين الحدود الجنوبية للحجاز خط مرسوم في الداخل من الليث وبين الحدود الشمالية لبلاد إمام اليمن، أما ساحل عسير على البحر الأحمر والسهل الساحلي فإن وادي عين يقسم أراضي الإدريسي من تلك التي يسيطر عليها العثمانيون، ومن الجهة الشرقية فإن حدود عسير غير مفصوله بحدود دقيقة عن نجد[2]. وذكر فؤاد حمزه أن "عسير" كأسم جغرافي اصطلاح حديث يعود تاريخ استعماله إلى حوالي مائة وخمسين عاما ولكنه كأسم قبيلة أو حلف من القبائل، اصطلاح غاية في القدم[3].

وبلاد عسير[4] منطقة تجمع قبلي وعشائري، وعلى مستوى السلطة المحلية يبرز

---

(١) انظر ملحق الخرائط.

(٢) Conwallis, Kinahan: Asir before World I, a Handbook, Oleander Falcon, Combrige, Maria la Bruna, 1976, p 7.

(٣) فؤاد حمزه، في بلاد عسير، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١، ص٨٥.

(٤) أشار الباحث علي أحمد عيسى عسيري إلى اختلاف الآراء حول تعريف عسير وتحديده كقسم من أقسام الجزيرة العربية حيث يرى أن هناك اتجاهين عند الحديث عن حدود عسير، الأول هو تحديد عسير القبيلة وعليه فحدود عسير لاتتعدى بلاد بلحمر وبلسمر شمالا، والاتجاه الثاني تحديد عسير على أساس تاريخي، وفي هذه الحالة تختلف الحدود تبعا للظروف القائمة في الماضي في الاتساع أو الانكماش ويميل الباحث إلى الاتجاه الثاني في اعتبار عسير منطقة وإقليما واسعا قامت في البداية عن طريق وحدة سياسية ثم احتفظت بتسمية شاملة لكل المناطق التي تم توحيدها في فترة من فترات التاريخ. انظر:

ـ علي أحمد عيسى عسيري، عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ـ ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م، رسالة ماجستير غير

اسم الإدريسي، وبعض القبائل الهامة المستقلة، وسلطة الدولة العثمانية الممتده إلى تلك المناطق.

وقد أصدر المكتب العربي Arab Bureau في القاهرة (التابع لوزارة الخارجية البريطانية والذي أنشيء أوائل الحرب) كتيبا عن عسير تطرق فيه الكاتب إلى الوضع السياسي في عسير في تلك الفترة وذكر أن عسير ليست ذات وحده سياسية واحدة إلا من وجهة النظر العثمانية فقط التي تعتبر عسير ككل السنجق الشمالي بينما في حقيقة الأمر – على حد تعبيره – تتوزع عسير إلى أربعة أجزاء، فهناك بعض القبائل التى لم تعترف بأي سلطة وهى من القبائل الرحل كبعض فروع قبائل ربيعه وبعض فروع القبائل الشرقية الرحل في غامد وشهران وعبيده، وهناك قبائل واقعه تحت نفوذ شريف مكه كقبائل غامد وبنى شهر وشهران على الرغم من أن هذا النفوذ ليس كبيرا، وأما العثمانيون فإن تواجدهم الرئيسي في ميناء القنفذه ومدينتى محايل وأبها، وهم على علاقة مع بعض القبائل الآخرى، وأما بقية الأجزاء فإن الإدريسي له سلطة في قبائل قحطان في عسير الداخلية الجنوبية ومعظم تهامة والعقبة من وادي العين في الجنوب حتى تخوم الليث، أي حوالى ٣٥٠ ميلا من الشمال للجنوب و ٧٠ ميلا من الشرق للغرب، ويقيم الإدريسي في صبيا، كما أن ميناءي ميدى وجيزان تحت سيطرته[١].

والحقيقة أن بلاد عسير بحكم طبيعتها الجغرافية وكثرة قبائلها يجعل من الصعوبه بمكان إحتفاظ الحاكم بولاء تام من جميع الرعايا، ولذا فإن احتفاظ العثمانيين بمراكز قويه في الداخل وبميناء يضمن الإتصال بالخارج، بالإضافة إلى نفوذ الدولة على شريف مكة، الذي يحتفظ بولاء بعض القبائل، يجعل للدولة العثمانية آنذاك في عسير نفوذاً ليس بقليل على الساحه.

بيد أن الإدريسي (محمد بن علي) المولود بصبيا عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦هـ والذى

منشورة، مقدمة إلى كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض. ١٤٠٤هـ، ص١٥–١٦.

(١) - Cornwallis, K., op, cit, pp 25 - 26 .

تعلم في الأزهر بمصر مدة طويلة، والذي كان له إتصالات ببعض أعضاء السفاره الإيطالية في القاهرة[1]، كانت له آمال كبيره وطموحات واسعة لتكوين دولة وتأسيس ملك. ساعده في ذلك قوة شخصيته وذكاؤه الخارق الذي مكنه من الاستفاده من رحلته إلى مصر، واطلاعه على مجريات السياسة الدولية مما تسامى بدائرة تفكيره عن نطاق أسرته الموروث في مجال التصوف، فدفعه طموحه الملتهب إلى تحقيق أهدافه مستعينا بالإيطاليين الذين كان لهم تواجد في أرتيريا على البحر الأحمر[2].

وقد حقق الإدريسي مايريد، عند عودته إلى عسير في صبيا حيث وجد الفرصة مهيأةفالفوضى منتشره في البلاد، فاستمال رؤساء العشائر إليه واستعان ببعضهم على البعض الآخر حتى ساد أكثرهم، ثم مد سيادته شمالا وشرقا إلى الجبال، وكان بعد ذلك خصم الدولة العثمانية اللدود وخصوصا فى أثناء حربهم مع الإيطاليين[3].

وهكذا يمكن القول أن بروز قوه الإدريسي في تلك الفترة يجعل للسلطة المحلية في تلك البلاد، حضور على الساحة، عززه أن هذه القوة عرفت كيف تستفيد من الظروف عن طريق محالفة دولة قوية كايطاليا.

و ـ الحجاز [4]

يقع الحجاز من جزيرة العرب في ناحيتها الشمالية والغربية، ويمتد من معان مارا برأس خليج العقبة إلى نقطة بين الليث والقنفذة على البحر الأحمر وأما حدوده الشرقية فغير ثابتة[5]. ويمتد الإقليم بين خطي العرض ٣٠ و ٢٠ شمالا، ويبلغ طول أرض الحجاز من الشمال إلى الجنوب حوالي ٧٠٠ ميلاً و ٢٥٠ ميلاً من الغرب إلى

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ٢، الطبعة الثانية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٢، ص٦٢٦ ـ ٦٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٦٢٨.

(٣) أمين الريحاني، مرجع سبق ذكره، جـ ١ ، ص ٣١٦.

(٤) انظر ملحق الخرائط.

(٥) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الخامسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٤.

الشرق تقريبا[1].

وذكر صاحب كتاب الرحلة اليمانية قبائل كثيرة تابعة لولاية الحجاز ومنها القبائل القاطنة في الجهة الشرقية كمطير وسليم وعتيبة وابن الحارث والبقوم وسبيع، ومن الجهة الجنوبية بني مالك وشمالهم ثقيف وناصرة وقريش وهذه قبائل قاطنة بجبل (السراة)، ثم قبائل هذيل والجحادلة وحرب وجهينة وبلى والحويطات وعنزه والشرارات، إلى جانب أعداد كبيرة من الأشراف الذين يقطنون الحجاز[2] والواقع أن القبائل الواقعة. إلى الشرق من الحجاز والتى عدّها المؤلف تابعة للحجاز، ربما تتأرجح في ولائها بين الحجاز وإقليم نجد في وسط الجزيرة العربية، فهذه القبائل تعيش على الحدود وبالتالي يفترض أن ولاءها وخضوعها للقوي من الطرفين الحاكمين في الحجاز ونجد، وهذه القوة تختلف حسب ظروف حكام هذين الإقليمين، وأن صعوبة تحديد الحدود الشرقية للحجاز بالدقة يعطي المؤشر الحقيقي على تأرجح هذا الولاء.

تضم بلاد الحجاز الحرمين الشريفين في مكه والمدينة المنوره فهي محط أنظار المسلمين في أقطار الدنيا، وهذه المكانه العظيمة لهذه البقاع جعلت القوى الإسلامية في مختلف العصور تحرص على أن يكون لها شرف حماية وحكم هذه البلاد، إضافة إلى مايتمتع به هذا الإقليم من موقع هام على البحر الأحمر حيث تمتد سواحله لمئات الأميال على هذا البحر.

وحكم الحجاز إمتداد لحكم الأشراف الطويل وكان على دست الحكم في تلك الفترة الشريف حسين بن علي.

ولد الشريف حسين بن علي في الآستانه عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م وقدم في صغره إلى الحجاز مع جدّه حيث أقام في مكه إلى أن بلغ أشده، غير أن عمه عون الرفيق

---

(١) (IOR) L/P &S/20/E81, Handbook of Hejaz, Second Edition Arab Bureau, Cairo, 1917, p1.

(٢) شرف بن عبدالمحسن البركاتي، الرحلة اليمانية لصاحب الدولة أمير مكة الشريف حسين باشا مع جغرافية البلاد العربية وأسماء قبائلها، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٤هـ، ص ١٣٠-١٤٠.

أمير مكه نقم عليه لمخالفته سياسته وطلب إبعاده إلى الآستانة مقر الخلافة العثمانية، فأنفذت الحكومة طلبه وعين الحسين عضوا في مجلس شورى الدولة وظل فيها إلى أن عين عام ١٣٢٦هـ : ١٩٠٨م أميرا لمكه(١).

وهنا يتضح الارتباط الوثيق والمباشر بين مايجرى في مكه المكرمه من أحداث وبين السلطة المركزية للدولة العثمانية في الآستانه، وهذه الصلة المباشرة قد يكون لها دور في تقوية السلطة المحلية أو إضعافها، كما أن الفترة الطويلة التي قضاها الشريف حسين في عاصمة الخلافة، بل ومشاركته في بعض أعمال الدولة في مجلس الشورى، يعطي انطباعا آخر عن مدى الخبره التى حصل عليها الشريف أثناء تواجده هناك عن مراكز القوى ونقاط القوه والضعف في قلب عاصمة الدولة.

بدأ الشريف حسين مهام عمله كأمير لمكه، واستمر في تقوية علاقاته الداخلية والخارجية(٢). وحاول كسب أعيان الحجاز لمساندته ضد سلطات الولاة في الحجاز(٣).

وهكذا ترتكز السلطة المحلية في الحجاز على قوة ونفوذ الشريف حسين، وبدا أنه يسير على نهج يعزز فيه من قوته ونفوذه، معتمدا على تقربه للقبائل الكثيره التى تتكون منها غالبية السكان، واتصالاته الخارجية.

ز ـ نجد وحائل(٤)

هناك إمارتان هما إمارة آل سعود بنجد وآل رشيد بحائل(٥)، لهما تأثير في أحداث الجزيرة العربية وإن يكن غير مباشر على مايجري في البحر الأحمر، إلا أن أهميتها تنبع من مجاورتهما للحجاز وعسير، وتأثيرهما على سياسة هذين الإقليمين آنذاك.

(١) فؤاد حمزه، قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، مكتبة النصر الحديثه، الرياض، ١٣٨٨هـ، ص ٣٢٤.

(٢) أنظر فؤاد حمزه، قلب جزيرة العرب، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

(٣) حسين بن محمد نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، جـ ١، الطبعة الأولى مكتبة خضير، مصر ١٣٤٩هـ ، ص٨ ـ ٩.

(٤) أنظر ملحق الخرائط.

(٥) - (IOR) L/ P&S/ 20/ E 85, Arabia, 1919, p 30.

ويتضح من هذا العرض أن القوى المحلية في المنطقة تختلف من حيث قوتها وثقلها السياسي بين قطر وآخر وإماره وأخرى، وذلك وفقا لوجود حالة التبعية لسلطة كبرى مع وجود السلطة المحلية كالخديوية في مصر والشرافه في مكه، ومحميات جنوب اليمن، أو إنعدام السلطة المحلية نسبيا كما في أرتيريا والصومال (الفرنسي، البريطاني، الإيطالي) أو تكون ذات وزن في دائرتها مع تبعيه أقل كاليمن ، أو تنعدم السلطة تماما كما في عدن.

كما أن هناك سمات مشتركه بين بعض قوى البحر الأحمر كالحكم الأسرى في كل من مصر والحجاز وبعض محميات جنوب اليمن. وكالتواجد القبلي الكبير في منطقة البحر الأحمر.

والمهم في الأمر أن هذه القوى المحلية مهما كانت درجة ثقلها ستكون محل تنافس بين الدول الكبرى لجذبها إلى جانبها أو تمكين السيطرة عليها حين تظهر بوادر حرب ما.

ثانيا : القوى الكبرى ذات النفوذ في المنطقة: مصالحها، أهدافها،. علاقاتها مع القوى المحلية.

هناك إلى جانب القوى المحلية في المنطقة قوى كبرى لها نفوذ في منطقة البحر الأحمر، وقد إمتدت مصالح هذه الدول إلى المنطقة في فترات متفاوته من العصر الحديث، وتقف الدولة العثمانية ـ من جهة ـ في مقدمة الدول التى لها نفوذ كبير في المنطقة بحكم أنها دولة إسلامية، ثم تاتي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا ـ من جهة أخرى ـ كدول لها سيطرة مباشرة أو نفوذ في المنطقة.

أ ـ الدولة العثمانية:

في أوائل القرن العاشر الهجري حدث تغيير في (إستراتيجية) الدولة العثمانية التى كان مركز ثقلها في البلقان، فتوقف الزحف الغربي أو كاد واتجهت الدولة العثمانية إتجاها شرقيا في قلب الشرق العربي[1].

(١) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ١٠٠.

بعد انتصار االسلطان سليم الأول على الصفويين الشيعة في عام ١٥١٤/ ٩٢٠هـ أخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر، وسار بجيشه إلى بلاد الشام، وهزم جيش المماليك بقيادة قانصوه الغوري في مرج دابق سنة ١٥١٦م وسقطت مدن الشام على أيدي العثمانيين، ثم دخلوا مصر بعدها في سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م [١].

إمتد النفوذ العثماني إلى الحجاز أثناء وجود السلطان سليم بمصر حين أرسل الأشراف يعلنون خضوعهم للعثمانيين، كما إمتد هذا النفوذ إلى سواحل البحر الأحمر حتى اليمن جنوبا بعد وصولهم إلى مصر مباشرة، وكان إمتداد هذا النفوذ إمتداداً سلميا نتيجة لأوضاع البحر الأحمر الخاصه حينئذ[٢].

ورثت الدولة العثمانية تركة الدولة المملوكيه المثقله بالمسئوليات وفي مقدمتها الخطر البرتغالي الذي يهدد البحر الأحمر، وسارت الدولة على خطط المماليك في مواجهتها لهذا الخطر وذلك ببسط نفوذها في الحجاز واليمن كقواعد إرتكاز لمحاربة الإستعمار البرتغالي، وكانت السياسة العثمانية حينذاك تقوم على أساس واحد وهو إنقاذ البحر الأحمر من الخطر البرتغالي الزاحف، ولذا فرضت تقليدا جديدا يقضي بمنع دخول المراكب المسيحية في البحرالأحمر خوفا على الأماكن المقدسه، وظلت الدولة العثمانية مستمسكه به حتى أواخر القرن الثامن عشر [٣].

هذه هي أسس النفوذ العثماني في المنطقة والخطوات الأولى للعثمانيين في البحر الأحمر كجزء من الإمتداد الكبير للدولة في ثلاث قارات من العالم إلا أنه بدأ منذ نهاية القرن الثامن عشر أن هذا التوسع سيواجه زحفا معاديا من قبل الدول الأوربية، وتخلخلا داخليا في أجزاء الدولة، وزاد الأمر خطورة أن تلك العوامل قد تزامنت مع الفترة التي ولت فيها حيوية الدولة وشبابها وقد بدأ بذلك ماا صطلح عليه في التاريخ الحديث" بالمسألة الشرقية" ، وقد لخص مصطفى كامل في كتابه" المسألة الشرقية" كنه هذه المسألة وذكر أنها هي مسألة وجود الدولة العليه نفسها في أوربا ونزاعها مع

---

(١) محمد فريد بك (المحامي) ، تاريخ الدولة العليه العثمانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧، ص٤٧ ـ ٧٦.

(٢) السيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥، القاهرة ١٩٦٩، ص٩٩.

(٣) محمد أنيس، مرجع سبق ذكره، ص١٢٤ ـ ١٢٨.

دولها، كما عرض رأي من يقول بأنها مسألة النزاع المستمر بين النصرانية والإسلام أي مسألة حروب صليبية متقطعه بين الدولة القائمة بأمر الإسلام وبين دول المسيحية، وذكر بأن في ذلك شئ من الحقيقة إلا أن هذه الدول لاتعاديها باسم الدين فقط بل طمعا في أملاكها(١).

وحقيقة الأمر أن للعداء الديني دورا كبيرا فالحروب الصليبية في العصور الوسطى تشهد بذلك، والأحداث التاريخية بموازينها وعللها، تشير إلى أن مثل هذه الحروب مستمره إلى الآن.

ويذكر بعض الكتاب الأوربيين مايؤكد هذه الحقيقة، حيث يقول أنه في الفتره التي بدأت فيها الدولة تضعف وتتلاشي من خلال الضغوط الخارجية عليها والتى بدأت تقوى وتلفت النظر، فإن مرحلة جديدة من الصراع الطويل بين الإسلام والغرب المسيحي قد بدأت(٢).

ويلخص برنارد لويس Bernard Lewis العوامل التى أدت إلى إضمحلال الدولة العثمانية ويرجعها إلى عوامل تتعلق بالحكومة والاقتصاد والحياة الاجتماعية وإلى التغيرات الفكرية والثقافية والاخلاقية(٣).

ومع تغلغل النفوذ الاستعمارى في الدولة العثمانية منذ مطلع القرن التاسع عشر وتدهور نظم الحكم العثماني، ظهر إتجاه جديد في الدولة يدعو إلى ضرورة إصلاح الدولة ونظم الحكم فيما يعرف بـ "التنظيمات العثمانية" والتى كان أبرز معالمها الأخذ بنظم الغرب فى الجيش والإدارة وخروجها من التنظيم الإسلامي للدولة والمجتمع(٤).

وعندما تولى السلطان عبدالحميد وجد نفسه أمام مشاكل خطيرة وكان أهم

---

(١) مصطفى كامل، كتاب المسألة الشرقية، الطبعة الأولى، مصر، ١٨٩٨، ص٥.

(٢) Mansfield, peter; The Ottoman Empire and Its Successors, Firs published , London, 1973, p 6.

(٣) Lewis, Bernard; The Emergence of Modern Turkey, Second Edition Oxford, 1968 , p 22.

(٤) محمد أنيس، مرجع سبق ذكره، ص ٢١١.

مـايشـغل باله تقـوية نفـوذه أمـام تلك الجـمـاعـة التى تنادي بالإصـلاح[1] على النمط الغربي.

إسـتطاع مـدحت باشـا مع زمـلاءه أن يحـمل السلطان عـبدالحـمـيـد على إصـدار "القانون الأساسي" سنة ١٨٧٦م/ ١٢٩٣هـ الذى يحدد ويقرر سلطة السلطان، إلا أنه بعد سنتين على إعلانه أمر السلطان بفض مـجلس المبـعوثان " النواب" وظل القانون الأساسي معلقا مدة تزيد على ثلاثين عاما[2].

ويبدو من ذلك أن السلطان عبدالحميد لم يقنع بمثل أسلوب أو نهج هذا النوع من الإصلاح.

وقد تطورت الأحداث في الدولة العثمانية ـ بعد ذلك ـ وانتهت بثورة حزب تركيا الفتاه (١٩٠٨/ ١٣٢٦هـ) التى أطاحت بالسلطان عـبدالحـمـيـد الثـاني، ويذكـر برنارد لويس إلى أن كثـيـرا من الكتـاب يعـزو هذه الثـوره إلى اليـهـود والماسـونيين والكنيسـه الرومانية الكاثوليكيه، وإلى الألمان ووزارة الخارجية البريطانية[3].

والواقع أن هذه العوامل جميعها بلا إستثناء مسئوله عن هـذه الثورة فالاقليات اليهودية والمسيحية ومصالح الألمان والإنجليز والماسونية، رأت في السـلطان عبدالحميد العدو اللدود لمصالحها وأهدافها ومـخططاتها.

بل إن السلطان عبدالحميد يذكر في مذكراته كيف استغل الإنجليز غفلة أعضاء تركيـا الفـتـاة، عن طريق المحـافل الماسـونيه، وكـذا الألمان الذين سـيطروا على تشكيل تركيـا الفتـاه في سـالونيك عن طريق المحـافل الماسـونية أيضـا في حين كانت سـيطرة الإنجليز على تشكيل تركيا الفتاه في مناستر[4].

---

(١) Pears, Edwin (Sir): Life of Abdul Hamid, Reprint Edition New York, 1973, pp 47 - 48.

(٢) سـاطع الحصري، البلاد العربية والدولة العـثـمـانية، الطبـعـة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥، ص ٩٧ – ٩٨.

(٣) - Lewis, B., Op cit, pp 211, 212.

(٤) السلطان عبدالحميد، مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمه محمد حرب عبدالحميد، دار الأنصار،

وهنا تبين الأحداث المنعطف الخطير الذي وصلت إليه الدولة العثمانية في العهد الجديد، فهذه الثورة إذا كانت قد حققت أماني الأقليات ومصالح الدول الكبري، فقد قضت على خطط السلطان عبدالحميد الإسلامية، والذي كان يرى في الغرب الخطر الكبير على الدولة.

وهكذا فإن الأحداث التالية التى ستشهدها الدولة العثمانية ستقع على عاتق هذه الجماعة التى أمسكت بزمام الحكم بعد ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ.

وكان للدولة العثمانية تنظيم إداري خاص فالدولة تقسم إلى ولايات والولايات إلى الويه (سناجق)، والألويه إلى أقضيه، والأقضيه إلى نواح، وعلى رأس الإداره في كل لواء "متصرف" وفي كل قضاء "قائمقام" وفي كل ناحيه "مدير ناحيه"[١] وتختلف هذه التنظيمات بشكل أو بآخر تبعاً لظروف كل إقليم. وبالنسبة لمنطقة البحر الاحمر يوجد للدولة العثمانية عدّة ولايات ومتصرفيات هامه وهي:-

ولاية الحجاز:-

ويتولى منصب ولاية الحجاز أحد كبار رجال الجيش، وتضم ولاية الحجاز متصرفيتين، وخمس أقضيه، وست "نواح"، ويسمى متصرف لواء المدينه" محافظ المدينه المنوره" ومتصرف لواء جده" قائمقام الوالي"، ويتبع المدينة أربعة أقضية هي ينبع البحر، الوجه، سوارقيه، والعقبه، ويتبع لواء جده قضاء واحد، وأما منصب إمارة مكه المكرمه فيتولاه أحد الأشراف الذي يتمتع باسمى مقام[٢].

ويبلغ عدد أفراد الحامية العثمانية في الحجاز عادة حوالى ٧٠٠٠ فرد مع ثلاث بطاريات، بينما تتركز قوة الحامية على طول خط الحجاز الحديدي وتقل في حاميات

القاهرة ١٩٧٨، ص٦٩.

(١) ساطع الحصري، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤١، وذكر شرف بن عبدالمحسن البركاتي صاحب كتاب الرحله اليمانية (مرجع سبق ذكره) ص١٤٧، أن بولاية الحجاز ثلاث قائمقاميات وهي ينبع البحر، والليث، والوجه، وقد زاد الحصرى على هذا ماذكرناه وهي، سوارقيه والعقبه، ولعله أصح لاعتماده على "الكتاب السنوى للدولة العليه العثمانية" بالتركية.

مكه والمدينة وجده وينبع والطائف[١].

وقد جرى العثمانيون على إرسال وال يمثلهم ويقيم في مكه، إلى جانب الشريف، وكانا يقتسمان النفوذ فالشريف يسيطر على البادية، وهو وحده مرجعهم، وله السلطان المطلق في تصريف أمورهم، أما سلطة الوالي فتشمل المدن وحدها، وفي أيام الشريف حسين وقبيل إندلاع الحرب، كان الوالي العثماني هو اللواء وهيب باشا الألباني، الذى يعتبر من العسكريين الأقوياء الذين اختارتهم الدولة للوقوف في وجه الحسين[٢].

ولاية اليمن:

وتضم عدداً من الألويه ومنها: صنعاء، الحديده، تعز، ويتبع لواء صنعاء ثمانية أقضيه وست وعشرون ناحيه، بينما يتبع الحديده ثمان أقضية وست عشرة ناحيه، ولواء تعز ويتبعه خمسة أقضية وإحدى عشرة ناحيه[٣]. والمركز الرئيسى للولاية صنعاء[٤].

إيالة مصر:

وتذكر الحوليه الرسمية السنوية التى تنشرها الدولة العثمانية أسماء الخديو والقاضي ومأمور المصالح التلغرافيه، وتبين رتب كل واحد منهم وأنواع الأوسمه العثمانية الممنوحة لهم، وقد أشارت إلى أن رتبة الخديو هى رتبة الصدارة العظمى[٥].

وعلى هذا فالنفوذ العثماني آنذاك بالنسبة للجهة الشرقية للبحر الأحمر (غربي الجزيرة العربية) يمتد إلى اليمن وعسير ثم الحجاز شمالا. ثم تبدأ حدود الأراضي العثمانية والمصرية من نقطة تبعد حوالى خمسة أميال غرب أحد النقاط الواقعة في الطرف الشرقي الشمالي لخليج العقبة ويمتد بخط مستقيم تقريبا إلى رفح على

---

(١) - (IOR) L/ P&S. 20/E 81: Op., cit, p 50.

(٢) أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، دار الهلال، مصر، ص٣٩ ــ ٤٠.

(٣) ساطع الحصرى، مرجع سبق ذكره، ص٢٤١ ــ ٢٤٢.

(٤) (IOR) L/P&S/ 20/ E 80, op, cit, p 4o.

(٥) ساطع الحصرى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٧.

شاطئ البحر المتوسط[1].

ومن الجهة الغربية للبحر الأحمر نجد للدولة العثمانية نفوذ إسمي في مصر والسودان، وقد شارك جزء كبير من شرق أفريقيه مصر في خضوعها للدولة العثمانية، ذلك أن الدولة العثمانية قد احتفظت بسيادتها على هذه الأقاليم توحيدا لها مع بقية الأقاليم الإسلامية، وأصبحت محافظات زيلع وبربره ضمن محافظات الدولة العثمانية متوحده مع مصر في دولة واحده وضمت كذلك محافظات مصوع وسواكن، فتوحد السكان داخل إطار واحد[2].

وكانت بريطانيا قد عقدت مع مصر في ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ إتفاقية اعترفت بسلطة مصر على سواحل أفريقيه الشرقيه حتى رأس حافون تحت السيادة العثمانية[3].

إلا أنه مع نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، كانت أرتريا والصومال (ومصر والسودان رغم السيادة الإسميه للعثمانيين فيهما) بيد الدول الأوربية على نحو ما أوضحناه في السابق.

تلك هي مجمل مصالح الدولة العثمانية في المنطقة وهى كما رأينا تتركز في الناحية الشرقية للبحر الأحمر أكثر منها في الناحية الغربية، ويقف الحجاز في الناحية الشرقية كأهم الولايات العثمانية، لما يظفيه على الدولة العثمانية من مكانه في العالم الإسلامي، وتتفاوت أهمية الأقاليم بالنسبة للدولة، فاليمن وعسير يكملان حلقة النفوذ العثماني على غربي الجزيرة العربية، بينما تتعاضد السياده الإسمية على مصر والسودان، ومكانة الدولة لدى رعايا بقية الجزء الأفريقي، لتكمل صورة النفوذ العثماني في منطقة البحر الأحمر.

---

(١) (IOR) L/ P&S / ٢٠ / E ٧٧, Op, cit, P ٤, -

(٢) جلال يحي، ومحمد نصر مهنا، مشكلة القرن الأفريقي وقضية شعب الصومال، دار المعارف، مصر، ١٩٨١، ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

وكانت الدولة العثمانية تهدف من كل هذا إلى تحقيق أمور كثيرة تحقق مصلحة وسياسة الدولة العليا ومنها.

أولاً: استمرار السيطرة على الحجاز لضمان المكانة المرموقه في نفوس ملايين المسلمين، ولذا فحرصها على هذا الإقليم جعل علاقاتها مع القوة المحلية المتمثلة في الأشراف ذات لون خاص، إذ أن تعيين الشريف حسين (١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ أميرا على مكه جاء لتحقيق سياسة معينه. ورغم تضارب الآراء في تحديد موقف كل من السلطان عبدالحميد الثاني وجمعية الإتحاد والترقي من تعيين الشريف حسين في هذا المنصب، إذ يرجع البعض تنصيبه إلى الجمعية وإصرارها رغم معارضة السلطان الذي كان يرتاب من نوايا الحسين، بينما يخالف آخرون هذا الرأي فالإتحاديون كانوا عازمين على إسناد المنصب لشريف آخر لولا تعاون كل من السلطان والصدر الأعظم، ومع هذا التضارب فالإتحاديون كانوا أصحاب السلطة الفعلية وتعيين الحسين من صلاحياتهم، حتى لو افترض تمتع السلطان بقوته في تلك الآونة[1].

ومهما يكن من أمر فإن تعيين الشريف حسين آنذاك يعبر عن سياسة جديدة للدولة العثمانية، وستظهر الحوادث بعد ذلك كيف نفذ الحسين بعضا من تلك السياسة، خصوصا فيما يتعلق بأمن الولايات العثمانية في الجزيرة العربية.

وقبل ذلك كانت فكرة إنشاء سكة حديد الحجاز (في العقد الأول من القرن العشرين) الذي يعد من المشاريع الكبرى للدولة، وقد أسهمت الدراسات المختلفة في دوافع إنشاءه ونتائجه فالمراجع العربية تختلف في الحكم على دوافع إنشاءه ـ حسب ميول أصحاب هذه الأقلام. فنجد جورج أنطونيوس يشير إلى أن الهدف في الظاهر تيسير سبيل الحج ولكنه في الحقيقة يحمل أهداف سياسية وحربية قبل كل شئ، ويشير إلي أن أهم نتائجه أنه ساعد على نقل

---

(١) طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز، ١٩١٦ ـ ١٩٢٥) دراسة في الأوضاع السياسية، الطبعة الأولى، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصره، ١٩٨٢، ص ٣٥ ـ ٣٧.

الأفكار وتبادلها مما كان له أثر كبير في الحركة العربية[1] ، بينما يذكر البعض أن ذلك الخط مفخره من مفاخر حكم السلطان عبدالحميد، وأن الهدف الديني كان واضحا بارزا في إنشائه، وأن ماقيل من أهداف السلطان الأخرى إنما هو ترديد للمزاعم التى كان يبثها خصومه[2].

وتشير بعض المصادر الأوربية إلى أن أهداف الدولة العثمانية من بناء هذا الخط لم يكن لتسهيل الحج، فقط، وإنما لتقوى سلطة الدولة في اليمن وماحولها، ولاستعادة النفوذ في مصر أيضا[3].

وحقيقة الأمر أن هذا المشروع قد جلب فوائد كبيرة للدولة العثمانية فقد كان له تأثير معنوى للرابطة بين المسلمين عندما كانت تجمع تبرعات إنشاءه، كما سهل أمر الحجيج وكان للدولة الحق بعد ذلك في أن تكون هناك مكاسب أخرى لصالحها في النواحي السياسية والعسكرية.

ولكي تحقق الدولة أهدافها في الحجاز في تلك الفترة، كان عليها أن تتعامل بطريقة أو بأخرى بسياسة مدروسه مع الشريف حسين، الذى بدأ بعد وصوله الحجاز في استعادة هيبة الشرافة" ورفع شأنها ونوال بعض الامتيازات التى سلبتها الدولة منها ووضعتها في يد الولاية[4].

وجد الولاه صعوبة في الوقوف أمام قوة الحسين، وبحلول عام ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ كان عدد الولاه الذين تولوا الولاية ثم عزلوا أو استدعوا ستة ولاه[5].

---

(١) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٤٢ـ ١٤٣،

(٢) فائق بكر الصواف، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز ١٨٧٦ ـ ١٩١٦، مطابع سجل العرب، ١٩٧٨، ص١٢٩ ـ ١٣٠.

(٣) Pear, E., Op, cit, p 164.

(٤) فؤاد حمزه، قلب جزيرة العرب، ص ٣٢٨.

(٥) - Baker, Randalli, King Husain and the Kingdom of Hejaz, The Oleander Press, Cambridge, 1979, p 22.

ويبرز هذا التغيير المتتابع في ولاه الدولة قوة ونشاط الشريف كما يبرز بصورة أخرى رغبة الدولة في عدم الإحتكاك بالشريف أما لمجاملته أو لكسب رضاه أو لعدم الثقه بهؤلاء الولاه، أو لتردد الساسه العثمانيين في كيفية التعامل معه، وكان القرار الأخير بإرسال وهيب بك يشير إلى تأكيد عزم الدولة على تقوية نفوذها هناك وكل هذه الامور تبين أهمية الحجاز لدى الدولة كما أنها تشير بشكل غير مباشر إلى أهمية المنطقة عموما .

وبعد أن تتابع الولاه بهذا الشكل على مكة المكرمه أنتدب لها الزعيم أركان الحرب وهيب بك بصفة قائد للحجاز ووال عليها[1]، وذلك قبل شهور من إعلان الحرب العالمية الأولى.

وقد حل وهيب بك محل الوالي كامل بك والفريق خيرى باشا أي أنه جمع السلطتين في يده وجاء مزودا بسلطة واسعة، وقوة من الجيش يعتمد عليها في تنفيذ سياسته الجديده القائمة على مقاومة الشريف وتطبيق قانون الولايات الجديد ولإنشاء سكة الحديد بين مكة والمدينة[2] .

ولما رأت الدولة أن وهيب باشا قد تسرع في محاولة التنفيذ، واحتجاج بعض الأهالي على تصرفات الوالى الجديد وخططه، أوعزوا إليه بأن يكف وأذاعوا أن الحكومة عدلت عن تطبيق قانون الولايات والإجراءات فاستقرت الأمور[3]، أكثر من ذي قبل.

ثانيا: تقوية نفوذ الدولة في اليمن، ذلك الإقليم الذي ألحق المتاعب بالدولة العثمانية عن طريق الثورات والحروب المتصله، وقد نجح المفاوضون من رجال الدولة العثمانية في التوصل إلى إتفاق مع الإمام يحى في شهر ذي القعده عام

(١) على فؤاد (الجنرال التركي) ، كيف غزونا مصر، ترجمة نجيب الأرمنازي، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٢، ص ٧٨.

(٢) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى، المجلد الأول، مصر، ص١٢٥ ــ ١٢٦.

(٣) المرجع السابق ص١٢٦.

١٣٢٩هـ/١٩١١م حين عقد الإمام يحى مع عزة باشا الصلح في دعان[١].

وقد أدى هذا الصلح إلى تغير صورة العلاقات بين الإمام والعثمانيين وأحال الحالة الحربية إلى حالة سلمية يسودها الهدوء والتفاهم[٢].

وحل القضية اليمنية بهذه الصورة يعطي انطباعاً آخر عن رغبة الدولة العثمانية في حل قضايا ولاياتها النائيه، حتى تتفرغ الدولة لمشاكل أكبر خارجية وداخلية، وبالتالي فإن الدولة قد كسبت إلى جانبها ولاء بلاد هامه، تشغل جزءا هاما في سياسة واستراتيجية البحر الأحمر.

ثالثا: وقف أطماع الإدريسي في عسير، الذى بدأت قوته الصاعده في زعزعة النفوذ العثماني هناك، وقد اختلفت أساليب الدولة في التعامل معه من المفاوضه إلى الحرب وهكذا.

فعندما ظهر أمر الإدريسي أرسلت الدولة إليه وفدا لمعرفة حقيقة مقاصده والوقوف على نواياه، وتمخضت المفاوضة عن عقد إتفاقية في (الحفائر) اعترفت به الدولة بها ضمنيا[٣].

إلا أن الأنباء وصلت إلى الدولة بتزايد نشاطه وعن علاقاته بإيطاليا فجردت حملة قوية أوكل إلى قائدها أن يبدأ الإدريسي بالمفاوضه، ومع فشل المفاوضات صدرت الأوامر على القائد بالزحف في جمادى الأولى ١٣٢٩هـ / ١٩١١م وانتهى الأمر بانتصار القوات الإدريسيه[٤].

وعندما آنس الإدريسي في نفسه القوه، شرع في محاربة الدولة وإخراجها من عسير، فحاصر أبها في سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م، واستمر الحصار مدة عشرة

---

(١) الواسعي، مرجع سبق ذكره، ص ٣١٩.

(٢) السيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٧١، ص ١٥٣.

(٣) العقيلى، تاريخ المخلاف السليماني جـ ٢، ص٦٦٤ ـ ٦٦٧، وذكر من بنودها إعتراف الإدريسي بالتبعية العثمانية، ومنحه رتبة قائمقام.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٧٠ ـ ٦٧٢.

أشهر مما حدا بالدولة إلى الاستعانة بالشريف حسين، الذى قام بمهمة فك الحصار(١).

ثم استغل الإدريسي بعد ذلك نوايا الإيطاليين في البحر الأحمر عند محاصرة السواحل اليمنية ـ أثناء الحرب الطرابلسيه (١٩١١م / ١٣٢٩هـ بالإتفاق معهم على إمداده بالأسلحة، فاضطرت الدولة بالتعاون مع قوات الشريف حسين إلى تجهيز حملات عسكرية، بالإضافة إلى إستعدادات الإمام يحي، إلا أن السفن الإيطالية ضربت ميناء القنفذة(٢)، وهجمت القوات الإدريسيه على المدينة، فتصدت لها قوات الدولة والشريف وهزمتها رغم أن الأسطول الإيطالي، أخذ يضرب القنفذه ثلاثة أيام(٣).

وكانت آخر المحاولات للمفاوضه بين الطرفين العثماني والإدريسي ـ قبيل الحرب العالمية الأولى ـ ماذكره الواسعي عن محاولات الوالي محمود نديم لنصح الإدريسي وإجراء الصلح معه في سنة ١٩١٣/١٣٣١ إلا أن المفاوضة لم تنجح(٤).

ولكي تزداد الرؤية وضوحا حول الموقف بين الدولة العثمانية والإدريسي في تلك الفترة التى سبقت إعلان الحرب العالمية الأولى، وعن محاولات الإتفاق وملابسات الاختلاف نجد في مذكرات سليمان شفيق كمال باشا متصرف عسير في الفترة ١٩٠٨م/١٣٢٦هـ إلى ١٩١٢م/ ١٣٣١هـ والتي نشرتها الأهرام ونقلت مقتطفات منها مجلة العرب ـ مايوضح حقيقة هذه العلاقات.

حيث يذكر سليمان شفيق أن سبب اختياره متصرفا لعسير يعود لمعرفته بأحوال العرب ورغبته في العمل في بلادهم، وأن ظهور الإدريسي كان السبب

(١) البركاتي، مرجع سبق ذكره، ص ١١ ـ ١٣.

(٢) يذكر بعض المعاصرين من السكان إلى أن بقايا حطام بعض السفن العثمانية في الميناء مايزال قائما إلى الوقت الحاضر والتى ضربتها القوات الإيطالية آنذاك ١٩١٢م.

(٣) البركاتي، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٧ ـ ١١١.

(٤) الواسعي، مرجع سبق ذكره ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

الرئيسي في إرساله على جناح السرعة إلى تلك البلاد، وأنه ذهب إلى هناك واستطلع أمر الإدريسي ووجد أن سبب شهرته والتفاف القبائل حوله هو عدم وجود حكومه، وبالتالى رضا القبائل عن أعمال الإدريسي في معالجة مشاكلهم وحل منازعاتهم في ظل غياب الحكومة، وكانت وجهة نظر سليمان شفيق أن الإدريسي في ردوده على الرسائل التى يبعثها إليه يبدي الكثير من الخداع[1] كما يصف سليمان باشا الإدريسي بأنه يلجأ دائما إلى طرق الحيلة والتزوير ويحاول الاستفادة من كل وسيلة لتقوية مركزه وزيادة نفوذه، في الوقت الذي يراسل فيها القبائل ويقول لها أنه لايبغى لنفسه رياسة ولا سلطة[2].

كما انتقد سليمان باشا سياسة دولته أثناء حصار الإدريسي لأبها، ولم يكن راضيا بأن تكون الحملة بقيادة الشريف، بل كان يرى أن ترسل الدولة قوة لضرب الإدريسي نفسه قبل فك الحصار[3].

ومن جهة أخرى يبدي هذا المتصرف رأيه في الشريف حسين، حيث يرى أن له أطماع خاصه في عسير ويسعى لإبعاده من المتصرفيه بالتعاون مع بعض رجال الدولة[4].

ويشير سليمان باشا متصرف عسير إلى أهمية بلاد عسير ومالها من وضع جغرافي حصين وبسالة رجالها مما جعلها مفتاحا وثيقا للحرمين الشريفين[5].

هذه المقتطفات من مذكرات سليمان باشا تلقى الضوء على العلاقات العثمانية الإدريسيه، من رجل عاصر الأحداث وشاهدها بل وشارك فيها، ومن خلال هذه المقتطفات، يتضح للقارئ مدى صراحة هذا المتصرف، فهو لايتورع حتى عن

---

(١) بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا، مجلة العرب، الجزء الحادي عشر، السنة الخامسة، جمادى الأولى، ١٣٩١، ص١٠٠٠ ـ ١٠٠٥.

(٢) المرجع السابق: الجزء الثاني عشر، السنة الخامسة جمادى الآخره ١٣٩١هـ، ص ١١٠٦، ١١٠٧.

(٣) المرجع السابق: الجزء الخامس، السنة السادسة، ذي القعدة، ١٣٩١هـ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٤) المرجع السابق: الجزء الثامن، السنة السابعة، صفر، ١٣٩٣هـ، ص ٦١٥.

(٥) المرجع السابق:جـ ١٠، السنة الخامسة، ربيع الثاني ١٣٩١هـ ، ص ٩١٣.

انتقاد سياسة دولته حين يرى طريقة معالجتها للأمور في عسير غير مجديه أو لاتعتمد على آراء القريبين من الأحداث والمتفاعلين معها من قادة الدولة في عسير، وانتبه إلى مايرمي إليه الشريف حسين من أهداف مستقبليه في الإقليم، وعرف أسلوب الإدريسي وطموحه في محاولاته العديده لتقوية نفوذه ومركزه، وعبّر عن نظرة الدولة العثمانية إلى هذا الإقليم وعن أهميته بالنسبة لمركز الدولة في المنطقة مما جعلها مفتاحا للحرمين الشريفين، وبالتالى ارتباطها الوثيق بإقليم الحجاز.

ولكي نعرف وجهة نظر الإدريسي (الطرف الآخر) في عسير، نجد في مجلة المنار في أعدادها المعاصره لأحداث تلك الفترة مايشير إلى وجهات نظر الإدريسي والمؤيدين له منها مانشرته المجلة تحت عنوات كتاب سياسي للعبرة والتاريخ لرسالة الإدريسي إلى الأمام يحي بتاريخ ١٦ ربيع الثاني ١٣٣٠/ ١٩١١، يشير فيها إلى محاولاته العديده للوفاق مع العثمانيين غير أنهم لايستجيبون إلى مايريد، ونعى على الدولة ماآلت إليه بسبب البعد عن أسلاف سلاطين الدولة في عهد قوتها وذكر المحاولات الأربع للوفاق والتى لم يكتب لها النجاح وهذه المحاولات كانت الأولى منها بواسطة محمد توفيق الأرنؤطي، والثانية بواسطة الإمام يحي، والثالثه بواسطة الشراعى، والرابعة مع سليمان باشا متصرف عسير عندما أرسل إلى الإدريسي بعد فتنة الطليان جوابا يحث على الوفاق والإلتئام[١].

غير أن الملاحظ أن هذه المحاولات كانت من جانب الدولة أكثر فالأولى والرابعة من الدولة نفسها والثانية والثالثة بواسطة موالين لها.

رابعا : محاولة تأكيد نفوذ الدولة الأسمي في مصر والسودان، حيث من المعروف أن الأزمة الدولية التى أثارها النزاع بين محمد علي والسلطان أن فرضت أوربا نفسها على طرفي النزاع، وتم التوصل لحل وسط طبقا لمعاهدة لندن (١٥ يوليه ١٨٤٠م/ ١٢٥٦هـ والخط الشريف الذي وقعه السلطان في ١٣ فبراير

---

(١) المنار، مجلد ١٦، جـ ٤، ص ٣٠٠ ـ ٣١١.

١٨٤١م/ ١٢٥٧هـ وفرمان أول يونيه ١٨٤١م/ ١٢٥٧هـ ، وقد حددت كل هذه الاتفاقيات وضع مصر الدولي حتى نشوب الحرب العالمية الأولى وقد ميزت هذه التسوية مصر عن الولايات العثمانية الأخرى بأن جعلت الحكم وراثيا في أسرة محمد علي، فحاكم مصر من أسرة محمد علي من أتبا ع السلطان ورعاياه وعليه أن يتوجه في بداية حكمه إلى الآستانه لاستلام خلعه توليته بنفسه وأن يسك النقود ويجبي الضرائب باسم السلطان وجيشه جزء من جيوش الدولة، وولايته تطبق القوانين والمعاهدات العثمانية وتقدم خراجا سنويا للسلطان[1]. وهذه الأمور تبين الإطار العام للعلاقة بين السلطان والسلطة المحلية في مصر.

غير أن فترة حرجة تالية بدأت تنذر بالخطر مصير هذه البلاد، فديون سعيد وإسماعيل وافتتاح قناة السويس وتضارب مصالح الدول الكبري في مصر، عجل بالتدخل الأوربي الذي عرض مصر في نهاية الأمر للاحتلال الأجنبي ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ[2].

دخل الطرفان (الدولة العثمانية وبريطانيا) بعدئذ في مفاوضات عام ١٨٨٦م/ ١٣٠٤هـ من أجل الجلاء عن مصر واستمرت عاما كاملا عقدت بعدها إتفاقية تنص على الجلاء إلا أن شروط الإنجليز جعلت السلطان يعترض على موقف الإنجليز ومن ثمّ لم يتم توقيع الإتفاقية، وبقيت قوات الاحتلال البريطانية في مصر مع بقاء مصر ولاية عثمانية، واستمر الإنجليز يعلنون أنهم عازمون على الجلاء عن مصر إلا أن أعمالهم كانت تؤكد رغبتهم في البقاء بمصر، ولم يحدث تغيير جذري في القضية إلا عام ١٩٠٤/١٣٢٢ هـ حينما عقد الإتفاق الودي بين إنجلترا وفرنسا الذي نص على أن تترك فرنسا لإنجلترا حرية العمل في مصر، وكان لفشل تسوية المسألة المصرية بهذا الشكل بين بريطانيا والدولة العثمانية أن جعلت بريطانيا

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، علاقات مصر بتركيا في عهد الخديو إسماعيل دار المعارف ١٩٦٧، ص٥.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفي، مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦ ـ ١٨٨٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥، ص ٢٩٢.

تخطط للبقاء في مصر حتى تضمن سلامة مواصلاتها مع الهند[1].

وعندما عقدت بريطانيا مع مصر إتفاقية الحكم الثنائي في السودان سنة ١٨٩٩م/ ١٣١٧هـ احتجت الدولة العثمانية على هذا الوفاق، فالسودان تحت السيادة العثمانية لأن مصر التى تخضع لسيادة الدولة العثمانية، كانت طرفا في هذا الإتفاق[2].

وقد كانت الدولة العثمانية حريصة على أن لاتخسر هذه البلاد وتتركها للقوى الأخرى، وفي ذلك يذكر السلطان عبدالحميد أنه في سبيل استمرار سيادة الدولة العثمانية على مصر اضطرت الدولة إلى خوض صراع عنيف حيث أصبح الباب العالي في موقف صعب أمام بريطانيا[3].

وكانت بعض الصحف في مصر ـ كجريدة اللواء ـ تهتم بحالة الدولة العثمانية وسلامتها من الخطر الخارجي، فتدعم الجامعة الإسلامية التى دعا إليها عبدالحميد وتؤيد سياستها تجاه مطامع الدول الأوربية، ولم تيأس بعض الأحزاب في مصر من مساعدة تركيا الفتاة في تحرير مصر وإنصافها وظلت تعمل مع الإتحاديين جنبا إلى جنب[4].

وقد كان لمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أملاك واسعة في البحر الأحمر، وقد رسمت مصر سياستها على أساس أن تسعى لدى الدولة العثمانية لإحالة الثغور التابعة لها للإدارة المصرية، ثم تمد سلطاتها بطول ساحل البحر الأحمر وخليج عدن وبلاد الصومال، وقد نفذت مصر سياستها كما رسمتها

---

(١) رأفت غنيمي الشيخ، مصر والسودان في العلاقات الدولية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) محمد فؤاد شكري، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٧.

(٣) عبدالحميد الثاني (السلطان)، مذكراتي السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧ص ١١٣.

(٤) توفيق على برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ ـ ١٩١٤م، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، ١٩٦٠، ص ١٩٢ ـ ٢٠٠.

لكنها اصطدمت في تنفيذها بالمصالح والأطماع البريطانية[1]. فالخبرة الواسعة التى اكتسبتها مصر في إداراتها لموانيء البحر الأحمر ربما تفيد الدولة العثمانية فيما لوحصل تعاون بين الدولة وولايتها في المستقبل، وبالتالي تضفي هذه الميزه لمصر أهمية خاصة لدى الدولة تسعى جاهدة للحفاظ عليها.

وهكذا فإن الدولة العثمانية ماانفكت تطالب بحقوقها في مصر، وهي صاحبة النفوذ في البلاد قبل أية دولة كبرى، وتربطها بالبلاد روابط قلما تتوافر لأية دولة أو سلطة خارجية، وفي المقابل نجد بعض رعايا مصر وصحافتها في صف الدولة، رغم أن ظروف العثمانيين لم تكن تسمح بالضغط على الدول الأخرى لتنفيذ سياستها في المنطقة عامه وفي مصر خاصة.

وهناك عوامل متعددة ربما ساعدت الدولة العثمانية لتحقيق أهدافها في منطقة البحر الأحمر، على الرغم من ضعف الدولة وتزايد أعباءها وكثرة أعداءها، وماآلت إليه في أعقاب انتقال السلطة إلى الدستوريين، ومن هذه العوامل: ـ

١ـ أن الدولة العثمانية بلد الخلافة الإسلامية، وبالتالي فإن المسلمين يكنون للخليفة الإحترام والتقدير والطاعه، كرمز لأعلى سلطة في الدولة. وهذا التقدير يتأرجح حسب قوة الدولة وضعفها وشخصية السلطان ونفوذه، وعلى الرغم من أن الدولة بدأت في الضعف وقضاء رجال جمعية الإتحاد والترقي على خطط السلطان عبدالحميد الإسلامية، إلا أن الدولة قد استفادت من هذا المركز الروحي منذ حلولها في المنطقة وحتى جلاءها.

٢ ـ فتح قناة السويس، فقد قربت المسافة إلى أقاليم البحر الأحمر الإفريقية والأسيويه، وقد استطاع السلطان عبدالحميد إدراج نص في إتفاقية الأستانه (١٨٨٨م/ ١٣٠٦هـ) يحقق حرية الحركة للقوات العثمانية في منطقة القناه عندما يكون منوطا بها إقرار النظام العام والدفاع عن الممتلكات العثمانية في شرق البحر الأحمر[2].

---

(١) شوقي عطا الله الجمل، سياسة مصر في البحر الأحمر ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٢) عبدالعزيز محمد الشناوي، قناة السويس والتيارات السياسية التي أحاطت بإنشائها، ج١، معهد

٣ ـ مد سكة حديد الحجاز فقد وصل الخط إلى المدينة المنوره في عام ١٩٠٨/ ١٣٢٦هـ (على نحو ما أوضحناه) وهذا الطريق ضمن للدولة الاتصال بولايتها الحجاز مع استعمال طريق القناة بل كان يفضل طريق القناه نظرا للوجود البريطاني في مصر ولمرور الخط الحديدى في الأراضي العثمانية وهذا بالتالى يسر للدولة تموين قواتها، وتقريب المسافة إلى هناك كما يمكن اعتبار الخط آنذاك نقله حضاريه تقوي مركز الدولة في أعين رعاياها بتيسير الحج والسفر.

٤ ـ الطابع العسكرى المميز للدولة، فالمشاهده الميدانية لولايات الدولة في المنطقة تبين كثرة القلاع ومراكز الجنود والتحصينات مما يوحي بقوه الدولة في الولاية وماتزال معالم هذه الإنشاءات العسكرية باقية حتى الآن.

ب ـ بريطانيا:

ومن القوى الكبرى التى لها نفوذ وتواجد محكم في منطقة البحر الأحمر بريطانيا أقوى الدول الإستعمارية آنذاك وأكبرها حجما من حيث إتساع دائرة نفوذها، وأشدها مراسا في النواحي العسكرية والسياسية. ومعرفة بدايات التوسع ونمو المصالح البريطانية في العالم وفي منطقة البحر الأحمر على الأخص يعطي الخلفية اللازمة لمعرفة أسس السياسة البريطانية في المنطقة.

فرغم التوسع التجاري الذي تبع إكتشاف طريق الرأس إلى الهند، بقي الإنجليز للوهله الأولى بعيدين عن الأحداث وبينما الأسبان يكتشفون الفلبين والفرنسيين سومطره والبرتغال في أراضي جديده واسعة فيما وراء الهند، كان البحاره والتجار الإنجليز يحاولون وضع أقدامهم الأولى في تجارة الشرق، وقد بدأت العلاقة التجارية بشكل رسمي مع الدولة العثمانية في عام ١٥٥٣م/ ٩٦١هـ عندما حصل أحد الإنجليز على إذن من السلطان سليمان للتجار الإنجليز لمزاولة بعض النشاط، وكان للاتصالات التى قامت بها بعض المجموعات التجارية البريطانية في إستانبول أن غادر أول سفير لدى الباب العالي إنجلترا في عام ١٥٧٨م/ ٩٨٦هـ وحصل من السلطان مراد على رسالة إلى الملكة إليزابيث تعطي الإنجليز

البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧١، مقدمة الكتاب.

مـزيدا من الإمـتـيـازات، ولذلك أعطت الملكة حق إحـتكار التـجـارة لهـؤلاء في عـام ١٥٨١م/ ٩٨٩هـ في أراضي السلطان، وكانت هذه بداية شركة الليفانت Levant Company والتي بقيت حتى عام ١٨٢٥م/ ١٢٤١هـ[١].

لم تقف تجارة بريطانيا عند هذا الحد ففي اليوم الأخير من عام ١٦٠٠م/ ١٠٠٨هـ أعطيت شركة الهند الشرقية الترخيص لإحتكار التجارة المباشرة مع الشرق وكانت هذه الشركة قد تأسست بواسطة أعضاء شركة الليفانت، وقد توغلت التجارة بواسطة هذه الشركة في البحر الأحمر والخليج.

وكانت المحاولة الإنجليزية الأولى للتجارة في البحر الأحمر لإثنتين من السفن حيث وصلتا عدن في إبريل ١٦٠٩م/ ١٠١٨هـ والمحاولة الثانية عام ١٦١٠م/ ١٠١٩هـ ولم يكتب لهاتين الرحلتين النجاح. وقامت محاولة بعد ذلك في عام ١٦٩٨م/ ١١١٠هـ لإنشاء طريق تجاري في البحر الأحمر عبر مصر، ولكن الباب العالي لم يوافق على السماح لأي سفن مسيحيه للإبحار شمال جده[٢].

وحتى قرب نهاية القرن الثامن عشر بقيت مصالح الدول الأوربية ومنها إنجلترا قاصره على الإتجار في الأراضي التي تقع تحت النفوذ العثماني، وخلال الربع الأخير للقرن الثامن عشر بدأت فرنسا تفكر في إمكانية السيطرة على مصر، وتم ذلك بالفعل على يد بونابرت في عام ١٧٩٨م/١٢١٣هـ فزادت مخاوف بريطانيا على المركز الجغرافي الهام للأراضي العثمانية وأهميته في مواصلاتها مع الهند، وزادت مخاوفها أكثر بعد المشروع الفرنسي لغزو الهند نفسها، وكان لهذه التطورات أن فكر الساسة ورجال الأعمال الإنجليز في فتح خط جديد للمواصلات بين بريطانيا والهند عبر الأراضي العثمانية بين البحر المتوسط والمحيط الهندي[٣]

---

(١) - Bullard, Reader, (Sir)., Britain and The Middle East, 3rd. ed., Hutchinsont co. Ltd., 1974, pp 17 - 20.

(٢) Ibid. pp 24-29

(٣) Hoskins, H.L., The Middle East, Forth Printing, The Macmillan Company, New York, 1957, p. 6

وكان لغزو بونابرت مصر وإفصاحه عن مخططاته تجاه الهند، أن قامت الحكومة البريطانية باحتلال جزيرة بريم، ثم انشغلت الدبلوماسية البريطانية بعد ذلك لحوالي عشرين عاما بسلسلة من الأحداث التي نتجت عن الثورة اليونانية ضد العثمانيين والتي اشترك فيها الأسطول البريطاني ـ رغم حرص بريطانيا على أن تبقى على علاقة طيبة مع السلطان ـ مع فرنسا وروسيا في تحطيم أسطولي الدولة العثمانية ومصر في نافارينو عام ١٨٢٧م/١٢٤٣هـ ثم انسحاب محمد على من اليونان إثر التهديد البريطاني للإسكندرية، ولما كان محمد علي يأمل من مساعدته الدولة العثمانية الحصول على بعض الأقاليم من السلطان، وأتمّ المهمة ولم يعط ماكان يأمله على اعتبار أن المهمة لم يكتب لها النجاح، فقد دخل في صراع مع السلطان العثماني، انتهى بتوقيع معاهدة لندن ١٨٤٠م[١]

وكان تقدم وظهور محمد علي في الجزيرة العربية قد أوقع الساسة الإنجليز في موقف محير، فكونه حل محل القوى غير التجارية عديمة التأثير في التجارة في الجزيرة ، فهذا يتفق مع المصالح التجارية البريطانية، إضافة إلى ماعرضه من تسهيلات للبريد البريطاني عبر مصر، وعلى هذا الأساس كان هناك تيار في بريطانيا يؤيد نظام محمد علي، بينما يرى آخرون أن نظامه المتطور كقوة يجب أن تدعمه بريطانيا بدلا من إعاقته وفي المقابل هناك آراء تؤيد الشكوك العظيمة حول خطط محمد علي وأنه رغم مايبدو من وعود مطمئنة ليس صديقا لبريطانيا، فهزيمته للقوة البريطانية التي حاولت غزو بلاده عام ١٨٠٧م/١٢٢٢هـ لم تكن فألا حسناً، ووجود بعض الفرنسيين في الإدارة بمصر وموقفه المناوئ للدولة العثمانية، كل هذه أسباب جوهرية للتشكيك في الثقة بهذا الوالي[٢]

وتركزت السياسة البريطانية في البحر الأحمر آنذاك على اعتبار عدن الحد النهائي لتقدم أي قوة في البحر الأحمر سواء مصر أو غيرها، ففي عام ١٨٢٥م/

(١) Bullard, R., Op, cit, pp 33-35.

(٢) Gravin, R.J., Aden under British Rule-1839-1967- First Published C. Hurstand Coltd, London, 1976 pp 25-26.

١٢٤١هـ انذر القنصل العام الإنجليزي في مصر محمد علي إذا مافكر في التدخل في عدن، وقد عبّر اللورد بالمرستون وزير الخارجية البريطانية عن أمله في أن لاينوي محمد علي الزحف أكثر من باب المندب، وبعد تسعة أشهر أي في مايو ١٨٣٨م/١٢٥٤هـ أعيد التحذير بأسلوب أقوى، مهد لادعاء بريطانيا عدن لنفسها وبدأت بريطانيا تغير سياسة التحذير لتضع عدن كمركز بريطاني، ورغم أن احتلال عدن لم يتم بسهولة داخل الحكومة البريطانية حيث سبق القرار الكثير من المراسلات والتردد، إلا أن البحث عن موقع مناسب كمحطة للفحم بين بومباي والسويس، والمصالح القوية في الهند وبريطانيا التي تستدعي إقامة خدمة بريدية برية إلى الهند، جعل من عدن الموقع المناسب لمثل هذه المتطلبات. وحيث أن هذه المتطلبات يمكن تحقيقها دون الاحتلال المباشر، فإنه يتوقع أن يكون الاحتلال البريطاني لعدن جاء لخدمة أهداف سياسية[1]. أكثر من أي شئ آخر ولاشك في أن بروز أهمية التجارة وبداية الخدمات البرقية في هذه الفترة قد أديا إلى اهتمام الشركات الهندو بريطانية العاملة بالتجارة، وزادت في اهتمام الرأي العام البريطاني والهندي بالبحر الأحمر[2].

وقد بدأ الإنجليز بعد احتلالهم عدن يعقدون مع العشائر المحيطة بعدن عهود صداقة وولاء، وتدرجو في معاهداتهم تلك حسب موجبات السياسة البريطانية من المعاهدات ذات البند الواحد إلى المعاهدة الطويلة، وهذا هو دور الولاء والعطاء الذي تبلور في النهاية في دور الحماية مع العشائر التي تقطن البلاد والتي تدعى النواحي التسع المحمية، وهم العبادلة، والصبيحة، والفضلي، والعوالق، والواحدي، واليوافع، والعلوي، والحواشب، والعقارب، وقبائل الضالع[3]. ولكي تمنع غارات هذه القبائل فيما لو حاولت الوحدة في مقاومتها للوجود البريطاني في عدن أو محاولة

---

(١) Ibid, pp 26-28

(٢) عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم، "سلطات الهند البريطانية والتيارات السياسية في البحر الأحمر ١٨٢٧م/٢٤٣هـ ــ ١٨٧٢م/١٢٨٩هـ". مجلة مركز البحوث جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول ١٤٠٣هـ، ص١٨٨.

(٣) الريحاني، مرجع سبق ذكره، ج١، ص٤٤٥ـ٤٥٧

التقرب من نفوذ دولة كبرى فقد طبقت سياسة التفريق والتدخل في السياسة المحلية والتحزب لفريق ضد الآخر وبالعكس وفق مبدأ مرن يحقق حل المشاكل التي تواجهها السلطات البريطانية في عدن[1]

من خلال هذا العرض يمكن تتبع نمو المصالح البريطانية في منطقة البحر الأحمر حتى ذلك الوقت ـ أي بعد احتلال عدن ١٨٣٩/١٢٥٥هـ فقد بدأت هذه المصالح ببداية القرن السابع عشر وتطورت وفق أهداف السياسة البريطانية ومصالح شركة الهند الشرقية التي كانت أهمها المحافظة على طريق مواصلاتها مع الهند والبحث عن أقصر الطرق بين بريطانيا والهند، واتضح من خلال سير السياسة البريطانية حساسيتها تجاه أي منافسة خارجية من الدول الاستعمارية أو حتى تجاه نمو قوة محلية كقوة محمد علي ضد مصالحها، ورأينا كيف قاومت وبشدة مثل هذه الحركات، بل ربما كان لمثل هذه المنافسة أن لجأت بريطانيا إلى كافة الطرق الدبلوماسية والعسكرية للمحافظة على تلك المصالح حين توجت مخاوفها أو قل أهدافها باحتلال عدن كنقطة ارتكاز حيوية لمصالحها في المنطقة وكان لموقفها من محمد علي ووقوفها على أهمية مصر في طريق مواصلاتها، وارتيابها من فرنسا، أن تهيأ الجو لتخطيط مستقبلي يستهدف وضع يد بريطانيا على مصر.

واستعراض الأمور التي أدت إلى الاحتلال البريطاني لمصر، يعطي صورة أوضح لابعاد السياسة البريطانية في المنطقة، فقد كان من نتيجة الاتصال البريطاني بالهند عبر البحر أن قلت أهمية تجارة الشرق الأدنى بالنسبة لبريطانيا نتيجة لرخص النقل البحري، ولكن بريطانيا أعادت التفكير في الشرق الأدنى لاستعماله كطريق أقصر إلى الهند، حيث بدأ بعض الإنجليز بتأسيس خط عبر مصر ويمر بحلب والخليج العربي غير أن الباب العالي رفض مثل هذه المشاريع، وقد زادت الشكوك الفرنسية حول النوايا البريطانية في مصر. وانتهت هذه المخاوف بغزو بونابرت لمصر عام ١٧٩٨م/١٢١٣هـ والذي استمر التخطيط له

(١) المرجع السابق، ج١، ص٣٩٧ـ٣٩٩.

حوالي ثلاثين عاما[1]

ولم يدم الاحتلال الفرنسي لمصر طويلا إذ انتهى عام ١٨٠١م/١٢١٦هـ عن طريق العمليات العسكرية العثمانية البريطانية المشتركة، وبعدها بدأت مرحلة حكم محمد علي الطويلة التي شهدت فيها مصر الكثير من التطورات، وقد خلفه عباس الأول (١٨٤٩ـ١٨٥٤)/ ١٢٦٦ـ١٢٧١هـ ثم سعيد (١٨٥٤ـ١٨٦٣)/١٢٧١ـ١٢٨٠هـ ثم إسماعيل (١٨٦٣ـ١٨٧٠)/١٢٨٠ـ١٢٨٧هـ وفي عهد سعيد بدأت مرحلة تشييد قناة السويس وتم انتهاءها وافتتاحها في عهد اسماعيل الذي بدأ وبسرعة في انعاش روح التطوير والتوسع التي بدأها جدّه محمد علي عن طريق الاستعانة بالأوربيين وبدأ بإنشاء العديد من المشروعات في الداخل وأخذ في التوسع في جنوب السودان وعلى طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر وأثيوبيا والصومال، غير أن هذه المشاريع الكبيرة إضافة إلى البذخ أدت بالبلاد إلى الإفلاس وإلى أن تفقد استقلالها في النهاية فقد اجبر اسماعيل على قبول الرقابة الفرنسية البريطانية على إيرادات ومصروفات البلاد فورث إسماعيل لخلفه توفيق تركة من المشاكل السياسية والمالية المعقدة، إضافة إلى قيام ثورة أحمد عرابي والتي انتهت بضرب الاسطول البريطاني للإسكندرية في يوليو ١٨٨٢/١٣٠٠هـ ثم نزول الجيش البريطاني في الاسماعيلية واحتلال القاهرة، ومنذ ذلك التاريخ بدأت مرحلة الاحتلال العسكري الانجليزي لمصر[2].

تلك لمحة موجزة عن الأحداث التي أدت إلى الاحتلال البريطاني لمصر وهي في ظاهرها لاتستدعي الاحتلال البريطاني المباشر الذي لجأت إليه بريطانيا مثلما حدث في عدن تماما، ولكن تتبع مسار السياسة البريطانية في المنطقة من خلال الأحداث التاريخية التي عرضناها والتي بدأت مع بداية القرن التاسع عشر وحتى الربع الأخير منه، نجد هناك عوامل تاريخية وسياسية ربما كان لها تأثير كبير في رسم

---

(١) Bullard, R., Op, cit, pp 29-31.

(٢) The Middle East, A Poletical and Economic Survey, First Published, Royal Institute of International Affairs, London & New York, 1950, pp 151-154.

السياسة البريطانية ومنها الغزو الفرنسي لمصر، وأطماع محمد علي، وتوسع اسماعيل في البحر الأحمر، وأخيرا افتتاح قناة السويس، وهذه الأحداث كلها جرت في منطقة هامة وحساسة في طريق المواصلات الأمبراطورية لبريطانيا، وإذا كانت بريطانيا تبحث منذ فترة عن أقصر الطرق إلى الهند، فقد تحقق ذلك بافتتاح القناة، ثم إذا كانت بريطانيا قد امتلكت مفتاح البحر الأحمر الجنوبي لاحتلالها عدن، ألا يقود الاستقراء التاريخي إلى أنها تخطط لفترة طويلة لامتلاك المفتاح الشمالي للبحر الأحمر (مصر) وكل هذه العوامل تبرز جوانب كثيرة من أهداف وسياسة بريطانيا في منطقة البحر الأحمر، وتكشف خفايا الدبلوماسية البريطانية للباحثين.

ولكي تتم السيطرة البريطانية على أقاليم أكثر في المنطقة فقد بدأت تتحين الفرص بعد احتلالها مصر للاستيلاء على السودان، أو للانفراد بالسلطة فيه، والذي ارتبط لفترة طويلة بمصر والدولة العثمانية.

وقد كانت هناك مبررات سياسية للتدخل في السودان من وجهة النظر البريطانية، فمخاوف بريطانيا على أمن مصر من أي تهديد من جهة الجنوب والخوف من الوضع الداخلي في السودان المتمثل في حكومة المهدية وأخيرا التوسع الأوربي في أفريقية والذي جعل مستعمرات ايطاليا وفرنسا وبلجيكا على الحدود السودانية، ولذلك كله قررت بريطانيا تسيير حملة بقيادة كتشنر اشترك فيها الجيش المصري انتهت بتوقيع الاتفاقية الانجليزية المصرية عام ١٨٩٩م/١٣١٧هـ التي حولت السلطة المدنية والعسكرية العليا في السودان لحاكم عسكري يعين بواسطة الخديوي بناء على توصية بريطانيا[1]

وهكذا ضمنت بريطانيا لنفسها مركزا قياديا في السودان يكمل تواجدها الكبير في المنطقة ويساعد على تحقيق أهدافها الاستراتيجية.

وقد كانت السياسة البريطانية في المنطقة تتجه إلى محاربة أي توسع أوربي في المنطقة وخصوصا إذا كان من قبل دولة كبيرة يخشى نفوذها، ولذا فقد شجع

---

(١) Ibid, pp 353-354.

البريطانيون إيطاليا في تكوين مستعمرة أرتريا لخوفها من فرنسا وأطماعها في هذه المناطق الحيوية بالنسبة لانجلترا، ولخوفها من حركة المهدي في السودان، بينما لم تكن بريطانيا تتوجس خيفة من ناحية ايطاليا بالقدر الذي تخافه من فرنسا، ولاقتناعها من أنها ستضعف من جراء إصطدامها بالحبشة[1].

ولما كانت السياسة البريطانية في المنطقة تعتمد في الغالب على الاحتلال المباشر فإن علاقاتها مع القوى المحلية في تلك الأقاليم علاقة القوي بالضعيف، وبالتالي فإن مفهوم السلطة في المناطق التى إمتد إليها النفوذ البريطاني، لاتمارسه القوى المحليه وإنما تديره السياسة البريطانية، فقد رأينا من خلال العرض السابق، كيف وضعت بريطانيا يدها على مصر في ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ ورغم أن الخديو يمارس سلطته العادية وله سند عثماني إلا أن السلطة الفعلية كانت بيد الساسه الإنجليز، وفي عدن كان الاحتلال مباشرا ولذا فليست هناك سلطة محليه، غير أن بريطانيا احتاجت لكي تؤمن نفوذها إلى تلك المعاهدات مع شيوخ القبائل والإمارات المحيطة بعدن، على النحو الذى عرضناه.

وأنشأ البريطانيون الاتصالات البرقيه بواسطة الأسلاك البحرية للشركات البريطانية، فمن السويس أربعة خطوط سلكيه تربطها مباشرة مع سواكن وبيريم وأوبوك وعدن، ومن عدن ثلاثة خطوط سلكية أحدها يربطها بـ بومباي والآخر بزنجبار، وبالإضافة إلى ذلك هناك خطان للدول الآخرى، الأول يعبر البحر الأحمر من سواكن حتى جده والثاني يربط بين مصوع وعصب وبيريم وأوبوك، وتتصل جده برقيا بالمدينة ومكه والطائف وبواسطة السلك عبر سواكن وبيريم مع عدن ومع المخا والحديده واللحيه وكمران وصنعاء أيضا، وتأتي الخطوط الحديدية في المنطقة كوسيلة هامه للمواصلات ففي مصر تربط الخطوط الحديدية موانئ الأسكندرية وبورسعيد والإسماعلية والسويس مع القاهرة، ومن القاهرة خط حديدي إلى عطبره والخرطوم، وخط النيل والبحر الأحمر الحديدى الذى إفتتحه اللورد كرومر في يناير

---

(١) شوقى الجمل، تاريخ كشف أفريقيا وإستعمارها، ص ٣٦٢، ٣٦٣.

١٩٠٧م/ ١٣٢٤هـ الذى يربط البحر الأحمر بالنيل[١].

وهذه الشبكة الكبيرة من وسائل الاتصالات المتنوعه بين مدن وأقاليم البحر الأحمر تبين مدى الأهمية الدولية لهذه المنطقة، وقد تم إنشاء تلك الشبكه من قبل القوى الكبرى في المنطقة وعلى رأسها بريطانيا وشركاتها الضخمة العاملة في المنطقة بحكم تواجدها في عدن ومصر.

كان لبريطانيا قناصل ووكالات قنصلية في كل من بورسعيد والسويس وبورسودان وسواكن وجده وكمران والحديده وبربره وزيلع، بينما يتولى المقيم السياسي في عدن الإدارة مع ارتباطه بحكومه بومباي[٢].

وهذا التواجد البريطاني الكبير عن طريق التمثيل السياسي في أهم موانىء البحر الأحمر والدور المعروف عادة لهذه القنصليات من تسجيل كامل للاحداث وتقديم الدراسات والمعلومات التى تغذي السياسه البريطانية، يبرز مكانه المنطقة لدى بريطانيا.

وإذا ماقارنا سياسة كل من الدولة العثمانيه وبريطانيا في المنطقة

قبيل الحرب العالمية الأولى على ضوء ماعرضناه في الصفحات الماضيه، نجد هناك فروقاً واضحه لعوامل القوه والضعف في تحقيق سياستي كل من هاتين القوتين ومنها:ــ

- أن بريطانيا تعتبر في أوج قوتها وتماسكها كقوه عالمية تعتمد على أساطيل ضخمه تجوب البحار والمحيطات، بينما الدولة العثمانية تقف على أخطر مرحله من مراحلها التاريخية، فترة ولت فيها قوة الدولة وتوسعها وعنفوان شبابها.
- التزعزع الذي هز كيان الدولة العثمانية السياسي بانقلاب عام ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ وخلع السلطان عبدالحميد الذي ظل لمدة ثلاثين عاماأو تزيد يحاول إعادة تماسك الدولة، يقابله في بريطانيا نظام سياسي برلماني مستقر يجعل للقرار ثقل على

---

(١) - (LOR) L/ P&S/ 20/ E77 Op, cit, pp 6 - 8.

(٢) - Ibid, p 9.

الساحة السياسية والعسكرية.

- وجود بريطانيا في مصر وإنفرادها بالحكم في السودان واستغلالها لقناة السويس وتحكمها في عدن، جعل للإنجليز نفوذ كبير في البحر الأحمر تستغله لمصالحها الإستراتيجيه في المنطقة، بينما تعتمد الدولة العثمانية على نفوذها الروحي وتواجدها العسكري في بعض أقاليم البحر الأحمر، والذى لو أحسن إستخدامه لكان في صالح الدولة العثمانية.

- قوة بعض الأحزاب السياسية في مصر والمتعاطفة مع الدولة العثمانية، ومكانة الخليفة لدى المسلمين، والإحتلال الإنجليزى لمصر والأقاليم الأخرى، كل هذه الأمور في صالح الدولة العثمانية وضد بريطانيا.

- قدم النفوذ العثماني في المنطقة - القرن العاشر الهجري - جعل الدولة ترتبط تاريخياً بهذه الأقاليم أكثر من أي قوة أخرى، بينما التركز البريطاني في المنطقة بدأ متأخرا - القرن التاسع عشر الميلادي.

- الدولة العثمانية تركت السلطة المحلية تمارس نفوذها وأشركت الولاه في الحكم بينما لجأت بريطانيا إلى سلب السلطة المحلية والقضاء عليها أحيانا.

جـ - القوى الكبرى الأخرى في المنطقة:

كان إلى جانب المصالح العثمانية والبريطانية في البحر الأحمر، مصالح وأطماع لدول أخرى وعلى رأسها إيطاليا وفرنسا، واللتان رغبتا في مشاركة الدول ذات المصالح في المنطقة، لما لها من أهمية دولية.

وقد بدأت المصالح الإيطالية في البحر الأحمر عندما أحرزت مركزا تجاريا فى عصب عام ١٨٨٢/ ١٢٩٩هـ وكانت حاميه إنجليزيه قد حلت محل العثمانيين في زيلع أغسطس ١٨٨٤م/١٣٠١هـ، وفي سبتمبر تحركت فرنسا نحو تاجوره وأوبوك، وأعلن إنسحاب المصريين من مصوع وسواكن، فشعرت إيطاليا أنها إذا لم تتحرك بسرعه فإن مستعمرتهم في عصب ستحاط من الشمال والجنوب بأملاك فرنسا وبريطانيا التى ستأخذ بالتالي نصيب الأسد في تجارة الحبشة، وقد عبّر أحد

الساسة الإيطاليين وهو (مانسيني Mancini) إن مفاتيح البحر المتوسط في البحر الأحمر، وكانت إيطاليا تتحين الفرص لتقدم بريطانيا عروضها المغريه عندما تحتاج الأخيره إلى كسب ودّها لتحقيق سياستها في المنطقة، ولما تأخرت هذه العروض من قبل بريطانيا وتأكدت من عدم معارضتها سارعت باحتلال مصوع في ٥ فبراير ١٨٨٥م/ ١٣٠٢هـ(١).

وفي عام ١٨٨٧م/ ١٣٠٥هـ وافقت بريطانيا على أن تسيطر إيطاليا على ساحل البحر الأحمر حتى رأس قصار شمالا لمحاصرة أثيوبيا، وأطلقت يد إيطاليا في سواحل الصومال وبنادر وقد عجلت إيطاليا في عهد كريسبي Crispi على هذه المشروعات بعد الشائعات حول ضم فرنسا الوشيك لهذه الأراضي(٢).

وأصدر الملك همبرت الأول في يناير ١٨٩٠/١٣٠٧هـ مرسوما وحدّ الأملاك الإيطالية في ساحل البحر الأحمر الغربي وشمال الحبشة في إقليم أطلق عليه مستعمره أرتيريا(٣).

وكان للتواجد البريطاني في عدن أن رنت ببصرها إلى الساحل الصومالي المقابل للإستيلاء عليه أو تأسيس مراكز بريطانية في عدة نقاط منه، كبربره وزيلع التى تتصل بها خطوط القوافل التى يعتمد عليها في الغذاء، انتهى بإنشاء محميه بريطانية في الصومال ١٨٨٧م/ ١٣٠٥هـ(٤).

في حين كان المنافس الرئيسى لبريطانيا في المنطقة فرنسا، ففى عام ١٨٥٩م/ ١٢٧٦هـ استطاع الممثل الفرنسي في عدن أن يحصل على تنازل من الدناكل عن

---

(١) - Lowe, c.J, and Marzari, F., Italian Foreign policy 1870- 1940 First Eddition, Routledge & Kengan Paul, London and Boston, 1975, pp 35 - 38.

(٢) - Ibid, p 58.

(٣) السيد محمد رجب حراز: التوسع الإيطالى في شرق أفريقيه وتأسيس مستعمرتي أرتيريا والصومال، جامعة القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٧٢.

(٤) - Lewis, L.M., The Modern History of Somali land, weidenfeld and Nicolson London, 1965, pp, 40 - 41.

ميناء أوبوك، وبعد ثلاث سنوات وقعت إتفاقية رفع فيها العلم الفرنسي على الميناء، ولكن لم تستفد فرنسا من هذا الموقع إلا بعد ذلك في ١٨٨١م/ ١٢٩٩هـ عندما أسست الشركة الفرنسية الأثيوبيه، ولم تقف فرنسا عند هذا الحد فقد قررت إنشاء قاعدة لطريق مواصلاتها عبر البحر الأحمر لمستعمراتها لتزويد السفن بالفحم فأعادت التفكير في أوبوك، عندها قررت السلطات البريطانية في عدن عدم السماح للسفن الفرنسية بالتزود من الفحم، في الوقت الذي عين أحد الفرنسيين كحاكم لأوبوك في ١٨٨٤م/ ١٣٠٢هـ(١).

وفي عام ١٨٩٦م/١٣١٤هـ صدر قرار فرنسي بوضع هذه المناطق التى استولت عليها فرنسا في شرقي أفريقيه تحت إدارة واحده عرفت بـ(الصومال الفرنسي) واتخذت جيبوتى مقرا للحاكم الفرنسي(٢). ولذا فإن كلا من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا قد قسمت مواقعها في الصومال إلى حدود وأبعاد ملائمه حتى بالنسبة لأثيوبيا (وضد السكان المحليين)، أفسحت المجال للأحداث المحلية أن تبرز على الساحه في إشتعال الحرب ذات الطابع الديني بقيادة محمد عبدالله حسن(٣).

ومع حلول القرن العشرين كانت المنطقة قد تحدد فيها الوجود البريطاني والفرنسي والإيطالي وتمثل الصراع العنيف بين القوى الكبرى في عدة مواقع، وظهر تحالف أو تكاتف قوتين أحيانا ضد قوه ثالثة حتى لو كانتا غير متفقتين في أماكن أخرى طالما أن هذا يحقق مكاسب في منطقه معينه، كما فعلت بريطانيا مع إيطاليا ضد فرنسا، كل ذلك على حساب القوى المحليه، وأثبت هذا الصراع أن منطقة البحر الأحمر منطقة دولية فاقت فيها المنافسات بين الدول الكبرى على ماكان يجرى من منافسات محلية أو صراعات قبليه.

---

(١) - Ibid, 41, 44.

(٢) شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيه وإستعمارها، ص ٥٣٢.

(٣) - Lewis, L.M., Op, cit, p 62.

العلاقات بين الدوله العثمانية وبريطانيا في المنطقة:

عندما كانت الدولة العثمانية بين القرن الرابع عشر وأواخر القرن السابع عشر دولة قويه تمكنت من فتح البلقان، ومن بلوغ مشارف فينا مرتين، كانت دوافع المسأله الشرقيه آنذاك كراهيه العثمانيين وبغضهم عسكريا وعرقيا ودينيا. ولكن عندما دب الضعف في الدولة العثمانية وبدأت تتقهقر رويدا رويدا أصبحت المسألة الشرقية تعنى بالمشاكل الدولية المترتبه على انحلال الدولة وتجزؤها الوشيك، ففي المرحلة الأولى من مراحل المسألة الشرقية كان العثمانيون يشكلون تهديدا حقيقيا للنظام السياسي والاجتماعي القائم في أوربا، أما المرحلة الثانية فلم تكن الدولة العثمانية تشكل خطرا على أوربا بل على العكس أصبحت الدول المسيحية في أوربا هي التى تنذر العثمانيين بالخطر وبزوالهم من الوجود، ولمّا كان العثمانيون قد أنشأوا أكبر وأقوى دولة إسلامية فإن المسألة الشرقية ـ على حد تعبير البعض، هي مشكلة القضاء على قوة الإسلام السياسية" فالعامل الديني ـ على هذا الأساس ـ كان من أهم عوامل المسألة الشرقية[1].

تعتبر بريطانيا إحدى الدول الأوربية ولذلك فمن الطبيعي أن يكون لها نصيب في المسألة الشرقية فهي أقوى الدول الإستعمارية آنذاك، لهذا كان تفاعلها وتحريكها لاحداث المسأله الشرقيه أكبر من أي دولة أخرى.

وتعتبر السياسة الفرنسية في مصر ـ قبل وأثناء حملة بونابرت ـ وجه من أوجه المسألة الشرقية والتى جعلت بريطانيا تفكر في مصر بجديه في نهاية القرن الثامن عشر، في حين كان العنصر الرئيسي في المسألة الشرقية منذ نهاية القرن السابع عشر، المحاولات الروسيه لتوسيع دائرة نفوذها على حساب الدولة العثمانية بالتوسع الإقليمي أو بالسيطرة على المضايق أو بالحصول على حق التدخل في

---

(١) زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولاده دولتي سوريا ولبنان، الطبعة الثانية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢٣.

الشئون الداخلية للدولة العثمانية[1].

وقد كان للحلف الفرنسي القديم مع الدولة العثمانية الذي استمر لفترة طويله أن جعل السياسية البريطانية تجاه الدولة العثمانية تتسم بالبرود، في الوقت الذي كانت فيه العلاقات البريطانية الروسيه حسنه لبعض الوقت، قبل أن تبدأ الشكوك في نوايا روسيا في البلاد العثمانية[2].

ولكن تزايد النفوذ الروسي في الدولة العثمانية الذي تمخض عن توقيع معاهده أنيكار أسكلسي Unkar Skelessi في ١٨٣٣/ ١٢٤٩هـ عندما إحتاج السلطان العثماني إلى قوة كبيرة تسانده ضد محمد على وأبدت روسيا المساعدة الكاملة نظير تحقيق مكاسب لها في المعاهدة، نبهت بريطانيا إلى خطورة التدخل الروسي، وصدرت التعليمات إلى السفير البريطاني لدى الباب العالي لتقديم عروض المساعده وبدأت بريطانيا منذ ذلك الحين تزيد من اهتمامها لتقوية الدولة العثمانية[3].

وكانت دوافع السياسة البريطانية أنذاك للمحافظة على كيان الدولة العثمانية هي تفادي النزاع الأوربي الذي سيحصل في حالة إنهيار الدولة، ولضمان سلامة مواصلاتها مع الشرق، وللنمو المتزيد للمصالح التجارية داخل البلاد العثمانية[4]. ولأهمية الدولة العثمانية كدولة حاجزه تعوق روسيا فيما لو حاولت التعدي على الهند[5].

وتأكدت السياسة البريطانية في مبدأ المحافظة على الدولة العثمانية في حرب

---

(١) - Bullard, R., Op, cit, p 31.

(٢) - Ibid. p 31.

(٣) - Hayes, paul., The Nineteenth Century 1814 - 80, First publised, Adam & Charles, London, 1975, pp 50 - 51.

(٤) - Bullard, R., Op, cit, pp 33,36.

(٥) - Shukla, Ram. Lakhan., Britain, India and the Turkish Empire 1853 - 1882, Peoples Publishing House, New Delhi, 1973, p. 16.

القرم بين الدولة العثمانية وروسيا، عندما غزت القوات الروسية الأراضي العثمانية، وأعلن العثمانيون الحرب، فقدمت بريطانيا المساعدة الكافية لتحقيق ماتمليه سياستها فهزمت روسيا وتم توقيع معاهدة باريس ١٨٥٦م/ ١٢٧٣هـ التى رسمت بنودها استقلال البلاد العثمانية ووقف الأطماع الروسية، ثم بعد ذلك في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م/ ١٢٩٦هـ الذى وقفت فيه بريطانيا مرة أخرى ضد روسيا(١).

وسجل علاقات بريطانيا ـ في رأي جورج لنشوفسكي ـ مع الدولة العثمانية غامض ويتسم بالنفاق، فبينما كان أمر الاحتفاظ بالبلاد العثمانية من بديهيات السياسه البريطانية في القرن التاسع عشر، لم تكن بريطانيا وهي دولة مسيحية في وضع تعارض فيه بصراحه كفاح المسيحيين في البلقان(٢).

وهذا الرأي يصور أبعاد السياسة البريطانية واتجاهاتها في علاقاتها مع الدولة العثمانية، فهي سياسه ذات شقين تتحقق فيهما مصالح الدولة، فنجدها تبذل كافة الوسائل لتأمين مواصلاتها وتجارتها مع مستعمراتها والبحث عن الأسواق لمنتوجاتها سواء داخل البلاد العثمانية أو خارجها، وهذه الأمور لاتتحقق من وجهة النظر البريطانية إلا بالمحافظة على استمرار بقاء الدولة العثمانية، وقد بذلت الجهود الدبلوماسية والعسكرية لتحقق ذلك على ضوء ماعرضناه . في حين تتعاطف السلطات البريطانية مع النصارى الذين يعيشون في أراضي السلطان ـ وهذا التعاطف يعنى المساعده على إستقلال أقاليمهم، وهذا مايبدو متعارضا مع سياستها المعلنه تجاه الدولة العثمانية، وفي هذا دلالة واضحة على منهج السياسة البريطانية في تحقيق ماتريد بشتى الطرق حتى لو كانت على طرفي نقيض.

ومن الجانب الآخر نرى الدولة العثمانية ومن واقع علاقاتها مع بريطانيا في تلك الفترة، قد استفادت من تصارع القوى عندما وقفت بريطانيا في وجه الأطماع الروسيه التى استمرت لفتره طويله، واستفادتها تلك يقللها ماتمليه المصالح

---

(١) - Bullard, R., Op. cit, pp 37 - 38.

(٢) جورج لنشوفسكي، الشرق الأوسط في الشئون العالميه، الجزء الأول، ترجمة جعفر خياط، مكتبة دار المتنبي، بغداد، ١٩٦٤، ص ٤٣.

البريطانية من أهداف أخرى قد تكون على حساب العثمانيين.

والسمة المميزة للسياسة البريطانية بعد ذلك تجاه الدولة العثمانية في الفترة من حرب القرم حتى قيام الحرب العالمية الأولى قائمه على التغير المتدرج، فأسلوب الصداقه الذي اتبعته بريطانيا مع الدولة العثمانية في حرب القرم وأثناء أزمة الشرق في ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨/ ١٢٩٥هـ تلك السياسه التى اقترنت بأسماء عدد من الساسه البارزين من الإنجليز مثل بالمرستون Palmerston وستراتفورد كانينق S. Canning ودزرائيلي Disraeli تحولت إلى فتور وإلى علاقة عدائيه أحيانا، تلخصت في شخص جلادستون Gladston ووصلت الروح العدائيه إلى ذروتها في فترة أحداث حركة تركيا الفتاه في ١٩٠٨م/ ١٣٢٦[١].

وقد ظهرت العوامل التى بدأت تؤدي إلى التحول ـ في العلاقات العثمانية البريطانية ـ عن مبدأ المحافظة على وحدة وتماسك الدولة العثمانية ـ مع نهاية القرن التاسع عشر، فالتعاطف البريطاني مع رعايا السلطان المسيحيين والإعتقاد بنية العثمانيين في تصفية المناوئين منهم، وبداية التغير في الإستراتيجية البريطانية حول أهمية الدفاع عن المضايق بعد ظهور أهمية مصر، ثم ماتلا ذلك من أحداث عمقت أجواء روح العداء المشترك بعد الاحتلال البريطاني لمصر، وامتياز خط حديد بغداد في ١٩٠٣م/ ١٣٢١هـ وتهديد مصالح الإنجليز في الخليج. كل هذه العوامل مع عوامل أخرى مختلفة كانت بداية التحول في العلاقات[٢].

في ظل هذه الأجواء التى بدأت فيها العلاقات البريطانية العثمانية تفقد قوتها، واعتبار العثمانيون روسيا العدو الدائم لهم، ومطالب فرنسا في الشمال الأفريقي، انفسح المجال للألمان لشغل مكان بريطانيا، في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تبحث فيها عن دولة صديقه، عندها بدأ الألمان في التعاون الفعلي مع العثمانيين حيث بدأت عملية إعادة تنظيم الجيش العثماني علي يد الألمان في ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ ثم

---

(١) - Heller, Joseph., British Policy to wards The Ottoman Empire, 1908, 1914, First published, Fank Coss, London, 1983, p I.

(٢) - Ibid, pp 1 - 2.

تلا ذلك الزيارتان اللتان قام بهما الإمبراطور الألماني غليوم الثاني إلى الدولة العثمانية في ١٨٨٩م/ ١٣٠٧هـ و ١٨٩٨م/١٣١٦هـ وكان لهذا كله أن أصبح السلطان العثماني في موقف يطمئن فيه إلى المساعده الألمانية ضد الدول الأخرى وعلى رأسها بريطانيا[١].

وبدأت بريطانيا تحس بخطورة التغلغل الألماني في الدولة العثمانية مع مطلع القرن العشرين. إذ حصلت ألمانيا على الإمتياز النهائي لخط حديد بغداد عام ١٩٠٣م/١٣٢١هـ، مما جعل بريطانيا تنظر إلى السياسه الألمانية ورجال الأعمال الألمان بكثير من الريبه والشك، وكان مما يزيد في هذه الروح من وجهة النظر البريطانية، ظهور ألمانيا كقوه دوليه منافسه، والتقدم التجاري لها، ونمو الروح الاستعمارية للألمان وتدخلها في أفريقيه، وازدياد قوة الأسطول الألماني[٢].

وكان السلطان عبدالحميد يرى أن ظهور ألمانيا كفيل باخلال التوازن الأوربي، وأن هذا سيوقع الدول الأوربيه بعضها في بعض، ولذا حاول الإستفادة من التنافس بين هذه القوى[٣].

ويتضح من خلال هذا العرض للعلاقات العثمانية البريطانية بشكل عام، كيف تدرجت هذه العلاقة من القوه إلى الضعف، ومن الصداقة التقليدية التي فرضتها المصالح البريطانية إلى روح الفتور في العلاقات والتى زاد في تعميقها التغلغل السياسي والعسكرى والاقتصادي للألمان في البلاد العثمانية أوائل القرن العشرين.

العلاقات بين الدولتين في المنطقة قبيل الحرب العالمية الأولى:

بعد استعراض العلاقات بين الدولتين بشكل عام وتدرجها التاريخي، نأتي إلى إستقصاء العلاقات بينهما في الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر بشكل خاص،

---

(١) - Bullard, R., Op, cit p 52.

(٢) - Earle, Edward. Mead., Turkey , The Geart Powers and The Bagdad Rail Way, Reissued, Russell and Russell (New York), 1966, p179.

(٣) مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة محمد حرب، ص ٦٥.

حيث تتضح أبعاد تلك العلاقة ـ بشكل أوضح ـ في المناطق الحديه التى تحد مناطق نفوذ كل منهما كما في اليمن وعدن، ومصر وحدود سيناء وأطراف الجزيرة العربية.

والواقع أن العثمانيين كانوا يعتبرون الجزيرة العربية جزء من أملاك السلطان العثماني ولذا فليست هناك قضية حدود تحتاج إلى تسوية من وجهة النظر العثمانية، وعلى هذا لم يقبل العثمانيون بوجهة النظر البريطانية في إعتبار القبائل التسع في جنوب الجزيرة العربية مستقله، وبقيت مسألة السيادة على حالة من الغموض لفترة غير معينه، وحتى عام ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ نادرا ماكانت بريطانيا قلقه من التدخل الأوربي في جنوب الجزيرة العربية، وكان وضع بريطانيا في ذلك الجزء آنذاك محاطا ومحميا لفترة بالأملاك المصرية والعثمانية في أراضي البحر الأحمر، وكان أقرب موقع فرنسي تخشى منه بريطانيا جزيرة صغيرة في المحيط الهندي الجنوبي، ولكن بريطانيا إحتلت مصر في عام ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ ذلك الحدث الذي تبعه سلسلة من الأحداث في منطقة البحر الأحمر ولحقه التدخل الإيطالي والفرنسي والألماني بشكل أوسع من ذي قبل في المنطقة، مما دعا حكومة الهند البريطانية في عام ١٨٨٦م/١٣٠٤هـ إلى التفكير في مشروع معاهدات الحماية في المناطق المتده من البحر الأحمر حتى الخليج العربي حيث بدأت بمعاهدة حماية مع حاكم جزيرة سقطرى البعيدة تقريبا عن مراكز السلطة الرئيسية في الجزيرة العربية وبالتالي عن حساسية العثمانيين، وأجلتّ لمده باقى معاهدات الحماية مع عرب جنوب الجزيرة خوفا من ردة الفعل العثمانية، ولاتاحة المجال لنجاح محاولات بريطانيا للحصول على إعتراف من الدولة العثمانية بوضعها في مصر(١) .

وقد ذكر الريحاني كيف تدرج الإنجليز في سياستهم مع العشائر المحيطة بعدن بعد احتلالهم لها، من عهود بسيطة للصداقة والولاء، إلى دور الحماية لتثبيت نفوذها وكلمتها في تلك النواحي(٢).

وكانت أهداف السياسه البريطانية وراء مشروع معاهدات الحماية الذى بدأت

---

(١) - Gravin, R.J., Op, cit, pp 195 - 199.

(٢) الريحاني، مرجع سبق ذكره، ج١، ص٤٤٥ – ٤٤٧.

في استكماله في عام ١٨٨٨م/١٣٠٦هـ ضد أطماع الدول الأوربية الأخرى، ولتأمين مصادر التموين لعدن، وللحيلولة دون توسع العثمانيين تجاه حضرموت ومسقط[١]، خصوصا بعد ماعلمت بريطانيا بمشروع مد خط البرق العثماني بين تعز وعدن في أواخر القرن التاسع عشر[٢].

ومفهوم الحماية هذا من واقع المعاهدات التى وقعت مع هؤلاء الأمراء والتي تكاد تكون متشابهه في بنودها، تتضمن تعهد هؤلاء الأمراء والسلاطين بالامتناع والكف عن أي اتصال أو إتفاق أو عقد معاهده مع أي قوة خارجية إلا بعد معرفة وموافقة بريطانيا، والتعهد بعدم التنازل أو بيع أو رهن أو تأجير شئ من أراضيهم لأية قوة فيما عدا بريطانيا[٣] .

فالمعاهدات أذن تعني تحريم الاتصال على هؤلاء بالدولة العثمانية أو الإتفاق معها، ووضع عقبة أمام خطط العثمانيين في المنطقة فيما لو حاولوا تأليب حكام تلك النواحي ضد بريطانيا، وإجبار العثمانيين من جهة أخرى للتفكير في تحديد الحدود، وهذا ماتطمح إليه السياسه البريطانية في تخلي السلطان العثماني عن نظرته التقليدية في اعتبار الجزيرة العربية خاضعة لنفوذه.

ونتيجة لتلك المعاهدات ولتعدد الولاء السياسي في المنطقة حيث ارتبط معظم أمراء جنوب الجزيرة بالبريطانيين وبقي البعض على ولاءه للدولة العثمانية، فقد تعارضت وجهات النظر العثمانية والبريطانية حول إمارة دثينه حيث اعتبرها العثمانيون جزء من ولاية قعطبه العثمانية بينما اعتبرها الإنجليز جزءا من أراضي الأميري إحدى النواحي التسع، ونشأت أيضا مشكلة مد خط البرق العثماني بين تعز وعدن الذي خشيت منه بريطانيا على مصالحها في تلك الأنحاء، فكان لتلك المشاكل أن بزغت مسألة تعيين الحدود بين منطقتي النفوذ العثمانية والبريطانية[٤].

(١) - Gravin, R.J., Op. cit, p 200.

(٢) جاد طه، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٣) إنظر مثالا لإحدى هذه المعاهدات في Aitchison, C. U., Op, cit pp 72-73. -

(٤) جاد طه، مرجع سبق ذكره، ص ٢٩٣ - ٢٩٧.

وقد بدأت محادثات لتحديد الحدود اقترحها الباب العالي في فبراير ١٩٠٢/ ١٣١٩هـ، مثل الإنجليز فيها الكابتن وهب Wahab الذى قام بمسح جغرافي للمنطقة في عام ١٨٩١ - ١٨٩٢/١٣١٠هـ وقد اصطدمت المباحثات بعقبات كثيرة، وبدأت آمال الحكومة في لندن لحل مشكلة الحدود تتبدد، في الوقت الذي بدأت تظهر فيه خلافات حاده بين حكومتي لندن والهند حول الطريقة المثلى لمعالجة الموضوع خصوصا حول وضع إمارة دثينه "Dali" وقد كان الكابتن هنتر Hunter أثناء عمله في عدن عام ١٨٨٠/١٢٩٨هـ يرى أن دثينه ليست بذات أهمية كبيرة لعدن وينصح بغض الطرف عن نوايا العثمانيين في أراضي الأميري التى تقع فيها دثينه وفي عام ١٨٨٨م/١٣٠٦هـ تبنت حكومة الهند فكرة التضحيه بدثينه مقابل اعتراف العثمانيين بباقي المحميه، فكان أمام الإنجليز خيارات سياسيه لحل مشكلة الحدود بالنسبة للتخلى عن دثينه أو عدمه بالتمسك بالبلاغ البريطاني إلى الدولة العثمانية عام ١٨٧٣م/ ١٢٩٠هـ باحترام استقلال النواحي التسع التى منها الأميرى[١].

كانت حكومة الهند بعد ذلك في عهد كيرزون ترى استخدام القوة ضد العثمانيين في المنطقة، وعلى أن تتبنى السلطة في عدن سياسة حكومة الهند لاسياسة وزارة الخارجية، بينما بدأ بعض الساسه الإنجليز يبدي مخاوفه من خطط العثمانيين في تبنيهم لسياسة الجامعة الإسلامية وخوفهم من امتدادها للمنطقة، خصوصا بعد تأزم الموقف حول يافع العليا حين اعتبرها العثمانيون خارجه عن نطاق المحميات التسع ونشرهم دعاية قوية للجامعة الإسلامية على أمل تحقق النجاح في المنطقة[٢].

وماأشار إليه هذا الكتاب ربما يؤيد مالم يؤيده الدكتور جاد طه حول مدى تحقيق العثمانيين البرنامج الإسلامي في اليمن حيث يذكر أنه لم يجد في الوثائق أو المراجع المختلفة إشارة إلى أن العثمانيين قد ألهبوا الشعور الدينى الإسلامي في

---

(١) - Gravin, R.J., Op, cit, pp 218 - 219.

(٢) - Ibid, 220 - 222.

الجزيرة العربية ضد الإنجليز في عدن بالمعنى المفهوم للحركة الدينية، رغم عدم استبعاده، أن يستغل العثمانيون عامل الدين لتأليب القبائل ضد الإنجليز في مناطق الجنوب[1].

والواقع أن إتجاه الدولة العثمانية ممثلا في برنامج السلطان عبدالحميد الإسلامي يعزز القول باستخدام هذه السياسة، ودرجة نجاحها وقوتها تعتمد على الظروف في منطقة النزاع، وعلى مدى قدرة واستيعاب الرعايا وحكام النواحي لمفهوم وفكرة هذه السياسة.

والمهم في الأمر أن الطرفين قد عززا قواتهما العسكرية في تلك الأنحاء وكاد أن يحصل الصدام، لولا أن السلطان عبدالحميد رأى قواته ستنشغل في جبهتين في اليمن وفي الحدود مع المحميات، فأمر بعد مناقشات طويلة مع وزراءه بعدم إشغال الجيش في مسألة الحدود وتم إخلاء مرتفعات دثينه، وتم الاعتراف باستقلال يافع العليا وأصبح الطريق ممهدا لتسوية مشكلة الحدود، وحققت بريطانيا نجاحا كبيرا في المنطقة حيث بدأت بعض القبائل تفاتح الإنجليز لعمل إتفاقيات صداقه وحماية، وقد نجح المفاوضون من الطرفين العثماني والبريطاني بتحديد خط للحدود طوله ١٣٨ ميلا واتفقوا على خط حدودي يمتد من يافع العليا في الشمال الشرقي إلى مسافة قصيرة من الشيخ سعيد والساحل في الجنوب الغربي، وكاد يحصل بعض التعثر في المفاوضات في استنبول، وخصوصا بعد وصول أسطول عثماني إلى السواحل اليمنية في ربيع ١٩٠٥/١٣٢٣هـ لتطويق الثورة اليمنية، إلا أن المفوض العثماني بؤامر من الباب العالي وقع في إبريل ١٩٠٥م/١٣٢٣هـ إتفاقية الحدود[2].

وقد كانت الثورة اليمنية ضد العثمانيين في تلك الفترة مقلقة لبريطانيا أيضا لخوفها من بروز سلطة الإمام وتأثيرها على عدن وماجاورها، وقد أبدى بعض الساسة الإنجليز مخاوفه من فقد العثمانيين سيطرتهم على اليمن وامتد خوف

---

(١) جاد طه، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.

(٢) - Gravin, R. J., Op, cit, pp. 223 - 226.

الإنجليز من سلطة الإمام حتى بعد الإتفاق العثماني مع الإمام عام ١٩١١م/١٣٢٩هـ إذ ربما تخول له الإتفاقية صلاحية إمتداد نفوذه إلى المناطق الحدوديه الحساسه بالنسبة لبريطانيا، ولذا رحب البريطانيون بالعرض العثماني للتصديق على إتفاقية عام ١٩٠٥/ ١٣٢٣هـ[1].

ومن الجانب العثماني فقد جدّت أمور وأحداث جعلت القبول بمبدأ تحديد الحدود بطريقة فعليه بين اليمن وجنوب الجزيرة العربية أمر ضروري للمصالح العثمانية فالحرب مع إيطاليا سنة ١٩١١/ ١٣٣٠هـ ومع دول البلقان سنة ١٩١٢م/١٣٣١هـ والقلاقل في اليمن كل هذه الأمور كان لها الأثر في قبول الحكومة العثمانية الدخول في مفاوضات فعليه بشأن الحدود، وبعد المفاوضة من الجانبين العثماني والبريطاني وافق الجميع على تثبيت (البروتوكولات) التي وقعها المبعوثون العثمانيون والبريطانيون في أعوام ١٩٠٣و ١٩٠٤و١٩٠٥/ ١٣٢١هـ/ ١٣٢٢هـ/١٣٢٣هـ، وتم توقيع الإتفاق في ٩ مارس ١٩١٤م/١٣٣٢هـ وتبودلت وثائق التصديق في لندن في ٣ يونيو ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ[2].

ولذا يمكن القول أن الإتفاق جاء تلبية لرغبات الطرفين في تلك النواحي وأن كل طرف قد أخذ في الاعتبار المصالح العليا للدولة بصورة أدت إلى الإتفاق بين الطرفين، بعد أن كان هذا الجزء من المنطقة مسرحا لأحداث ومناقشات طويله.

والواقع أن الفتره التى أعقبت الحرب البلقانية إلى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ كانت فتره حاسمة في العلاقات العثمانية الأوربية، إذ واتت الدول الأوربيه الفرصة لتحقيق مطامعها بعد انهزام الجيوش العثمانية في البلقان، ، عن طريق الإتفاق فيما بينها على اقتسام المصالح داخل البلاد العثمانية بالطرق السلمية، ومن جهة أخرى كان رجال الحكومة العثمانية قد أدركوا وجوب تسوية المسائل المعلقة بينها

(١) - Ibid, pp 240 - 241.

(٢) جاد طه، مرجع سبق ذكره ص ٢٣٦ – ٢٣٨ وانظر نصوص الإتفاقية وملاحقها بالفرنسية في Aitchison, Op, cit pp 42, 52.

وبين الدول الأوربية وعلى الأخص مع بريطانيا وعلى رأسهم حقى باشا الذي تولى وزارة الخارجية فالصداره العظمى ولهذا بدأت سلسلة من المفاوضات بين العثمانيين وكل من روسيا وفرنسا وبريطانيا والمانيا من جهة وبين كل واحده من الدول المذكوره والأخرى، وقد جرت المفاوضات العثمانيه والبريطانيه كلها في لندن، ونتج عن هذه المفاوضات مجموعة من الإتفاقيات يشمل القسم الأعظم منها بلاد آسيا العثمانية كاتفاقية الخليج عام ١٩١٣م/١٣٣٢هـ وإتفاقية شط العرب وإتفاقية المحميات وحضرموت[١].

وبالنسبة إلى العلاقات بين الدولتين فيما يختص بالحجاز - كجزء من المنطقة - والتي يحكمها الأشراف تحت ظل السياده العثمانية، فإن ماأورده البعض نقلا عن مانشر في جريدة التايمز The Times ربما يوضح بعض الاهتمامات المبكره من جانب بريطانيا إلى مايجري في الحجاز حينما سافر الترجمان في القنصليه البريطانية في جده إلى مكه حاملا رساله وديه من الحكومة البريطانية إلى شريف مكه تستوضح فيها عن حالة مدحت باشا، وتأكيدات شريف مكة للترجمان بأن مدحت باشا بخير[٢].

وبصرف النظر عن ماتشير إليه تلك الحادثه من معان أخرى، فإنها توضح الدور الذي تقوم به القنصلية البريطانية في هذا الجزء من المنطقة والمحاولات المبكره لرصد الأحداث في الحجاز.

وتتضح أبعاد السياسة البريطانية أكثر، فيما ترمي إليه من أهداف بعيدة في الحجاز المحاولات البريطانية لدى الصدر الأعظم الذي أخذ بالنصيحة البريطانية في أثناء المداولات العثمانية لتعيين الأمير الجديد لمكه والتى انتهت بتعيين الشريف حسين بن علي أميرا لمكه في ١٩٠٨م/١٣٢٦هـ على حد ماذكره هوجارث[٣]، وماورد في دليل الحجاز الذي أعده المكتب العربي في القاهرة التابع لبريطانيا، حيث يشير إلى أن تعيين

---

(١) ساطع الحصرى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠١ – ٢١٢.

(٢) زين نور الدين، مرجع سبق ذكره ص٤٥.

(٣) Hogarth, D. G., Arabia, Clarendon Press, Oxford, 1922, p 118. -

الحسين جاء لخدمة أغراض الباب العالي وللإبقاء على علاقات طيبة بين بريطانيا والشريف[1].

وهذا معناه أن المداولات العثمانية فيما يختص بتولية الأمير على مكة ـ أي فيما يختص بالحجاز ـ كانت تخضع لتركيز بريطاني حول نوعية الحاكم الجديد ولمراقبة وتدخل في بعض الأحيان.

وقبيل شهور من قيام الحرب العالمية الأولى كانت القنصلية البريطانية في جده ترصد تحركات الشريف حسين وتزود السفارة البريطانية باستانبول بالأحداث الجارية في الحجاز[2].

وكانت الحكومة العثمانية قد عقدت إتفاقية مشاركة مع إحدى الشركات الإنجليزية Midian Limited للتنقيب عن المعادن في أرض مدين شمال الحجاز في منطقة واسعة شرقي البحر الأحمر وحدود سيناء الشرقية، وذلك قبيل اشتعال الحرب العالمية الأولى[3].

وعن العلاقات بين الدولتين فيما يتعلق بمصر قبيل الحرب العالمية الأولى، فإن الباب العالي لم يتنازل عن مطالبه في مصر، وقد أصر على أن يبقي مختار باشا في القاهرة كمندوب سامي للدولة العثمانية، وعندما تقاعد مختار باشا قبل الحرب العالمية الأولى بسنوات، أرسلت الدولة العثمانية مندوبا آخر مكانه، وقد قبلت بريطانيا الفرمانات السلطانيه الخاصه بمصر التى صدرت بين ١٨٤١م/١٢٥٧هـ و ١٨٧٩م/١٢٩٧هـ والتى تحدد العلاقة بين السلطان والخديوي ولكن الفرمان العثماني الذي صدر بشأن

---

(١) - (LOR) L/P&S/20/E81 Op, cit p 54.

(٢) أنظر الملف Fo371/2130 (PRO) وبه عده مراسلات متبادلة بين جده وإستانبول حول أوضاع الحجاز.

(٣) (PRO) Fo 371/3046. - وقد قامت الشركة بعد ثورة الشريف حسين وخروجه على الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى برفع دعوى المحافظة على حقوق الشركة، وقد أرفقت الشركة دعواها بوثائق الإتفاقية المعقودة باللغة التركية مع الدولة العثمانية.

تولية عباس حلمي الثاني في ١٨٩٢م/١٣١٠هـ أراد تعديل الحدود الشرقية لمصر وإخضاع الجزء الأكبر من سيناء للإدارة العثمانية المباشرة ولذلك أعلن الباب العالي أن الحدود العثمانية المصرية ليست إلامجرد خط إداري فاصل بين جزيرة سيناء في إقليم مصر وولاية الحجاز وسنجق القدس وليست حدوداً حقيقية أو شبه دولية، ولكن السلطات البريطانية عارضت ذلك لخشيتها من اقتراب العثمانيين من ضفاف القناة، ولذا رضخ الباب العالي للإحتجاج البريطاني، ولكن الحكومة العثمانيةأعادت بحث الموضوع مرةثانيةفي ١٩٠٥/١٣٢٣هـ[1].

وفي هذه المره تهيأت لبريطانيا الفرصة لإضعاف السياسة العثمانية على مصر، بعد إتفاقها الودي مع فرنسا عام ١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ فقد أراد العثمانيون سنة ١٩٠٦م/ ١٣٢٤هـ مد سكة حديدية من معان إلى طابه القريبة من العقبة، واستولوا على طابه بحجة أنها جزء من سنجق العقبة، ووصلت أعداد كبيرة من الجنود العثمانية إلى العقبة، وقد احتجت بريطانيا على ذلك وصرحت بأن طابه واقعة في شبه جزيرة سيناء التى هى جزء من الباشويه المصرية التى اعترفت بها الدولة في معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م/١٢٥٦هـ، ونظرا لهذا ولحرص بريطانيا على أبعاد أي منافس لها في القناة خصوصا المانيا صديقة الدولة العثمانية، فقد أرسلت إنذارا إلى الدولة العثمانية لإجلاء الجنود العثمانيين ولتحديد الحدود[2].

وانتهى النزاع بعقد إتفاقية لتحديد الحدود، بخط مستقيم تقريبا من رفح على البحر المتوسط إلى رأس طابه على بعد سته أميال جنوب غرب العقبة على رأس خليج العقبة[3].

ولما قامت الحرب بين الدولة العثمانية وإيطاليا في عام ١٩١١م/١٣٣٠هـ نتيجة

---

(١) - Hurewitz, J.C., (ed) Op. cit, pp 535 - 536.

(٢) محمد عبدالرحمن برج، قناة السويس أهميتها السياسية والإستراتيجية وتأثيرها على العلاقات المصرية البريطانية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٨ - ٣٠.

(٣) – Hurewitz, J.C., Op, cit, p 536.

لإعتداء الأخيرة على برقه وطرابلس، فقد قام اللورد كتشنر المعتمد البريطاني بمصر باجراءات من شأنها أن تمنع المصريين المتعاطفين مع الدولة العثمانية من المساعدة في الحرب عن طريق التبرع أو التطوع، وكان يرى بعد ذلك إلغاء السيادة الأسمية للعثمانيين في مصر، ونادى بفكرة ضم مصر(١).

وهكذا فإن العلاقات بين الدولتين في المنطقة قبيل الحرب العلالية الأولى، تصل أحيانا إلى التوتر، في حين كانت هناك محاولات للتفاوض والحوار وبشكل عام يمكن القول بنجاح تلك المفاوضات التى قامت بين الدولتين في مناطق الخلاف، على غرار ماحدث في جنوب الجزيرة والحدود مع سيناء.

وتجدر الإشارة إلى ماكانت عليه أوضاع الحكومة العثمانية في السنوات القليلة التى سبقت الحرب وآثارها على العلاقات بين الدولتين.

فقد وقفت بريطانيا وبعض الدول الغربية الأخرى موقفا ملائما وإن لم يخلو من الحذر والترقب من حكومة العهد الجديد عهد تركيا الفتاه، في السنتين الأولى والثانية، إلا أن برنامج الحكومة العثمانية بعد ذلك أثار مخاوف الإنجليز والدول الأخرى، ومن ذلك ماصرحت به الحكومة العثمانية من رغبتها في إلغاء الإمتيازات، والتذبذب في سياسة تركيا الفتاه(٢).

وكانت السمة الملفته للنظر في سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية في الفترة مابين ثورة تركيا الفتاه في ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ وقيام الحرب العالميه الأولى، ذلك التغير من الموقف المتعاطف مع الثورة إلى الموقف العدائي بعد ذلك ، فالخلافات الهامه بين الدولتين لم تحل حتى عام ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ لأن وجهة النظر البريطانية ترى من الواجب حل جميع المشكلات لا أن تعزل كل قضية بذاتها، رغم نجاح المفاوضات حول الخليج العربي والعراق ورغم تعيينات بعض الإنجليز في الوزارات العثمانية كخبراء(٣).

---

(١) محمد عبدالرحمن برج، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠ - ٣١.

(٢) توفيق على برو: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٠ - ٢٥٢.

(٣) - Heller, J., Op. cit, p ١٥٨,

الفصل الثاني

نشوب الحرب بين الدولتين

* الظروف والأسباب الدولية التى أدت إلى الحرب العالمية الأولى.
*إعلان الحرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا.
* سياسة الدولة العثمانية في المنطقة بعد إعلان الحرب بين الدولتين.
* سياسة بريطانيا في المنطقة بعد إعلان الحرب بين الدولتين.

نشوب الحرب بين الدولتين

برزت إلى الساحة كتلتان دوليتان عشية الحرب وكانت كل دولة من دولتي النزاع في معسكر شكلته التناقضات الماضية التي تبلورت عن تحالف صريح واضح حين إعلان الحرب العالمية الأولى. ومنطقة البحر الأحمر ليست هي الميدان الرئيسي للعمليات الحربية بين الدولتين[١]، بل أنها جزء من الميادين الأخرى في أوربا وأسيا وأفريقيا.

لذا فإن مصير كلا من الدولة العثمانية وبريطانيا مرتبط بوضع وثقل القوى المتحالفة والمتفقه مع كل منهما، كما يتأثر ميدان العمليات في منطقة البحر الأحمر بطريقة أو بأخرى بالنتائج العسكرية في الميادين الرئيسية.

الظروف والأسباب الدولية التى أدت إلى الحرب العالمية الأولى:ـ

شهدت الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى تطورات هائله في الشئون الدولية، كتأسيس الجمهورية الفرنسية، وتدعيم الإمبراطورية الألمانية وتكوين التحالف الثلاثي الذى مر في تكوينه بعدة مراحل بدء من عصبة الأباطرة الثلاثة سنة ١٨٧٢م/ ١٢٩٧هـ وأخيرا التحالف الثلاثي بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا في سنة ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ، كما شهدت تلك الفترة نمو كتلة الوفاق الثلاثي الذي مر في تكوينه بمراحل مختلفة أيضا، أولها المحالفة الفرنسية الروسيه سنة ١٨٩١م/١٣٠٩هـ، ثم الوفاق الودى سنة ١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ بين بريطانيا وفرنسا. كما إزدادت حدة المسألة الشرقية، وتعددت الروابط المادية والأدبية بين الدول، ولم تعد توجد دولة تعيش في عزلة عمن سواها[٢].

---

(١) محمد محمود السروجي، " موقف بريطانيا في البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى"، من أبحاث سمنار البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصره، ص ٤٩٥.

(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، معالم التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، دار المتنبي، الدوحة،١٩٨٢، ص٢٣٣ – ٢٤٣.

وكثيرا ماحدث منذ عام ١٨٧٠م/١٢٨٧هـ إحتكاك يوشك أن يؤدي إلى صراع بين دولتين، وكان هناك تهديدات بالحرب بين روسيا والنمسا في ١٨٨٦ – ١٨٨٨/ ١٣٠٤– ١٣٠٦هـ وبين روسيا وبريطانيا في ١٨٧٧و١٨٨٥ و١٨٩٨/ ١٢٩٤/ ١٣٠٣/ ١٣١٦هـ وبين بريطانيا وفرنسا ١٨٩٨م/١٣١٦هـ وبين ألمانيا وفرنسا في ١٨٧٥م/ ١٢٩٢هـ و ١٨٨٧م/ ١٣٠٥هـ و ١٩٠٥م/١٣٢٣هـ وابتداء من عام ١٩٠٦/ ١٣٢٤هـ حصلت أزمات ومشاكل بانتظام كل عام أو عامين حتى سنة ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، وفي كل منها كان الوفاق الإنجليزي الفرنسي الروسي يواجه الحلف الألماني النمسوي مع إيطاليا التى تحوم حائرة خلف الصورة[1].

وقد كانت بريطانيا محور السياسة العالمية بفضل سيطرتها الإمبراطورية الواسعة ومركزها المالي الكبير، كما تأرجحت السياسة البريطانية بين التقرب من ألمانيا وبين التقرب إلى فرنسا وروسيا حسب ماتمليه الظروف، غير أنه في أوائل القرن العشرين إنتهى الأمر بارتباط بريطانيا سياسيا بالمعسكر الفرنسي الروسي بعد الإتفاق الودي عام ١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ على الرغم من العداء التقليدي بين هاتين الدولتين وبين بريطانيا، وذلك بعد ظهور المنافسة الألمانية ضد بريطانيا في المجال التجاري وفي عملية التغلغل الإستعماري ومجال بناء القوة البحرية والتسلح[2].

ومن جهة أخرى كانت الدولة العثمانية مشغولة بالحروب البلقانية وبالتقلبات السياسية، حيث سقطت وزارة كامل باشا لأنها فقدت ثقة ضباط الجيش مثلما فقد الإتحاديون الحكم لنفس السبب، وعادوا الآن برصيد كبير من تأييد الضباط بعد أن قلبت حرب البلقان الأوضاع رأسا على عقب[3].

---

(١) أ.ج. جرانت وهارولد تمبرلى، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ – ١٩٥٠، ترجمة محمد على أبو دره ولويس أسكندر، ج٢، سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٨٧ – ٨٨.

(٢) سمعان بطرس فرج الله، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، جـ ١، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤، ص ٤٥ – ٤٧.

(٣) توفيق على برو، العرب والترك، ص ٤٦٦.

وكان لإستعادة أدرنه دورا كبيرا في أن تحكم لجنة الإتحاد والترقي بدون معارضة، في الوقت الذي تواجه فيه الدولة مشاكل كبيرة في الإقتصاد والإدارة والجيش، وكان يقوم بالسلطة الإسمية في هذه الفترة الحاسمة الصدر الأعظم سعيد حليم باشا (١٩١٣- ١٩١٧) ١٣٣٢/١٣٣٦هـ عضو لجنة الإتحاد والترقي ولكن القوة الحقيقية في مجلس الوزراء كانت بيد القادة الذين ظهروا قبل وأثناء أزمات حرب البلقان والذين بنوا سلطتهم من خلال أعمالهم في هذه الأوقات العصيبة، كطلعت باشا وجمال باشا وأنور باشا. وعمل الأخير كملحق عسكري في برلين في عام ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، ١٩١٠/ ١٣٢٨هـ والذي قاد الهجوم الشهير على الباب العالي في يناير ١٩١٣/١٣٣١هـ وقاد القوات العثمانية التي إستعادت أدرنه خلال الحرب البلقانية الثانية، والتى هيأته ليكون وزير الحربية في السنة العصيبة التى سبقت الحرب العالمية الأولى[1].

وقد وضعت لجنة الإتحاد والترقي برنامجا شاملا لإعادة التنظيم في البلاد في الوقت الذي ظهرت فيه بعض العناصر العثمانية التى تدعو إلى القومية التركية وعلى رأسها ضيا كوك الب (١٨٧٦ - ١٩٢٤/١٢٩٣- ١٣٤٣هـ) الذى بدأ يكتب حول القومية التركية بتأييد من جمعية الإتحاد والترقي. وعلى الرغم أن دعوة الرابطة العثمانية الإسلامية هي الإتجاهات السائدة ولكنها كانت تفتقر إلى القيادة. وبدأ العثمانيون في برنامج تطوير قواتهم العسكرية، ولذا تم الإتفاق على أن تقوم بعثة عسكرية ألمانية بمعاونة الحكومة العثمانية في هذا المجال، وعين الجنرال ليمان فون ساندرس قائدا للجيش الأول في إستانبول في نوفمبر ١٩١٣م/ ١٣٣١هـ وعلى أن يدير نشاطات الضباط الألمان الذين يعملون في البلاد العثمانية ولكن بسبب مخاوف كلا من فرنسا وبريطانيا من أن يؤدي ذلك أى أن تكون لألمانيا السيطرة الكاملة على

---

(١) Shaw, Stanford, J., and Shaw, Ezelkural., History of the Ottoman Empire and modern Turkey, First published, Camberige, 1977, pp 298 299.

الجيش فقد تم التوصل إلى تسوية عين فيها هذا الجنرال مفتشا عاما للجيش الأول بدلا من المنصب السابق، وبدأت ثمار هذا التعاون تظهر في تطور الجيش العثماني الذى أخذت ميزانيته تتضاعف، فأمكن شراء كميات من الأسلحة والمعدات(١).

ومن جهة أخرى فقد عينت بعثة بحرية إنجليزية تحت قيادة العميد البحري الإنجليزي السير أرثر ليمبس Sir Arthur H. Limpus لإعطاء شيء من التوازن بعد تعيين الجنرال الألماني، وقد حدد لجمال باشا مهمة تحديث الأسطول العثماني، فبدأت السلطات العثمانية بتسريح أعداد كبيرة من القيادات السابقة ووضع بدلا منها الضباط الشباب من خريجي الأكاديمية البحرية، كما طلب العثمانيون من بريطانيا بناء سفينتين حربيتين سددت تكاليفهما بالمساهمة الشعبية(٢).

كما أسندت مهام توجيه الجندرمه العثمانية إلى جنرال فرنسي(٣) لتتضح بذلك صورة التوجه الجديد للعثمانيين في هذه الفترة حول الأخذ بالوسائل الأوربية في تنمية وزيادة فاعلية الجيش والإدارة في البلاد، والتى تنحصر سلبياتها في أنها توجد منافذ سهلة للتدخل الأوربي في شئون العثمانيين.

ولما كانت صورة هذا التدخل تختلف من دولة إلى أخرى حسب ماتم الإتفاق عليه مع العثمانيين فقد أدى ذلك إلى النزاع بين تلك الدول حول تكافوء الإمتيازات ولعل قضية تعيين الجنرال الألماني فون ساندرس التى تطورت فأصبحت واحدة من النزاعات الخطيرة قبل شهور من إندلاع الحرب العالمية الأولى(٤) خير مثال على ذلك.

ونتيجة للحروب البلقانية فقد وصلت الدولة العثمانية إلى حافة الإنهيار، وأصبحت

---

(١) Ibid, pp 300 - 308.

(٢) Ibid, pp 308 309.

(٣) Howard, Harry. N., The Partition Of Turkey, Howard Fertig New York. 1966. P. 40.

(٤) Ibid, P 41.

النقطة الإستراتيجية في الصراع الدبلوماسي بين ألمانيا وروسيا حول مسألة المضائق العثمانية[١] .

وقد حدثت أزمات خلال العشر سنوات سبقت الحرب أدت إلى إضطراب الموقف وأثرت على ميزان القوى، وهي احداث الجزيرة الخضراء والبوسنة وأغادير ففي الجزيرة الخضراء عقد مؤتمر لبحث موضوع المغرب عام ١٩٠٦م/ ١٣٢٤هـ، وقد حدد هذا المؤتمر بنتائجه فترة كانت ألمانيا معزولة أكثر من ذي قبل بل حدث تطور آخر تمثل في إجتماع العسكريين البحريين الفرنسيين والإنجليز لبحث الخطط المحتملة لأزمات المستقبل، والحادثة الثانية هي إعلان النمسا ضم البوسنه إلى أراضيها في أكتوبر ١٩٠٨م/١٣٢٦هـ فقد أحدثت دويا هائلا في أوربا إذ طالبت روسيا بالتعويض عن ذلك بالموافقة على مرور سفنها الحربية عبر المضائق، وحدث هياج عنيف في بلاد الصرب التى تراودها الأماني القومية في إتحاد الدم الصربي تلك الروح الوطنية التى شكلت خطرا كبيرا على السلام في أوربا، أما الحادثة الثالثة فهي إرسال ألمانيا السفينه الحربيه إلى ميناء أغادير سنة ١٩١١/١٣٢٩هـ في جنوب المغرب بحجة حماية المصالح الألمانية والإحتجاج على أعمال فرنسا وأسبانيا هناك، وكان من نتائج هذه الحادثة وقوف بريطانيا إلى جانب فرنسا أكثر من ذي قبل، وزادت حدة الموقف الذي أخذ شكل إعادة التنظيم الحربي، وإستغلال بعض الدول الأزمه في الضغط على حلفائها للحصول على مطالب لم تكن لتحقق في ظروف سابقة، كما فعلت إيطاليا في طرابلس وروسيه في إعادة المطالبة بالفكرة القديمة في فتح المضايق أمام السفن الحربية الروسية. مما حدا بالدولة العثمانية إلى الإرتياب من دول الوفاق وإزدياد ميلها إلى الألمان بشكل أكبر[٢].

ويرى البعض أنه لم يكن لأي حادث من أثر في نشوب حرب ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ،

---

(١) Ibid, P 39.

(٢) جرانت وتمبرلي، مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ١١١ - ١٤٥ .

قدر ماكان لحرب البلقان ١٩١٢ - ١٩١٣م/ ١٣٣١ - ١٣٣٢هـ ، أما الأحداث الأخرى فإنها ساعدت على إضطراب الموقف فحسب فالحرب البلقانية أحدثت زيادة مستمرة في الحركة القومية في النمسا والمجر والدولة العثمانية، وأبرزت الصرب وبلغاريا واليونان ورومانيا كدول عسكرية غازية إستطاعت تأكيد هيبتها في حركة حماسية كما فعلت الصرب في دعوتها إلى الجامعة الصربية والدولة السلافية الكبرى، وأصبح موقف روسيا ذا أهمية بالغة بعد حرب البلقان التى أخذت تتحكم في الصرب[1].

ومن مجموع هذه المشكلات، المنافسة الألمانية للمصالح الأوربية وخاصة بريطانيا. وأوضاع الدولة العثمانية بعد حروب البلقان ومصير المضائق العثمانية بين أطماع الدول وخاصة روسيا والتعقيدات الكثيرة للمشاكل الدولية تتضح خلفية الصراع الذي سيتمخض عن هذه الأوضاع والمشكلات الدولية ويمكن القول إن إقتراب ألمانيا من الدولة العثمانية في السنوات الأخيرة والذي أخذ طابع الصداقة القوية ويشكل أفزع الدول الأخرى وخاصة بريطانيا، وتمسك العثمانيين بهذه الصداقة التى وجدوا فيها السد المنيع ضد أطماع الدول الأخرى هي من أهم الأسباب العميقة للحرب التى ستشتعل بين الدول.

وقد فزعت الأوساط الأوربية عند سماع خبر مصرع فرانسيس فرديناند[2] وريث العرش النمساوي في سراييفو عاصمة البوسنة في ٢٨ يونيو ١٩١٤م/١٣٣٢هـ على يد طالب متطرف من أهل البوسنة بينما كان الأرشيدوق يقوم بزيارة رسمية لتلك الولاية، مما أثار عاصفة من الإستياء والتذمر في مملكة النمسا والمجر[3].

ولما كانت صربيا هي التى تتزعم القومية السلافية فقد إنتهزت النمسا فرصة

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤٥ - ١٥٥.

(٢) Gooch, G. P., History of Modern Europe 1878 1919, fifth Imperession Cassell and Company, Ltd., London, 1937, P 532.

(٣) هـ . ا . ل. فيشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر، ب . ت ، ص ٤٨٣ - ٤٨٤.

وقـوع حـادث الإغـتـيـال لإعـلان الحـرب ضـد صـربيـا في ٢٨ يوليـو ١٩١٤/١٣٣٢هـ وسرعان مـانتشـرت هذه الحرب المحلية لكي تشمل القارة الأوربية ثم القارات الأخرى فقد أعلنت روسيا أنها لن تتخلى عن صربيا وقررت إجراء التعبئة الجزئية لقواتها وردت ألمانيا على ذلك باعلان التعبئة العامة وأعلنت الحرب ضد روسيـا في أول أغسطس، وضد فرنسا في ٢ أغسطس، وفي ٣ أغسطس وجهت ألمانيا إنذارا إلى بلجيكا تطالبها فيه بالسماح للقوات الألمانية بعبور الأراضي البلجيكية لمهاجمة فرنسا من الشمال، فـدخلت بريطانيـا الحـرب في ٤ أغسطس للدفـاع عن حـيـاد بلجـيكا، وهكذا في خـلال أسبوع واحد تطورت الحرب المحلية بين النمسا وصربيا إلى حرب أوربية كبرى[1].

ولكي تتـضح الصـورة أكـثـر حـول دخـول بريطانيـا الحـرب، تجـدر الإشـارة إلى الظروف التي أدت إلى ذلك وأهداف السـيـاسـة البريطانيـة في دخـول هذه الحـرب وقـد عـرضت السلطات البريطانيـة على البرلمان في أغسطس ١٩١٤م: ١٣٣٢هـ المراسـلات الرسمية البريطانية المتعلقة بالحرب التى ظهرت في الكتاب الأبيض البريطاني، وتحتوي على مـائة وإحـدى وسـتين وثيـقـة تتضـمن المراسـلات بين وزارة الخـارجـيـة البـريطـانيـة وسـفـرائهـا في أوربا أثناء الأيام الحـاسـمـة التى سبقت إعـلان الحرب ومـوقف بريطـانيا أثناءها[2].

وتذكـر بعض المصـادر الأوربيـة أن خـرق حيـاد بلجـيكا أدخل بريطـانيـا الحـرب بالأحرى أكثـر منه سببا في دخـولها الحـرب، فـالعزلة الطويلة التى عـاشـتـها بريطـانيا إنتـهت قـبل الحـرب بوفـاقـهـا مـع فـرنسـا وروسـيـا، ولو ترك المجـال لقـوات الوسط ألمانيـا والنمسا في هذه الحرب بدون أن تساعد بريطانيا حليفاتها، فإن النصر سيكون حليف قـوات الوسط لامـحـالة، وبالتـالي سـتـبـقى بريطانيـا مـعـزولة في أوربا وتهـتـز الثـقـة في

---

(١) سمعان بطرس فرج الله، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٢) ترجمت إدارة المقطم بمصر هذه المراسلات في أكتوبر سنة ١٩١٤م ونشرتها في كتاب يحتوى على مائة وعشرين صفحة تحت مسمى: المراسلات الرسمية البريطانية المتعلقة بالحرب الحاضرة، أكتوبر ١٩١٤.

الصداقة التى إكتسبتها بريطانيا مع حليفاتها(١).

ولاعتبارات أخرى فإن بريطانيا شعرت أن خرق حياد بلجيكا يهدد أمن بريطانيا مباشرة، إضافة إلى خوف الإنجليز من إنتصار الألمان في هذة الحرب الذي سيؤدى بطبيعة الحال إلى سيطرة ألمانيا على القارة الأوربية وتهديد المصالح البريطانية في العالم(٢).

وهكذا يمكن القول إن قطبي النزاع في هذا الصراع هما ألمانيا وبريطانيا، فالطموحات الكبيرة للألمان واجهتها بريطانيا التى رأت في ألمانيا المنافس العنيد لها وهى سيدة البحار والمستعمرات، فدخلت هاتان القوتان مع دول أخرى في معترك شرير نتج عن الصراع المادي والتسابق العقيم نحو السيطرة والتملك بعد أن عاشت أوربا قروناً في صراعات دينية ومذهبية، وفي كلا الطريقين اللذين سلكا كانت أوربا بعيدة عن المنهج القويم والصراط المستقيم.

إعلان الحرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا

بدأت الدول المتحاربه تراود الدول المحايده للدخول في صفوفها، كما هي سنة الحروب الدولية، ورمت الدول بثقلها في جذب الدول الأخرى، بالعهود والمواثيق نظير وعود وأماني تتحقق للحليف عند إقتسام الغنائم.

وفي بريطانيا ساد القلق مع نشوب الحرب، حول مصالحها في الشرق خصوصا مع الدولة العثمانية التى رأت في رجال حكومتها ميلا شديدا للألمان، رغم أن الإتفاقيات الأخيرة بين بريطانيا والدولة العثمانية وضعت تسويات مرضية للطرفين(٣).

---

(١) Gooch, G.p., Op, cit. p 558.

(٢) سمعان بطرس فرج الله، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٣) Bullard, R., Britain and the Middle East, P 67.

أعدت مذكرة تحت إشراف وزارة الهند البريطانية بطلب من رئيس الوزراء البريطاني، لدراسة الوضع السياسي والفكري في الدولة العثمانية في الفترة التى زامنت إعلان الحرب. تستهل المذكره أوضاع الدولة العثمانية قبل ثورة تركيا الفتاة، ثم تطور الأوضاع حتى نشوب الحرب العالمية، وبعد ذلك ركزّت المذكرة على النفوذ الألماني الذي لم تصبه نكسة من جراء إنقلاب ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ في الدولة العثمانية بل العكس تنبأ بعض الألمان بحدوثها قبل وقوعها، وبالتالى حاولوا كسب ود العسكريين العثمانيين وولاءهم، فالزيارات التى قام بها بعض العسكريين الألمان إلى الدولة العثمانية، والدورات العسكرية التى منحت للعثمانيين في ألمانيا، وجهود السفارة الألمانية، جعلت ميول رجال الجيش العثماني أقرب إلى الالمان، وحتى قيام الثورة لم يستطع الألمان الإستفادة من الصحافة العثمانية، ولكن بعد الثورة إنفتح المجال أمامهم أكثر(١).

وتشير هذه المذكرة إلى أن العسكريين العثمانيين المدربين هم أقوى الموالين للنفوذ الألماني، ولايفوقهم في الولاء إلا اليهود العثمانيون، الذين وصفوا بأنهم الحارس الأمامي للتوغل الألماني النمسوي في البلقان، ففي عام ١٩١٠/١٣٢٨هـ نشرت جريدة يني "Yeni Gazete" سلسلة من المقالات حول نفوذ اليهود في الدولة العثمانية في تلك الفترة ألمحت فيها إلى الأهداف الرئيسية للمصالح اليهودية التى رأت في الألمان قوة المستقبل العالميه، فاهتموا بالمحافظة على المال والتجارة والصحافة لتحقيق هذا الهدف. وكبداية للتعاون بين العثمانيين والألمان بعد الثورة فيما يخص المنطقة فقد قام عزمي باشا أحد أعضاء جمعية الإتحاد والترقي في عام ١٩٠٩/١٣٢٧ هـ بزيارة إلى مصر واتصل بعدد من الممثلين الألمان هناك الذين مهدوا لمحادثات مع بعض العناصر المصرية المناوئه للإنجليز، كما إستعادت ألمانيا مكانتها في الدولة العثمانية حينما تدخلت في النزاع بين روسيا وصربيا من جانب النمسا وهنقاريا من جانب آخر حول أزمة البوسنه

---

(١) (IOR) L/Pts/11/113 Memo, on the Policy of the committee of Union and Progress, dated the 23th and 30th November 1916 PP 1 - 3.

والهرسك عندما أجبرت روسيا بالكف عن مساعدة صربيا، وظهرت بمظهر القوي ضد الروس أعداء العثمانيين، ومن جهة أخرى قام الصدر الأعظم حقي باشا بعدة زيارات لبرلين، وكان على صداقه كبيرة مع السفير الألماني في الآستانه، ولكي تعطي ألمانيا إنطباعا وديا لكبار الزوار العثمانيين فقد أعدت السلطات الألمانية برامج واسعة لزيارة المدن والمصانع وماوصلت إليه العسكرية الألمانية لمن يزور ألمانيا من العثمانيين، وفي خريف عام ١٩١٠م/١٣٢٨هـ إبتاعت الدولة العثمانية من ألمانيا بعض الأسلحة للجيش والبحرية، ممّا جلب لألمانيا دعاية في أوساط الصحافة العثمانية، بل طالب مؤتمر جمعية الإتحاد والترقي بمزيد من التقارب مع ألمانيا ودول الوسط، وتبع نجاح إنقلاب الباب العالي في ٢٣ يناير ١٩١٣م/ ١٣٣١هـ زيادة مطرده في النفوذ الألماني وصل قمته بتعيين الجنرال ليمان فون ساندرس كمستشار عسكري لدى الباب العالي[١].

أما وثائق وزارة الخارجية البريطانية من خلال الرسائل المتبادلة مع سفارتهافي إستانبول فتوضح أحداث تلك الفترة الحاسمه في المداولات[٢] بين الدولة العثمانية وبريطانيا حتى إعلان الحرب بين الدولتين، فبعد إعلان الحرب بين بريطانيا وألمانيا بيومين، وصلت برقية سريه إلى الخارجية البريطانية من أحد موظفيهاباستانبول في ٦ أغسطس ١٩١٤م/١٣٣٢هـ ، يستفسرفيهاعن ماتنويه حكومة بريطانيا فيما يخص البعثة البحرية البريطانية في الدولة العثمانية، خصوصا بعد تصرفات وزير البحرية العثمانية بعد إحتجاز وتأخير تسليم بريطانيا للسفينه " السلطان عثمان" وتوعد الوزير بعدم تقديم أي طلب في المستقبل يحتاجه العثمانيون من بريطانيا، وتهديده بإلغاء

(١) Ibid, PP 3 - 6.

(٢) ورد في كتاب "الوثائق البريطانية عن أصول الحرب ١٨٩٨ - ١٩١٤" والذي يقع في عدة مجلدات الكثير عن المداولات البريطانية العثمانية قبيل الحرب حول عدة قضايا منها تهريب الأسلحة في البحر الأحمر، ومسائل مد الخطوط الحديدية، وبعض المسائل الإقتصادية، إنظر مثلا: -
GOOCH, G.P. and Temperley, H. (ed), British Documents on the origins of the War 1898 -1914, Vol. X Part II, London 1978, PP 9 - 10 and PP 418 - 421.

إتفاقيات رسو السفن للشركة البريطانية، إذا ماغادرت البعثة البريطانية، ويقترح هذا المسئول على حكومته أن يقوم بتأكيدات للدولة العثمانية بتسليم السفن المتعاقد عليها بعد إنتهاء الحرب شريطة أن لاتضطر حكومة بريطانيا إلى إستخدامها في المعركة ... كما يشير في نهاية رسالته إلى ماأحدثه قرار الحكومة البريطانية بدخولها الحرب ضد ألمانيا من مناخ مناوىء لبريطانيا ولصالح الألمان في البلاد العثمانية(١) .

وتأخير تسليم السفن العثمانية المتعاقد على بنائها في بريطانيا يشير إلى مخاوف الإنجليز من إحتمال دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا.

وفي اليوم التالي بعث نفس المسئول إلى الخارجية البريطانية حول الموضوع، يذكر فيها أنه رأى وزير الحربية العثماني متوتر الأعصاب من جراء التأخير في تسليم السفينة " السلطان عثمان" والسبب الخاص لإنفعاله يعود إلى أن الحكومة العثمانية كانت ترغب في إدخال مادة في إتفاقية بناء السفينة تتعهد فيها الشركة التى تبني السفينة بدفع تعويض مالي في حالة حظر الحكومة البريطانية على الشركة إرسال السفينة المذكورة ... كما يذكر حكومته في نهاية البرقية بالوضع الحرج للبعثة البحرية ورغبتها في مغادرة البلاد العثمانية، وينصح حكومته بأن تجد طريقة لدفع تعويض للباب العالي لتهدئة الوضع.

ووصل الرد من وزير الخارجية البريطانية إلى المستر بيومونت Beaumont(2) في ٨ أغسطس ينبه فيها إلى أنه مادام إبعاد البعثة العسكرية الألمانية مستحيلا من جانب الدولة العثمانية، فربما يزعج إنسحاب البعثة البحرية البريطانية العثمانيين وبالتالي يجعلهم يميلون أكثر للجانب الألماني، فإن كان ذلك كذلك فإن البعثة البريطانية

---

(١) (PRO)
FO 371/ 2137, conf Teleg, Mr Beaumont to Sir Edward Grey. Const, August 6 , 1914.

(٢) Same Series and Vol., Conf Teleg, Mr Beaumont to Sir Edward Grey , August 7, 1914.

يجب أن تبقى في الوقت الحاضر لئلا يأخذ الألمان مكان هذه البعثة، مع تعاطف الوزير شخصيا مع الآدميرال ليمبس ورجاله في ظل الظروف الحاضرة[1].

وهذا يوضح بجلاء حرص الإنجليز على الشعور العثماني في هذه الفترة حتى لايدفعها الموقف للإنضمام لألمانيا.

وفي اليوم التاسع من أغسطس ١٣٣٢/١٩١٤هـ، أرسل بيومونت برقية سرية أيضا إلى وزير خارجيته، أوضح فيها الحملة العنيفة للصحافة العثمانية ضد بريطانيا من جراء حجزها للبوارج العثمانية، ويبدي مخاوفه من أبعاد هذه الحملة، وينصح حكومته بأن الوقت حان لإصدار بلاغ من السلطات البريطانية حول دفع مبالغ هذه السفن[2].

وقد لاحظ وزير خارجية بريطانيا السير ادوارد جراي، أثناء وبعد مقابلاته مع سفراء فرنسا وروسيا، أن من المناسب عدم الدخول في نزاع مع الدولة العثمانية في الوقت الراهن طالما أنها على الحياد، وأن الحالة ستكون مزعجه لبلاده فيما لو تأزم الموقف بين الدولتين، خصوصا في الهند ومصر ... غير أنه يجب الإنتظار إلى حين معرفة نتائج المعركة الأولى مع الألمان في أراضي بلجيكا فإذا ماحصل إخفاق ألماني في هذه المعركة فستكون مسألة إبقاء الدولة العثمانية على الحياد أمرا ميسورا، وقد أبلغ السير ادوارد جراي هذين السفيرين أن الطريقة المناسبة في هذه الفترة هي إبلاغ الباب العالي أنه إذا بقي على الحياد فستحافظ بريطانيا وحلفاؤها على سيادة الدولة العثمانية وممتلكاتها في معاهدات السلام التى ستعقب الحرب، وإنذارها من جهة أخرى إذا ماانحازت إلى ألمانيا والنمسا بالعواقب الوخيمة[3].

---

(١) Same Series and Vol, Conf Teleg, (No. 345) from Sir Edward Grey to Mr. Beaumont, F. O, August 8, 1914.

(٢) Same Series and Vol, Conf Teleg, (No. 506) from Mr. Beaumont to Sir Edward Grey, Const, August 9, 1914.

(٣) Same Series and Vol., Conf Teleg, (No 533) from Sir Edward

وتشير تصريحات الوزير إلى تخوف بريطانيا من تحريك شعور رعايا الهند ومصر ضدها في ظل هذه الظروف الحاسمه.

وقد وافق وزير الخارجية الروسي في الإشتراك مع بريطانيا وفرنسا في تقديم ضمانات للدولة العثمانية بالمحافظة على سيادتها ومساعدتها في إطلاق حريتها الإقتصادية بعد إنتهاء الحرب(١).

وأصدر وزير الخارجية البريطانية في ١٧ أغسطس ١٩١٤م/١٣٣٢هـ تعليماته إلى القناصل المعتمدين لبلاده في المناطق المعنيه باصدار أوامر إلى جميع السفن البريطانية بمغادرة المياه العثمانية، أما تلك الموجودة في موانئ البحر الأسود فيجب أن لاتعبر من خلال المضائق حتى يتم التنسيق مع السفارة البريطانية باستانبول، مع منع جميع السفن البريطانية من الرسو في الموانئ العثمانية أثناء رحلاتها(٢).

يبدو أن الدافع البريطاني وراء هذا الإجراء كان بسبب الشك في نية الحكومة العثمانية في إحتجاز السفن البريطانية في مياه الدردنيل، ولذا أرسلت وزارة الخارجية البريطانية إلى سفارتها في إستانبول برقية سرية لأخذ الإحتياط حسب التعليمات السابقة بمنع مرور السفن على الموانئ العثماني، مع إعطاء صلاحية للسفير باصدار تعليمات جديده إذا زالت الشكوك في خطورة أي إجراءات عثمانية إلى القناصل في البصرة وأزمير وبيروت وجده والحديده(٣).

وتشير هذه الأوامر إلى أن السلطات البريطانية بدأت تتخذ إجراءات أكثر قوة

Grey to Sir Bertie, F. August 15, 1914.

(١) Same Series and Vol., Conf Teleg, (No288) from Sir G. Bucnanan to Sir Edward Grey, St. Peterburgh, August 16, 1914.

(٢) Same Series and Vol., Conf Teleg No 285 from Sir Edward Grey to Sir R. Rodd, F. O, August, 17, 1914.

(٣) Same Series and Vol., Conf Teleg No 391 from Sir E.Grey to Sir L. Mallet, F.O, August 18, 1914

حيال الحكومة العثمانية، حتى لو كانت وقائية، رغم الجهود لكسب حيادها في الجانب الآخر.

وفي ٢٠ أغسطس ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ أبلغ السفير البريطاني في إستانبول بلاده عن محادثاته مع وزير البحرية العثماني في ظل الموقف الراهن. حيث عبّر الوزير العثماني عن مخاوف بلاده من الأطماع الروسيه وعن المشاكل الأخرى واقترح مايلي:

١ـ أن تقوم كل من بريطانيا وفرنسا بتقديم ضمانات أمنية للعثمانيين لصد تلك الأطماع الروسيه، عندها ستتوقف السيطرة الألمانية التي تخاف منها بريطانيا، وأكد للسفير أن بلاغ السفراء للدولة العثمانية بضمان تحقيق سيادتها إذا بقيت على الحياد غير كاف، ولذا يرى الوزير العثماني أن تقوم بلاده بتوقيع إتفاقية مع كل دولة على حده من دول الوفاق الثلاثي تضمن الدفاع عن الدولة العثمانية في حالة وقوع إعتداء عليها.

٢ـ إلغاء الإمتيازات الأجنبية.

٣ـ أن ترسل بريطانيا السفن العثمانية التي طلبت بناءها في الحال.

٤ـ عدم التدخل في الشئون الداخلية للعثمانيين.

٥ـ تحقيق مطالب العثمانيين فيما يختص بالجزر اليونانية.

واقترح السفير على بلاده أن تقوم بتقديم ضمان حقيقي ضد الروس(١). وقد تطرق جمال باشا في مذكراته إلى هذا اللقاء بينه وبين السفير الإنجليزي حيث صرح بعدم نجاح تلك المحادثات(٢).

كما أخطر الصدر الأعظم السفير البريطاني في إستانبول بعدئذ عن وجوب

---

(١) Same Series and Vol., Conf Teleg (N0 572) from Sir L. Mallet to Sir E. Grey, Const., August 20, 1914.

(٢) جمال باشا، مذكرات جمال باشا، تعريب علي أحمد شكرى، ص ٢١٢ – ٢١٦.

تعجيل بريطانيا بتقديم تعهد خطي بضمان إستقلال وسيادة الدولة العثمانية كما يطلب كل مساعدة يمكن أن تقدمها له دول الوفاق حيث يجرى صراع عنيف بين وزير البحرية والحزب المؤيد للألمان من جانب والمعتدلين من جانب آخر. والتى ربما تزيد من الفوضى داخل الحكومة العثمانية، ولذا أبلغ السفير البريطاني حكومته بسير محادثاته مع الصدر الأعظم وضمّن البرقية المعلومات التي تفيد بمحاولات السفير الألماني والمارشال ليمان في جر الدولة العثمانية لإعلان الحرب على روسيا[١].

وتشير هذه المعلومات إن صحت إلى عدم تمكن الصدر الأعظم من السيطرة على مجريات الأحداث في بلاده، وتوضح غياب دور الخليفة الذي كانت سلطاته كبيرة في الماضي وخصوصا في الأوقات الحاسمه، ولكن يجب أن لايغيب عن البال أن تلك السلطات قد قلصت بعد ثورة ١٩٠٨م/١٣٢٦هـ كما لايفهم من ذلك أن الخليفة كان بعيدا كل البعد عما يجري، فقد أرسل السفير البريطاني يستأذن وزارة خارجيته بأن يقدم رسالة شخصية من ملك بريطانيا عندما يقابل الخليفة العثماني ليشرح له ظروف تأخير تسليم السفينتين العثمانيتين، وأوضاع الحرب القائمة في أوربا[٢]. وبالفعل فقد صدرت التعليمات للسفير بأن يقدم للخليفة رسالة باسم الملك وفق مااقترحه السفير[٣].

بيد أن المحاولات البريطانية لإقناع الحكومة العثمانية بالفوائد المترتبة على بقائها على الحياد لم تؤت ثمارها حيث مازال النفوذ الألماني يزداد بالإضافة إلى المناصرين لذلك النفوذ من العثمانيين، ولذا صدرت تعليمات من الخارجية البريطانية لسفيرها لدى الباب العالي في ٢٩ أغسطس ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ بأن ينذر الحكومة العثمانية باتخاذ

---

(١) Same series and Vol., ConfTeleg (No 591) from Sir. L. Mallet to Sir E. Grey, Const, August 21, 1914 (PRO).

(٢) FO 371/2173 ConfTeleg (No 598), from Sir L. Mallet to Sir E. Grey, Const, August 23, 1914.

(٣) Same Series and Vol., Conf Teleg from Sir E. Grey to Sir L. Mallet F.O, August 25, 1914.

إجراءات حاسمه من جانب بريطانيا حيال الدولة العثمانية فيما لو إنحازت إلى ألمانيا. ونلخص هذا الإنذار الذى تخص الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر فيه عدة جوانب فيما يلى: -

١- إذا دخلت الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا فإن بريطانيا سيكون لها مطلق الحرية في مصر.

٢- ستشجع الحكومة البريطانية العرب والسلطات الحاكمه في الجزيرة العربية ومايخص الأماكن المقدسة.

٣- ستتعرض مكانة العثمانيين في قلوب المسلمين الهنود للخطر[١].

وتشير هذه البرقية إلى أن البريطانيين قد أعدوا لاحتمالات المستقبل خططاً وقائية وإجراءات من شأنها صد العثمانيين من الدخول في الحرب، فإذا لم يستطيعوا منع دخولها، تكون هذه الخطط محاور إستراتيجيتهم فيما يختص بالنزاع مع الدولة العثمانية، كما يشير هذا الإنذار إلى التحول التدريجي في السياسة البريطانية تجاه العثمانيين، فبعد مرحلة الإغراء بفوائد الوقوف على الحياد، كضمان سيادتها وإستقلالها، تحول الأمر إلى مرحلة التهديد.

ولما كانت معظم أجزاء منطقة البحر الأحمر والجزيرة العربية تدار سياسة بريطانيا فيها من قبل حكومة الهند البريطانية فقد كلفت هذه الحكومة لإصدار بلاغ عام في حالة قيام حركات عدائية من قبل العثمانيين ضد بريطانيا، بأنه لن تقوم القوات البريطانية بأي هجوم على الأماكن المقدسه أو جده، مع عدم إعاقة الحجيج الذاهبين لأداء الحج، كما اقترحت الخارجية البريطانية على حكومة الهند بأن تقوم في حالة إعلان الحرب بين الدولتين بتقديم كل تشجيع وعون للعرب لإمتلاك الجزيرة العربية

---

(١) (PRO)
FO 371/2138, Conf tele (No 462) from Sir E. Grey to Sir L. Mallet, F.O., August 29, 1914.

والأماكن المقدسة[١].

غير أن السفير البريطاني إقترح في برقيه إلى حكومته بتأخير ذكر مايختص بالعرب والأماكن المقدسه - في هذه المرحلة - ووافقه وزير الخارجية على ذلك[٢].

وإقتراح السفير هذا له مايبرره فربما يشعر العثمانيون بضرورة الإتصال بالعرب قبل الإنجليز.

وأفادت تقارير عسكرية من الحديده ووصلت إلى السفاره البريطانية في إستانبول عن تحرك بعض القوارب العثمانية المسلحة من البحر الأحمر في طريقها للآستانه. ولما كانت هذه السفن لاتحمل الماناً فقد صدرت الأوامر بعدم التدخل فيها[٣].

وكانت بريطانيا قد رصدت منذ فترة تحركات ألمانيا ونواياها في منطقة البحر الأحمر فقد بعث السفير الإنجليزى لدى الباب العالي إلى وزارة خارجية دولته في ٤ مارس ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ حول التأكد من الإشاعات التي تفيد بمحاولات الألمان الحصول على أراضٍ في المخا باليمن أو مايجاورها وأنه لم يحصل على معلومات ذات قيمة فيما يخص الموضوع، ويذكر الوزارة بالتقارير التى بعثت من قبل جهات أخرى حول نفي طلعت باشا وزير الداخلية العثماني مسألة إعطاء ألمانيا المخا كميناء للألمان[٤].

وكإجراء حاسم من قبل الدولة العثمانية فقد أصدرت في ٩ سبتمبر ١٩١٤/

---

(١) Same Series and Vol., Conf tele (No 478) from Sir E. Grey to Sir L. Mallet, F. O, September 1, 1914.

(٢) LOC Cit.

(٣) (PRO)
FO 371/ 2142 Decypher telegram (No 722) from Sir. Mallet, Const 8 th September, 1914.

(٤) (PRO)
FO 371/2132, from Sir L. Mallet to Sir E. Grey, March 4, 1914.

١٣٣٢هـ قرارا بالغاء الامتيازات الأجنبية، ووصل القرار إلى السفارة البريطانية في مساء ذلك اليوم، وأحدث ردة فعل لدى السفراء باستانبول الذين صرحوا بعدم أحقية الحكومة العثمانية بإلغاء الامتيازات نظرا لكونها مبنية على معاهدات وإتفاقيات سابقة[١].

والواقع أن هذا القرار الحاسم يعتبر بمثابة إعلان حرب إقتصادية فالنظام أعطى تسهيلات وفوائد كبيره للأجانب بما فيهم بريطانيا التى ستخسر في هذا الجانب، كما أنه يشير إلى أن العثمانيين يسيرون في الطريق إلى إعلان الحرب.

وفي المقابل أبلغ السفير البريطاني الصدر الأعظم قرار حكومته بسحب البعثة البحرية الإنجليزية، وذلك من خلال المقابلة التى تمت بينهما حيث عبر الصدر الأعظم عن أسفه لهذا القرار، فرد السفير بأن تصرف العثمانيين غير الملائم حيال البعثة هو مبرر القرار البريطاني[٢].

وكان لكل دولة أجنبية مكاتب بريد في الدولة العثمانية، فصدر قرار بوقف أعمالها، وأعطيت فرصة لهذه المكاتب لفتح الرسائل القادمة إليها من الخارج لفتره قصيرة، وبعد المهلة يجب إرسال الرسائل إلى مكاتب البريد العثمانية[٣] .

---

(١) (PRO)
FO 371/2138, ConF. Tele, Sir L. Mallet to Sir E. Grey, Const 10 September, 1914.

وكان الصدر الأعظم قد أرسل قرار الحكومة بالغاء الإمتيازات إلى السفير البريطاني باستانبول باللغة الفرنسية أنظر:

(PRO)
FO 371/ 2139, Enclosure 1 in No 1, Grand Vizier to Sir L. Mallet, 9 September 1914.

(٢) (PRO)
FO 371/ 2142, Decypher of teleg from Sir L. Mallet, Const, September 13th 1914.

(٣) (PRO)

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الجانبان يراقبان بشكل أكبر محاولات وخطط كل منهما ، وكانت منطقة البحر الأحمر بأقاليمها المختلفة نقاط إستراتيجية لتحركات الفريقين قبل إعلان الحرب بشكل رسمي بين الدولتين.

ومن ذلك وصول معلومات سرية إلى سفارة بريطانيا في إستانبول عن إستعدادات عثمانية لنقل جنود من الموصل إلى دمشق على عربات شحن بالقطار يبلغ عددها ١٢٠ عربه، وعن توجه بعض خبراء الألغام والنسف الألمان إلى دمشق حيث وصلت معلومات عن إمكانية توجه هؤلاء الخبراء إلى العقبة ومعهم متفجرات الديناميت لزرع الألغام في البحر الأحمر(١).

غير أن السفير البريطاني في إستانبول مازال ينصح حكومته بالتأني والصبر حيال العثمانيين ليتمكن من تجنب خدعة الخطة الألمانية .. حتى لو إستدعى الأمران تغمض بريطانيا عينها في الوقت الحاضر عن بعض مايصدر منهم(٢) ومع ذلك فالأمر يزداد خطورة إذ أفاد القنصل البريطاني في بيروت عن وصول عدد من القوارب المسلحة العثمانية إلى هذا الميناء قادمه من البحر الأحمر(٣) .

ولذا رأت السلطات البريطانية في ٣ أكتوبر ١٩١٤ أن أفضل وسيلة لإعاقة المواصلات العثمانية هي منع وصول الفحم إلى الآستانه، فصدرت التعليمات للجهات

FO 371/ 2141, From Secretary of State to Viceroy, F Dept, 24th September, 1914.
(PRO) (١)

FO 371/ 2140, Decypher, Sir L. Mallet, Const, September 25 th 1914.
(PRO) (٢)

FO 371/ 2138., Conf, tele (NO 875), Sir L. Mallet to Sir E. Grey, Const, September 27, 1914.
(PRO) (٣)

FO 371/ 2142, Decypher of teleg, (No 924) from Sir Mallet, Const, October 3nd, 1914.

المعنيه بمنع وصوله إلى هناك[1] .

والحقيقة أن كل قناصل بريطانيا المعتمدين في الولايات العثمانية، أخذوا يتابعون التحركات العثمانية، وعلى سبيل المثال فقد أرسل القنصل البريطاني في حلب إلى سفير بلاده في إستانبول عن وصول ٤ سيارات إلى حلب أحضرت خمسة عشر من الإتحاديين الذين استدعوا (باشا) عسكري عربي معروف في مصر، وطلبوا منه بإلحاح مرافقتهم إلى معان حيث قررت السلطات العثمانية الهجوم على مصر، غير أن هذا قد رفض العرض، ثم يشير التقرير إلى أن مبلغ ٧٠ ألف ليره عثمانيه قد تم توزيعها على الزعماء العرب في الولايات الشرقية، وأن هناك مبالغ أخرى من دمشق في الطريق لتوزيعها على مشائخ القبائل، ومبالغ من بغداد لابن رشيد وابن سعود وشيخ المنتفق وللقبائل المنتشره من المدينة إلي اليمن، كما أن الألمان والعثمانيين يغدقون الأموال بسخاء على العرب للهجوم على مصر[2].

وهذا التقرير بالغ الأهمية حيث يشير إلى خطط العثمانيين داخل ولاياتهم لتحريك رعاياهم وخاصة العرب ضد بريطانيا التى تتواجد فى مصر، كما أن هذه الخطط هي الجذور الأولى لخطة الدولة العثمانية العسكرية في المنطقة التى ربما تعجل باعلان الحرب بين الدولتين التى بدت بوادرها بهذه التحركات من الجانبين.

وكان السفير البريطاني بين الحين والآخر ينبه الحكومة العثمانية إلى مخاطر الحملة الصحفيه ضد بريطانيا على العلاقات بين البلدين، فقد أرسل هذا السفير إلى الصدر الأعظم وإلى وزير الداخلية طلعت باشا عن الإدعاءات التي تنشرها بعض

---

(١) (PRO)
FO 371/ 2143, Cypher Teleg, (No 831) to Sir G. Buchanan (Petrograd) F. O, October 3th, 1914.

(٢) (PRO)
FO 371/ 2140, Conf teleg (No 936), Sir L. Mallet to Sir E Grey, Const., October 5, 1914.

الصحف حول تدخل الأسطول البريطاني والفرنسي في منع خروج أو دخول البضائع إلى إستانبول والدعاية ضد سياسة الحكومة البريطانية، وخصوصا من جانب صحيفة "ترجمان الحقيقة" العثمانية(١) .

وأبرق القنصل البريطاني في حلب إلى السفاره باستانبول يخطرها عن وصول ٦٠٠ من الفدائيين المسلمين الذين يرتدون أزياء متباينه إلى حلب تحت قيادة ضابط من أقرباء وزير الحربيه العثماني، لتدبير خطة بالتعاون مع لجنة الإتحاد والترقي ومشائخ المنطقة ضد الإنجليز، وقد توزعت هذه الفرقة إلى مجموعات للإنتشار في المدن السورية ثم الإنحدار جنوبا عبر سكه حديد الحجاز لمحاولة التسلل إلى مصر(٢) .

وفي الآونة الأخيرة تسلم زكي باشا قائد الفليق الثامن العثماني مبالغ كبيره لتوزيعها على البدو، كما توجه عدد من البحاره العثمانيين إلى العقبة على البحر الأحمر وتوجهت عدة بعثات عثمانية إلى البصرة وإلى أماكن آخرى وإلى أفغانستان لنشر دعاية ضد الإنجليز بالتعاون مع ألمانيا، ويرى السفير البريطاني أن الحكومة العثمانية ككل ربما تملك سيطرة قليله على تلك النشاطات ولكنها لم تستنكر عليهم هذه الأعمال وفيما يختص بالإستعدادات العسكرية الفعليه فالعناصر الألمانية تملك قوة كافية لإقناع السلطات العثمانية في جوانب عده(٣) .

كما وزعت السلطات المحلية في يافا عشرة آلاف بندقيه على البدو وتم تشغيل

---

(١) (PRO)
FO 371/ 2143, Sir L. Mallet to Sir Edward Grey (NO 626) Const., October 6, 1914, Enclosure 1 in No 1, Sir Mallet to Grand Vizier, and Enclosure 2 in No. 1, Sir Mallet to Talat Bey.

(٢) (PRO)
FO 371/2140, Sir L. Mallet to Sir Edward Grey, No/ 979, Const, October 14, 1914.

(٣) Same Series and Vol., Conf teleg, Sir L. Mallet to Sir Edward Grey, Const, October, 15, 1914.

العديد من البدو لحفر آبار المياه، وعلمت القنصلية البريطانية أن التحرك الجديد للبدو سيكون صوب العقبه على البحر الأحمر[1].

وهذه المعلومات إمتداد للخطة العثمانية للإتصال بالمشايخ ونشر الدعاية ضد الإنجليز ومحاولة نقل تلك الدعاية إلى مصر، أكبر دول منطقة البحر الأحمر، ولما كانت العقبة أحد مواني البحر الأحمر الشرقية القريبة من الحدود المصرية، فإن هذا يقوي الدلائل التى تشير إلى قرب غزو العثمانيين لمصر من الناحية الشرقية.

وفي ١٧أكتوبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ أرسل المستر تشيتهام Cheetham من القاهرة إلى وزير الخارجية البريطاني، يؤكد المعلومات التى وصلت إلى السلطات البريطانية حول الإستعدادات العسكرية للعثمانيين للهجوم على مصر وذلك من خلال إدلاء بعض مشايخ البدو للمخابرات الإنجليزية في مصر بهذه المعلومات، ولذا ينصح حكومته بأن تبعث إلى بعض حكام الجزيرة العربية كالإدريسى وإبن رشيد لتشرح موقفها الودي منهم، كما ينصح أن تتم مراسلة ابن سعود والإمام يحي عن طريق حكومة الهند، وهذه الطريقة في نظره ستؤثر على جعل الوضع في مصر أكثر هدوءًا وأقل تأثرا بالدعاية العثمانية[2].

وعلى الفور رد وزير الخارجية البريطانية في اليوم التالي على تلك البرقية بأن أمر المستر تشيتهام بتبليغ هؤلاء المشائخ بأن إنجلتره تساعد العرب دائما وستظل على ذلك، فليس بين الطرفين أي نزاع، وحتى لو دخلت الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا فلن تعتبر بريطانيا العرب متورطين في هذا النزاع، إلا إذا ساعد العرب العثمانيين والألمان ... كما تقدر بريطانيا الموقف الحرج للعرب في الحرب الحاضره بسبب النفوذ الألماني في الآستانه، وأمر الوزير بأن يعطى هؤلاء المشائخ الذين أدلوا بالمعلومات

(١) Same Series and Vol., Conf tele, (NO. 989), Sir L. Mallet to Sir Edward Grey, Const, October, 16, 1914.

(٢) Same Series and Vol, Conf. tele. (No 202), Mr. Cheetham to Sir Edward Grey, Cairo, October 17, 1914.

بعض الهدايا، كما اقترح أن يقوم بعض مشائخ بدو مصر الموالين ليقابلوا هؤلاء[1] .

وأسلوب الترغيب والترهيب الذي تقوم به السلطات البريطانية في مصر مع هؤلاء البدو يوضح بجلاء إهتمام تلك السلطات بالأمر وخوفها من تلك القوى التى ربما يستعين بها العثمانيون للهجوم على مصر.

وقد لفت أنظار السلطات البريطانية إهتمام العثمانيين أكثر بإرسال الألغام والجنود إلى العقبة، وأنه ليس من المستحيل أن تنتشر الألغام العائمه في العقبة إلى البحر الأحمر وإن كان بشكل غير محكم[2] .

وفيما يختص بالهجوم على مصر فإن الجنرال البريطاني المشرف على القوات في مصر أصبح يتوقع حدوث هجوم للعرب في أي لحظة على الحدود بتحريض من عدد من الضباط الألمان[3] .

ولما رأت السلطات البريطانية أن العثمانيين قد عقدوا النيه لغزو مصر فقد وجه وزير الخارجية البريطاني إلى سفيره باستانبول تعليماته ليلفت نظر الحكومة العثمانية إلى أنه في حالة حدوث أي نوع من الهجوم على مصر فان الدولة العثمانية ستكون في حالة حرب مع ثلاث قوى متحالفة، كما طلبه أن يبلغ الصدر الأعظم بوصول معلومات تفيد بأن الفيلق العثماني في الموصل والفيلق العثماني في دمشق يرسلان القوات جنوبا للإعداد لغزو مصر وقناة السويس من العقبة وغزه بالإستعانه مع عدد من البدو، حيث أمنت المواصلات ونفذت الطرق المؤديه إلى حدود مصر، ونشرت الألغام

---

(١) Same Series and Vol, Conf. tele. (No 269) Sir. Edward Grey to Mr. Cheetham, F. O, October 18, 1914.

(٢) Same Series and Vol., Conf tele, (NO.1010), Sir L. Mallet to Sir Edward Grey, Const, October, 19, 1914.

(٣) (PRO)
FO 371/2139 Conf tele, (No 694), Sir E. Grey to Sir Mallet F. O., October 22, 1914.

في خليج العقبة لحماية القوات من الهجوم البحري[1] .

وعرف السفير البريطاني في إستانبول بعد ذلك أنه من الواضح أن الحملة ضد مصر من أولى المهام التى تشغل بال كل من أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا وأنهم يعملون قصارى جهدهم لتنفيذ هذه العملية، إلا أنه علم بعد ذلك بوجود أخبار من معارضه لها وزنها في لجنة الإتحاد والترقي تؤيد عدم الإنزلاق في الحرب، ولايعلم عن مدى صحة تلك الأنباء[2] .

ولو تتبعنا جانبا من أسباب التحركات العثمانية تجاه مصر وخاصة من وجهة النظر العثمانية، فإننا نجد فيما ذكره فريد بك رئيس الحزب الوطني في مصر الذي قابل أحد وزراء الدوله العثمانية الذي أخبره أن الحكومة العثمانية أبلغت سفير بريطانيا بعد إحتجاجه على الحشود العثمانية في حدود مصر، أن للدولة الحق في ذلك لأن مصر أعلنت حالة الحرب مع ألمانيا والنمسا وهما غير محاربتين للدولة العليه صاحبة السيادة على مصر، وغير ذلك من التعديات[3] .

وكتطور جديد للنزاع فقد إنتشرت شائعات في إستانبول، عن منع السلطات البريطانيه الحجاج من مصر للذهاب إلى الحج، وأن تلك السلطات قد إنتزعت فتوى بأنه لن يكون هناك حج بسبب عدم مقدرة الحكومة المصرية حماية الحجيج، ولذا فقد أبرق السفير البريطاني في إستانبول إلى حكومته يستفسر عن حقيقة الأمر خصوصا أن الصحافة العثمانية في نظره تسعى لإثبات أن بريطانيا تتعمد الهجوم على الإسلام[4].

---

(١) Same Series and Vol., Conf. tele. (No705) Sir. Edward Grey t0 Sir L. Mallet, F . O, October, 24, 1914.

(٢) Same Series and Vol., Conf tele, Sir L. Mallet to Sir Edward Grey, Const, October, 27, 1914.

(٣) محمد فريد، أوراق محمد فريد، المجلد الأول- مذكراتي بعد الهجرة ١٩٠٤ ـ ١٩١٩، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٦٩.

(٤) (PRO)

فأرسل المستر تشيتهام من القاهرة إلى وزير الخارجية بعدم تدخل السلطات البريطانية في مصر في أمر الحج كما هي العاده المتبعه، وأن هذه السلطات لاتتدخل إلا في الأمور المختصه بالحالة الصحية، ونفى أن تكون تلك السلطة قد نصحت الوزراء في الحكومة المصرية حول موضوع الحج، وأفاد بأن الوزراء المصريين قد إستشاروا مفتى مصر حول الحج في مثل هذا الوقت الذى ينذر بالخطر بسبب خطوره المواصلات بين مصر والحجاز، فأصدر فتوى بأنه يجب على الحكومة في هذه الحالة أن تنصح رعاياها بتأجيل الحج، ولم يكن للسلطات البريطانية في مصر أي علاقة باتصالات الوزراء مع المفتى وصدور الفتوى[١].

كما طلب السفير البريطاني إلى وزير خارجيته بأن يطلب من الوصي على العرش في مصر بأن يبرق إلى السلطان والصدر الأعظم والخديوى بأنه لاصحةللأخبار التى تقول أن الحكومة المصرية أو السلطات البريطانية قد منعت الحج[٢] .

ومع نهاية شهر أكتوبر ١٩١٤م : ١٣٣٢هـ تأزم الموقف بشكل أكثر خطورة، حيث اقتربت ساعة إعلان الحرب التى بدأت إرهاصاتها منذ فتره، فقد صدرت التعليمات إلى السفير البريطاني بمغادرة إستانبول في حالة صدور أمر عثماني للسفير الروسي بمغادرة إستانبول بعد تأزم الوضع بين البلدين. وبالفعل فقد أصدر السفير البريطاني للقناصل الإنجليز المعتمدين في الدولة العثمانية بمغادرة البلاد، ولم يكن هذا يعنى إعلان حالة الحرب بين البلدين من وجهة نظر السفير، إلا أنها نتيجة

FO 371/1922, Conf tele (No 1029), Sir L. Mallet to Sir E. Grey, Const, October, 22, 1914.

(١) Same Series and Vol., Conf tele (N0 222) Mr Cheetham to Sir E. Grey Cairo, October 20, 1914.

(٢) Same Series and Vol., Conf tele (N0 1069) Sir L. Mallet to Sir E. Grey Const, October 27, 1914.

لإستدعاء السفير الروسي للعودة إلى بلاده بعد هجوم الأسطول العثماني على ميناء أوديسه الروسي وبعض المواني في البحر الأسود[1] .

ومن جهة أخرى فقد أدلى وزير المالية العثماني بمعلومات إلى السفير الفرنسي مفادها أن الحكومة العثمانية قد عقدت مجلساً أعلى في ليلة ٣١ أكتوبر أكد فيه الصدر الأعظم إنكاره لأي إشتراك في الهجوم على الموانيء الروسية، وبيّن عزمه بأن لايكون طرفا في أي تخطيط عدواني ضد دول الوفاق الثلاثي، وبهذا ميّز نفسه عن أولئك الذين يدعمون النفوذ الألماني، فطلب من المجلس تأييده، فأعلن وزير المالية تأييده في ذلك، كما طلب الصدر الأعظم طرد البعثة البحرية الألمانية، فصوّت المجلس باجماع ضد سياسة الحرب، ولكن لم ينجح التصويت ضد طرد البعثة البحرية الألمانية، بل لم يتجرأ أحد أن يقترح طرد البعثة العسكرية الألمانية .. ولذا قرر السفير البريطاني أنه إذا لم يتحسن الوضع خلال أربع وعشرين ساعة فسيغادر إستانبول، خصوصا بعدما نصحه السفير الأمريكي سرا بمغادره البلاد لاستبعاده أي حل للوضع القائم[2] .

وفي نفس اليوم ٣١ أكتوبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢ هـ أرسل السفير البريطاني في إستانبول إلى السير إدوارد جراي، في اللحظات التى كان السفير يقابل الصدر الأعظم ليودعه، حيث ذكر له الصدر الأعظم أن مسألة طرد البعثة الألمانية ليست في يده، على الرغم أنه استحصل على أصوات مؤيده لسلطته في المجلس الأعلى فطلب السفير من الصدر الأعظم أن يضع حدا للإستعدادات العسكرية العثمانية لغزو مصر، فأجاب الصدر بأن هذا الأمر محل عنايته بالدرجة الأولى، وعلى الرغم أن السفير يثق باخلاص الصدر الأعظم إلا أنه يشك في مقدرته على ذلك، والأمر الهام في هذه البرقية أن السفير ينبه وزير خارجيته بلهجة الإستفسار بأنه إذا لم تهاجم بريطانيا في

---

(١) (PRO)
FO 371/2145, Conf tele (NO 1097), Sir Mallet to Sir E. Grey, Const, October 31, 1914.

(٢) LOC. Cit.

مصر أو في أي مكان آخر فإنه لن تعلن بريطانيا الحرب على العثمانيين على الرغم أن العلاقات بين البلدين ستوقف حتى ينتهي النفوذ الالماني المتحكم .. وأعلن السفير في نهاية برقيته عن مغادرته الآستانه[1] .

وقناعة السفير البريطاني بنزاهة الصدر الأعظم وتخوفه من بعض الوزراء الآخرين من خلال البرقيات السابقة تبين مدى حرج الموقف البريطاني وتخوفه على مصير المصالح البريطانية في مصر والأجزاء الأخرى في ظل ظروف الحرب.

وقد صاحب مغادرة السفير البريطاني في الآستانه إعلان البحرية البريطانية البدء في العمليات العدائية ضد الدولة العثمانية[2].

ولما وصلت أنباء إلى السلطات البريطانية عن إغراق العثمانيين لسفينة بريطانية في البحر الأسود، وعن إحتجاز القنصل البريطاني في البصره. أبرق وزير الخارجية البريطاني في ٤ نوفمبر ١٩١٤/١٣٣٢هـ إلى المستر تشيتهام في القاهرة بمنع مغادرة أي سفينة عثمانية للموانئ البريطانية أو المصرية. مع مراعاة أن هذا العمل مجرد إحتجاز للسفن العثمانية وليس بمثابة إعلان الحرب بين الدولتين لأنه ليس من المرغوب فيه إعلان الحرب حالاً[3].

وكإجراء عثماني مضاد لمغادرة السفير البريطاني للآستانه فقد سحبت الدولة سفيرها في لندن توفيق باشا فعبّر وزير الخارجية البريطاني عن آسفه لتأزم الموقف وأخبره أن يبلغ حكومة بلاده أن طرد البعثة الألمانية من إستانبول كفيل بوقف الأعمال

---

(١) (PRO)
FO 371/2145, Conf tele (NO 1100), Sir L. Mallet to Sir E. Grey, Const, October 31, 1914

(٢) Same Series and Vol, Admiralty, 31 October, 1914.

(٣) Same Series and Vol., Conf., tele (NO 322) Sir E. Grey to Mr Cheetham, F.O, November 4, 1914.

العدائية بين الطرفين[1].

وبالفعل فقد حانت ساعة الحرب بين الدولتين في ٥ نوفمبر ١٩١٤/١٣٣٢هـ حيث أصدرت بريطانيا بيانا بأنه نظرا للأعمال العدائية التى تقوم بها القوات العثمانية بإشراف الضباط الألمان، فإن حالة الحرب بين بريطانيا والسلطان العثماني قد بدأت [2].

ويدفعنا الأمر إلى أن نتساءل عن كيف ولماذا دخلت الدولة العثمانية الحرب وماهي أهدافها؟ . وقد أجابت المصادر والمراجع المختلفة عن بعض تلك التساؤلات .. ففي بعض المصادر العثمانية ذكر أحد كبار القادة العثمانيين وهو أحمد رؤوف بك معلومات تتفق مع ماورد في الوثائق البريطانية على ضوء ماعرضناه في الصفحات الماضية فيما يختص بقناعة بريطانيا بأن الصدر الأعظم سعيد حليم باشا هما على النقيض من ذلك يؤيدان دخول السلطنه في الحرب العالمية، مع تسليم الإنجليز بأن مقدرة الصدر الأعظم في مهمته أقل من خصومه .. كما أشار هذا القائد إلى رسالة إلى رئيس مجلس النواب العثماني التى عبر فيها عن إلتماسه بعدم تطبيق زملاءه لفكره إعلاء الطورانيه وفتح مصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر .. الخ لأنه ليس في مقدورهم تحقيق شئ من هذا[3] .

ويفهم من خلال عرض هذا القائد إلى أن أسباب دخول الدوله العثمانيه الحرب تنحصرفي قوه المؤيدين لدخول الدوله الحرب إلى جانب المانيا وعلى رأسهم

---

(١) Same Series and Vol., Conf tele (NO 349) Sir E. Grey to Sir G, Buchanan, F.O, November 4, 1914.

(٢) (PRO)
FO 371/1922, Conf tele (NO 325) Sir E, Grey to Mr. Cheetham F. O, November, 5. 1914.

(٣) أحمد رؤوف بك: كيف دخلت تركيا الحرب العالمية، تعريب فؤاد ميداني ونشرت تباعا في جريدة الأحرار، بيروت، ١٩٣٢، ص ١٣ – ١٥.

أنور باشا وطلعت باشا وخليل بك رئيس مجلس المبعوثان، كما أن للاتفاق الذي نتج عن المفاوضات بين السفير الالماني باستانبول البارون فالكنهاين falkenhayn وحكومه سعيد حليم باشا والذي عقد يوم الاحد ٢ أغسطس ١٩١٤م/١٣٣٢هـ دور كبير في دخول السلطنه العثمانيه الحرب العالميه، وكان ذا آثر فعال في تنشيط الالمان للسيطره علي مقدرات واسرار الدوله السيا سية والعسكريه ويضاف إلى هذه العوامل جهود أنور باشا ورفاقه في منتصف شهر ايلول لحمل الوزراء على دخول الحرب على اثر اعلان مصر الحرب على المانيا والنمسا والذي اعلنته بريطانيا باسم مصر ٠٠ وكان دخول المدّرعتين غوبن وبرسلا إلى المياه العثمانية في نظره عامل من اهم العوامل التي دفعت العثمانيين إلى الدخول في الحرب العالميه حيث إن ملابسات وظروف دخولها والتي تمت بتخطيط مسبق من السلطات الالمانيه وبتواطؤ بعض العناصر العثمانيه[1] .

وتجدر الاشاره إلى مالمح اليه هذا القائد حول موقف حكومة الباب العالي تجاه سفرائها وخاصه في باريس فيما يختص بسياسة التشاور وابداء الرأي حيث أهملت الحكومة كل ماقدمه السفير العثماني في فرنسا من نصائح وآراء في تلك الفتره الحاسمه ، كما اشار إلى مواقف السفير الالماني ولهجته التي لاتخلو من التهديد للصدر الأعظم والحكومة العثمانية [2].

كما ذكر هذا القائد نقطة هامه فيما يختص بنوايا الصدر الاعظم وطمعه في خديوية مصر ، وأنه فاتح بريطانيا في هذا الموضوع ولما رفضت أدخل رفضها يأسا قاتلاعلى نفس الصدرالأعظم وقطع الرجاء من الحصول على الخديويه المصريه من باب حياد الدوله ولما كان يهتم كثيرا في مجلس الوزراء حين يعرض ذكر مصروبطالب

---

(١) المصدر السابق ص ١٥-٨٤.

(٢) المصدر السابق ص٦٤-٦٨

بوجوب استردادها تعاون أنور باشا وطلعت باشا ومكنّا فيه اعتقادا بوجوب تحقيق هذا الاسترداد عن طريق الحرب الحاضرة[1].

فإذا كان هذا الأمر كذلك فإن ذلك يشير إلى علة وقوف الصدر الأعظم ذلك الموقف الإيجابي من السفير البريطاني أول الأمر فيما يختص بحياد الدولة .. ثم يفسر بعد ذلك تحول الدولة إلى فكرة الإشتراك في الحرب وظهور الإستعدادات العسكرية العثمانية بشكل أكبر في حدود مصر.

وقد أكد سفير أمريكا في الآستانه هنري مورغنتو في مذكراته طموحات الصدر الأعظم في خديويه مصر مما جعله آله في أيدي الإتحاديين[2].

ولكي نعرف أسبابا أخرى لدخول الدولة العثمانية الحرب نجد فيما صرح به طلعت باشا وزير الداخلية العثماني في مذكراته أن حشد روسيا لجيوشها في جهة القوقاز قضى على التردد في موقف الدولة العثمانية النهائي فاقترح على رفاقه في الوزارة إعلان الحرب على دول الإتفاق الودي، فنال هذا الإقتراح أكثريه الأصوات بعد أن كانت الدولة العثمانية متردده وموقفها حرج للغاية من جراء إرتباطاتها مع ألمانيا ونفوذ الألمان القوي في بلاده[3].

ويحلل جمال باشا وزير البحرية العثمانية الظروف التى عقدت فيها بلاده الإتفاق مع الألمان في ٢ أغسطس ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ والذي حتم إشتراك دولته في الحرب العالمية من وجهة نظره، فيرى أن الدولة العثمانية قبل إندلاع الحرب العالمية أصبحت

---

(١) المصدر السابق،ص٧١-٧٢.

(٢) هنري مورغنتو، مذكرات سفير أميركا في الآستانه، تعريب فؤاد صروف، مطبعة المقطم، مصر، ١٩٢٣، ص ١١.

(٣) من مذكرات طلعت باشا، فصل ملحق بمذكرات المستر هنري مورغنتو، المصدر السابق، ص ١٠٥.

حيال فريقين من الدول أراد أحدهما إبقاء العثمانيين تحت نفوذه وهو الفريق المكون من بريطانيا التى لها أطماع في مصر والعراق وفلسطين وشبه الجزيره العربيه، وروسيا العدوه التقليديه للعثمانيين وصاحبة الأطماع في الآستانه والمضائق. وأراد الثاني وهو الفريق المكون من ألمانيا والنمسا التقرب من العثمانيين لإدراك بضع مزايا معينه في المستقبل حيث تعتبر الدولة العثمانية بمثابة حلقه في سلسلة ألمانيا التجارية، كما يرى الألمان أن تصفية الدولة العثمانية معناه تطويق ألمانيا بصفة نهائية فعقدت ألمانيا مع العثمانيين تحالفاً على أساس المساواه في الحقوق نظرا لإنزعاجها من تأهب خصومها، ويرى جمال باشا على ضوء ذلك أنه لو وزنت المزايا والمضار من هذه المعاهدة لتبين أن البلاد تستفيد من عقد هذه المحالفة، فلما أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في أغسطس ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ وجد العثمانيون أنفسهم ملزمين بحكم المعاهدة التى لم يجف مدادها بعد على خوض المعركة من الحال، لأن المحالفه حتمت إشتراك بلاده مهما كانت أسباب الحرب[1].

كما يذكر جمال باشا بما يشبه الإعتراف، بأن بلاده لمّا رأت نفسها ملزمه بدخول الحرب بموجب المعاهده نصح بلاده من خلال مجلس الوزراء بتأجيل دخول الحرب إلى أبعد حد مستطاع حتى تتم تعبئة الجيوش العثمانية، فاقتنع زملاؤه في المجلس برجاحة هذا الرأى وأقنعوا السفير الألماني فتقرر إعلان حياد الدولة والشروع في التعبئه العامه للإحتفاظ بالحياد ضد الفريقين، ووافق على الخطة بعض الوزراء الذين لم يعرفوا شيئا عن المحالفة مع ألمانيا، واعتبروا التعبئة العامة عملا إحتياطيا سديدا. ووجد العثمانيون في إحتجاز بريطانيا السفن العثمانية مسوغا لإعلان التعبئة العامه، كما أشار جمال باشا بأن دول الإتفاق لم تود إشتراكنا في الحرب معها لئلا تضيع على روسيا فرصة تحقيق فكرة الإستيلاء على الآستانه، بل ترغب في وقوفنا

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣ – ١٩٩.

على الحياد وعدم إغلاق المضائق أمام السفن الروسيه، فالوقوف على الحياد مع فتح المضائق معناه خروج روسيا من الحرب ظافره بحيث لاتحجم عن الإنقضاض على الآستانه[1].

ويفهم من كلام جمال باشا أن الدولة العثمانية كانت عازمه على الدخول في الحرب فيما عدا حالات الإستقاله من بعض الوزراء بعد إعلان الحرب[2]، وأن إجراءات التعبئة ماكانت إلا كسبا للوقت .. وهذا يشير من جانب آخر إلى أن بريطانيا لم تكن تعلم بهذه الخطه، فمراسلات السفير الإنجليزى مع بلاده تشير إلى إنقسام العثمانيين حول مسأله الدخول في الحرب على ضوء ماعرضناه في الصفحات الماضيه، وخاصة تفاؤل بريطانيا من موقف الصدر الأعظم.

والواقع أن مسألة الدخول في الحرب أمر مصيرى يحدد مستقبل الدولة وهذا يعني أن قرار دخول العثمانيين الحرب يستلزم الإتفاق بين العناصر الفعالة في الحكومة العثمانية، مع الإحتفاظ بسر القرار الحاسم وهذا ماتم بالفعل بدليل إستقالة بعض الوزراء بعد إعلان القرار، وإذا ماربطنا هذا الموقف مع موقف الصدر الأعظم الذي شرحه القائد أحمد رؤوف بك والذي يتمثل في موقف الصدر الأعظم الإيجابي حيال بريطانيا لنيل خديويه مصر وتبدل موقفه بعد ذلك ليأسه من تحقيق مايريد .. رأينا أن السفير البريطاني كان يجهل حقيقة نوايا العثمانيين بما فيهم الصدر الأعظم حول قرار دخول الحرب الذي اتفق عليه سرا قبل فترة من دخول الدوله الحرب.

أما فيما يختص بالحشود العثمانية وفكرة غزو مصر فإننا نجد أن الباب العالي قد وجد مبررات كافية لمثل هذه الحشود وخصوصا بعد إعلان مصر الحرب على ألمانيا والنمسا، غير أن الأهداف البعيدة لمثل هذا المشروع ربما يفسرها مانصح به الصدر

---

(١) المصدر السابق، ص ١٩٩ - ٢١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

الأعظم بعض أعضاء حكومته من ترك فكرة التخلي عن ضم مصر والمشروعات الطموحه التي تغذيها فكرة الطورانيه.

سياسة الدولة العثمانية في المنطقة بعد إعلان الحرب بين الدولتين

يشبّه كتاب "تاريخ الحرب العظمى" الدولة العثمانية بشكل عام على خريطة العالم آنذاك بجسم عظيم منهك ملقى على الأرض، رأسه في أوربا (إستانبول) وجسمه في آسيا وقدمه اليمنى في العراق واليسرى في جزيرة سيناء، بينما الأناضول القلب الحقيقي لهذا الجسم، وقد طلب من هاتين القدمين أن تعطيا على الأقل ركلات خطره، عن طريق تدخل العثمانيين في الخليج العربي في الخط البترولي الذي يعتمد عليه الأسطول البريطاني، ولكن ركلة القدم اليسرى ستكون أكثر خطوره عن طريق التدخل في قناة السويس المرفق الحيوي الهام لبريطانيا[1] وهذه خلاصة الخطة العثمانية فيما يختص بالمنطقة وفق ماتصوره هذا الكاتب الذي عمل ضابطا في وزارة الحرب البريطانيه.

وفي تقرير عسكري مطول عن الإستعدادات العسكرية والبحرية الأخيرة للعثمانيين، قدمه الملحق العسكري للسفارة البريطانيه في إستانبول، وبعث به السفير البريطاني في الآستانه إلى لندن في ٨ سبتمبر ١٩١٤ .. يحتوي على التقدير الحقيقي لعدد القوات العثمانية، وإلى الإستعدادات الملموسة في التعبئة وإستدعاء الإحتياطي، والتدريبات المتواصله، كما يتطرق التقرير إلى الإمكانيات المتاحه للعثمانيين فيما يتعلق

---

(1) - Cruttwell, C. R. M., A History of the Great War 1914 - 1918, Second Edition, Granda Publishing Limited, London, 1982, P. 204.

بالتجهيزات والمعدات، حيث يوجد نقص كبير في التجهيزات والملابس مقارنه بالتموينات الكبيرة التي كانت بيد العثمانيين في وقت الحروب البلقانيه، كما أن الروح العسكرية للقوات غير مرتفعة، والمعدات التي فقدت في هذه الحروب لم تعوض بعد، على الرغم من وصول معدات عسكرية ألمانيه عبر رومانيا وبلغاريا. ومن ناحية عدد القوات العثمانية يقدر التقرير العدد الكلي لها بحوالى ٤٦٠ ألف رجل، ومن هذا المجموع حوالى ١٢٠ ألف رجل منخرطين في القوات المسلحة وأعمارهم بين سن العشرين وإثنتين وعشرين، و٢٧٠ ألف رجل إحتياطيون مسلمون مدربون أعمارهم بين الثالثه والعشرين والأربعين سنه، و٣٠ ألف رجل إحتياطيون غير مسلمين مدربون ، وهؤلاء يستخدمون في الخدمات الإدارية، و٤٠ ألف رجل عناصر مدمجة من الشرطة، وقد حل مكان هؤلاء إحتياطيون مسلمون مدربون من سن الحادية والأربعين والخامسه والأربعين، أما الرجال غير المدربين فيوجد حوالى ١٢٠ ألف رجل مسلم وهؤلاء لإمداد الجرحي وإسعافهم وهم تحت التدريب في تلك الآونة، وبرامج التدريب والتموين والاعداد تخضع لإشراف ألماني، وتدير وزارة الحربية إشراف وتوجيه الأسطول الذي يدرب بواسطة عدد من الألمان[١].

---

(١) (PRO)
- FO 371/ 2140. Conf - tele (No 591) from L. Mallet to his Majesty Principal Secretary of State for foriegn affairs, September, 8 th 1914.

وقد فصل التقرير توزيع المجموع الكلي للقوات على الشكل التالي:

- ١٤٥ ألف رجل في الجيش المحيط بالعاصمه إستانبول.
- ٩٥ ألف رجل في الجيش المحيط بارضروم.
- ٤٠ ألف رجل في سامسون.
- ٥٠ ألف رجل في أدرنه والجهة الأوربيه.
- ٤٥ ألف رجل في مرمره ودفاعات المضائق.
- ٦٥ ألف رجل في جنوب سوريه، والجزيره العربية منها ٢٠ ألف رجل في الحجاز واليمن و٥ آلاف في

ومن خلال هذا التقرير عن القوات العثمانية، نرى أن العدد الكبير من هذه القوات متمركز حول العاصمه، كما أن الحجاز واليمن تحضى بعدد لا بأس به من هذه القوات حيث يوجد بها عشرون ألف جندي .. وإذا أضفنا إلى هذا الرقم أعداد الجنود الموجوده في جنوب سوريا والتى تكتسب أهميتها لقربها من منطقة البحر الأحمر، يصبح العدد ٦٥ ألف جندى، وهذا العدد كبير إذا ماقورن بعدد القوات البريطانية الموجودة في المنطقة.

ويصف بعض الضباط الإنجليز المشاركين في الحرب الجندي في الجيش العثماني بأنه خصم عنيد عظيم المهاره والإبتكار في تخطيط المواقع الدفاعية وحفر الخنادق والإستماته في الدفاع عنها، تحدوه في ذلك عقيدته الدينية الراسخة(١).

وبعد أن أعلنت الحرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا في نوفمبر ١٩١٤/١٣٣٢ هـ بدأ العثمانيون في تكثيف جهودهم ورسم خططهم على نطاق واسع بالتعاون مع حلفاءهم الألمان على النطاق التالي:

أولا: إعلان الجهاد المقدس ضد بريطانيا وحلفاءها .. وكان هذا أول عمل أولاه العثمانيون إهتمامهم، فقد وصلت معلومات إلى السفارة البريطانية في روما عن طريق بعض موظفي السفاره الأمريكية في إستانبول أن اللجنة العثمانية للدفاع الوطني، والمؤلفه من شيخ الإسلام وأنور باشا والسفير الألماني قد إختارت العديد من المبعوثين لنقل فتوى الجهاد المقدس، فرشحت شريف عادل باشا، وشريف على مظهر، وعبدالرحمن باشا، وهؤلاء من أعيان دمشق، وأربعة

البصرة.

ـ ٢٠ ألف رجل في أزمير والساحل السوري.

(١) أ. كيرزى (الليفتنات كولونيل)، العمليات الحربية في مصر وفلسطين من أغسطس ١٩١٤ إلى يونيه ١٩١٧، ترجمة محمد على فهمي وأحمد الأورفلي الطبعة الأولى، مصر، ١٩٤٩، ص ٢٠.

آخرين موجودين في مصر للدعاية فيها وفي تونس والجزائر برئاسة محمود مظهر. وأرسلت بعثة يرأسها توفيق باشا أحد أعيان دمشق إلى الهند ويرافقه حسني باشا وحسان بك وناظم بك وبعض أعضاء النادي العربي بالآستانه، وبعض أعيان طرابلس ودمشق وآخرون كما أرسل عبدالعزيز شاويش ليلتحق بثلاثه عشر مبعوثا إلى أفغانستان. وأرسل إلى المغرب مجموعة برئاسة بدري باشا لنقل الفتوى إلى هناك[1].

وقد عثرت في بعض المصادر العثمانيه على صورة لمثل هذه الفتاوى التى جمعت في عريضه واحدة[2].

ويذكر الشريف عبدالله بن الحسين، أنه لما قامت الحرب طلب أنور باشا منه عندما كان عبدالله في الآستانه أن يذهب إلى الحجاز لجمع المتطوعه .. وقد كرر الطلب مرة أخرى بعد ذلك بشهور، لإرسال المجاهدين، ولإعلان الجهاد المقدس من مكه في أقطار الإسلام بإسم الخليفة على روسيا وبريطانيا وفرنسا[3].

كما قامت سفارة الدولة العثمانية في طهران بالرد على بلاغ نائب الملك في الهند حول بدء العمليات العدائية بين الدولتين .. وقد تضمن تأكيد السفارة على أن بريطانيا وبتعمد واضح أعطت فكره خاطئة ضد الدولة العثمانية لتضليل العالم الإسلامي بينما الحقيقة أن بريطانيا هي دائما عدوة الخلافة الإسلامية .. وكما تتهم بريطانيا الباب العالي عند شراءه السفن الألمانية فإن السبب يعود

---

(١) (PRO)

_ Fo 371/2140, teleg - (No 472), to Sir E. Grey , Rome. December 4, 1914.

(٢) انظر مثل هذه الفتاوى في ملحق الوثائق.

(٣) عبدالله بن الحسين، الآثار الكامله للملك عبدالله بن الحسين. الطبعة الثانية، الدار المتحده للنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ١١٣-١٤٤.

إلى أن العثمانيين قد أجبروا على شراءها بسبب إحتجاز الإنجليز للسفن العثمانية المتعاقد عليها .. وبالنسبة لإغلاق الدردنيل فإن ذلك يرجع لإنذار بريطانيا بمعاملة السفن العثمانية معاملة سفن الأعداء، ولحماية الآستانه كما إتهم البيان بريطانيا بأنها هي التى خططت لحروب البلقان، وأنهم حاولوا عبثا التآمر والكيد ضد الدولة العثمانية في الجزيرة العربية، وورد ذكر مراكش ومصر كمثال على تصميم بريطانيا على وضع نهاية للدول الإسلاميه .. وختم البيان بالتركيز على أن سياسة بريطانيا حيال الإسلام والمسلمين مبنيه على ماورد في خطاب المستر جلادستون Gladstone في مجلس العموم في عام ١٨٩٤م/ ١٣١٢هـ " طالما أن هذا الكتاب "القرآن" موجود على الأرض فلن يكون هناك سلام".(١)

وقد أعطى هذا البلاغ صورة تفصليه لما يختلج في صدور العثمانيين تجاه بريطانيا، لم يكن ليصرح به لولا نشوب هذه الحرب .. وربما يشير إلى الأسباب العميقه لإنحياز الباب العالي لألمانيا، كما أنه يعطي صورة للحرب الدعائيه وتبادل الإتهامات وكأنه تبرير لما سيقوم به كل طرف تجاه الآخر. أما سبب إختيار طهران لنشر البلاغ فربما لقربها من الهند.

وكامتداد لتطبيق خطة إثارة الشعور الديني وإعلان الجهاد المقدس فقد بدأ القنصل العثماني في هرر بالصومال بتحريك الشعور الديني في هذه الأنحاء ضد دول الحلفاء بإيحاء من حكومته(٢)

---

(١) (PRO)
- FO 371/2487, The War, Conf - tele No 366, Sir W. Townley To Sir E. Grey, Tehran, December, 8, 1914.

(٢) (PRO)
- FO 371/ 1963. S. I. R No 243, October 1914.

وكان مظهر بك القنصل العثماني في هرر على إتصال وثيق بالبعثة الألمانية في أديس أبابا، وتقوم خطته الدعائية على أساس من الدعوة للرابطة الإسلامية بالإتصال مع بعض المسلمين الأثيوبيين(١).

وهذه السياسة تمثل جزءاً من حركة إسلاميه يخطط لها في إستانبول، ويعتبر قرار إنشاء جامعة إسلامية في المدينة المنوره إحدى الجوانب المتعددة لهذه السياسة(٢).

كما بدأ العثمانيون ينشرون دعاية مضاده للإنجليز بأنهم قد منعوا وصول إمدادات الغذاء إلى الأماكن المقدسة(٣)، وذلك إمعانا في إثارة شعور المسلمين وهذا ماسيدعو بريطانيا إلى توضيحه ومحاولة إثبات ماينفيه وفق ماسنوضحه في سياسة بريطانيا.

ونشر في صحف بلاد الشام بلاغا عن الإحتفال باخراج راية الرسول صلى الله عليه وسلم ونقلها إلى دمشق لمباركة الجيش الزاحف .. وقد كان في إستقبال موكب الراية جمال باشا وأعيان دمشق، إلى أن تم نقلها في إحتفال آخر إلى بيت المقدس تمهيدا لإخراجها في اليوم الذي سيزحف فيه الجيش على مصر(٤).

---

(١) (PRO)
- Fo 371/2349 S. I . R No 244, November 1914.

(٢) (PRO)
- Fo 371/2140 , Appriciation of Situation in Arabia, Cairo, 6th September, 1914.

(٣) (PRO)
- Fo 371/2487, To the under Secretary of State, I,O., 30th October, 1914.

(٤) جورج انطونيوس، يقظة العرب ، ص ٢٢٩ - ٢٣١.

كم أصدر والي صنعاء العثماني منشورا لأهالي اليمن أوضح فيه أن بريطانيا وفرنسا وروسيا قد إتفقت على تقسيم البلاد الإسلامية وأن اليمن ستكون من نصيب الإنجليز[1].

وهكذا فإن إعلان الجهاد وبث شعور الرابطة الإسلامية في تلبية نداء الخليفة العثماني .. هي اللبنه الأولى وحجر الزاويه في سياسة الدولة العثمانية في مطلع الحرب العالمية الأولى.

ثانيا: إستكمال الإستعدادت لغزو مصر وإغلاق القناة .. وقد سبق أن أوضحنا في المبحث الخاص بنشوب الحرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا الإستعدادات العثمانية التى بدأت قبل إشتعال فتيل الحرب بينهما فيما يختص بالهجوم على مصر، والتي هي جزء من خطة الدولة العثمانية، وفقا لما ذكره جمال باشا من أن بقاء الباب العالي على الحياد إنما كان كسبا للوقت ريثما تتم التعبئة العسكرية[2].

ويشير الجنرال علي فؤاد، أحد الأعضاء البارزين في الحملة العثمانية لغزو القناة إلى أن أساس الفكرة تم بايحاء من المعسكر الألماني، وأن المغزى العسكري لهذا المشروع هو فتح مصر، فإذا تعذر ذلك لم يكن متعذرا إعاقة الجيوش البريطانية التي تنقلها عبر قناة السويس من مستعمراتها في آسيا وأوقيانوسيا إلى الساحات الأوربيه. غير أن هذا القائد يستدرك فيذكر أن هدف الغزو لم تنشره البلاغات والبيانات الرسمية وإنما حل محله الحديث عن الفتح الذي سلب لب الأمه واستهوى فؤادها واضطرمت فيه العواطف حول فتح

---

(١) (PRO)

- Fo 371/ 2349. S. I. R No 245, December, 1914.

(٢) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

مصر وإستعادتها[1].

وفي المقابل كانت السلطات البريطانيه في مصر ترصد هذه الاستعدادات وترسل التقارير المفصله عن هذه التحركات ٠٠ وعلي سبيل المثال أفادت بعض هذه التقارير عن تجميع المواصلات العثمانية لاعداد كبيره من القوات في جده لتعبر إلى القناة بينما يوجد في السويس قارب عثماني للاتصالات البرقية مع الأستانه بالاضافه الي مجموعة من السفن الالمانيه في بورسعيد والسويس [2]بل أن الأمر وصل إلى أن تتوقع السلطات البريطانيه الهجوم على مصر قبل قيام الحرب بينهما ،وبالتحديد في نهاية شهر سبتمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ فقد كتب القنصل البريطاني في القدس بأن الهجوم أصبح وشيكا على مصر وربما يقع في غضون اسبوع ،وقدرت اعداد المهاجمين بحوالي ٢٠٠الف رجل[3] . والجانب السلبي في هذه الخطة قبل الدخول في أحداثها وتفاصيلها يتضح في أن السلطات البريطانية قد حصرت هذه التحركات منذ البداية،وتمت المناقشات حيالها بتوسع في الدوائر السياسية والعسكرية البريطانية .

كما بدأت السلطات العثمانية في اليمن ببعض التحركات إزاء حالة الحرب حيث بدأت بعض الإجراءات العسكرية في الحديده، ونقلت مخازن الأسلحة من مروه

---

(١) علي فؤاد، كيف غزونا مصر، ص ٤٥ – ٤٨.

(٢) (PRO)
- FO 371/ 1970, The War Conf - tele (No 90) from Mr. Cheetham to Sir E Grey, Cairo, August, 15, 1914.

(٣) (PRO)
- FO 371/ 1971, The war conf - tele No 832, Sir L. Mallet to Sir E. Grey, Const, September 23, 1914.

إلى باجل .. وعززت القوات العثمانية على طول خط السواحل اليمنية[1].

وقد ذكر العبدلي (المؤرخ اللحجي) بأن العثمانيين أخذوا يقومون بحركة غير عادية في ولاية اليمن، حيث توافد الضباط من الآستانه إلى الحديده، كما قام بعض ضباط أركان الحرب مع بعض مشائخ اليمن بالطواف على الحدود، وأشار والي اليمن على الإمام بتقوية الشيخ سعيد .. كما يذكر العبدلي من جهة أخرى أن أنور باشا قد أرسل تعليمات مشدده بإقلاق راحة الإنجليز في عدن، وكأنهم بذلك أرادوا أن يشغلوا في عدن جانبا من المدد الذي سيرسل من الهند لصد حملة أحمد جمال باشا على مصر[2].

ويؤيد هذا ماورد في التقارير البريطانية عن إرسال السلطات العثمانية لعدة آلاف من عرب إقليم تعز إلى حدود محميه عدن، مع منح رتب جديده لبعض مشائخ المنطقة[3].

وهكذا فإن هذه الخطة تعتبر من أهم الخطط فيما لوقدر لها النجاح إذ ستعوق بريطانيا في أهم نقاط تمركزها أي في مصر والقناه والمدخل الجنوبي في البحر الأحمر وعدن، وتكمن الخطورة فيما تصوره الضابط الإنجليزى الذى توقع أن تضرب الدولة العثمانية بريطانيا في موقعين هامين القناة وخط الأنابيب في الخليج على حد ماذكرناه في بداية خطة الدولة العثمانية.

---

(١) (PRO)
- FO 371/1965, S. I. R (No 243), October, 1914.

(٢) أحمد فضل بن على محسن العبدلى، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن الطبعة الثانية دار العوده، بيروت، ١٤٠٠هـ، ٢٠٧ – ٢١١.

(٣) (PRO)
- FO 371/2349, S. I.R . NO 244, NOvember, 1914.

ثالثا: تنفيذ بعض الإجراءات العسكرية في البحر الأحمر يمكن تصنيفها كخطة مستقلة، فقد أبلغ المستر تشيتهام السير إدوارد غراي وزير خارجية بريطانيا بأن أحد ممثلي الشركات العثمانية قام مؤخرا بجمع المعلومات في السويس فيما يختص ببعض الموانئ الواقعة تحت النفوذ العثماني في البحر الأحمر، لإنشاء محطات تزويد الفحم للأسطول العثماني، وهذه الموانئ هى المخا وكمران وفرسان والقنفذه وجده وينبع والوجه والعقبه[1].

وكان جمال باشا وزير البحرية العثمانية قد شرع قبل قيام الحرب بشهور بعد تعيينه في هذا المنصب في تنظيم البحرية من جديد، ووضع موانئ البحر الأحمر تحت إشراف قومندان البحر الأحمر كجزء من برنامج متكامل شمل الموانئ العثمانية عامة لمراقبة الموانى[2].

كما تم التعهد بإنشاء خط حديدي بين الحديده والمخا وصنعاء، تحت إشراف العثمانيين وبموافقة من الإمام في اليمن .. وبدأ العثمانيون في حصار موانى جيزان وحابل للضغط على الإدريسي لزيادة قبضة الدولة في هذه الأنحاء[3].

بينما تؤكد تقارير السلطات البريطانية في مصر التعبئه العثمانية العامه بما في ذلك الحجاز وبقية مناطق الدولة، وهذا هو تفسير النشاط العسكرى للعثمانيين

---

(١) (PRO)
- FO 371/1968, Conf- tele No 138 to Sir E. Grey, British Agency Ramleh, August 3, 1914.

(٢) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٩- ١٤٠.

(٣) (PRO)
- FO 371/1965, S. I. R, No 241, August, 1914.

في البحر الأحمر كجزء من التعبئه العامه[1].

ويلاحظ أن هذه الخطه قد سبق إعدادها منذ شهور، إذ أن التقارير عنها كانت ترسل في الشهرين السابقين لإعلان الحرب بينهما، وهذا يعنى أن السلطات العثمانية أخذت فتره كافيه نسبيا في التعبئة والتموين والإستعداد.

رابعا: الإتصال بالعرب:

وقد عرفت الدولة العثمانية أهمية هذا العامل، لأن العرب يشكلون أغلبية سكان منطقة البحر الأحمر، بالإضافة إلى المناطق الأخرى الممتدة شمال وشرق الجزيرة العربية، ولذا قبل أن تبدأ الحرب الفعلية بأيام أرسل العثمانيون إلى القيادات العربية ومشائخ القبائل، كابن سعود وإبن رشيد، وإلى القبائل الممتده من المدينه إلى اليمن بالأموال والرسل لإقناعهم بالوقوف في صف الدولة العليه[2].

وبعد إندلاع الحرب الأوربيه، أفادت التقاير البريطانيه إلى أن العثمانيين يبذلون أقصى مساعيهم للوصول إلى إتفاقات مع الأمراء العرب، لكي تؤمن على الأقل حيادهم الإيجابي، إن لم تحصل منهم على مساعده فعاله في هذا الشأن .. وتشير هذه التقارير إلى أن العثمانيين قد وفقوا مع الشريف حسين على

(١) (PRO)
- FO 371/ 1970. Decypher, No 114, Mr Cheetham, Cairo, August, 28th, 1914.

(٢) (PRO)
- FO 371/2140, Conf - tele No 936, Op cit.

مـايـيـدو[1]. وسنعـرف فـيـمـا بعـد إلى أي مـدى كـان وقـوف الشـريف حـسين وإستجابته لهذه الخطة.

وكان الوضـع في الحجاز قبل قيام الحرب يتأرجح بين الإضطراب أحيانا والهدوء أحيانا أخرى، فقد كتب بعض موظفي السفاره البريطانيه في جده عن الأحداث التى وقعت في شهر مارس ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ ، وخوف الوالي العثماني وهيب بك من إنتشارها في الحجاز حيث قابل الشريف حسين وفاتحه لبذل مساعيه لإخماد الإضطراب، مماجعل الشريف يستغل الموقف ويشترط على الوالي أن يوقع معه عريضه لإرسالها للباب العالي حول المشاكل في الحجاز .. ولما وصلت هذه العريضة، رد الباب العالي بتحقيق مطالب الشريف ومن أهمها تأخير مشروع مد السكه الحديد من المدينه إلى مكه. وقد ذكر الممثل البريطاني في جده أن هذه الحركات كانت من قبل الشـريف نفسه لتخويف الحكومة العثمانية ولإضعاف الوالي وهيب بك الذي يحاول الحط من سلطة الشريف[2].

وهذا يؤكد حرص الباب العالي على هدؤ الأوضاع في الحجاز، مما يمهد رضا الشريف ورعايا الدولة في الحجاز وبالتالي إمكانية تنسيق السلطة بين الشريف والوالي. وكان عبدالله بن شريف مكه الحسين، قد تردد على إستانبول عدة مرات فيما يختص بالتنسيق حول إمكانية إيصال الخط الحديدي من المدينة إلى مكه، وحول قضايا الحرب بعد إندلاعها في أوربا[3] .

وقد ذكر الزركلي أن العثمانيين أرسلوا وفدين إلى إبن سعود أحدهما برئاسة

(١) - Same Series and Vol., Appriciation of Situation in Arabia, Op cit. (PRO)

(٢) - FO 371/ 2130, Cypher, Sir L. Mallet, Const, March 23 rd, 1914.

(٣) إنظر، عبدالله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ٩١ – ١٠٦.

طالب النقيب، والثاني من أعضائه محمود شكري الألوسي، يحملون هدية من الدولة فوعدهم بألا يمنع تجار نجد من المساعده على تموين الجيش العثماني بالأرزاق[1].

وفي عسير ألح المتصرف العثماني محي الدين بك على شريف مكه بتسليح رجاله لحماية مكه ضد النصارى وإرسال الخياله وراكبى الجمال لتعزيز الجيش كما طلب من القبائل التابعة للإدريسي بالإلتحاق بالجيش العثماني[2].

ويلاحظ إستخدام عامل تحريك الشعور الديني في محاولة إكتساب العرب، حتى تكون الإستجابه أكثر فاعلية.

وفيما يختص بمصر فقد إتصل العثمانيون بفريد بك رئيس الحزب الوطني المصري عندما كان هذا في الآستانه، وتناقشوا في خطة الغزوه المزمعة للأراضي المصرية، ورافق هذا صلح فريد بك مع الخديو عباس في الأستانه بسبب عزم الأخير الإشتراك في الحملة مماجعل فريدا يغير وجهة نظره السابقة نحو الخديو ويتفق معه، كما تساءل أنور باشا عن إمكانية الإتصال بعزيز بك المصري للإشتراك فى الحمله رغم ظروف الحكم عليه والعفو عنه من قبل السلطات العثمانية[3].

ونختم الحديث عن خطة الدولة العثمانية بما ذكره الجنرال على فؤاد فيما يختص باصدار القرار السياسي أو القوه الفاعله في الدولة بقوله " كانت

---

(١) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧، ص ٦٠.

(٢) (PRO)

- FO 371/2349, S. I. R. No 245, December, 1914.

(٣) محمد فريد، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥ - ١٦٦.

المملكة العثمانية في قبضة الإتحاديين، وكان الإتحاديون في قبضة المركز العام وكان المركز العام في قبضة الحكام الثلاثه، وكان الثلاثه في قبضة أنور يسوقهم سوقا عنيفا، أما مقام السلطنه والقوى التشريعية وحزب الإتحاد والترقي والحكومة الرسمية والمطبوعات والرأي العام، فلم تكن إلا أشباحا ماثلة وخيالات مصوره[1].

سياسة بريطانيا في المنطقة بعد إعلان الحرب بين الدولتين

يأخذ صراع بريطانيا وحلفائها مع الدولة العثمانية شكلا خاصا يغاير الصراعات الأخرى داخل دول الحلفاء والمحور .. إذ تعتبر المواجهة هنا بين قوة إسلامية لها تواجدها الكبير في أجزاء مهمه من العالم وبين دولة لها سيادتها العالميه في البحار والقارات ولذا كان محور الإرتكاز في سياسة بريطانيا في المنطقة بعد إعلان الحرب بين الدولتين هو:-

أولا : محاولة كسب الشعور الإسلامي لصالحها أو على الأقل عدم إثارة المسلمين وعلى هذا الأساس كلفت الحكومة البريطانية في لندن حكومة الهند في حالة قيام الحركات العدائيه بين الحلفاء والدولة العثمانية لنشر بلاغ عام بأن القوات البريطانية لن تهاجم الأماكن المقدسة في الجزيره العربية[2].

وقد أبدى نائب الملك في الهند إرتياحه لهذه الفكرة التى من شأنها أن تخلق

---

(١) على فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ٣١.

(٢) (PRO)
- FO 371/ 2139, Conf - tele no 530, Sir E. Grey to Sir F. Bertic, September, 1 , 1914.

نتائج طيبه .. بشرط أن لايكون هناك تدخل خطير ضد الحجاج القادمين من الهند، من قبل جهات أخرى[١].

كما تبنى وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجيه بأن تقوم كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا باصدار بلاغ للعالم الإسلامي بالإضافة إلى بلاغ نائب الملك في الهند باحترام الأماكن المقدسة للمسلمين[٢].

والأمر الآخر الذي يحافظ على كسب الشعور الإسلامي في نظر بريطانيا هو محاولة عدم إعاقة وصول المواد الغذائية إلى الأماكن المقدسة مع التأكد من عدم وصوله إلى يد العثمانيين[٣].

وبلغ الإهتمام البريطاني لكسب شعور رعاياها المسلمين وخصوصا في الهند أن دارت مراسلات بين الخارجيه البريطانيه ونائب الملك في الهند والسفاره البريطانيه في إستانبول، بشأن مخاطبة بعض أمراء المسلمين في الهند كنظام حيدر أباد وغيره، لإطلاعه بحقيقة الأمر لئلا يتأثر بالدعاية العثمانية الألمانية التى صورت بريطانيا على أنها عدوة للمسلمين[٤]. إلا أن نائب الملك إقترح التريث في هذا الأمر لئلا يتضح قلق بريطانيا المتزايد من هذه الدعايه أمام رعاياها في

---

(١) - Same Series and Vol., From Viceroy 4th September, 1914.

(٢) - (IOR) L/P & S/ 10 /558, Decypher tele - from Sir F. Bertie, Bordeaux, November, 7th, 1914.

(٣) (PRO) Fo 371/ 2487, To the Under Secretary of state, I.O, 30 December, 1914.

(٤) (PRO)
- FO 371/2142, Secretary of State to Viceroy, 12th September, 1914.

الهند[١] .

ومبالغة في تأمين سلامة الأماكن المقدسة في حالة نشوب الحرب بين الدولتين فقد أصدرت البحرية البريطانية قرارا بعدم البت في أى عمليات حربية ضد موانئ البحر الأحمر[٢]، وذلك بناء على مقترحات تقدم بها نائب الملك للحكومة البريطانية في لندن بشأن عدم التعرض لموانئ البحر الأحمر حتى لاتتأثر حركة الحجاج ، ولعدم تعريض موانئ الإمام يحيى التى يعتمد عليها في التجاره .. وقد وافقت السلطات في لندن على ماقترحه بهذا الخصوص[٣].

وسنرى إلى أي مدى يتم تطبيق هذه السياسة حيال موانئ البحر الأحمر من قبل السلطات البريطانية.

ويبدو أن الدافع البريطاني وراء كسب الشعور الإسلامي أو عدم إثارته ضدها إنما جاء لصد الخطة العثمانية حول إعلان الجهاد المقدس وتصوير بريطانيا على أنها العدو الرئيسي للمسلمين .. بعد أن أوقعت هذه الحرب بريطانيا وحلفاءها أمام خطر إعلان الجهاد المقدس ضدها[٤] .

وقد عرفت بريطانيا مكمن الخطر في إعلان الجهاد الإسلامي ضدها وخصوصا لو نالت هذه الفكره موافقة الشريف، وأصبحت مكه مركز الدعاية لإثارة الشعور الديني في البلاد العربية والشعوب الإسلامية غير العربية .. وقد

---

(١) - Same Series and Vol., From Viceroy, 15th September, 1914.

(٢) - (PRO) FO 371/ 2140, Secret, to the Under Secretary of State F. O. Admiralty, 26th October, 1914.

(٣) - Same Sreies and Vol., From Secretary of State to Viceroy, F. Dept, 24th October, 1914.

(٤) - (IRO) L/ P & S/ 20/ E85, Op cit P 27.

أظهرت الأحداث أن إستخدام الدافع الديني في الدعوه إلى الحرب يحتفظ بقوته القديمة على إثارة النفوس، وحتى لو نجحت الفكرة جزئيا فإن بريطانيا لابد أن تحسب حساب نحو سبعين مليونا من المسلمين في الهند وسته عشر مليونا في مصر والسودان، ويعتبر أثر الدعوه إلى الجهاد في هاتين المنطقتين (مصر والسودان) أبلغ أثرا وأشد وقعا منه في البلاد الأخرى النائيه كالهند أو مراكش، لأن مصر تعتبر المركز الجغرافي لدائرة تتألف من بلاد عربية يؤثر إغلاق قناة السويس فيها على المركز الحيوي لبريطانيا في هذه الأنحاء[1].

وقد ذكر العبدلي مايفيد نجاح بريطانيا في إقناع بعض أمراء العرب كسلطان لحج بموقف بريطانيا حيال الأماكن المقدسة وسروره بهذا الوعد الذي أكد إخلاصه لبريطانيا[2].

ثانيا: الإتصال بالعرب الذين يمثلون غالبية سكان منطقة البحر الأحمر والجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق وهي المناطق الحيويه لبريطانيا .. وكانت بريطانيا قد أجرت إتصالات مع بعض المصادر العربية إلا أنها حرصت على عدم البت فيها بصورة قاطعه إلى حين إبتداء الحرب، فقد أرسلت التقارير السرية للمخابرات البريطانية في مصر، معلومات عن إتصالاتها ببعض القيادات العربية التى فاتحت الحكومة البريطانية في موضوع وضع البلاد العربية .. حيث أرسل المستر تشيتهام Cheetham برقية إلى لندن في ٢٤ أغسطس ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ بشأن نشاطات عزيز علي المصري وإتصالاته في القاهرة وأن السلطات بأوامر من لندن حذرته من مغبة هذه النشاطات في الوقت الراهن

(١) جورج إنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

إلى أن تسمح له السلطات البريطانية[1] .. وأرسل هذا المسئول نص المحادثات التى أجراها الكابتن البريطاني رسل R . E. M Russell مع عزيز المصرى حول هذا الموضوع والتى تضمنت التعريف بمهمة عزيز المصرى .. حيث أشار التقرير إلى أن عزيز المصري مفوض من قبل اللجنة المركزيه في بغداد لمعرفة موقف الحكومة البريطانية حيال إتجاه اللجنة لإنشاء دولة عربية متحده مستقلة عن الدولة العثمانية، ويشير الكابتن إلى أن هذه الحركة ليس لها علاقة بالجامعة الإسلامية أو الخلافة العربية، وأن العرب على إستعداد للثوره على حد زعم عزيز المصري الذي طلب المال والسلاح والتشجيع السياسي من بريطانيا، وفي نهاية الحوار ركز الكابتن "رسل" إلى أن الحركة سوف تفقد قوتها إذا لم تعتمد على المساعدة البريطانية وبالتالي يجب ألا تتخذ أي خطوه بهذا الشأن إلا بمشورة بريطانيا[2].

ولهذا إستخدمت السياسة البريطانية هذا العامل للضغط على الدولة العثمانية لتقف على الحياد .. وإلا ستمد يد المساعده للعرب ضد الدولة العثمانية[3].

ومن خلال تتبع مسألة العرب في غضون تلك الفتره وقضية التركيز البريطاني على هذه المسأله لمحاولة إستغلالها .. فقد أرسل وزير الدولة البريطاني إلى نائب الملك في الهند في ٣١ أكتوبر ١٩١٤م : ١٣٣٢هـ يخبره أن قادة الرابطة

---

(١) (PRO)
- Fo 371/2140 M.A. cheetham to Sir E.Grey, British Agency, Cairo, August 24th, 1914.

(٢) - Same Series and Vol., Precis of Conversation with Abd El Aziz El Masri on 16th August, 1914, Intell - ignce Dept., cairo.

(٣) -(PRO) Fo 371/2138, tele No 462, Sir E. Grey to Sir L. Mallet F. o. August 29, 1914.

العربية " Pan – Arab " في القاهرة قد أرسلوا مبعوثهم إلى الحجاز وإلى جنوب وشرق فلسطين وبيروت ودمشق وحمص وحلب وحوران والعراق وإلى المناطق التى تقع تحت حكم إبن سعود .. كما سترسل وفوداً إلى الإدريسي والإمام يحيى .. ولذا أمر الوزير البريطاني أن تقوم السلطات البريطانية في كل من بومباي ودمشق والكويت بتقديم المساعده لهؤلاء المبعوثين بقدر مايمكن .. وقد أفاد الوزير بأسماء بعض هؤلاء ومنهم عبدالعزيز العتيقى ومحب الدين الخطيب وسيقوم هؤلاء بزيارة المقيم البريطاني في الكويت للتباحث معه وفق التعليمات التي ستصدر إليه[1].

واقترح المستر تشيتهام على وزير خارجية بلاده في ٢٦ أكتوبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ أن تسلك بريطانيا مع تلك القيادات العربية في مصر نفس الطريقة التي إتبعتها إيطاليا مع الإدريسي أثناء حربه مع الدولة العثمانية، أي سياسة الإمداد بالمال والسلاح[2].

ولما أعلنت الحرب بين الدولتين في شهر نوفمبر صدرت التعليمات للسلطات البريطانية في مصر في ١٤ نوفمبر ١٩١٤/١٣٣٢هـ بتشجيع الحركة العربية بأي طريقه ممكنة وبتقديم الضمانات البريطانية باسم الحكومة البريطانية لهذه الحركه، كما سمح لعزيز علي المصري بإعادة مزاولة نشاطه مع إعطائه مبلغ من المال ودعمه في أي حركة يقوم بتنظيمها بين العرب بشرط أن يقدم التقارير

---

(١) - (PRO) FO 371/2140, From Secretary of State to Vice - roy F. Dept 31st October. 1914.

(٢) - Same Series and Vol. The War, Conf - teleg (No 223) Mr. cheetham To Sir E Grey, Cairo October 26, 1914.

للوكيل البريطاني[١] .

وهكذا فإن تشجيع إنفصال العرب ودعم الحركة العربية تعتبر نقطة إرتكاز في سياستها في المنطقة التى حرصت على عدم البت فيها بصورة قاطعة إلى حين ابتداء الحرب.

وبالفعل فقد تمت مقابلة عزيز المصري مره أخرى .. الذى صرح بعدم مقدرته على تكوين خطة متكامله حتى يتصل بزملائه في العراق .. ولذا يقترح أن يقوم القنصل البريطاني في المحمره بالبحث عن نوري السعيد ومزاحم الأمين في مدن العراق وإبلاغهم أن زملاءهم في مصر يرغبون في الإتصال بهم برقيا عن طريق المحمره[٢].

ولما تم البحث عن زملائه في العراق واتصل بهم بعض المسئولين الإنجليز منهم كوكس Cox .. رأت الحكومة البريطانيه لأسباب متعددة تأجيل تشجيع هذه الحركة في الوقت الراهن أن يحين الوقت المناسب[٣].

وتشير بعض المراجع البريطانيه إلى أن السبب في تأجيل تشجيع حركة عزيز المصرى يعود إلى عدم تحمس السلطات البريطانية في الهند التى رأت خطورة تبني مثل هذه الحركة في الوقت الراهن[٤] .

---

(١) - Same Series and Vol. The War, Conf - tele (No 347) Sir E Grey,To Mr. Cheetham, F. O. November, 14, 1914.

(٢) -Same Series and Vol. Decypher., Mr. Cheetham, Cairo November, 16th, 1914.

(٣) - Same Series and Vol., Cypher tele No 432 to Mr. Cheetham Cairo F. O. December 18th 1914.

(٤) - Busch, Briton, Cooper., Britain, India, and The Arabs, 1914 -

وقد لفت عزيز علي المصرى أنظار المسئولين الإنجليز منذ الشهور المبكره التي سبقت الحرب .. كما أبدى السفير البريطاني في إستانبول إهتماماً كبيرا بشأنه بعد إعتقاله من قبل السلطات العثمانية في إستانبول فى ١٩ مارس ١٩١٤م : ١٣٣٢ هـ وأرسل إلى حكومته بمعلومات وافيه عن هذا الشخص منها أنه قد سبق أن إلتحق بالجيش العثماني، وخدم في العراق، ورافق عزت باشا في محادثات الصلح مع الإمام يحيى، واشترك في الحرب الطرابلسيه، وعاد إلى الأستانه قبل الحرب العالمية بشهور .. ويذكر السفير أنه في أعقاب إعتقاله وصلته نداءات من مصادر مختلفة بالسعي لإطلاق سراحه، وأنه اتصل بالصدر الأعظم الذي أخبره أن اعتقاله كام بسبب تصرفات عزيز علي المشبوهة ضد الحكومة العثمانية(١).

وقد أوضحت هذه الوثيقة بعض المعلومات عن عزيز المصري وعن مدى إهتمام الحكومة البريطانية ممثلة في سفيرها في استانبول بشخصية هذا الرجل التي تعدها للمستقبل .. والتى يبدو أن تصرفاته المشبوهة ضد الدولة العثمانية قد زادت أهميته بالنسبة للسياسة البريطانية.

وقد سبق أن اقترح نائب الملك في الهند خطة مبدئيه فيما يتعلق بالإتصال بامراء ومشائخ العرب وبعض الإجراءات التي تؤكد سيطرة الإنجليز في المنطقة، ومن ذلك فكرة الإستيلاء على البصره ومد يد المساعده لكل من شيخ

1921, University of California press, Berkely, Los Angeles, London, 1971, PP 60 - 61.

(١) (PRO)
-FO 371/2131, Conf - tele No 117 Sir L. Mallet to Sir E. Grey, Const, February 24, 1914.

الكويت والمحمره، والإعتراف بابن سعود حاكم نجد والأحساء كحاكم مستقل مع ضمان حمايته من الهجوم من جهة البحر، ومساندة شيخ قطر .. كما يقترح بناء على ماأشار إليه المقيم البريطاني في عدن الإتصال بالإمام يحيى والإدريسي ومحاولة التأثير على شريف مكه(١).

وكان اقتراح حكومة الهند بناء على مشورة المقيم البريطاني في عدن بمفاتحة شريف مكه وإعطائه بعض الضمانات، قد كشف النقاب عن المحادثات البريطانية مع الشريف وولده عبر السلطات الإنجليزية في القاهرة، والذى لم تعلم به حكومة الهند .. ولكن بعد الإقتراح بأسابيع قليله وصلت إلى الهند صور مراسلات القاهره في الأشهر السابقة مع التنبيه والإعتذار إلى أنه لم يكن من المستطاع في ظل الظروف الراهنة أنذاك مراسلة الشريف عبر عدن وبالتالي عدم إطلاعهم بمثل تلك المحادثات(٢).

وما اقترحه نائب الملك في الهند بامراء ومشايخ العرب والذي بدأت بريطانيا تنفيذه، يمثل جزءا من السياسه البريطانيه لمحاولة فصل العرب عن العثمانيين أو كسب العرب إلى جانبهم .. فلم يخف على السلطات البريطانيه وضع الدولة العثمانيه في ولاياتها العربية وماعتراه من ضعف في السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى على حد ماذكرته الوثائق البريطانية(٣).

وكان المستر تشيتهام في القاهرة يملك قناعة تامه أن وكالة رويتر بوسائلها

---

(١) (PRO)
-FO 371/2139, From V.R., 4th September, 1914.

(٢) - Busch, B.c., Op cit PP - 62 - 63.

(٣) - FO 371/2140, Appreciation of Situation in Arabia W. O, Cairo 6th September, 1914.

الإعلامية المختلفة هي أقدر جهة على تعريف العرب بموقف بريطانيا في هذا الشأن[1].

ثالثا : حماية قناة السويس ومصر والمناطق الهامة: وتعتبر قناة السويس مجالا حيويا هاما لبريطانيا لحماية طريق مواصلاتها إلى الهند ولتثبيت مركزها في مصر .. وقد زادت مخاوفها في أعقاب الحشود العثمانية الاخيرة.

ولذا رأى القائد العام للقوات البريطانية في مصر أن وصول قوات بريطانية من مالطه أو الهند كفيل بإقناع العثمانيين والمصريين أن هذه البلاد محصنة تحصينا قويا وبالتالي تمنع المحاولات الجاريه ضد هذه المنطقة[2] مما يعني أن الإنجليز يتوقعون مصدر الإزعاج لهم من الداخل أي الشعب المصري ومن الخارج من خلال حشود العثمانيين.

كما قامت السلطات الإنجليزيه بترتيبات واسعه في مصر تكفل لها ولحلفائها الاستفاده من القطر المصري في هذه الحرب مع منع الدول المحاربة من محاولة التدخل في ذلك[3].

---

(١) (IOR)

- L/P & S / 10/558, Decypher tele, From Mr. Cheetham Cairo, November 15th, 1914.

ويتضح هنا قدم هذه الوكاله في تقديم خدماتها للدول الإستعمارية والتي تزاول نشاطها الإعلامي إلى عصرنا الحاضر.

(٢) (PRO)

- FO 371/1968, The War, Conf - tele No (76), Mr. Cheetham to Sir E. Grey, Cairo, August 9, 1914.

(٣) التفصيل في الفصل الثالث.

وقد أبلغ المستر تشيتهام حكومته أن السردارفي السودان بدأ ببعض الإستعدادات الدفاعية في بورسودان وسواكن .. ضد أي هجوم محتمل من قبل أعداء بريطانيا[1].

كما قررت الحكومة البريطانية السيطرة على الفنارات العثمانية في البحر الأحمر وكلفت المستر تشيتهام في القاهرة ليتولى الاتصال بالأسطول والجيش لتنفيذ ذلك[2] . وهذه تعتبر من أوائل العمليات البحرية ضد العثمانيين في البحر الأحمر.

وأخذت السلطات في مصر تضع الخطط لحماية قناة السويس ضد أي هجوم بري أو بحري، واتخذت الاحتياطات لمنع أي محاولة لتخريب أجزاء من القناة أو من السكة الحديدية، كما عين اللفتنانت جنرال السيرجون ماكسويل Maxwell قائدا للقوات في مصر، كما أصبح الموقف يدعو إلى ضرورة سحب القوات البريطانية والنقط الخارجية في سيناء إلى مواقع الدفاعات الأصليه عن مصر[3]، وقد ذكرت الوثائق البريطانية مايشبه ذلك حيث أخلت السلطات البريطانية رعاياها الموجودين في شبه جزيرة سيناء، بعد أن ردمت آبار المياه

---

(١) (PRO)
- FO 471/1922, Decypher - tele , From Mr. Cheetham, Cairo, October 24th, 1914.

(٢) (PRO)
- FO 371/2139, The War, Conf - tele No 357 Sir E. Grey To Mr. Cheetham F. O., November, 18 ,1914.

(٣) أ. كيرزي (الليفتنانت كولونيل) العمليات الحربية في مصر وفلسطين، من أغسطس ١٩١٤ إلى يونيه ١٩١٧ ترجمة محمد على فهمي وأحمد الأورفلي، الطبعة الأولى العربية، ١٩٤٩، ص ١٧ – ٢١.

الموجوده هناك[1].

رابعا: تحديد نوعية العمليات الحربية ضد العثمانيين في البحر الأحمر حيث دارت مناقشات في القاهرة حول تحديد نوعية هذه العمليات، وقد اتفقت آراء رجال البحرية البريطانية مع وزير الدولة للشئون الخارجية حول تحديد العمليات في البحر الأحمر ومناقشتها في القاهرة[2]. ويبدو أن الدافع وراء ذلك هو معرفة وقرب سلطات القاهرة من احداث البحر الأحمر.

وتم الإتفاق مبدئيا على أن ينحصر نطاق العمليات في ذلك الوقت على حراسة البحر الأحمر، ومنع إمداد الحاميات العثمانية فيه، مع محاولة عدم إزعاج العرب المحليين الذين ليسوا على عداء مع الإنجليز، مع الأخذ في الإعتبار أن يتم التشاور بين السلطات البريطانية في القاهره والسلطات في عدن فيما يختص بالبحر الأحمر[3].

وهذا التنسيق بين السلطتين البريطانيتين في البحر الأحمر يقوي فاعلية الإجراءات البريطانية في المنطقة .. ويقضي على أسباب الخلاف بين السلطتين، إذ تستمد السلطة في القاهرة تعليماتها من لندن، بينما يستمد المقيم البريطاني في عدن تعليماته من حكومة الهند.

ولما كانت جزر فرسان في البحر الأحمر ذات موقع حيوي ولإمكانية وجود

---

(١) (PRO)
- FO 371/1965, S . I . R (No 243) October 1914.

(٢) (PRO)
- FO 371/2139, Admiralty, 30th November, 1914.

(٣) - Same Series and Vol, Cypher tele (No 394) to Mr. cheetham, Cairo, December 3th, 1914.

الزيت فيها وصلاحيتها كمحطة لتزويد الفحم .. فقد رأت السلطات البريطانية وجوب السيطرة على ثلاث منها ورفع العلم البريطاني عليها، دونما حاجة لمناقشة الإدريسي في الوقت الراهن فيما يختص بهذه الفكرة[(١)].

وقد رأى نائب الملك في الهند أن رفع العلم البريطاني في هذه الجزر يتوقف على موقف وتعاون الإدريسي[(٢)] .

وبعد التباحث في القاهرة في شهر ديسمبر ١٩١٤/١٣٣٣هـ بين كل من المستر تشيتهام وأحد ضباط الأسطول الإنجليزي في مصر، والقائد العام للقوات البريطانية في مصر. تقرر تكليف دوريتين بريطانيتين في البحر الأحمر، الأولى من جده إلى السويس بما فيها العقبة، والثانيه من جده إلى عدن، والهدف من إنشاء هذه الدوريات مايلي:ـ

ـ إيقاف الإمدادات للحاميات العثمانية والموانئ العثمانية كالحديدة والمخا واللحية.

ـ منع وضع الألغام في البحر الأحمر.

ـ إيقاف إرسال قوات أو مبعوثين لمصر أو للموانئ السودانية.

ـ تأمين الاتصال البريطاني بأمراء ومشائخ العرب في الجزيرة العربية وسيرافق كل دورية ضابط إنجليزي، له إلمام باللغة العربية وسيعمل كمستشار سياسي .. والخطوه الهامة في هذا الأمر أنه تم السماح عند الضرورة، بتوجيه بعض العمليات ضد القوات العثمانية في البحر الأحمر واعتبار كل من جدة وينبع

---

(١) - Same Series and Vol,Secret, LO, London, 11th, November 1914.

(٢) -Same Series and Vol, Copy of tele from Viceroy.

كمدن خارجه عن نطاق الأماكن المقدسة الإسلامية[1] .

وهذه أول مرة يشار فيها إلى جدة على أنها خارجة عن نطاق الأماكن المقدسة بل قد سبق النص على عدم التعرض لهذه المدينة لقربها من الأماكن المقدسة .. وربما يكون السبب أن البريطانيين أحسوا باستغلال العثمانيين لسياسة عدم التعرض لهذه المناطق وبالتالي شعورهم بالأمان من هذه الجهة .. أما فكرة إنشاء هذه الدوريات فيعتبر خطوة هامة تيسر حصول الإنجليز على المعلومات الميداينة الدقيقه.

وفي نهاية شهر ديسمبر ١٩١٤م / ١٣٣٣هـ ، أبلغ نائب المندوب السامي البريطاني في القاهرة Acting High commissioner for Egypt حكومته أن مجموعة من المصريين قد وضعوا لإدارة الفنارات العثمانية في الطرف الجنوبي للبحر الأحمر، وقد كانت قبل الحرب تدار بواسطة شركة فرنسية تعمل لصالح الحكومه العثمانية، ولما كانت المسافة بعيدة بين مصر ومكان هذه الفنارات فقد طلب هذا المسئول أن تدار مسئولية إدارتها وتشغيلها من قبل السلطات البريطانية في عدن لقربها من الموقع .. على الرغم من إستطاعة الحكومة المصرية مواصلة إمداد هذه الفنارات بالعمال والمشغلين، وقد ردت الجهات المعينه بالموافقة على الإشراف مع اعتذارها عن تأمين عمال مدربين في الوقت الراهن، على أن يتم تدريب مجموعة جديدة تحل محل الأولى بالتدريج[2].

وهذا يعني أنه قد تم تنفيذ عملية الإستيلاء على الفنارات العثمانية كما أن تعاون

---

(١) - (IOR) L/P & S/10/558, Conf - teleg, No 313, Mr. Cheetham to Sir E. Grey, December 11, 1914.

(٢) - (PRO) FO 371/2478, From Secretary of State to Viceroy F - dept 24th December 1914, and From Vicroy 24 January 1915.

الحكومة المصرية كان قائما مع السلطات البريطانية فيما يختص بالإمداد بالعمل .. بالإضافة إلى وضوح عنصر التنسيق بين السلطتين في القاهرة وعدن إلى ذلك الوقت.

خامسا: رصد تحركات ألمانيا حليفة الدولة العثمانية ومحاولة منع التعاون الوثيق بينهما .. وقد لاحظنا كثرة الإشارة إلى ألمانيا وإجراءاتها في الوثائق البريطانية على ضوء ماعرضناه فى الصفحات الماضيه .. وقد هدفت السياسة البريطانية وراء مراقبة النشاطات الألمانيه ضد الأطماع الألمانيه في المنطقة ثم منع التعاون بين الحليفتين.

وهكذا فإن خطة بريطانيا تتلخص في المحافظة على شعور رعاياها المسلمين والحرص على عدم إثارتهم ضدها حتى لايتفاعلوا مع قضية الحرب المقدسة ومحاولة الإتصال بالعرب لكسب جانبهم أو عزلهم على الأقل من حضيره الدولة العثمانيه، والحرص على حماية قناة السويس وتثبيت وضعها في مصر، والقيام ببعض العمليات في البحر الأحمر، ومحاولة إيجاد عوائق تمنع التنسيق بين الدولة العثمانيه وحليفتها ألمانيا.

خطط الدولتين في هذه الفترة

رغم أن الحكم على خطة أي من الطرفين سابق لأوانه، حتى يتم تنفيذ هذه الخطط لمعرفة نتائجها إلا أنه من الممكن أن نعرف بعض السمات المشتركة في الخطتين وأوجه الاختلاف بينهما وفق مايلي:-

١- المحاولات المبكره من قبل الطرفين للإتصال بالعرب وكسب جانبهم، والمعروف أن هناك علاقة تاريخية تربط الدولة العثمانية برعاياها العرب حين أنضوى الأخيرون

تحت الحكم العثماني. ولكن تيار القومية العربية الذي تبنته بعض العناصر النصرانيه والذي يرجع أول جهد منظم إلى سنه ١٨٧٥م/١٢٩٢هـ بإنشاء جمعية سرية لمناوئه الحكم العثماني[1]، حتى تطور الأمر بإنشاء جمعيات عربية إشترك فيها المسلمون والنصارى وتختلف أهدافها من مبدأ الإنفصال عن الدولة العثمانية إلى التعاون معها[2]. فوجدت بريطانيا أن مصلحتها تكمن في تأييد الحركة القومية العربية[3]، ومن ثم فإن نجاح أي من الدولتين يعتمد على مدى إستجابة العرب وفق الظروف المشار إليها.

٢ - السمة البارزة في الخطة البريطانية أنها وقائية، فقد خشيت إعلان الجهاد والهجوم على مصر والقناة فقامت بالترتيبات والإجراءات السياسية والعسكرية لعرقلة ذلك، بينما تتجه خطة الدولة العثمانية إلى المبادره والهجوم، كخطة إيقاظ الشعور الإسلامي والإستعداد الكبيرللهجوم على مصر والقناة.

٣ - كان إشتراك الدولة العثمانية في الحرب قد زامن فتره ضعفها وشيخوختها، بينما لاتعاني بريطانيا من مشاكل كبيره بل على العكس كانت في أوج قوتها وعنفوانها.

٤ - سياسة التشاور وإبداء الرأي وتقديم المقترحات سمة بارزة في السياسة البريطانيه فمن خلال ماعرضناه في الفصل السابق نرى أن القرار لايعتمد على مركزية السلطة بل أن جميع المعنيين في السياسة البريطانية يشتركون في صنع القرار وهذا بالتالي يقوي فاعلية السياسة البريطانية في المنطقة . . ومن الجانب

---

(١) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٩.

(٢) انظر علي المحافظه، الإتجاهات الفكريه عند العرب فى عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩١٤، الطبعة الثانيه، الأهليه للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٢٩ - ١٤٢.

(٣) حسن صبري الخولي، سياسة الإستعمار والصهيونيه تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، المجلد الأول، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣، ص ١٢٥.

الآخر نرى أن السياسة العثمانية ووفقاً لما أوضحه الجنرال العثماني على فؤاد يعتمد على مركزيه السلطة التي انحصرت في أفراد قلائل وهذا بالتالي يؤدي إلى إصدار قرارات غير مناسبه في الغالب.

٥ - كانت غالبية الجيش العثماني من المسلمين فإذا أضفنا إلى ذلك قوة الجندي العثماني وبسالته باعتراف الضباط الإنجليز فإن هذا يقوي فاعلية الجيش في المعركة إذ أن وحدة العقيده وبث الشعور الديني يقويان معنويات الجنود، بينما نجد بريطانيا قد اعتمدت على عناصر بشريه مختلفه جندتها في مستعمراتها وخصوصا من الهند لاتجمعها أي رابطه دينيه، وبالتالى فإن عنصر معنوية العقيده الدينية يكاد يكون مفقودا.

الفصل الثالث

مصر والسودان
١٣٣٣ـ١٣٣٤هـ/١٩١٤ـ١٩١٦م

- الإجراءات البريطانية لتثبيت نفوذها في مصر والسودان.
- المشروع العثماني لفتح مصر والقناة.
- الوضع البريطاني على القناة.
- سير المعارك في القناة.
- الوضع في مصر والسودان بعد فشل الهجوم العثماني الأول.
- سياسة العثمانيين بعد فشل الحملة الأولى.
- الموقف البريطاني.
- الهجوم العثماني الثاني.

مصر والسودان
١٣٣٢هـ ـ ١٣٣٤هـ/١٩١٤م ـ ١٩١٦م

يمكن تقسيم مراحل الصراع بين الدولتين في منطقة البحر الأحمر إلى مرحلتين زمنيتين، الأولى من ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ إلى ١٩١٦م/ ١٣٣٤ هـ والثانية من أواسط ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ إلى نهاية الحرب ولكل مرحله سمات خاصة خضعت لتطورات ونتائج سير المعارك في الجبهات المختلفة بين قوات الحلفاء وقوات المحور كما خضعت من جانب آخر للمتغيرات الداخليه ـ الوضع في منطقة البحر الأحمر ـ وفقا لتأثير هذه المنطقة داخليا وخارجيا بالأحداث العالمية وتبعا لنجاح أو إخفاق سياسة كل من الدولتين في المنطقة.

ولما كانت الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر بالذات تشمل أقاليم مختلفة، فإن دراسة كل إقليم على حدة وربطه بالأحداث الأخرى ربما يضفي على الدراسة نوعا من الوضوح والدقة، ولذا سنعرض أحداث كل مرحلة في شكل الصراع الذي تم في مصر والسودان ثم الحجاز، ثم جنوب غربي الجزيرة العربية مع التنويه إلى العمليات التى جرت في البحر الأحمر نفسه.

ومن خلال خطتي الدولتين التى سبقت الإشارة إليها إتضح أن مصر هى محور إستراتيجية الطرفين في المنطقة، فبريطانيا تبذل مافي وسعها لتثبيت مركزها وتقوية نفوذها هناك، بينما تقف الدولة العثمانية على أهبة الإستعداد للبدء في الهجوم على مصر والقناة.

الإجراءات البريطانية لتثبيت نفوذها في مصر والسودان

كان الوضع السياسي في مصر أثناء هذه الأزمه يستحق الإشارة إليه خصوصا فيما يتعلق بقرارات الحكومه التي يرأسها حسين رشدي[1] رئيس الوزراء والقائم مقام الخديو الذي كان بالآستانه على ضوء ضغوط السلطات البريطانيه صاحبة السيادة الفعليه في مصر .. فقبل إعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا بيوم واحد إجتمع مجلس الوزراء المصري في أغسطس ١٩١٤/ ١٣٣٢هـ تقرر فيه سريان قواعد الحياد بمصر. ولما أعلنت الحرب بين الألمان والإنجليز قلقت بريطانيا بشأن ذلك الحياد، فقابل تشيتهام Cheetham نائب المعتمد الإنجليزي في مصر حسين رشدي وأبلغه أن قرار مجلس الوزراء الخاص بحياد مصر قرار خطير، وبين له أن مصر تابعه لإنجلتره وأنه لابد أن يلتزم منذ تلك اللحظة بتنفيذ الأوامر الصادره له من قائد الإحتلال، وإلا سوف تضطر السلطات البريطانية إلى إعتقاله مع وزرائه وتتخذ إجراءات أخرى خطيره .. وقد كان حسين رشدي يلتمس من يؤيده في إستمرار حياد مصر ولكن الخديو لم يكن موجودا وأعضاء الجمعية التشريعية متفرقين في الأقاليم ولم يجد أمامه إلا الإنجليز الذين أحاطوا به من كل جانب وعلى رأسهم قائد جيش الإحتلال باينج Byng وتشيتهام نائب المعتمد الإنجليزي في مصر، فخضع حسين رشدي واستسلم ووقع قرار ٥ أغسطس ١٩١٤م/ ١٣٣٢ هـ الذى أدخل مصر الميدان الحربي[2].

وقد نشرت جريدة الوقائع المصرية الجريده الرسميه للحكومة المصرية في اليوم التالي قرار مجلس الوزراء في ٥ أغسطس ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ بشأن الدفاع عن القطر

---

(١) حسين رشدي (باشا) ١٨٦٣ - ١٩٢٨م تولى رئاسة الوزارة أربع مرات ومولده ووفاته بالقاهرة، انظر خير الدين الزركلي، الإعلام، ج٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٣٧.

(٢) لطيفه محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى، ١٩١٤ - ١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشوره، مكتبة جامعة القاهرة، ص ٣٥ - ٣٧.

المصري أثناء الحرب القائمه بين ألمانيا وبريطانيا، وقد بني هذا القرار على أساس أن وجود الجيش البريطاني بمصر يجعله عرضه لهجوم أعداء بريطانيا، وقد كانت أهم مواد القرار تلك التي تخص القوات البحرية والحربية التابعة لبريطانيا حيث يجوز لها أن تباشر جميع حقوق الحرب في الموانئ المصريه[1].

وفي ٧ أغسطس أرسل إدوارد غراي E. Grey إلى سفيره في إستانبول بأن يبلغ الباب العالي بأن بريطانيا لاترغب في الإضرار بالمصالح العثمانيه، ولن تحدث أي تغيير في وضع مصر طالما الحكومة العثمانية باقيه على الحياد ومصر هادئة ولم تحدث أي ظروف جديده[2].

ويبدو أن سياسة بريطانيا ترمي إلى أبعد من ذلك، وتريد المساومة على حياد الحكومة العثمانية في نفس الوقت الذي تحاول فيه تثبيت مركزها في مصر.

كان على بريطانيا كي تعبئ مصر في خدمة مصالحها أن تحل عدة مشكلات منها وضع مصر في مواجهة المتطلبات السريعة للحرب، ومايتعلق بعلاقة الدولة العثمانية مع مصر، ثم علاقة بريطانيا بحلفائها حول مصر وخاصة فرنسا، وأخيرا الوضع الداخلي في مصر وذلك من ناحيتين الناحية الرسميه وهي الخديو والوزراء والناحية الشعبيه وهي القوى الوطنيه المعارضه للإحتلال. هذه هي المشكلات الأساسيه التي حكمت إتجاه بريطانيا في إختيار الشكل الأكثر ملائمه لتشديد قبضتها على مصر

---

(١) دار الوثائق القومية بالقلعة، القاهرة، الوقائع المصرية، نمرة ٩٨ غير إعتياديه، الخميس ١٤ رمضان سنة ١٣٣٢، ٦أغسطس سنة ١٩١٤ السنة ٨٤.

(٢) (PRO)
FO 371/1970, The War, Conf, tele, No 342, Sir Egrey to Sir L. Mallet F. O August 7, 1914.

وتحضيرها للحرب[1].

كانت مصر من الناحية القانونية ولاية عثمانيه، ولم يزل الخديو من رعايا السلطان فلابد أن يترتب على إعلان حالة الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية أن تكون مصر قانونيا في حالة حرب مع إنجلتره[2].

ويؤيد هذا أن الحكومة العثمانيه خاطبت الحكومة المصرية في ٢٦ شوال سنة ١٩١٤/١٣٣٢ حول إعلان حالة الحرب في القطر المصري، وأبلغتها أن وزارة الخارجية العثمانية قد خاطبت سفيري ألمانيا والنمسا بطلب التأمينات اللازمة بعدم التعدي على الأراضي المصريه التي هي من الأجزاء المتممه للدولة العثمانية وأنها قد حصلت على هذه الضمانات ولم يبق ثم حاجه لدوام تلك الحالة. وقد ردت الحكومة المصرية بأن مجلس النظار المصرى قرر في جلسته بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩١٤/ ١٣٣٢هـ أن تقف مصر موقف المدافع عن وطنه لأنها محتله في هذا الوقت بقوات إحدى الدول المشتركه في الحرب وهي بريطانيا[3]. مما يعني أن الحكومة العثمانية قد إستنكرت هذا القرار وعملت على مايبرز إلغاءه لو أرادت الحكومة المصرية بعد تعهدات حكومتى ألمانيا والنمسا حول مصر.

ولهذا كان من أهم الأمور التى شغلت بال الساسه الإنجلين، هو إيجاد الصيغه

---

(١) مصطفي النحاس جبر يوسف، سياسة الإحتلال تجاه الحركه الوطنية ١٩٠٦ - ١٩١٤. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص ٢٠١ ، ٢٠٢.

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى، تاريخ مصر السياسي من الإحتلال إلى المعاهدة، دار المعارف ١٩٦٧، ص ٨٩.

(٣) دار الوثائق القوميه بالقلعة، محفوظات مجلس الوزراء، نظارة الخارجيه، المحفظه رقم ٩أ، المجموعة رقم ٢١، ترجمة المكاتبة الوارده من مقام الصداره العظمي بتاريخ ٢٦ شوال ١٣٣٢ نمره ١٧٤، ومكاتبة الصداره بخصوص إعلان حالة الحرب في مصر.

المناسبه لتمكين بريطانيا في هذا الجزء الهام من المنطقة.

وكان الخديو عباس الذي كان خارج مصر أثناء هذه الظروف يراقب من قبل السلطات البريطانية، لأنها ترى أنه أحد العوامل الأساسية في مسألة مصر آنذاك. ففي ١٥ أغسطس ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ وصلت برقية من وزير الخارجية البريطانية إلى بيومونت ليبلغ الخديو في الحال بأن حكومة جلالة الملك تخشى أن تسبب عودة الخديو إلى القاهرة بعض الهيجان في البلاد، ولذا يجب ألا يعود إلى مصر في هذه الآونه[١].

وفي اليوم التالى ١٦ أغسطس ١٩١٤م/١٣٣٢هـ كتب تشيتهام إلى وزير خارجية بلاده بأن الوصي على العرش في مصر قد أبلغه أن الخديو أبرق إليه بأنه لايستطيع العوده في ظل الظروف الحاضره[٢].

كما استفسر المستر تشيتهام من حكومته في نهاية شهر أغسطس عن صحة المعلومات التى ذكرها له الوصي الذي إستلم برقيه من الخديو يخبره أن السفير البريطاني في إستانبول السيرماليت Mallet أبلغه أن حكومة بريطانيا ترى أن الوقت قد حان لرجوعه إلى مصر، وأن الخديو يسأل عن وجهة نظر الوصي حول ظروف البلاد وهل تناسب عودته .. حيث يرى تشيتهام أنه قد فهم أن حكومته قد قررت أن الخديو يجب أن يذهب إلى إيطاليا ولذا يرى أن الخديو قد فهم خطأ ماقاله السفير .. حيث إن من الخطر أن يسمح له بالعوده إلى مصر، وقد أبلغ تشيتهام حكومته أنه أخبر الوصي أن هناك سوء فهم للموضوع، ويرجو من حكومته أن تنصح الخديو

---

(١) (PRO)
FO 371/ 1970, The War, Conf tele No 372. Sir E. Grey to Mr. Beaumont, F. O, August, 15,1914.

(٢) Same Series and Vol, The War, Conf tele, No 96, Mr. Cheetham to Sir E. Grey, Cairo, August, 16, 1914.

بالذهاب إلى إيطاليا مع عدم التعهد له بضمان العودة لمصر في ظل هذه الظروف(١).

ومن خلال هذه البرقيات يتضح إهتمام السلطات البريطانية في مصر بأمر الخديوي، كما يتضح إستحواذ هذه السلطات على الوصي حيث يبلغها بكل الرسائل المتبادله مع الخديو وعمّا يجب فعله بشأن الرد عليها.

وبالفعل فقد أبرق السير ماليت إلى وزير خارجيه بلاده أنه قد أمضى قرابة الساعة في محادثات مع الخديو في محاولاتة لإقناعه بالذهاب إلى إيطاليا ولكن بدون جدوى حيث إنه يبدو غير مكترث لما سيترتب على مستقبله من جراء هذا الرفض. وقد حذره السفير من التعامل مع حكومة الباب العالي، كما لم يستبعد السفير إمكانية إتصال سفير ألمانيا بالخديو. ويشير السفير البريطاني في نهاية البرقية إلى أمرين هامين أولهما أنه ليس للخديو أصدقاء أو مؤيدون في إستانبول، والثاني أن الأمر يعتمد على مدى نجاح قوات الحلفاء في فرنسا والبحار الاخرى، حيث إن النجاح هناك يبدد مخاوف بريطانيا فيما يخطط له في إستانبول(٢).

وهذا يشير إلى أن بريطانيا تعلق أهمية كبرى على نتائج قواتها وحلفائها في المعارك الكبرى التى تدور رحاها مع القوات الألمانيه في فرنسا، كما أن تقارير السفير عن الخديو تشكل مزيجا من الخوف والتفاؤل من مدى نجاح المحاولات العثمانيه مع الخديو.

أبرق وزير الخارجية البريطانيه لسفيره في إستانبول في ٢٤ سبتمبر أن للصدر

---

(١) (PRO)
FO 371/1970, Decypher. Mr. Cheetham, August 31st, 1914.

(٢) Same series and Vol, The War, Conf tele No 882, Sir L. Mallet to Sir EGrey, Constantinople, September, 28th, 1914.

الأعظم والخديو عباس ممتلكات في مصر وأنه إذا اضطرت بريطانيا بسبب أي إعتداء على مصر، أن تتحول عن سياستها في المحافظة على الوضع الحالي هناك وإعلان الحماية، فإن حقهما فيما يختص بحيازة الممتلكات سيكون محل تساؤل، أما لو ثبت إشتراك الصدر الأعظم والخديو في أي إعتداء على مصر فإن ممتلكاتها ستصادر[1].

وفي هذا إشاره واضحه إلى أن بريطانيا تخطط لإعلان الحماية على مصر في حالة الهجوم الفعلي على مصر من قبل الدولة العثمانية، في حين تظهر قوة التهديد البريطاني للصدر الأعظم والخديو في محاولة لردع هذين الطرفين من محاولة الإشتراك في عمل موجه ضدها.

وفي برقية بعثها المستر تشيتهام في ١٣ أكتوبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢ هـ، يرى فيها أن عزل الخديو الحالي وعرض الخديويه على الأمير حسين كامل سيكون من قبل حكومة صاحب الجلالة واقترح أن يصدر بيان في لندن بعد أن يبلغ حكومته بموافقة الأمير حسين على المنصب، يتضمن النقاط التالية: أن وزير الدولة إرتأى للمصلحة العامه فيما يتعلق باعلان الحماية على مصر أن من الواجب عزل عباس حلمى باشا عن الخديويه وفي ظل هذه الظروف عرضت الخديويه وقبلت من قبل صاحب السمو الأمير حسين[2].

وهذا هو الإجراء الآخر الذي تخطط له السياسة البريطانية إذ يتعلق الأول بمشروع إعلان الحماية على مصر والثاني خلع الخديو عباس وإحلال الأمير حسين

---

(١) (PRO)
FO 371/ 1971 The war Conf, tele No 585, Sir E. Grey to sir L. Mallet F. O. September 24, 1914.

(٢) Same series and Vol,Decypher tele No 199, From M. Cheet ham, –Cairo, October, 13th, 1914.

مكانه.

ولو تتبعنا أسباب الموقف البريطاني السلبي تجاه الخديو عباس لوجدنا فيما ذكره السفير البريطاني في الآستانه من احتمال وجود اتصال بين السفير الألماني والخديو سببا رئيسيا في شك بريطانيا في نوايا الخديو. ويذكر محمد فريد في مذكراته أن الإنجليز كانوا يخشون أن يقوم الخديو بحركة ضدهم وأنه كان هناك رأيان يتنازعانه،. الأول الإتفاق مع الإنجليز على إعطاء مصر الدستور وانفصالها من الدولة العليه وقبول الاحتلال بشروط معينه، والثاني الإتفاق مع العثمانيين على استرداد إستقلال مصر بالقوه بمساعدتهم وعودة الحالة إلى ماكانت عليه قبل الإحتلال، ويرجح محمد فريد أن الخديو كان ميالا إلى الأمر الثاني، وقد اتفق فعلا مع أنور باشا لتنفيذ هذا الرأي[١]. وعلى هذا الأساس تكون الحكومه العثمانيه قد فكرت جديا في مسأله إشتراك الخديو في الحملة المزمعة على القناة ومصر حتى تستفيد من مركز الخديو في بلاده ومدى إستجابة رعاياه في مصر.

وكان سفير بريطانيا قد أبرق قبيل مغادرته إستانبول بساعات إلى بلاده بأن أهل إستانبول لايعلمون عن نوايا حكومتهم تجاه مصر وبالتالي يقترح أن يؤجل إعلان الحماية على مصر حتى آخر لحظة، إذ ربما يزيد إعلانها الخطر على الرعايا البريطانيين في البلاد كما ستستغل هذه الحادثة وتوضع دليلا على أن بريطانيا هي المعتديه[٢].

ويبدو أن الحكومة البريطانيه قد استجابت لاقتراح سفيرها في إستانبول إذ

---

(١) محمد فريد، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٤.

(٢) (PRO) FO 371/ 1970, The War, Conf, tele No 1091, Sir L. Mallet to Sir E. Grey, Constantinople, October 30, 1914.

وصلت تعليمات إلى المستر تشيتهام في ١ نوفمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ بتأجيل إعلان الحماية حتى تعلن الحرب بين الدولتين، وفي نفس الوقت يجب أن لايؤجل إعلان الأحكام العرفيه في مصر، أما ضرب العقبة فيجب إلا يبدأ حتى تقوم الدولة العثمانية ببعض الأعمال العدوانية على مصر، وحتى يغادر السفير البريطاني الأراضي العثمانيه بسلام(١) .

ويبدو أن هذه الإشاره إلى الأحكام العرفية كانت خطة بديله أو تمهيدا لإعلان الحماية بعد أن وجدت بريطانيا أن الوقت الملائم لإعلان الحماية لم يحن بعد، كما أن فكرة ضرب العقبه تشير إلى أن السلطات البريطانية تفكر في ضرب القوات العثمانية من الخلف إذ أن العقبه هي المفتاح الشرقي للجهات المصرية.

وبعد إعلان الحرب بين البلدين، أرسل تشيتهام إلى لندن بأن الوصي على العرش في مصر تلقى مذكره رسميه من تشيتهام بها صورة لبيان مقتضب من قائد الجيوش البريطانية في مصر، ويعلن فيها قيام حالة الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية ويتعهد فيها بالدفاع عن القطر المصري ويطلب من رعايا مصر بألا يقدموا المساعدة لأعداء بريطانيا.

وقد وافق الوصي على البقاء في منصبه مع زملائه وأشار تشيتهام إلى أن الوصي سيرد بأن مجلس الوزراء سيتعهد بإدارة شئون البلاد الداخلية وفي نهاية البرقية أفاد تشيتهام أنه لن يعلن حالة الحرب مع الدولة العثمانية في مصر حتى يتم الرد على هذه البرقية(٢) .

---

(١) (PRO)
FO 371/1970, The war, conf, tele No 314, Sir E. Grey to M. cheetham, F. O, November 1, 1914.

(٢) Same Series and Vol, The War, Conf, tele No 244, Mr. Cheetham

وفي يوم ٦ نوفمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ وصل الرد من لندن على لسان وزير الخارجية البريطاني يؤيد فيها الإجراءات التى تضمنتها برقيه تشيتهام، ويمتدح شخص تشيتهام والقائد العام للقوات البريطانيه في مصر لإدارتهما الموقف بدقة ومهاره[1].

ونشر في جريدة الوقائع المصريه في ٧ نوفمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ بيان قيام حالة الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية يوم ٥ نوفمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ، كما صدر إعلان آخر بنفس الجريده من قبل قائد الجيوش البريطانيه في القطر المصرى الفريق جون جرنفل مكسويل G. Maxwell يفيد بأن كل ماجاء في قرار مجلس نظار الحكومة المصرية بتاريخ ٥ أغسطس سنة ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ يسري على الدولة العثمانية[2].

كما نشر في يوم ١٤ نوفمبر في جريدة الوقائع المصرية أيضا إعلان من القائد العام للجنود البريطانيه في مصر، يفيد بأنه سيعرض للمحاكمه أمام المجلس الحربي كل من يحرض على إثارة الأمه ضد الحكومة أو التحيز لأعداء بريطانيا[3] وذلك بموجب قانون الأحكام العرفية.

ويدل هذا على أن الدولة العثمانية قد قامت بالتعاون مع بعض رعاياها في مصر بتوزيع المنشورات لحض الناس على التمرد ضد الوجود البريطاني في مصر، أو أن السلطات البريطانيه أصدرت هذا القانون إحتياطا وتحسبا لمثل هذه الأمور.

---

to Sir E. Grey, Cairo, November 5, 1914.

(١) Same Series and Vol, The war, Conf tele No 332, Sir E. Grey to Mr. Cheetham F.O November 6, 1914.

(٢) دار الوثائق القوميه بالقلعه، القاهرة، الوقائع المصرية، نمره ١٤٨ غير إعتياديه، ونمره ١٤٩، السبت ١٨ ذي الحجه سنة ١٣٣٢هـ، ٧ نوفمبر ١٩١٤، السنة ٨٤.

(٣) نفس الدار، ملحق للوقائع المصرية، نمره ١٥٤، السبت ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢، ١٤ نوفمبر ١٩١٤.

وفي ١٥ نوفمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ أي بعد قيام الحرب بين الدولتين بأيام وصلت برقية إلى تشيتهام من وزارة الخارجية البريطانيه تفيد أن الحكومة البريطانية ترى أن أفضل وسيله للتخلص من كل المتاعب المتعلقة بمسألة إيجاد بديل للخديو هي ضم مصر ومنح المصريين الرعوية البريطانيه .. وربما يكون يوم ١٩ نوفمبر يوما مناسبا لذلك حيث ستصل القوات من الهند .. على أنه سيؤخذ في الإعتبار الشعور الفرنسي فيما يتعلق بالإمتيازات والمحاكم المختلطة، وفي نهاية البرقيه طلب إلى تشيتهام إبداء رأيه مع بقيه المسئولين حول هذا الموضوع[١] .

وفي ١٩ نوفمبر ١٩١٤/١٣٣٣هـ أعد قصر بكنجهام مشروع قرار ضم مصر وجعلها جزءا من ممتلكات ملك بريطانيا[٢] .

وقد أبرق المستر تشيتهام إلى حكومته في نفس اليوم بأنه قد ناقش موضوع الضم وآثاره مع زملائه المعنيين وارتأوا جميعا إن سلامة الوضع الداخلي ورغبات الوصي على العرش وأعضاء حكومته، وأماني الشعب المصرى، وشعور المسلمين .. إلخ تقتضي العدول عن مشروع الضم واستبداله بمشروع الحماية. كما كان رد سفير بريطانيا في فرنسا بعد مقابلته لوزير خارجيتها غير مشجع عن موقف الشعب الفرنسي وعدم إرتياحه لمشروع ضم مصر[٣].

---

(١) (PRO)
FO 371/1971, Cypher tele to Mr. Cheetham, Cairo, F. O. November 15th, 1914.

(٢) Same Series and Vol, Draft, Egypt Annexation, Order in Conuncil, 1914.

(٣) نص ردود تشيتهام والسفير البريطاني في فرنسا إنظر:-
Hurewitz, J. C. (ed) Op, cit vol 2pp 10-12.

ويبدو أن قلق بريطانيا المتزايد على وضعها في مصر هو الذي دفعها إلى التفكير المتواصل لإيجاد أفضل طريقه لتثبيت مركزها في مصر، فمن مشروع قرار وضع مصر تحت الحماية، إلى تطبيق الأحكام العرفيه ثم أخيرا التفكير في مشروع ضم مصر للممتلكات البريطانيه. كانت كل هذه مؤشرات على تحرك الدبلوماسية البريطانيه لإيجاد حل يحقق أهدافها الإستراتيجية في مصر.

ويتضح فيما ذكره الكولونيل كيرزي أن مصر ذات أهمية إستراتيجية بالنسبة لموقعها المتوسط لإستخدامها كقاعده لتدريب وتهيئة القوات القادمة من الهند وبلاد الكومنولث، كما أنها يمكن أن تمد الجيوش البريطانيه بالزيت والسكر والقطن والحبوب والمؤن الأخرى، وفي الوقت نفسه هي قاعدة للقوات المتحالفة في البحر المتوسط يمكن إرسال أي عدد من القوات منها في أي إتجاه، كما أن القناة تعتبر مجلا حيويا لبريطانيا سواء لإيصال الإمدادات أو لتموين قواتها في الجبهه الغربية[1].

ونستطيع أن نضيف أن مشروع الدولة العثمانية للهجوم على مصر والقناة يعتبر أقوى العوامل لدفع بريطانيا للتمسك بوضعها في مصر إذ أن هزيمتها في هذا الموقع يعرض مركزها في منطقة البحر الأحمر بمفتاحيه مصر وعدن، ومصالحها في الخليج العربي للخطر.

وفي نهاية الأمر إستقر رأي السياسة البريطانيه على إعلان الحماية على مصر، وتم إعلانها في الساعه الثانيه بعد الظهر من يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤[2].

جاء في قرار الحماية " أنه بالنظر إلى حالة الحرب التى سببتها الدولة العثمانية

---

(١) أ. كيرزى، العمليات الحربية، ص ٢٥.

(٢) (PRO)
FO 371/ 1973, Tele No 323, from M. cheetham, Cairo, December 18th, 1914.

فإن مصر وضعت تحت حماية جلالة ملك بريطانيا وزالت بذلك سيادة الدولة العثمانية عن مصر، وستتخذ بريطانيا كل الإجراءات اللازمه للدفاع عن مصر وحماية رعاياها ومصالحها" .. وتلى قرار الحماية قرار آخر في يوم ١٩ ديسمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٣هـ خلع الخديو عباس حلمي باشا مع عرض المنصب على صاحب السمو الأمير حسين كامل باشا بلقب سلطان مصر الذى وافق على قبوله .. ثم تلاه في نفس التاريخ مذكرة عن الحماية من تشيتهام إلى السلطان حسين كانت أهم نقاطها مايتعلق بعلاقات مصر الخارجيه حيث ستتولى السلطات البريطانيه مسئوليتها[١].

كما أصبح مسمى أعلى منصب لممثل بريطاني في مصر المندوب السامي High Commissioner بدلا من المعتمد البريطاني Agent and Consul General[٢].

وهكذا توصلت الحكومه البريطانية إلى صيغة ملائمة ترضي حلفاءها وبخاصة فرنسا وتحقق سلامة مركزها وخاصة في قناة السويس وتقنع أعضاء حكومتها وخاصة رجالها في مصر وعلى رأسهم تشيتهام نائب المعتمد البريطاني في مصر الذي كان قطب الرحى في المداولات البريطانيه حول مصر والذي كان تأييده لمشروع الحمايه ودفاعه عنه سببا أكبر في إختيار الحكومة البريطانية لهذا الإجراء الوسط، كما أن تطبيق هذه الإجراءات يعتبر تنفيذا للسياسة البريطانية في المنطقة التى ذكرنا خطوطها العامه في المبحث الخاص بالسياسة البريطانية في المنطقة بعد إعلان الحرب العالمية الاولى.

ولعل أهم نتائج هذه المرحلة إنهاء السيادة العثمانيه التى استمرت طوال قرون عديده وخلع الخديو، ووضع يد بريطانيا على مصر أكثر من ذي قبل مع إبعاد فرنسا

---

(١) نصوص قرار الحماية وخلع الخديو ومذكره تشيتهام انظر:
Hurewitz, J. C. (ed) Op, cit, vol. 2pp 13-14.

(٢) Ibid, p. 13.

والقوى الأخرى بعد الحماية.

الوضع في السودان:

في الوقت الذي حرصت فيه بريطانيا على وضعها في مصر، ركزت على المحافظة على الهدوء في السودان، البلد الذي ارتبط تاريخيا بما يجري في مصر، فمع اندلاع الحرب الأوربيه وصلت تعليمات إلى إدارة المخابرات البريطانية في السودان باستدعاء جميع الموظفين المدنيين والعسكريين المغادرين في إجازاتهم وذلك في ٤ أغسطس ١٩١٤/١٣٣٢هـ[١].

وقام الحاكم البريطاني العام في السودان بزيارة لبعض المدن السودانية في شهر أكتوبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ للإطمئنان على حالة الإستقرار ولمعرفة مدى شعور الأهالي في حالة إعلان الحرب مع العثمانيين[٢] .

وحين قامت الحرب بين الدولتين أذاع الجنرال ريجنالد وينجت Reginald wingate الحاكم العام للسودان بلاغ إعلان حالة الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية من مقره في الخرطوم في ٧ نوفمبر، وطلب من جميع الرعايا في السودان تقديم المساعده للقوات البريطانية والمصرية والسودانية في حالة وقوع إعتداء على البلاد[٣].

كما التقى وينجت بمجموعة من كبار الضباط في الجيش المصرى بالخرطوم وشرح لهم وجهة النظر البريطانية في الأسباب التي أدت إلى الصراع بين الدولتين وطلب منهم تجديد الولاء والإخلاص للسلطة البريطانيه في السودان، وتحدث عن

---

(١) (PRO)
Fo 371/1965, S. I. R No 241, August 1914.

(٢) Same Series aand Vol, S. I. R No 243, October, 1914.

(٣) Fo 371/2349, S.I.R No 244, November, 1914.

إمكانية إعفاء أي جندي أو ضابط من أصل عثماني لايرغب رفع االسلاح في وجه بنى جنسه، ثم اجتمع بالمشائخ والعلماء في الخرطوم وشرح لهم الوضع القائم .. وعبر عما قدمته بريطانيا للشعب السوداني وأنها لاتحمل أي عداء للعالم الإسلامي، وصرح بأنه لن يلغى أي إمتياز قدمته بريطانيا لرعاياها بسبب هذه الحرب، وقد قرئ خطاب الحاكم العام هذا في كل إقليم من الأقاليم السودانيه .. فأرسل السيد علي الميرغني برقيه إلى الحاكم العام يعلن ولاءه للحكومة البريطانية، كما صرح الشريف يوسف الهندي بتصريح مماثل[1].

واطمأنت المخابرات البريطانية في السودان أكثر بعد القبض على اليمباشي الماز أفندي عبدالله أحد الجواسيس العثمانيين أرسله أنور باشا[2]. كما تم إرسال فرقه من الجنود إلى بورسودان وسواكن على البحر الأحمر في ٢٦ نوفمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٣هـ لخفارتهما[3].

ويبدو أن الإجراءات البريطانية في السودان لتثبيت الوضع بعد إعلان حالة الحرب بين الدولتين جرت بصوره عادية وفق ماذكرته هذه الوثائق، كما أن القبض على بعض رسل العثمانيين في السودان يشير إلى محاولة السلطة العثمانية تحريك رعاياها وخصوصا في السودان.

وفي يوم الجمعه ١٨ ديسمبر ظهر إعلان الحمايه على مصر في جريدة السودان، ثم خبر تعيين صاحب السمو الأمير حسين كامل كسلطان لمصر في اليوم التالي، ثم قرأ السردار الإنجليزي في السودان التصريحين من مقره، وأعيدت قراءتها في كل المراكز الرئيسيه للأقاليم وفي القطاعات العسكرية، ثم قام المصريون العاملون

(١) LOC. Cit.

(٢) LOC. Cit.

(٣) LOC. Cit.

في الجيش والحكومه السودانيه بأداء يمين الولاء للسلطان الجديد في كل القطاعات العسكرية في السودان وفق ماجرى في مصر[1].

وقد اطمأنت حكومة السودان على ولاء البلاد والشعب الذي لم يتأثر بالدعايه العثمانيه باستثناء حالات نادره قام فيها بعض الموالين بتوزيع منشورات في البلاد[2].

المشروع العثماني لفتح مصر والقناة

وقد سبقت الإشارة إلى التحركات العثمانية التى كانت تجرى منذ شهور للإعداد والبدء في الهجوم على مصر والقناة كأحد الخطط الرئيسية في سياسة الدوله العثمانية التى تبني عليها آمالاً كبيرة هي وحليفتها ألمانيا.

وقبل إعلان الحرب بين البلدين بأسبوع أفاد مدير محافظة سيناء من مدينة نخل أن ألفين من البدو المسلحين يتقدمون للهجوم على القناة حيث تزودوا بالماء من موقع يقع داخل الحدود المصريه بعشرين ميلا، وقد نقلت هذه المعلومات إلى نخل بواسطة موظف بريطاني في شعبه البحث الذي رجع لتوه من بيرحسنه Bir Hassana بعد ردم الآبار هناك، وعلى الفور وصلت تعليمات إلى هذا المدير بالتقهقر عن نخل[3]، كما أخلت بريطانيا جميع رعاياها المتواجدين في شبه جزيرة سيناء بعد ردم جميع الآبار

(١) Fo 371/ 1973, Telegram en Clair No 324, From Mr. Cheetham Cairo, December 20th, 1914.

(٢) مكى شبيكه، السودان في قرن ١٨١٩ - ١٩١٩، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٧، ص ٣٣٥.

(٣) (PRO)
Fo 371/ 1971, The War, Conf tele No 229, Mr. Cheetham to Sir E. Grey, Cairo October 28, 1914.

الموجوده[1].

وما أشارت إليه هذه الوثائق يوضح ويؤكد ماذكره الكولونيل كيرزي من أن الموقف أنذاك دعى إلى ضروره سحب القوات البريطانية والنقط الخارجية في سيناء إلى مواقع الدفاعات الأصليه عن مصر وهي التي كانت عند بدء الحرب غير كافية لصد العدوان[2]. فهذه نقطة هامه تبرز الخطة البريطانية المبنية على التراجع لنقاط أساسية في الداخل نظراً لقله الجنود ولصعوبة الدفاع في النقاط المفتوحه في حدود سيناء.

وتفيد المعلومات التى تلقتها لندن من الحكومة اليونانيه عن طريق سفارتها في أثينا أن الخديو عباس قرر الإشتراك في الحمله ضد مصر[3] كما وصلت أنباء جديدة في ١٨ نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ عن تحرك عدد من الفيالق الحربية العثمانية المتمركزة في فلسطين وشمال الجزيرة العربية للهجوم على قناة السويس. وقد عبرت هذه القوات الحدود المصرية باتجاه الغرب متخذة طريق ساحل البحر المتوسط[4]

ويتضح من خلال هذه التحركات العثمانية أن خطتهم في هذه المرحلة هي تحرك بعض الجيوش النظامية صوب مصر عن طريق الساحل المحاذي للبحر المتوسط، والاستعانة بقوات البدو للتحرك في العمق عن طريق الصحراء، ومن المعلوم أن البدو أعرف بحرب الصحراء والمسالك الوعرة وبالتالي لاتخلو هذه الخطة من الدقة والمهارة.

---

(١) FO 371/1965, S. I. R. No 243, October, 1914.

(٢) أ. كيرزى، مصر سبق ذكره، ص ١٧.

(٣) FO 371/1971, Decypher telegram, from Sir F. Elliot, Athens, November 12th, 1914.

(٤) FO 371/1972, The war, conf-tele No 662, sir G Buchanan to sir E Grey, Petrograd, November,18,1914.

وأبلغ السفير البريطاني في بوخارست حكومته أن العثمانيين قد نشروا هناك أنهم قد ألحقوا الهزيمة بالقوات البريطانية في موقع يبعد عشرين ميلاً إلى الشرق من قناة السويس بعد وصول القوات العثمانية إلى هذا الموقع وأن عدد الجرحى على حد زعم البيان كبير، كما أن بعض قوات المخافر الأمامية قد انضمت إلى العثمانيين. مما أوقع الاضطراب بالقوات البريطانية[1] كما أفادت معلومات أخرى تلقتها لندن من الحكومة اليونانية عن طريق السفارة البريطانية في أثينا تفيد أن الخديو عباس قد قرر الاشتراك في الحملة ضد مصر[2].

وفي المقابل وصلت تقارير أخرى إلى الخارجية البريطانية أن جمال باشا وزير البحريه العثماني قد تولى قيادة الجيش الذي سيغزو مصر، وقد بدأ الإستعداد للمهمة الجديدة برفقة عدد من الضباط العثمانيين والألمان[3].

وقد أشار جمال باشا في مذكراته إلى تعيينه في هذه المهمه، حين إستدعاه أنور باشا وزير الحربية وطلب منه أن يوافق على قبول قيادة الجيش الرابع بعد أن عين أنور باشا كلا من جمال باشا (الصغير)[4] على قيادة الفيلق الثامن، والكولونيل الألماني فون

---

(١) Fo 371/2487, Decypher -tele No 169. From sir G.Baraclay,Bucharest, November 24th, 1914.

(٢) Fo 371/1971, Decypher - tele, From sir F.Elliot, Athens November 12 th, 1914.

(٣) Same Series and Vol, Cypher tele , to Mr. Cheetham, F.O. November 26th, 1914.

(٤) جمال باشا (الصغير) قائد آخر غير أحمد جمال باشا وزير البحرية العثمانية السابق وقائد الحملة العثمانيه على مصر .. انظر-
(PRO) FO 371/3393, Summary of the HiJoz Revolt, P 20.

كريس Von Kress رئيسا لأركان الحرب وأرسله إلى دمشق كملحق للبعثه العسكرية الألمانيه، وأرسل بعض وجهاء العرب لتكوين فيلق مساعد من البدو، على أن تكون مهمه جمال باشا بعد توليه قيادة الجيش الرابع تهيئة وتنفيذ الهجوم على القناه مع الإحتفاظ بالسلم والنظام الداخلي في سوريا(١).

ويبدو أن ما أشير إليه من أن الخديوي قد قرر الإشتراك في الحمله المزمعه على القناه لم يكن على درجة كبيرة من الصحة أو قد حصلت هناك بعض الملابسات التي إستدعت عدم إشتراكه في الحمله؟ .. وقد ألقت الوثائق البريطانيه بعض الضوء على هذه الظروف والملابسات، إذ أرسل السفير البريطاني في روما إلى بلاده أن السفير الإيطالي في إستانبول أبرق إلى حكومته أن الخديو أرسل إليه رساله يشرح فيها أنه قد طلب إليه بأن يكون على رأس القوات العثمانية المتقدمة إلى مصر وأنه يرفض العرض في حين تستمر الضغوط عليه من أعضاء الحكومة العثمانيه والألمان. ولذا يرغب في الذهاب إلى بلد محايد .. عندها يمكن له الحوار مع الإنجليز، مما يعني أن الخديو يسأل عن إمكانية قدومه إلى إيطاليا على حد تعبير وزير خارجية إيطاليا الذي طلب من السفير البريطاني مناقشة الموضوع قبل أن يرد على سفيره باستانبول(٢).

وفي اليوم التالي أبرق وزير الخارجيه البريطاني إلى سفيره في روما بأن يشكر وزيرالخارجيةالإيطالي على إتصالاته، ويطلب إليه أن يبلغه سريا أن الحكومة البريطانيه قد عرفت أن الخديو إنضم إلى الألمان ورجال حزب تركيا الفتاه وأن بريطانيا لم تعد تقبل أي إعتذار حول الموضوع إذ أن تصرفات الخديو خلال الثلاثة أشهر الماضية التى

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٤ - ٢٣٦.

(٢) (PRO)
FO 371/1922, The War, Conf tele No 552, Sir P. Rood to Sir E. Grey. Rome, November 28,1914.

لابد أنه يشعر الآن بالندم نحو الوضع الذي آل إليه من جرائها، تجعل من المستحيل أن تقبل بريطانيا تضليلها بادعائه حسن نواياه في الوقت الحاضر .. وتخشى الحكومة البريطانية أن قدوم الخديو إلى إيطاليا ربما يؤدي إلى إزعاج الحكومه الإيطاليه[1].

ويذكر أحمد شفيق باشا (رئيس ديوان الخديو عباس حلمي) في مذكراته أن الإنجليز إستخدموا كل الوسائل والوسائط لدى الخديو عباس لكي يترك جانب الدولة، إلا أنه صمم على الإتفاق مع رجال الدوله، حيث سبق له الإجتماع ببعض رجاله وعرض عليهم فكرة الإشتراك في الحملة حتى يتضح دوره وحتى لايقوم العثمانيون وحدهم بمهمة طرد الإنجليز وعند الحساب يقولون إنهم هم الذين قاموا وحدهم بمهمة طرد الإنجليز .. إلا أن الخديو رأى من رجال الحكومة العثمانية فتورا في تعيينه على رأس الحمله رغم الشائعات التى تؤيد قيادته للحمله، فسمع من الصدر الأعظم أنه سيرافق الحمله، وقال له طلعت بك وزير الداخليه أنه يستدعيه عند اللزوم، بدون أن تصدر أي إراده سنيه، بل أخذت تساور الخديو عباس المخاوف على منصبه بعد الشائعات باحتمال تولية الصدر الاعظم خديويا على مصر بدلا منه بصفته أحد أفراد الأسرة المالكه في مصر، أما السفير الألماني فكان يرى أن القياده إذا كانت في يد الخديو ستسهل مهمة إنضمام المصريين للجيش العثماني، ولكن إنتهى الأمر أخيرا بتعيين جمال باشا قائدا عاما للحملة .. ومع أن أحمد شفيق يذكر أن الخديو إهتم بمسألة الإشتراك في الحملة إلا أنه يشير في موضع آخر من مذكراته إلى أن الخديو لايرغب في قيادتها بقدر مايرغب في معرفة مصير مصر[2].

---

(١) (PRO)
FO 371/ 1972, The War, Confi tele No 480, Sir E. Grey to Sir R. Rood, F. O, November 28, 1914.

(٢) أحمد شفيق باشا، مذكراتي في نصف قرن، ج٢. ق٢، الطبعة الأولى، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٣٧٥ – ٤٠٠.

وعلى هذا الأســـاس يتـضـح دور الخـديو في هذه المرحلة، إذ ذكـر أنه اخـتــار الوقـوف إلى جانب الدولة، ثم أوردنا إقتناع الحكومة البريطانية بأنه يعمل ضـدها من خلال تصرفاته في إستانبول، على الرغم أنه أكد لهم أنه رفض الإشتراك في الحمله، ويبدو أن ماذكره محمد فريد يعطي دليلا أكبر على موقف الحكومة العثمانية منه وعدم ثقتها فيه إذ روى أن أنور باشا وطلعت باشا يرون أنه غير مخلص ويجب إستعماله كآلة لما له من النفوذ عند العمد والأعيان على شرط عدم إطلاعه على تفصيل الخطط حتى إذا أراد تغيير موقفه والميل إلى الإنجليز لايمكنه الإفشاء باسرار الخطة[1]. فلا الحكومة العثمانية ولا الإنجليزية أعطت دورا مـهما للخديو مما يشير إلى عدم قناعه الطرفين بامكانية إستخدامه.

هذا عن موقف العثمانيين إزاء قيادة الحملة، أما حلفاؤهم الألمان فقد كان موقفهم حسب مايراه البعض عدم النظر في مصلحة الطرفين (العثماني والمصرى) وإن كانوا قد أظهروا بعض الميل إلى إسنادها إلى الخديو رغبة منهم في تسهيل إنضمام الشعب المصري إلى جانب الحمله، فالناحية الحربية هي التي كانت تهم الألمان أكثر من أي شئ آخر، لشل حركة الإنجليز، على الرغم أن هناك ناحية أخرى هامه حاول الألمان كسبها من حمله القناه، وهى ضمان استمرار الحرب بين العثمانيين والإنجليزية والحيلوله دون التفكير بامكان عقد صلح منفرد بينهما، فالحمله تعد مكسبا للألمان مهما كانت نتائجها على حد قول الألمان أنفسهم[2] وتمثل الخطة على هذا النحو جانبا هاما من جوانب السياسة الألمانية[3] لتوريط الدولة العثمانية وضمان استمرارها كحليفه في الحرب

---

(١) محمد فريد، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥ – ١٦٦.

(٢) توفيق برو، العرب والترك في الحرب العالمية الأولى، رسالة دكتوراه غير منشوره، بإشراف د. أحمد عزت عبدالكريم، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٦٠ – ٦١.

(٣) ذكرت بعض المصادر الفرنسية المترجمة إلى اللغة التركيه أن الألمان طلبوا من الحكومة العثمانيه التحضير للهجوم على قناه السويس، وإتفق ذلك مع الآمال العثمانيه لإثارة أهالي مصر بناء

العالمية الأولى.

خطـــة الجيـــش الزاحــف

سار الجيش العثماني من الآستانه إلى سوريا، عبر طرق وعره، سدت فيها السيول والأمطار طرق المواصلات، وأزالت بعض خطوط السكة الحديدية، مما اضطر الجيش إلى تحمل مشاق عظيمه في إختراقها، لم يخفف منها سوى مظاهر الترحيب التى لقيها الجيش في المدن التي يمر بها(١).

وبعد وصول هذه القوات بقيادة جمال باشا قائد الجيش الرابع، إجتمع مع قائد الفيلق الثامن جمال باشا (الصغير)، الذي وقع عليه الإختيار لمهاجمة قناة السويس، فسلم هذا القائد إلى جمال باشا مجموعه الوثائق التي تتضمن الخطة التفصيلية لأعمال فيلقه، كما قام رئيس أركان حرب فيلقة الكولونيل فون كريس بتسليم صورة للخطة بالألمانية إلى رئيس أركان حرب جمال باشا قائد الجيش الرابع فون فرانكنبرج Von, F وتتلخص هذه الخطة التي وضعها الفيلق الثامن:-

- تقوم الفرقه الخامسة والعشرون بقيادة الليفتنانت كولونيل علي فؤاد بك بالزحف على القناة، مضافا إليها كتيبه من الضباط والجنود تنتخب من الفرقتين الأخريين اللتين يتألف منهما الفيلق.

- يوزع العدد الباقي من الفيلق على خطوط المواصلات للحراسة ولمراقبة الحالة في

الوعود التى قالها الخديو عباس حلمي الثاني، ولتحقيق الثوره في شمال أفريقيه والسودان. إنظرم. لارشه ر، بويوك حربده تورك حربي، نقله إلى التركيه محمد نهاد، إستانبول، ١٩٢٨، ص ١٤٧.

(١) علي فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص٤٩-٥٠.

لبنان والساحل.

- ترسل الفرقه الثامنة والعاشرة من الآستانه خصيصا للحملة المصرية فيقوم قسم منها بمهاجمة القناه والقسم الآخر بأعمال الحراسة في الداخل[1].

والمعروف أن الفيلق الثامن يتكون من الفرقه الثالثه والعشرين والخامسه والعشرين والسابعه والعشرين .. كما كانت هذه القوه المعدة للغزو مؤلفة من قلب وجناحين، ولم تكن لدى هذه القوات معدات فنية متقدمة[2].

كما تقرر تعزيز هذه القوات بقوات مساندة من الحجاز، حيث طلب جمال باشا من الشريف حسين أن يعزز قائد فرقة الحجاز بقوة مساعده بزعامة أحد أبنائه .. فرافق الأمير علي والي الحجاز وهيب بك وجنوده لدى مغادرتهم مكه المكرمه، ولكن بعد وصوله إلى المدينة المنورة أعلن تخلفه عن الحملة بناء على أوامر صادره إليه من والده، وقد وصلت قوات وهيب بك إلى قلعة النخل بسيناء لتلتحق بالفرقه العاشره التى تشكل القسم الثاني المساند[3].

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) على فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤-٥٥، وقد فصّل علي فؤاد توزيع القوات على النحو التالي:-

- في القلب ٣٧١ ضابطا و١١١٤٦ جنديا، ٨١١ حصانا و ١٨ ذلولا و ١٥٠ سائقا و١٤٤٤ بعيرا، وقد أمر القلب بالتوجه من بئر السبع إلى الإسماعيليه.
- في الجناح الأيمن ٣٣ ضابطا و١٣٨٦ جنديا و٥٥ حصانا و ٩٥ سائقا و٤٣ بعيرا وأمر هذا الجناح باتباع طريق غزة - العريش - القنطرة.
- وفي الجناح الأيسر ٣٢ ضابطا، ١٣٨٦ جنديا و٨٨٧ حصانا و١٨ ذلولا و٢٠٧ سائقا و١٥٣٤ بعيرا، وقد أمر هذا الجناح بالسير من قلعة نخل إلى السويس. وهذا هو الفريق الأول، ويليه الفرقة العاشرة.

(٣) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٨- ٢٦٢.

ونظرا لصعوبة المواصلات في صحراء سيناء شكل العثمانيون هيئة يعهد إليها تنظيم خط المواصلات من المؤخرة إلى المقدمة قبل صدور أوامر الزحف، وقد عين الليفتنانت كولونيل بهجت بك رئيسا لتلك الهيئة التى أطلق عليها هيئة تفتيش خط مواصلات الصحراء، فكان عليه البت في أمر المستودعات المراد إنشاؤها على خط المواصلات بين بير السبع والإسماعيليه، حيث سيبنى في كل مستودع مستشفى، مع توفير الماء والمؤن، على أن لايبعد بعضها عن بعض بأكثر من ٣٠ كيلا .. كما اعتبرت العريش وقلعة نخل بمثابه مركزين لتفتيش خط المواصلات[١].

وتقوم خطة الفيلق الثامن هذه على التركيز على قوة القلب، حيث تتجمع في بير السبع ثم تزحف على القناة بطريق وادي العريش، بعيدا قدر المستطاع عن الساحل، على أن يغطي الجناحان الأيمن والأيسر القوه الرئيسية، وذلك حتى تتجنب القوة الرئيسية ضرب الإنجليز لها من الساحل[٢].

وهذه الخطة تختلف قليلا عن خطة العثمانيين السابقه في بداية الهجمات الأولى عندما ذكرنا كيف بدأ البدو بالغزو من العمق، وقيام بعض فصائل الجيش النظامي باتخاذ طريق الساحل لمحاولة الهجوم على القناة، وربما كان دافع هذا التغيير هو إتخاذ الإنجليز الحيطة ووضعهم سفنا حربيه تمنع مرور القوات المعادية بمحاذاة الساحل.

ويشير بعض الضباط الإنجليز إلى أن العوامل المتحكمه في إختيار الطرق عبر سيناء تتوقف إلى حد كبير على المياه وعلى التسهيلات المتوفره لنقل المدافع، وكان الطريق الشمالي شديد التعرض للضرب من البحر، في حين كان الطريق الجنوبي وهو

(١) المصدر السابق، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٥.

طريق الحج القديم الذي يمر بنخل إلى السويس أقل الطرق ماء، وعلى هذا كان الطريق الأوسط هو أفضلها بالنسبة للعثمانيين، وقد قرروا فعلا إستعماله لمرور قواتهم الرئيسية المتقدمه صوب القناة[1].

وقد أدرك العثمانيون والألمان أهمية الإتصال بالسنوسيين لضمان نجاح الإغاره على قناه السويس ومصر، عن طريق إشغال الإنجليز بأمر الدفاع عن مصر من جهة حدودها الغربية بعد أن يتم الاتفاق مع السنوسيين على الهجوم على مصر من الجهة الغربية، فأرسل أنور باشا أخاه نوري بكتاب إلى السيد أحمد الشريف وخرج برفقة نوري أحد الضباط العرب ويدعى جعفر العسكرى[2]، الذي حمل رسائل من أنور باشا إلى عدد من كبار الشخصيات في مصر حيث وصل هذا الضابط إلى مصر خفيه فأوصل الرسائل، ثم غادر مصر إلى برقه، وقامت غواصة المانية بنقل نوري الذي أحضر معه بعض الأسلحه والذخائر وعددا من الضباط .. فقابل السيد أحمد وسلمه رساله شقيقه أنور التى تحمل أنباء إعلان الجهاد، وتعيينه نائبا عن السلطان في أفريقية الشمالية، والإنعام عليه برتبه الوزارة الأولى[3].

وعلى هذا تكون جوانب الخطة العثمانية قد إكتملت فيما يختص بغزو مصر حيث تهاجم الحملة الرئيسية عبر سيناء، ويهاجم السنوسيون في برقه الجهة الغربية لمصر، في نفس الوقت الذي تجري فيه محاولات إثاره رعايا السلطان في مصر.

---

(١) أ. كيرزي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠-٣١.

(٢) جعفر (باشا) بن مصطفى بن عبدالرحمن العسكري (١٨٨٥- ١٩٣٦) قائد عراقي، ولد في بغداد وتخرج بالمدرسة الحربية بالأستانه، وشارك في كثير من الحروب العثمانيه. الزركلي، الأعلام ج٢، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) محمد فؤاد شكري، السنوسيه دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٦١-١٦٣.

ـ الوضع البريطاني على القناة

سهلت القوه البحرية للبريطانيين عملية تموين القوات البريطانيه على القناة، مما خفف الضغط على الطرق الحديدية وعلى الخدمات البرية .. كما أن المواصلات البحرية من بريطانيا ومصر والهند مكنتهم من إستحضار الإمدادات بطريقه أسرع مما كان يستطيعه العثمانيون لقواتهم، ووصلت فرق هنديه وأسترالية ونيوزيلندية إلى مصر فأصبح مجموع القوات البريطانيه في مصر يصل إلى سبعين ألفا، بخلاف مايقرب من إثنين وعشرين ألفا من القوات المصرية والسودانية[1].

وقد كانت القوات البريطانية متيقظة وتصلها المعلومات التفصيلية عن تحركات القوى المهاجمة، ولم تكن الطائرات البريطانية المتاحه لدى القوات في مصر ذات قدرة على الطيران الطويل ولذا وضعت عدد من الطائرات المائية الفرنسية تحت تصرف الجنرال ماكسويل، حيث قامت بعدة طلعات ناجحة، عرف من خلالها ومن خلال التقارير الأخرى أن الهجوم العثماني لن يتأخر وسيكون عبر الطريق الأوسط لشبة جزيرة سيناء، ولذا رأت السلطات البريطانية أن تنشر بيانا في الصحف المصرية عن قرب وقوع هجوم وشيك على القناة حى يخفف بقدر المستطاع إمكانية وقوع هياج شعبي[2].

كما تم تعزيز وتعبئة الخنادق على طول جبهة الضفة الغربية للقناة، ووصلت عدة سفن حربية بريطانية إلى القناة، بالإضافه إلى بعض السفن الفرنسية حيث تمركزت في النقاط الهامه على طول القناة .. ومع ذلك فإن القناة لم تقفل نهائيا بعد في وجه

---

(١) أ .كيرزي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦-٣٢.

(٢) Macmunn, George (Lieut General) and Falls, Cyril, (Captain), Military Operation Egypt and Palastine, London, 1928, PP 28-29.

الملاحـة وإنما تعـمل نهـارا، وتتـوقف الملاحـه في القناة ليـلا، ثم قـسـمت القناه[1] إلى قطاعات عسكريه متعدده على النحو التالي:-

١- القطاع رقم ١ من بورتوفيق إلى موقع يسمى جنيفا والمركز الرئيسى لهذا القطاع هو السويس.

٢- القطاع رقم ٢ من الدفـرسـوار إلى الفـردان، والمركـز الرئيـسى للقطاع هـي الإسماعلية.

٣- القطاع رقم ٣ من الفردان إلى بورسعيد، والمركز الرئيسي للقطاع هي القنطرة[2].

ووضـع على الضفة الشرقية من القناة رأس جسر محصن في القنطرة والفردان ومـعـدية الإسمـاعلية وطوسوم وسيرابيوم والشلوفة والكوبرى. حيث تغطي رؤوس الجسور تلك مواقع محفورة على الضفة الغربية، وقد غمرت الأرض شمـال وجنوب القنطرة وذلك بفتح القناه لتصب في بحيرتي المنزلة والبلاح وذلك بقصد الحد من إتساع الجهة التى يستطيع العثمانيون أن يوجهوا إليها هجومهم .. كما غمرت مساحة قدرها نحو عشرين ميلا شرقي وجنوب شرقي بورسعيد، وعلى ذلك قلت الجبهة الفعلية المطلوب الدفاع عنها إلى نصف القناه، وفي الوقت نفسـه كانت السفن تقوم بأعمـال الدوريات في بحيره التمساح والبحيرات المرة وعلى السواحل السوريه [3].

وقـد لجـأت بريطانيـا إلى خطة تحسين خط الدفـاع الذي تعطيـه القناة مناعـة طبيعيـة، كما أن الخصم يجهل قوه المدافعين الحقيقيـة، وهذا يعني أن العمليات البريطانية لجأت إلى الدفاع السلبي وهو التحصن حول القناة دون القيام بالدفاع

(١) انظر ملحق الخرائط.

(٢) Ibid, PP 31-32.

(٣) أ. كيرزي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩ – ٤٠.

الإيجابي الذي يعني التقدم لمواجهة العدو، بسبب زيادة تكاليف الدفا ع الإيجابي الذي يستلزم مد السكة الحديدية وزيادة خطوط الأنابيب ومحطات المضخات للمحافظة على تموينات القوات، ولعدم معرفة العدد الحقيقي للقوات التى كان العثمانيون يستطيعون جمعها ضدهم من القوات غير النظامية[1].

ويظهر من خلال ماتقدم التعاون المثمر بين الحليفتين بريطانيا وفرنسا في الدفاع عن القناه وخصوصا في مجال سفن الأسطول وطائرات الإستطلاع .. إذ أن المصالح المشتركة وأهمية القناة الإستراتيجية للحلفاء تحتم مثل هذا التعاون كما اتضحت الخطة البريطانية في هذه المرحلة وهي الدفا ع السلبي دون الهجوم وهذه السياسة تنطلق من الإمكانات المتاحه وظروف الحرب في الميادين الرئيسية للصرا ع بين بريطانيا وخصومها.

ولم يخف على الإنجليز في مصر ماترمي إليه الدولة العثمانية باتصالاتها مع السنوسي، ففي أحد التقارير السرّيه التى كتبها بعض الإنجليز المعنيين في ٧ديسمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٣هـ الإشاره إلى النفوذ الكبير الذي كان لأنور باشا قبل إندلاع الحرب العالميه عندما كان في برقه، ثم يتابع التقرير ماقام به مساعد مفتش الحدود الغربيه المستر رويال Royle من زيارات للسيد أحمد وصداقته إياه نظرا لموقفه المتعاطف معه لسماحه بمرور المواد الغذائية إلى رعايا السيد أحمد .. ولكن يشير التقرير إلى أن هذه العلاقة ربما لاتقارن بالنسبه للدولة العثمانية، التى تزود السنوسي بالمال لشراء هذه المواد الغذائية .. ومهما ضعف هذا العامل فإن الشعور الدينى المشترك بين الطرفين يجعله أكثر ميلا للجانب العثماني، ويحصر التقرير الآثار التى تترتب على إنضمام السنوسي للعثمانيين في الحرب ضد الإنجليز بما يلي:-

- إستجابة القبائل المنتشره في برقه والفيوم لنداء السنوسي بغزو مصر، وتقدر اعداد

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٧-٣٨.

هؤلاء بحوالى خمسة وعشرين ألف مقاتل.

- إتصال السنوسي بالسلطان علي دينار في دارفور بالسودان، ولذا يرى أن تقوم بلاده بوضع عدد كاف من الرجال على طريق مطروح - سيوه لمراقبة أي تقدم تجاه مصر لرجال السيد أحمد[1] .

ولذا لم يتوان الإنجليز عن السعي جديا لحمل السيد أحمد الشريف على إلتزام موقف الحياد، حيث أرسل السير هنري مكماهون H. Mcmahon عند وصوله إلى مصر نائبا عن بريطانيا بعد إعلان الحمايه رساله في ١٥ يناير ١٩١٥/ ١٣٣٣ هـ إلى السيد أحمد يؤكد فيها استمرار العلاقه الوديه بين الطرفين .. إلا أن العثمانيين بجهود نوري باشا وجعفر العسكري مازالوا جادين في محاولاتهم لإقناع السيد أحمد الشريف السنوسي بالبدء في الهجوم على مصر[2].

وفي تقرير آخر للمخابرات البريطانية يشير إلى أن وكيل السنوسي في مصر محمد الموهوب، والمدعو عمر باشا كيخيا إتصلا بالسلطات الإنجليزية في مصر في أوائل يناير ١٩١٥/١٣٣٣هـ وذكرا أن السنوسي الذي كان في حاجة ماسة للمال، واحتاج إلى المساعدة في التباحث حول الحصول على قرض .. قد ضمن إستمرار موقفه الودي تجاه مصر، كما أرسل السنوسي أحد مبعوثيه إلى السلطات في مصر لتبليغها باسمه أن زياراته للحدود إنما كانت لزياره الزوايا السنوسيه، إلا أن التقرير يؤكد في نفس الوقت وجود حوالي ألف جندي عثماني برفقه بعض الضباط الألمان لتدريب العرب هناك[3].

---

(١) (PRO)

FO 371/1971, Notes on Senussi question, 7th December, 1914.

(٢) محمد فؤاد شكرى، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) (PRO)

وهذه المعلومات المتناقضة تشير إلى عدم توصل الإنجليز إلى معرفة موقف السنوسي بالدقة .. نظرا لوجود بعض القاده العثمانيين والألمان في أراضيه، في الوقت الذي يظهر فيه السنوسي نواياه الودية للسلطات الإنجليزية في مصر.

وقبل بدايه الهجوم الأول للقوات العثمانية على القناه بأيام قليله، أمدتنا وثائق وزارة الحرب البريطانية التى جاءت على شكل "يوميات الحرب، بمعلومات دقيقه عن تحركات القوات العثمانية تجاه القناة باليوم والساعة ..

ففي ٢٥ يناير ١٩١٥م/ ١٣٣٣ هـ بين الساعة التاسعة صباحا حتى الواحدة والنصف ظهرا، حددت الطائرات البريطانيه بعض المواقع التى تقدم إليها العثمانيون صوب القناه وفق مايلي:-

- تجمع قوات عثمانيه في بير دويدار.
- تحرك قوة من المشاة العثمانيين بالقرب من بير المهادات يقدر عددها بألفين وسبعمائة من المشاه مع مائتين أو أكثر من الفرسان باتجاه شمال غرب.
- مشاهدة مايقارب ألف من المشاة، وثلاث مائه من الفرسان في موقع يبعد سته أميال من القنطرة يتقدمون إلى هذا المكان.
- تجمع مائتين من المشاة العثمانيين بالقرب من الكبري.
- وجود معسكر عثماني في قاطية بقوة تقدر بثلاثة آلاف رجل تخيم على بعد ثمانية أميال شرق الدفرسوار.
- تعزيز القوة العثمانية شرق القنطره بقوات أخرى، بالإضافة إلى بعض المواقع.

FO 371/2349, S.I.R. No 246, January, 1915.

ولذلك تمت بعض الإجراءات العسكرية وفق هذه التحركات العثمانيه، حيث عززت بعض المواقع، وصدرت الأوامر بسيطرة السلطات العسكرية على حركة المرور في القناه، وإيقاف أعمال الإنشاءات غير العسكريه على ضفة القناة الغربية(١).

وقدتوقع أحدضباط القيادة البريطانية في القناة أن يقوم العثمانيون بنشر قواتهم على طول جبهة القناة لإشغال الإنجليز وبالتالى القيام بهجوم مركز على نقاط مختارة، على الرغم من مشكلة الحصول على المياه التى تمنع تعزيز القوات، ويرى في حال تأخر الخصم في البدء بالهجوم أن تقوم بعض القوات البريطانية بالخروج إلى بعض فرق القوة العثمانية ومنازلتها نظرا لصعوبة الإتصال فيما بين فرق الجيش العثماني كما يراه هذا الضابط(٢).

ومادونته تقارير قيادة دفاع القناة البريطانية هذه حول تجمع بعض الفرق العثمانية في نقاط مختلفه شرق القناة، حيث لم تكن محتشده بكاملها شرق القناة، إنما يعبر عن خطه الجيش العثماني التي ذكرتها المصادر العثمانية باتباع خطة الوصول إلى القناه عن طريق تعاقب سير الفرق العثمانيه تبعا لما تسمح به المؤونه والماء ووسائل النقل على أن يتقدم الفيلق الثامن إلى القناة وينتظر على الحدود إلى أن تلحق به القوة الأخرى وفقا لخطة مسير القلب والجناحين(٣).

وبدأ من ٣١ يناير ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، ومابعده تمركزت القوات البريطانية على

---

(١) (PRO)
wo 95/ 4360, war diary, from 25/1/1915 to 30/1/15.

(٢) Same Series and Vol, Confidential notes on situation (s.d) A. H. Bingles Bingles General, 27/1/1915.

(٣)علي فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨-٧٣.

طول القناه متأهبه لرد الهجوم في أية لحظة[1].

سير المعارك في القناه[2]

في ١٤ يناير ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، بدأ القسم الأول من جنود الحملة زحفه على القناة .. وفي اليوم التالي غادرت قيادة الجيش بير السبع مقتفية أثر الجيش فوصلت بعد أسابيع قوه القلب إلى نقطة تبعد نحو أحد عشر كيلا من القناة، ووصل الجناح الأيمن تجاه القنطرة، بينما وقف الجناح الأيسر مقابل السويس وقد تقرر أن يقوم القلب في ليلة ٢ فبراير بهجمة فجائية على الإسماعيلية، ويتظاهر الجناح الأيمن في الوقت نفسه بمهاجمة القنطره بينما يواصل الجناح الأيسر زحفه على السويس[3].

أما المكان الذي وقع عليه الإختيار للهجوم، فبين طوسوم وسرابيوم، أي بين الإسماعيلية وبحيرة التمساح وبين البحيرة المالحة القائمة في جنوبيها، حيث تقوم خمس كتائب بحركة العبور وتتظاهر سائر قوى الجيش وسرايا الأجنحه بمهاجمة الأنحاء التى تقابلها من القناه[4].

وقد علق العثمانيون آمالا كبيرة على مساعدة الوطنيين المصريين في حالة عبور الجيش العثماني .. وذلك بالثورة في الداخل، حتى يكون له أبلغ الأثر في إلحاق الهزيمه بالبريطانيين[5].

---

(١) Macmann, G., and Falls, C. Op, cit, p 37.

(٢) انظر ملحق الخرائط.

(٣) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٢ – ٢٦٥.

(٤) علي فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧.

(٥) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦.

هذا وكانت تقارير يوميات الحرب التى سجلتها قياده الدفاع البريطاني في القناة في اليوم الأول والثاني من فبراير ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، أى بعد إكتمال حشد الجيوش العثمانية على طول القناه تشير إلى مايلي:

- كشفت الطائرات البريطانيه وجود مجموعات عثمانية صغيرة تجاه بحيرة التمساح.

- وجود حوالى ألفين من المشاه بمدافعهم يحفرون خنادقهم في موقع يبعد خمسة أميال شمال شرق مركز فيري Ferry post.

- وجود حوالى ألف من المشاة مع مائتين من الخياله قرب كثيب أبو عروق بينما تتجمع مجموعات صغيرة بالقرب من الدويدار وقاطيه.

وبناء على هذه المعلومات، قامت السفينه البريطانيه " clio " باطلاق مدافعها في الثانية ظهرا من ١ فبراير ١٩١٥، على التجمعات العثمانية القريبة، والتى إبتعدت بدورها عن مصدر النار[١].

وفي اليوم الثاني من فبراير ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، كانت القوات العثمانية تتمركز على الشكل التالي:-

- تجمع ثلاثة آلاف رجل، بأربع مدافع في موقع شمال شرق مركز فيري.

- إلى الجنوب من هذا الموقع بميلين يتمركز ثلاثة آلاف رجل.

- قرب جبل هابيتا يتمركز ألفان من الجنود ومعهم جمال ومواد غذائية كبيرة.

- تتحرك قوات عثمانيه باتجاه الفردان في مجموعات صغيرة ...

---

(١) (PRO)
wo.95 / 4360, war diary, From, 1/2/1915 to 8 a. m. 2/2/15.

ولذا طلبت القياده البريطانيه تعزيزات أكبر لهذه المواقع التى ينوي العثمانيون الزحف إليها[1].

وعلى طول عشرين ميلا تقريبا من الدفرسوار إلى الفردان، أنشغلت المخافر الأمامية البريطانية مع العثمانيين في مناوشات طول اليوم، وقد تأكدت السلطات البريطانية أكثر من ذي قبل بأن الهجوم سيتركز في القطاع الأوسط على الرغم أنها لاتعرف بعد ما إذا كان ثقل الهجوم سيتركز شمال أو جنوب بحيره التمساح[2].

وتعتبر عدم قدره الإنجليز على معرفة الموقع الحقيقي الذي سيعبر معه العثمانيون رغم الإمكانات الكبيره التى لديهم وطائرات الإستكشاف التى ترصد التحركات العثمانية أولا بأول، دليلا على بوادر نجاح الخطة العثمانية التى قامت بتظاهرات عده على طول جبهه القناه لإيهام الخصم.

وفي الثالث من فبراير ١٩١٥/١٣٣٣ هـ أبلغ مركز المراقبه في طوسوم عن تقدم قوات عثمانية باتجاه ضفة القناه أعقبها تعالي أصوات الجنود العثمانية بالتكبير جنوب هذا المركز، فقام الإنجليز بإطلاق النار من المدفعية مع أحد الكتائب باتجاه الهجوم، وتراجعت القوه رغم تبادل الضرب بالمدفعية بين الطرفين. وقرب الفجر بدأت مجموعات كبيرة من العثمانيين تحمل الجسور والعوامات لتركيبها على القناه للعبور، فاطلقت القوات المدافعه النار مماأدى إلى إجلاء بعض هذه الجسور ... وبعد لحظات قامت محاولة أخرى للعبور على بعد ميل ونصف جنوب موقع المحاولة الأولى، غير أن المدفعية أغرقت مجموعه من هذه الجسور والعوامات .. ونجت ثلاثه من هذه الجسور من التحطيم تحت حماية المدفعية العثمانية، كما قامت عدة قوارب محملة بالجنود بعبور

---

(١) Same Series and Vol., War diary, from 7a.m 2/2/1915 to 12pn. 3/2/15.

(٢) Macmann, G., and Falls. C., Op, cit, p 39.

القناة إلا أن قوة المدفعية الإنجليزية حالت دون وصول العدد الكافي للضفه الغربية من القناه .. وبالتالي سقط معظم هؤلاء بين قتيل وجريح وأسير ....

وفي صباح اليوم التالي بدأ هجوم جديد مركز على طوسوم بمساعدة المدفعية العثمانية ضد المواقع البريطانية .. ولكن السفن البريطانية ردت النار، وأعقب ذلك هجوم بريطاني مضاد على نطاق ضيق[1]، ومع ذلك تمكن العثمانيون من الإنسحاب دون أن يتابعهم البريطانيون بأي مطاردة جدية، فتم صد الهجمات العثمانية الرئيسية، كما فشلت الإغارات العثمانيه بجوار القنطرة والسويس[2].

وتجدر الإشارة إلى أن فرقة من الجيش المصري، إشتركت في رد الهجوم عن القناة وهي فرقة المدفعية الخامسة في الجيش المصري بقياده ت.ب . روبرتس T.B. Roberts والملازم أول أحمد أفندي حلمي الذي قتل في الهجوم[3].

هذا ملخص الرواية البريطانية عن الهجوم وإخفاقه، وتكاد لاتختلف كثيرا عن الرواية العثمانية التى دونها جمال باشا وعلي فؤاد في مذكراتهما غير أن الأول يصر على نجاحها - رغم إخفاقها - كمظاهره عسكرية لإفهام الإنجليز بأن العثمانيين لاينوون الوقوف موقف المتفرج على ضفة القناة، ولاستبقاء عدد كبير من جنود بريطانيا في مصر[4]، أما الآخر فيتفق معه حول نجاح المظاهرة العسكرية حول القناة ولكن ينعى على بلاده إخفاقها في تحقيق أحلامها بفتح مصر عندما تنبهت بعد التجربه والإخفاق

---

(١) Ibid, pp 39 -41.

(٢) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص ٤١-٤٢.

(٣) (PRO) w.o 95/4360, war Diary.

(٤) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٧- ٢٦٩.

إلى الحقيقه[1].

ولو تتبعنا أسباب فشل الهجوم العثماني الأول على القناة لوجدنا هناك عدة أسباب منها:ـ

ـ أن قيادة الجيش العثماني لم تكن واثقة سلفا بالنجاح النهائي .. لعلمها بمناعة الإستحكامات الإنجليزيه في القناة في الوقت الذي لاتملك فيه الحملة سوى موارد ضئيلة[2].

ـ أن عملية العبور تأخرت قليلا عما كان مقررا حيث كانت الشمس في الأفق عند مد الجسور والشروع في العبور، فأصبحت العملية ظاهرة للجيوش الإنجليزية.

ـ قطع الجيش العثماني لمسافة طويلة عبر صحراء جرداء تندر فيها المياه ويصعب فيها نقل مواد التموين .. مما كان له أثر كبير في إنهاك الجيش[3].

ـ أن الألمان صوروا للعثمانيين أن القوات البريطانيه قد أحدق بها الخطر في كل مستعمراتها ومن السهل عبور القناه في ظل هذه الظروف[4].

ويمكن أن نضيف إلى جملة أسباب الإخفاق على القناة التفوق البريطاني في مجال الطيران حيث أمدت الطائرات الإستكشافيه الإنجليز بمعلومات وافيه عن تجمعات السرايا والكتائب والفرق العثمانية وفق ماأشرنا إليه .. كما أن خطة العثمانيين بتحريك السنوسي لم تتزامن مع الهجمة الأولى على القناه وبالتالي لم ينشغل الإنجليز بجبهة أخرى، أما البريطانيون فقد توفرت لهم المياه والتموينات الغذائية في نفس الوقت الذي

---

(١) علي فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٢.

(٢) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥-٢٦٨.

(٣) علي فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢-١١٣.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤٠.

لم يخاطروا فيه بالزحف عبر الصحراء القاحلة، بل ظلت قواتهم متمركزة في خنادقها ومراكز مراقبتها، وأخيرا فإن القوة الروحيه للجنود العثمانيه المسلحه والتى تعالت أصواتهم بالتكبير عند العبور، إنما قلل من مفعولها الولاء لقيادة أركاناتها من قوى نصرانية.

وبعد نهاية الهجوم العثماني الأول كتب قائد دفاعات القناة البريطاني تقريرا مفصلا من المركز الرئيسي لدفاعات القناه في الإسماعيليه في ١١ فبراير ١٩١٥/ ١٣٣٣هـ، أرسله إلى القاهره، واستهله بذكر تاريخ قدومه لهذا المركز في ١٦ نوفمبر ١٩١٤/١٣٣٢هـ عندما بدأ بتنظيم دفاعات القناة وتقسيمها إلى قطاعات في ٥ديسمبر ١٩١٤/١٣٣٣هـ، ومن ثم بدأ بإنشاء مراكز للمراقبة شرق القناة وتم حفر الخنادق في الضفة الغربية، وأنشئ نظام إتصالات متكامل تلفونيا وبرقيا بين مراكز قطاعات الدفاع، ومدت السكة الحديدية في النقاط الهامة، مع توفير المياه، وفي نهاية التقرير كتب تفصيلات المعارك التى حدثت على طول القناة، وهي في مجموعها مناوشات بين الطرفين تفوقت فيها المدفعية الإنجليزية التى انطلقت من السفن ونقاط الدفاع على الضفة الغربية، وعبّر عن امتنانه للمشاركة الفعالة للطائرات الفرنسية التى ساعدت في الكشف عن مواقع العثمانيين رغم تعرضها للنار، ولمشاركة بعض الفرق من الجيش المصري[1]. وماعرضه هذا القائد يوضح بجلاء الإستعداد المبكر لمواجهة الهجوم العثماني كأحد عوامل نجاح البريطانيين في الدفاع عن القناة في مواجهة الهجوم العثماني.

---

(١) (PRO)
wo 95/4360, Field Operation, No O.G/ 18, Head quarters Canal Defences, Ismailia, to the General Staff Head quarters, Cairo, 11th Feb 1915.

الوضع في مصر والسودان بعد فشل الحملة الأولى

وصل السير هنري مكماهون H. McMahon إلى مصر في ٩يناير ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ ليتولى مهام منصبه الجديد كمندوب سامي لبريطانيا .. ولم يكن ملما بأحوال مصر على غرار من كانوا قبله أي كرومر، وجورست وكتشنر، فأطلق أيدي المستشارين الإنجليز في مصر وخاصة المستشار المالي المستر سيسل (Cecil)، كما استأثر مكماهون بالسلطه وأهمل السلطان حسين حتى اشتدت الجفوه بينهما[1]، وأدى ذلك إلى مزيد من إنعدام الثقه بين المسئولين المصريين والموظفين الإنجليز، وخصوصا بعد أن تنكبت إنجلتره عن نصوص إعلانها الذي أصدرته من قبل وذكرت فيه أن مصر لن تتأثر بالمجهود الحربي في الوقت الذي أشرك فيه المصريون في الأعمال الحربيه أثناء الهجوم على القناة[2].

وقد كتب سعيد باشا شقير وهو أحد موظفي الحكومة في السودان من العرب المسيحيين، يصف الحالة في مصر بأنها هادئة على الرغم أن اتجاه المصريين الخفي مازال قويا ضد النظام الحالي الذي تعيشه البلاد، وخاصة المسلمين الذين يتمنون أن يخلص العثمانيون البلاد من الحكم البريطاني[3].

ولكي يحافظ البريطانيون على الوضع في مصر، وضعوا رقابه على الأموال التى تقوم بصرفها الدوائر المسئولة عن أملاك أقرباء الخديو السابق وبعض الأمراء،

---

(١) لطيفه محمد سالم، مرجع سبق ذكره، ص١٠٢.

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى، تاريخ مصر السياسي، ص ٩٢- ٩٣.

(٣) (PRO)
FO 371/2485, Extract from letter dated 22nd Feb 1915, to Mr Cumberbatch, From Said pasha Shoucair, Director General Of the Sudan Financial Dept.

حتى لاتصرف منها أي مبالغ لجهات معاديه لبريطانيا في مصر[١]. ويبدو أن بريطانيا شعرت بتفوقها وبقدرتها على التحكم بشكل أكبر في مصر بعد إخفاق الحملة العثمانية على القناه، فبدأت بتشديد قبضتها أكبر من ذي قبل.

وفي تقارير المخابرات البريطانية في السودان .. والتى تغطي منطقة البحر الأحمر[٢] والمعروفه بتقارير المخابرات السودانية Sudan Intelligence Reports ، والتي كانت تصدر شهريا من الخرطوم يشير أحد هذه التقارير وهو تقرير شهر فبراير ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ إلى أن أنباء الهجوم العثماني على القناة مرت بدون أن يعلم بها أحد تقريبا خارج المدن الكبيرة في السودان، على الرغم من وجود بعض المشايخ المحليين الذين يدعون إلى الرابطة الإسلامية ويوزعون الكتيبات التي تساند هذا الموضوع .. كما أن غالبية القطاعات المذكورة قد حدث فيها بعض أعمال السلب والإغاره، رغم محاولات الإنجليز لضبط الموقف[٣]. إلا أن الواضح أن أعمال السلب

---

(١) دار الوثائق القوميه بالقلعه، القاهرة، محفوظات مجلس الوزراء، نظاره الخارجية، المحفظه ٩ب، المجموعة ١١،٣٨١ مارس ١٩١٥.

(٢) تدون هذه التقارير معلومات عن الأماكن التاليه:-

- الوضع في السودان بشكل عام:
- قطاع حلفا — قطاع النيل الأزرق — السنوسي والصحراء الغربية
- قطاع دنقلا — قطاع سنار — دارفور
- قطاع البربر — قطاع النيل الأعلى — أثيوبيا
- قطاع الخرطوم — قطاع بحر الغزال — أرتيريا
- قطاع البحر الأحمر — قطاع جبال النوبه — الجزيره العربية
- قطاع كسلا — قطاع كردفان

وانظر ملحق الوثائق الذي يحتوى على نموذج لهذه التقارير.

(٣) (PRO)
FO 371/2349, S.I.R. No 244, Feb 1915.

والنهب هذه ليست لها علاقة أو إرتباط بالهجوم العثماني بدليل أن أغلب التقارير الشهريه التالية تدون مثل هذه الأحداث التى تعتبر سمه بارزه في منطقة واسعه كالسودان آنذاك، وقد تكون زيادة هذه الظاهرة نتيجة لإنشغال بريطانيا في الحرب العالمية.

وفي الحدود الغربيه لمصر أشارت آخر التقارير الإنجليزيه عن السنوسي، أن ألفين من رجاله يتجمعون في السلوم ومعهم بعض الضباط العثمانيين بذخائرهم[1]، وإلى وجود بعض الوطنيين المصريين في معسكر السنوسي[2]. فكانت كل المؤشرات تدل على قرب إنقطاع الصلات بين الإنجليز والسنوسي والبدء في الهجوم على مصر من الناحية الغربية .. مما يعني أن المحاولات العثمانيه قد أحرزت بعض النجاح في سياستها.

كما بدأ الإنجليز في السودان يشكّون في تصرفات علي دينار حاكم دارفور في غرب السودان فقد أبدى السلطان إمتعاضه لخلع الخديو عباس .. فأكد استقلاله في المستقبل، ممايشير إلى أنه تأثر بالدعايه المعاديه للإنجليز الوافدة من الخارج[3].

وبعد إخفاق الحملة العثمانية فكر البريطانيون في مصر وعلى رأسهم مكماهون بما يجب عمله تجاه سوريا وفلسطين اللتان تنطلق منهما الهجمات العثمانية، فكتب إلى وزير خارجية بلاده حول مستقبل هذه البلاد، خصوصا وأن فرنسا ترنو بأنظارها إلى هذه المنطقة .. مما يتعين معه وجوب التوصل إلى تفاهم مشترك بين بريطانيا وفرنسا حول المسأله السوريه، ويحذر مكماهون بلاده إذا لم تبادر إلى تحديد موقفها هناك، وإلا ستفقد مصالحها لافي سوريا وحدها بل في الشرق الأدنى لاسيما وأن سوريا

---

(١) Same Series and Vol., S.I.R. No 248, March 1915.

(٢) Same Series and Vol., S.I.R. No 249, April 1915.

(٣) Same Series and Vol., S.I.R. No 250, May, 1915.

تضم مجموعتيين هامتين، الأولى العرب الذين بدأت حركتهم القومية في الصعود، ومجموعة المسيحيين، ولذا فإن أي إخفاق في السياسه البريطانيه هناك يعني إنضمام العرب إلى حركة الجامعة الإسلامية، وإنضمام المسيحيين إلى فرنسا[(١)].

وهذه القضيه التى نبه إليها مكماهون بالغة الأهمية، لأنها تحدد بداية السياسة البريطانية في المنطقة فيما يتعلق باجتذاب العرب، والوصول مع فرنسا إلى تفاهم حول سوريا، وتثبيت وضع بريطانيا في مصر.

وكانت الحرب في الميادين الأوربية قد اقتضت أن تقوم بريطانيا بإنفاذ حملة إلى الدردنيل حتى يفتح الطريق المائي عبر المضائق لإيصال الإمدادات إلى روسيا، ولتخفيف الضغط على جبهة القوقاز، ولاعتبارات أخرى في صالح بريطانيا لخنق الدولة العثمانية وتوجيه ضربه قويه إليها[(٢)]، ولكن فشلت المحاولة التي قام بها الأسطول البريطاني في ١٨ مارس ١٩١٥/١٣٣٣هـ لإقتحام مضيق الدردنيل بسبب إنفجارات الألغام التى لحقت بالسفن البريطانية والتى وضعها العثمانيون والألمان قبل الهجوم بعشرة أيام[(٣)] .

ثم قامت بريطانيا بمحاولات في ٢٥ إبريل ١٩١٥/ ١٣٣٣هـ، وكادت تنجح ولكن أخفقت في النهاية جميع هذه المحاولات، إلى أن رأت الحكومة البريطانية سحب قواتها من شبه الجزيره، بعد أن كلفت مغامرة الدرنيل الإنجليز عشرات الآلاف من القتلى والجرحى[(٤)].

---

(١) (PRO)
FO 371/2480, H. MacMahon to Sir E. Grey, Cairo, 15th Feb., 1915.

(٢) هـ . أ. ل . فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٠٥.

(٣) Cruttwell, C.M. F., Op, cit, pp 210-212.

(٤) هـ . أ. ل . فيشر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٠٦.

وكان لقرار إنفاذ حملة الدردنيل آثار في تقليص دفاعات القناة، حيث غادرت مجموعة السفن والطائرات مع الفرق المشاركة في الحمله، فكانت القوات المتبقية في مصر، والتي فقدت أقوى عناصرها، لاتستطيع أن تصل إليها المعلومات الهامة عن تحركات العثمانيين في سيناء إلا بعد مضي وقت طويل، فاستغل العثمانيون فرصة مغادرة الفرق الإنجليزيه ببث بعض الألغام في البحر الأحمر في شهر مارس ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، مما اضطر معه الإنجليز إلى وضع مراقبه شديدة على القناة في تلك الظروف الحرجة[1].

وفي نطاق سياسة بريطانيا في البحر الأحمر، طرأت مداولات جديدة حول الخطة البريطانية التى وضعتها بريطانيا في أوائل الحرب والتى ذكرناها في المبحث الخاص بسياسة بريطانيا في المنطقة مع إندلاع الحرب العالمية الأولى .. فقد اقترح السير هنري مكماهون أن يقسم البحر الأحمر إلى قطاع شمالي وقطاع جنوبي، الأول تحت إشراف المندوب السامي في القاهرة، والثاني تحت إشراف المقيم في عدن الذي يتلقى أوامره من حكومة الهند، على أن يتم التشاور بين المندوب السامي في القاهره والمقيم في عدن للوصول إلى سياسة موحدة [2] . فوافقت الحكومة البريطانيه على هذا الاقتراح مع التذكيز بأهمية التنسيق حول سياسة البحر الأحمر[3].

ومع بداية تطبيق هذه السياسة ظهرت مشكلة التحديد الدقيق للإشراف على المناطق الواقعه في منتصف المسافه، والتى يكاد أن يشملها الإشراف من القطاعين

---

(١) Macmunne, G., and Falls, C., Op, cit 60 - 61.

(٢) (PRO)
FO 371/2478, I O to F. O, 5th Feb 1915.

(٣) Same Series and Vol, Cypher tele No 74, to Sir H. McMahon Fo, 8th, Feb 1915.

الشمالى والجنوبي، وهي جده وبقيه الحجاز، ولذا طلب مكماهون أن تكون الحجاز تابعة لإشرافه لإعتبارات عديده منها بداية الإتصالات بين السلطات في مصر والشريف في الحجاز(١).

فسياسة تقسيم البحر الأحمر على هذا النحو، تضمن لبريطانيا سيطرة أوسع وأكبر من ذي قبل رغم أن إختلاف الإشراف على القطاعين الذي يرتكز على تطبيق سياستين تنبع كل منهما من مصدر مختلف كسياسة عدن التابعة من حكومة الهند وسياسة القاهره من لندن مباشره، قد يؤدي إلى بعض التضارب الذي بدأت بوادره بالإختلاف حول مد الإشراف إلى المناطق الحدوديه بين القطاعين كالحجاز.

سياسة العثمانيين بعد فشل الحمله الأولى:

عاد العثمانيون بعد إخفاق حملتهم الأولى إلى المراكز التى انطلقوا منها على حدود سيناء الشرقية، على أمل تنظيم صفوفهم مره أخرى وفق الدروس المستفاده من الحمله الأولى، وكأن ماقاموا به في السابق مجرد تطبيق عملي لخطه لم يكتب لها النجاح أو لم تتوفر الوسائل والأسباب الكفيلة بإنجاحها ...

قام جمال باشا بعد عودته بعده تنظيمات جديده لتهيئة هجوم آخر على القناة ومن ذلك: ـ

- البدء بإنشاء طريق بين بير السبع وسائر قواعد خط المواصلات باتجاه الإسماعيليه لتيسير نقل السيارات، مع إنشاء خط حديدى محاذٍ لذلك الطريق.

---

(١) Same Series and Vol, Decypher No 58, Sir H. Mcmahon, Cairo, 28th, Feb. 1915.

- إنشاء هيئتين مستقلتين الأولى باسم "مركز قياده تجريدة الصحراء تحت إداره فون كريس الألماني، والثانيه " هيئة تفتيش خط مواصلات الصحراء" على أن تكون مهمة الثانية إنشاء القواعد وطرق الإتصال، والأولى حماية تلك المباني من هجمات العدو ومراقبة أعماله بالقيام بحركات إستطلاع حول القناه بين آن وآخر.

- تعيين جمال باشا (الصغير) الذي عمل قائدا للفيلق الثامن، قائدا لمنطقة القدس وفخري باشا الذي عمل قائدا للفيلق الثالث عشر، قائدا للمنطقة التي يتكون منها الجزء الأوسط والشمالي من ولايه بيروت وولايات سوريه وحلب وأضنه، تحت مسمى قائد الجيش الرابع (المؤقت)، كما تم دمج الفرقتين الثامنة والعاشرة في الجيش مباشره ونقل جمال باشا مركزه إلى القدس[1].

وكانت الحكومة العثمانية قد طلبت من جمال باشا إرسال فرق عسكرية لتعزيز الدفاع عن الدردنيل والمضائق بعد غزو بريطانيا وحلفائها لهذه المناطق فلم يبق من كتائب الجيش العثماني في الشام وفلسطين وسيناء إلا القليل ومعظمهم من العرب[2].

ولما كانت الخطة العثمانية الجديدة هي القيام ببعض التحركات الإستطلاعية على القناة إلى أن يتم التجهيز النهائي لحمله أخرى .. فقد نشرت الوثائق والمراجع الإنجليزيه بعضا من هذه التحركات، ومن ذلك قيام مجموعة في ٢٢ مارس ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ بمحاولة جريئة على القناة، قام بها بعض أفراد هذه المجموعه فلمحتهم دورية بريطانية في القناة، قام بها بعض أفراد المجموعه الأخرين أطلقوا النار على تلك الدورية فقتل إثنان من الإنجليز، مما اضطر قائد الدورية إلى الإنسحاب والنجاة بأفراده .. ثم قامت محاوله أخرى ضد مركز الشلوفة على القناة، .. كما وصلت تقارير

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٧-٢٨١.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

عن تجمع للعثمانيين في موقع يبعد عشرة أميال شرق القناه، فقامت فرقة إنجليزية قوامها فرق من الخيالة والمشاة وبعض المدافع بالهجوم على هذا التجمع،الذي انتهى بمقتل وجرح عدد من العثمانيين مع بعض الخسائر في الجانب البريطاني[١].

وفي شهر إبريل ١٩١٥/١٣٣٣هـ إقتربت بعض السرايا العثمانية الصغيرة إلى القناه، فقامت قوات إنجليزية بالإتجاه شرقا حول هذه التجمعات، فحدثت بعض المناوشات بين الطرفين كما رصدت في الأشهر التاليه عده طلعات إستكشافية وهجومية لبعض الفرق العثمانية التى نجحت أحيانا في بث الألغام، فأغرقت إحدى السفن البريطانية في البحيرة المرة الصغرى، رغم المراقبة البريطانية الشديده على القناة، ولم تخف حده هذه الهجمات الصغيرة إلا بعد نقل الفرق العثمانيه إلى الدردنيل .. ولكن كان البديل لهذا التوقف المؤقت المحاولات العثمانيه والألمانية لتحريك الأقاليم المحيطة بمصر في الحدود الغربية أي في برقه والسلوم، ثم دارفور في غرب السودان[٢].

ومن خلال هذا العرض يتبين نجاح العثمانيين في الوصول إلى القناه ومباغتة دفاعات القناة .. كما يظهر أثر تقليص القوات البريطانيه المدافعة التى توجهت لحملة الدردنيل في فتح ثغرات في القناة.

أما محاولات العثمانيين في الحدود الغربيه لمصر، فقد جاءت التقارير البريطانية عن تحركات السنوسي، وفق ماتوقعته السلطات البريطانيه في تأثير العثمانيين عليه. ففي شهر مايو ١٩١٥/١٣٣٣هـ عبرت تعزيزات من القوافل المحملة بالمؤن والذخائر إلى السلوم، كما أنشأ الألمان مصنعا للذخيرة بالقرب من معسكر السنوسي[٣]، وعلى

---

(١) Macmunn, G., and Falls, C., Op, cit, pp 61- 62.

(٢) Ibid, pp 64- 65.

(٣) (PRO)
FO 371/2349, S.I.R., no 250, May, 1915.

الرغم من اللهجة السلمية التى كانت طابع الرسائل التى يرسلها السنوسي للمندوب السامي وقائد القوات الإنجليزية في مصر، إلا أن الإنجليز إكتشفوا بعد أن أسر حلفاؤهم الفرنسيون سفينة عثمانية في يونيو ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ تحمل بعثة عثمانية إلى السنوسي بقيادة بعض الضباط الذين أحضروا معهم المال والسلاح، كما أن رسالة السلطان العثماني للسنوسي لإعلان الجهاد وأنعامه عليه بلقب الوزارة اعتبرت كلها مؤشرات في نظر ماكسويل قائد القوات البريطانيه في مصر، على أن السنوسي قد دخل في إتصالات مباشره مع إستانبول[١] .

وفي نفس الوقت الذي قلقت فيه بريطانيا من الوضع على الحدود الغربيه، بدأ علي دينار سلطان دارفور يشكل خطرا جديدا على وضعها في السودان ومصر، وخاصة بعد أن علمت عن وجود بعض العلاقات بين على دينار والسنوسي، وعن تزويد الأخير لعلي دينار بالسلاح والذخائر[٢].

ويبدو أن إنحياز السيد أحمد الشريف إلى جانب العثمانيين كان أمراً لامفر منه في النهاية ولاسيما بعد أن وصل إلى علم السنوسيين حشد الإنجليز لقوة عسكريه في مرسى مطروح لقتاله، وبعد زياده نفوذ نوري باشا وجعفر العسكرى في أراضي السنوسي، حيث كانوا يطلقون النار على السفن التجاريه والغواصات الإنجليزيه، فأغرقوا باخرتين إنجليزيتين بواسطة غواصه ألمانيه، وأسر المجاهدون بحارتها الذين تمكنوا من بلوغ الساحل، أضف إلى ذلك أن أنور باشا أخذ يحث في رسائله إلى السنوسي على الهجوم على مصر[٣].

---

(١) Macmunn, G., and Falls, C., Op, cit, p. 66.

(٢) (PRO)
FO 371/2349, S. I.R. no 253, August, 1915.

(٣) محمد فؤاد شكري، مرجع سبق ذكره ص ١٧٠-١٧١.

ومع ذلك حاول الإنجليز الإتصال بالسنوسي لئلا تنجح الخطة العثمانية بتحريكه ضدهم، حيث أرسل الإنجليز بعض الوفود إليه، فعادوا منه برسائل للسلطات الإنجليزيه، يرى السنوسي فيها أن الإنجليز يحشدون القوات لشن الحرب ضد أراضيه، كما أشار إلى أن أسرى الباخرتين من الإنجليز لاخطر عليهم .. إلا أن هؤلاء الرسل حملوا إنطباعا بأن السنوسي يواصل إستعداداته العسكرية وستعد للهجوم حين يبدأ العثمانيون بغزو القناه مره أخرى، عندها يبدأ بالهجوم على الحدود الغربيه لمصر، ولذا فكرت السلطات العسكرية البريطانيه بإشغال السنوسي عن طريق مساعدة إيطاليا في أراضي السنوسي التي تقع تحت يدها لإنهاك قواته، وعن طريق التفاهم مع الفرنسيين لحجز الإمدادات الغذائية التى تصل إليه[1].

وقد حدث أن انضم إلى المجاهدين القومندان المصري لمنطقة مرسى مطروح وسيوه اليوزباشي محمد صالح حرب بعد أن استولت قوات السنوسي على سيوه، وإخلاء الإنجليز لمنطقة السلوم[2] .. حيث بدأت المعارك بين القوات التى جهزها الإنجليز وبين قوات السنوسي التى اشترك فيها نوري باشا قائدا أول وجعفر العسكرى قائدا ثان، وساهم فيها محمد صالح حرب بنصيب وافر[3]. ولعل إنضمام بعض العناصر التى تعتمد عليها السلطات البريطانية في الحدود الغربية لمصر، يزيد من المصاعب التى تواجه بريطانيا هناك، حين حرك نداء الجهاد والعاطفه الدينيه تلك العناصر المسلمة.

وتجدر الإشاره إلى موضوع كثر الجدل حوله، وهو قيام جمال باشا بعد عودته

---

(١) (PRO)
FO 371/2357, Decypher, Sir H. Mcmahon, Cairo, December, 21st, 1915.

(٢) إنظر ملحق الخرائط.

(٣) محمد فؤاد شكرى، مرجع سبق ذكره ص ١٧٢ – ١٧٣.

من الحملة الأولى على القناة إلى سوريا، بمحاكمة بعض العناصر العربية وإعدامها، والتى اشتبه العثمانيون في ولائها للقوى الأجنبية كفرنسا وبريطانيا والتى ذكر جمال باشا أن الحكومة قد عرفت بداياتها منذ دخول الدولة العثمانية الحرب، ولكن بعد ذهاب معظم الفرق العثمانية المشاركه في الدفاع عن الدردنيل تعين عليه المحافظه على النظام الداخلي في المنطقة الممتده من جبال طوروس شمالا إلى المدينة المنورة جنوبا .. فكانت وجهة نظره منع وقوع أي ثوره في هذه الجهات بمساعدة الدسائس الأجنبية حتى لاتفقد الحكومه العثمانيه ولاياتها العربية[1].

وقدألف العثمانيون كتاباأسموه" إيضاحات عن المسائل السياسيةالتى جرت تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه" تضّمن المخابرات والإعترافات والأوراق التي وجدت في منازل قنصلي فرنسا في دمشق وبيروت، والتي تبرر الأحكام الصادره ضدهم[2]، من وجهة نظر القياده العثمانيه[3].

وهكذا تتخلص السياسه العثمانيه في تلك الفتره، على تنظيم إغارات على القناة بين الحين والآخر، وعلى تحريك رعايا السنوسي في الحدود الغربية لمصر، والإتصال بعلى دينار بدارفور لمضايقة الإنجليز في مصر، تمهيدا واستعدادا للتحرك القادم صوب القناه، كما سعى العثمانيون إلى تثبيت مركزهم أكثر في هذه الأنحاء بعد ظهور بوادر الثورة، واشتداد الحرب في الميادين المختلفة.

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٢- ٢٥٣.

(٢) إيضاحات عن المسائل السياسيه التى جرت تدقيقها بديون الحرب العرفي المتشكل بعاليه، نشرت من قبل القائد العام للجيش الرابع، استانبول، مطبعة الطنين، ١٣٣٤هـ .

(٣) نجد معظم من كتب حول هذه الفترة على تلك الحادثه وخاصة كتّاب القومية العربية مثل جورج إنطونيوس في كتابه يقظة العرب، وسليمان موسي في كتبه المتعدده ومنها كتاب الحركة العربية وهما من نصارى بلاد الشام.

وبعد جلاء قوات الحلفاء عن الدردنيل إثر إخفاق حملتهم طلب جمال باشا إلى أنور باشا وزير الحربيه أن يحضر إلى سوريه، ليشاهد ماوصلت إليه الاستعدادات العثمانيه في الصحراء تمهيدا لغزو القناه .. فقدم أنور في فبراير ١٩١٦م/١٣٣٤هـ مبتدأ جوله طويلة في الشام وفلسطين وصحراء سيناء، ثم المدينة المنوره[١].

وفي أوائل إبريل ١٩١٦م/١٣٣٤هـ، وصلت إلى بير السبع فرقه من فرق الطيران الألمانيه، وبطاريات الميدان النمساويه .. لتكون عاملا مساعدا يمكن العثمانيين من إستطلاع مايفعله الإنجليز شرقي القناه[٢].

وكانت خطة العثمانيين لهذه المرحلة ترمي إلى تنظيم قوه ضاربه للقيام بعمليات هجومية تحت قياده فون كريس .. على أن يكون خط تقدمها يمر بالعريش وهدفها الأول الإستيلاء على منطقة قاطيه وروماني[٣].

الموقف البريطاني:

رأت وزارة الحرب البريطانية أن السيرج. ماكسويل القائد العام للقوات

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٧-٢٩٠، وقد ألف محمد كرد علي صاحب مجله وجريده المقتبس ورئيس تحريرها، كتابا أسماه "الرحلة الأنورية إلى الأصقاع الحجازيه والشاميه "بيروت ١٣٣٤-١٩١٦، جمع فيه تفصيلات الزياره والأماكن التى ذهب إليها وهي حلب وجبل لبنان وبيروت ودمشق وفلسطين وسيناء والمدينه المنوره، حيث دون القصائد الترحيبية والخطب ومقالات الصحف التى قيلت في أثناء زيارات أنور لهذه الأماكن. ويتضح مما كتبه محمد كرد علي في كتابه هذا مدى الولاء الكبير الذي قدمه للعثمانيين بما يوحي بولاء جريده المقتبس وصاحبها للعثمانيين سواء بدعم من الحكومة العثمانية أو غيره.

(٢) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٧، ٢٩٠.

(٣) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩-٦٠.

البريطانية في مصر، تقع عليه أعباء كثيرة، كالشئون العسكرية الداخليه لمصر، والدفاع عن الجبهة الغربية لمصر، بحيث لايستطيع وحده تنظيم القوات الكبيره في منطقة القناة والتى عادت لتوها من الدردنيل (غاليبولى). ولذا أنشئت قيادة منفصلة، عُيِّن فيها أرشيبالد موراي Archibald Murray قائدا لتلك القوات التى أطلق عليها قوات البحر المتوسط M. E. F ومركزها الرئيسي في مصر وهي مسئولة أيضا عن الدفاع عن القناة، على أن يتم التنسيق بين هذا القائد والسير ماكسويل حول سلطات ومهام كل منهما .. وقد شرع موراي حال وصوله في تنظيم القوات وفي تغيير خطط الدفاع، حيث بدأ بمد مواصلات السكة الحديدية شرق القناة، وتوصيل المياه إلى المواقع الجديده شرق القناة[1] .

وأصبح لدى بريطانيا نحو أربعمائة ألف جندي للقيام بمهمة الدفاع عن القناة، بعد نقل القوات من شبه جزيرة غاليبولى، إلا أن هذه القوات كان عليها علاوة على عملها الأساسي أن تعمل كاحتياطي إستراتيجي عام للعمليات في أي ميدان من ميادين الحرب، ولذا لم يكن في إستطاعة الجنرال ارشيبالد موراي قائد هذه القوات الاعتماد إلا على نسبة معينة من هذه القوات للتصرف بها في الدفاع عن مصر، وبالفعل فقد سحب منها في يونيه ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ بعض الفرق والبطاريات، الأمر الذي اضطر معه الجنرال موراي لتعديل خطته مرة أخرى لتلائم الموقف[2].

تسببت إزدواجية القيادة العسكرية في مصر بين ماكسويل وموراي في إعاقة التنظيمات الجديدة للبريطانيين في مصر، فقررت الحكومة البريطانية في مارس ١٩١٦/١٣٣٤هـ توحيد القوتين في مصر تحت قيادة موراي، وإعفاء مكسويل، ودمج قيادة قوات البحر المتوسط وقياده القوات في مصر تحت مسمى جديد هو قوة الحملة

---

(١) Macmunn, G., and Falls, C., Op, cit, pp 94-95.

(٢) أ. كيرزي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣-٤٤.

المصرية E. E. F.[1].

وتجدر الإشاره إلى أن المسئولين البريطانيين فكروا قبل إنسحاب القوات البريطانيه من غاليبولي في القيام بعمليه عسكريه جديده ضد العثمانيين تغطي الفشل البريطاني هناك، فوقع الإختيار على خليج الإسكندورنه لقطع المواصلات على العثمانيين في سوريا.. إلا أن فرنسا عارضت هذا المشروع لخوفها على مستقبل مصالحها هناك[2].

هذا في المجال العسكري، أما السياسي فقد اقترح الليفتنانت كولونيل سير مارك سايكس Mark Sykes في مذكره كتبها في نهاية عام ١٩١٥م/ ١٣٣٤هـ أن تسير سياسه بلاده فيما يختص بصراعها الحالي مع الدوله العثمانيه في المنطقة وفق الخطوات التاليه:-

- أن تساند بريطانيا العرب ضد الحكومة العثمانية وفق خطة مدروسة ومنطقية.

- أن تشجع الأحزاب العثمانيه ضد الحزب الحالي في إستانبول.

- القيام بدعاية إسلامية ضد الحكومه العثمانيه عن طريق مهاجمه سياسة الظلم والخداع والتظاهر بالدين، باستخدام أجهزة الصحافة الإنجليزية والمحلية، والمنشورات[3].

هذه المقترحات الجديدة من بعض الساسة الإنجليز، جاءت بعد القلق الذي

---

(١) Macmunn, G., and Falls, C., Op, cit, pp 96-97.

(٢) Ibid, pp 78,83.

(٣) (PRO)
FO 371/2486. Memorandom by Lieutenant Colonel, Sir Mark Sykes. December 1915.

ساورهم في أعقاب إخفاق حمله الدردنيل، التى قد تعزز موقف العثمانيين في الشرق الأدنى، وبالتالي يزداد الخوف على مستقبل بريطانيا في مصر، ولاسبيل إلى إعاقة العثمانيين إلا بتحريك رعاياهم وخاصة العرب، وتشجيع الأحزاب الآخرى ضد الحزب الحاكم، وبث دعاية مضادة للعثمانيين في أرجاء العالم الإسلامي ... أما التغييرات في القيادات العسكريه في مصر فإنها تبين مدى مرونة السياسة البريطانيه في تنفيذ أنسب الوسائل لتحقيق أهدافها الإستراتيجيه في المنطقة.

وقد تبين للجنرال موراي أن طريقة الدفاع السلبى عن مصر أى الوقوف على ضفاف القناه، كثيره التكاليف في الرجال والعتاد، كما أنها شجعت العثمانيين على الهجوم في المرة الأولى مما عطل مواصلات بريطانيا وملاحتها لفترة .. وعلى هذا الأساس فإن خطه الدفاع الإيجابي أي التقدم كفيلة بتأمين مصر والقناة وأكثر محافظة على القوة في الرجال، ويتأتى ذلك عن طريق إحتلال منطقة قاطيه ـ روماني في شرقى القناة داخل سيناء، ثم القيام بمهمة الدفاع بالقرب من هناك، على أن تمد خطوط السكة الحديدية إليهما[1].

الهجوم العثماني الثاني

بعد أن عزّز البريطانيون إستحكاماتهم تجاه القنطرة، وأرسلوا القوات إلى قاطيه وروماني، قام العثمانيون في يوليو ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ بهجوم بحملة قوامها عشرة آلاف رجل مسلحين تسليحا جيدا. إنتهى هذا الهجوم بالفشل في قاطيه وروماني، فاقتفى البريطانيون القوات العثمانيه واضطرتها إلى الإنسحاب إلى العريش[2]، ولم يتمكن

(١) أ. كيرزي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣ – ٥٤.

(٢) جمال باشا، مصدر سبق ذكره ، ص٢٩٣-٢٩٥.

العثمانيون بعد ذلك من تهديد مصر أو القناه، في حين انتقل الهجوم إلى أيدي القوات البريطانية في مصر[1].

وهنا نرى الخطة العثمانية تفشل للمرة الثانية في محاولاتها للوصول إلى قناة السويس، ولو أنها نجحت جزئيا في المرة الأولى في تعطيل قوات بريطانية كبيره غرب القناة، وصدّها عن مهمتها في الميادين الرئيسية في الساحة الأوربية.

يرجع جمال باشا الإخفاق الثاني للقوات العثمانية إلى خروج بريطانيا من خطتها السابقه في البقاء على ضفاف القناه، واختيار العبور شرقا باتجاه سيناء والتمركز في النقاط الرئيسية صوب فلسطين، وذلك بسبب نية الشريف.حسين على إشعال الثورة في ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ التى أعطت الإنجليز الثقة بانشغال القوات العثمانية، فكانت الثورة ضربة قاضية على الحملة[2]. وقد سبق أن ذكرنا أن خطة التقدم البريطاني صوب سيناء قد جاءت وفق خطة بريطانية مدروسة للقيام بالدفاع الإيجابي، وتشير بعض المصادر الإنجليزيه إلى أن الهجمات الروسية حول أرضروم وهي المنطقة الحيوية التي تشرف على الطرق المؤدية الى منطقة الأناضول الغنية بمواد التموين، هي التي أدت إلى اضطرار العثمانيين لتكتيل جهودهم من أجل المحافظة عليها وبالتالي تضاءل إحتمال قيامهم بالتقدم صوب القناة بشكل واسع. وحين تمكن الروس من الاستيلاء على أرضروم في فبراير ١٩١٦م/١٣٣٤هـ ساعد هذا على تفكير الإنجليز بالهجوم عبر سيناء[3]، إلا أنهم اكتفوا بخطة الدفاع الإيجابي بالتمركز شرق القناة في قاطية وروماني وفق ماأشرنا إليه، إلى أن يحين موعد الهجوم البريطاني الشامل.

والواقع أن هذه العوامل جميعها تضافرت في إخفاق الحملة الثانية، فقد ازدادت

---

(١) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص٦٠.

(٢) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٣) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص٥٣.

متاعب العثمانيين من جراء المعارك مع روسيا في أرضروم، ثم ظهرت بوادر ثورة الشريف حسين التي لم يتوقعها العثمانيون ، أضف إلى ذلك عزم بريطانيا على تقويه نفوذها ودفاعها في مصر بدليل الأعداد الهائله للجنود في مصر وإعادة ترتيب القيادات هناك.

أما الجبهة الغربية لمصر فقد إنشغل البريطانيون بمعارك عديده مع السنوسي منذ أن قامت قواته بالإغارة على معسكر الإنجليز عند السلوم في أواخر عام ١٩١٥م/ ١٣٣٤هـ واضطر معه البريطانيون إلى سحب نقط الحدود الغربية إلى مرسى مطروح، وأخلت السلوم وسيدي براني وبقيق التى تقع على بعد مائه ميل غربي مرسى مطروح[١].

وقد انتقدت البحرية البريطانية قياده القوات البريطانية في مصر التى لم تعمل على تقوية حاميتها في السلوم، فاحتاجت إلى مساعده الأسطول البريطاني الذي خسر ثلاث سفن أمام السلوم في سبيل هذه المساعده[٢].

ولم يكن يخفى على السلطات في مصر الخطة العثمانية لتحريك السنوسي في غرب مصر في الوقت الذي يبدأ فيه التقدم العثماني عبر سيناء .. ورغم ثقة الإنجليز أن العثمانيين هم الذين يديرون الأمور في هذه الجبهة، إلا أن السنوسي قد أثبت عداءه للإنجليز[٣] . من وجهة النظر البريطانيه.

---

(١) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) (PRO) FO 371/2357, From w.O to General Officer Commanding Egypt, 22nd November 1915.

(٣) Same Series and Vol., From General Officer Commanding Egypt to W. O 19th December1915.

وكمحاولة من جانب السلطات في مصر لتحذير السنوسي، كتب قائد القوات البريطانيه في مصر الجنرال ماكسويل إلى السيد أحمد الإدريسي في يناير ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ رساله عبّر فيها عن أسفه لعثوره على منشورات في مصر موقعة من السنوسي، يدعو فيها المصريين إلى الثوره، ويعلن انحيازه إلى جانب العثمانيين، ولذا طلب ماكسويل من السنوسي مايلي:-

- تسليم جميع الأسرى الإنجليز والهنود والأوربيين إلى السلطات البريطانيه في مرسى مطروح.
- طرد نوري باشا وجعفر العسكري وبقية الضباط العثمانيين والألمان.
- الإنسحاب من السلوم.

وفي نهاية الرساله يحذر ماكسويل أن الحوار حول مستقبل العلاقات بين الطرفين لن يتم إلا بتحقيق هذه المطالب[١].

وقد رد السنوسي برساله وجهها إلى اللورد كتشنر وزير الحربية البريطاني ضمنها رسالة ماكسويل المذكوره، ويدعو فيها إلى التفاهم ونسيان ماحدث وإعادة العلاقات[٢]. غير أنه لم يتم أي نوع من الحوار أو التفاهم، حيث وضعت في فبراير ١٩١٦م/١٣٣٤هـ الخطط لإعادة إحتلال السلوم ثم إحتلال سيدى براني في نفس

---

(١) (PRO)
FO 371/2669, Copy of letter from, General Maxwell to Sayed Ahmed El Senussi, 3rd January, 1916.

(٢) (PRO)
FO 371/2669, Translation of letter from El Senussi to Minister of War, Lord Kitchener, 14th January 1916.

الشهر[1].

وقد حدثت معركة شرقي سيدي براني في فبراير سنة ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ، عرفت باسم معركة العقاقير، هزم فيها جيش السنوسي، وجرح جعفر العسكري وأفلت نوري باشا بصعوبة بالغة[2]. وقد ذكر في إحدى الوثائق البريطانية أن نوري باشا قتل في هذه المعركه وأسر جعفر باشا[3] . إلا أن الخبر مشكوك فيه بحجة الروايه الأولى.

وفي مارس ١٩١٦م تقدمت القوات البريطانيه فاستعادت السلوم، وفكت أسر مجموعه من البحاره الذين أسروا سابقا[4]، فاستعادت بريطانيا بذلك المواقع التى أخلتها في السابق بعد وقوع هزائم متكرره بين الجانبين.

وكان السنوسي يعقد آمالا عظيمه في نجاح حركه على دينار وثوره دارفور حينما شق علي دينار عصا الطاعه على حكومة السودان[5]، وكانت بداية علاقة السلطان علي دينار مع حكومة السودان ترجع إلى عام ١٨٩٩م/ ١٣١٧هـ عندما كتب إلى السردار يعترف بسيادة حكومة السودان ويدفع ضريبة سنوية، ثم عين رسميا في عام ١٩٠٠م/ ١٣١٨هـ حاكما على دارفور، واستمر في دفع هذا المبلغ سنويا حتى عام ١٩١٤/١٣٣٢هـ عندما رفض دفع هذه الضريبة في ذلك العام[6]. وكتب إلى الأقاليم

---

(١) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) محمد فؤاد شكرى، مرجع سبق ذكره، ص١٧٧.

(٣) Same Series and Vol, Sir H. Mcmahon, Cairo, Feb. 28th, 1916.

(٤) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٨-١٠٩.

(٥) محمد فؤاد شكرى، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨.

(٦) (PRO) FO 371/2671, Notes on Darfur Wadai, Dar Sula, Dar Tama, Compiled by M.H. A. Macmichael, May, 1916.

والقبائل يدعوها إلى العصيان على حكومة بريطانيا ومصر فى السودان كما تبادل الرسائل مع السنوسي وأعلن عن انهيار حكم بريطانيا في مصر في بلاغاته الرسميه وأقواله للسكان(١).

وقد رأت السلطات البريطانيه القضاء على سلطان دارفور علي دينار حيث تقدمت القوات إلى الفاشر عاصمة دارفور واحتلتها في ٢٣ مايو ١٩١٦/١٣٣٤هـ ولاذ علي دينار بالفرار(٢) . وبعد أيام من هربه راسل القياده البريطانية في إمكانية رجوعه إلى عاصمته الفاشر حيث يعلن إذعانه لحاكم السودان(٣) وقد استجابت السلطات البريطانيه لطلبه في العوده وفق شروط معينة، منها دخوله بدون سلاح وبحد أقصى مائه شخص مرافقين بما فيهم عائلته(٤).

وقد عثرت القوات البريطانيه بعد احتلالها عاصمه دارفور على مراسلات علي دينار مع السلطان العثماني ومع السنوسي حول الجهاد وبث الدعاية للعثمانيين في السودان(٥).

ويبدو أن السلطان علي دينار لم يرجع إلى عاصمته إذ استمرت بريطانيا في

(١) Same Series and Vol, Confi dispach no 256, to Sir H. Mcmahon, Khartoam, 17th Feb. 1916.

(٢) (PRO)
FO 371/2671, telegram en clair No 401, from Sir. H. Mcmahon, Cairo, May 26th 1916.

(٣) Same Series and Vol, Translation of letter from Sultan Ali Dinar, to the G. C. Western Frontier Force, 2nd Shaban 1334, 3th June 1916.

(٤) Same Series and Vol , To Ali Dinar, P.J.V. Kelly, El Fasher, 9th June, 1916.

(٥) Same series and Vol, Governor Generel of Sudan to the High Commissiner, July 8th 1916.

قتاله إلى أن تمكنت من هزيمته وقتله في ٦ نوفمبر ١٩١٦م/ ١٣٣٥هـ[١].

وقد ألف الضابط المصري حسن قنديل أحد المشاركين في القتال ضد علي دينار، كتابا أسماه" فتح دارفور، ونبذه من تاريخ سلطانها على دينار"، حيث ابتدأ الكتاب بخبر تحرك الحملة من الخرطوم في ٢٧ فبراير ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ، ووصولها إلى الأبيض عاصمه كردفان، ثم إقامة معسكر في مركز النهود في ٧مارس مع باقي القوات والوحدات التى يرأسها الإنجليزي كلي Kelly قومندان عام التجريدة، التى شارك فيها أعداد من الجنود والضباط المصريين، تحركت هذه القوات من النهود يوم ١٦مارس، وعند حدود بلاد علي دينار وزع مركز رئاسة التجريدة على جميع الوحدات المنشور التالي" أن القصد من تحرك القوة هو ضرب السلطان علي دينار حيث إنه تمرد على الحكومة بامتناعه عن دفع الضريبه المعتادة ـ وانضم إلى أعداء الحلفاء مع أنه تابع للحكومة وبلاده جزء متمم للسودان الإنجليزي المصرى[٢].

وبعد أن يذكر هذا الضابط مجموعه من المعارك التى وقعت بين قوات التجريدة وأنصار علي دينار يشير إلى مسير هذه القوات نحو الفاشر عاصمة علي دينار حيث بلغتها في ٢٢مايو، ثم ماكان بعد ذلك من وقوع معركة كبيرة مع جيش علي دينار خارج الفاشر فهزيمة ذلك الجيش ففرار علي دينار، ودخول التجريدة إلى الفاشر بعد ترك السلطان لها في ٢٣ مايو، أما عن نهاية علي دينار حسب روايه هذا الضابط فيذكر أن قوة من الجيش حاصرت السلطان بقرب جبل مرّه فلما رأى أنه

---

(١) Same Series and Vol, Decypher, Sir R. wingate, Khartoum, Nov. 13th 1916.

(٢) حسن قنديل(بكباشي)، فتح دارفور سنة ١٩١٦م ونبذه من تاريخ سلطانها على دينار، الأسكندرية، ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م، ص ٥-١٠.

سيقع في الأسر أطلق على نفسه الرصاص فمات[1]. ويتضح في روايه الضابط المصري اتفاقها مع الوثائق البريطانية في تاريخ إحتلال الفاشر وهرب السلطان، واختلاف الروايتين فيما يتعلق بنهاية علي دينار هل قتل نفسه أم قتل.

وهكذا نجد بريطانيا قد انشغلت في المجال الحربي في مصر والسودان بمعارك عديدة بمشاركة القوى والعناصر المحليه في مصر والسودان، على جبهات مختلفة سعى فيها العثمانيون إلى توزيع القوات البريطانية وإنهاكها، فعلى جبهه سيناء كانت الإغارات المتتالية وفي حدود مصر الغربية كانت القيادة العثمانية تحرك السنوسي واتباعه، كما أقلق علي دينار السلطات البريطانية كل ذلك وفق خطة عسكرية عثمانية حاول فيها العثمانيون أن تصطبغ بصبغة الجهاد لتضفي عليها نوعاً من القوة والعزيمة .. إلا أن هذه الخطه لم يحالفها التوفيق نتيجة لعدم توفيق تنظيم الغارات في الجبهات الثلاث، ولاتساع جبهات القتال على العثمانيين وتوزع قواتهم، وظهور بوادر الثوره في بعض أقاليم المنطقة.

وتجدر الإشاره إلى التغييرات في الساحة السياسية البريطانية لمواكبة الأحداث في الساحه العسكريه .. إذ حل محل الوزارة البريطانيه الائتلافية برئاسة أسكوث H.Asquith وزارة ائتلافيه أخرى برئاسة لويد جورج L. George ، وتألفت لجنة من أبرز الوزراء برئاسة رئيس الوزاره أخذت تسيّر دفة الحرب وكان من أعضائها ونستون تشرشل W. Churchill، وعرفت هذه الوزارة التي رأسها لويد جورج بوزارة الحرب البريطانية[2].

توصلت بريطانيا مع حلفائها إلى عقد اتفاقيات خلال السنتين الأوليين من الحرب

---

(١) المصدر السابق، ص٢١-٤٤.

(٢) هـ. أ. د. فشر، مرجع سبق ذكره ص ٥٣٩-٥٤٠.

لتقسيم الدولة العثمانيه، أولها اتفاقية القسطنطينيه ٤ مارس - ١٠ أبريل ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، اعترفت فيها بريطانيا وفرنسا بمطالب روسيا في المضائق استانبول[١]، ثم إتفاقية سايكس بيكو لتقسيم البلاد العثمانية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ٢٦ أبريل - ٢٣ أكتوبر ١٩١٦/١٣٣٢هـ، وتختص أجزاء منها بالبلاد العربية[٢].

وفيما يختص بالنشاط السياسي للسلطات البريطانيه، اقترح مارك سايكس إنشاء مكتب في القاهره لتجميع ونشر المعلومات الخاصة بالشئون الإسلامية[٣]، ولما كتبت الخارجية البريطانية إلى نائب الملك في الهند عن ضروره إنشاء مثل هذا المكتب للتنسيق بين مايختص بالمخابرات العربية والإسلاميه في لندن والهند والعراق والبحر المتوسط، في ظل ظروف ضغط الدعاية العثمانيه الألمانيه .. أعترض نائب الملك على إنشاء هذا المكتب لإعتقاده بأن مايخص رعايا الهند يجب أن يكون تحت سيطرةمباشره من الهند[٤].

ويبدو أن دوافع إنشاء هذا الكتب ماذكره السير مارك سايكس من أن المكتب الإسلامي الذي أنشأته ألمانيا كان له تاثير كبير في الدعاية لدول المحور[٥]، فيكون هذا المسئول البريطاني قد استوحى إنشاءه من الفكرة الألمانية.

ولمناقشة موضوع إنشاء المكتب الإسلامي بالقاهره بشكل حاسم، طلب رئيس الوزراء البريطاني عقد مؤتمر بين الدوائر البريطانية المعنية في ٧ يناير ١٩١٦م/

---

(١) Hurewitz, J.C., Op. cit., Vol 2, pp 16-17.

(٢) Ibid, pp 60-61.

(٣) (PRO)
FO 371/2357, From IO to F.O, 30 december 1915.

(٤) Same Series and Vol, From Secretary of State to VR.

(٥) Same series and Vol, Decypher, Sir H. Mcmahon, cairo, November 26th 1915.

١٣٣٤هـ. وعندما عقد المؤتمر اتفق الأعضاء على المبادئ العامه للمشروع، وتحفظ البعض حول مسمى المكتب الإسلامي فانتهى المؤتمر باتفاق الجميع على أن يكون المسمى المكتب العربي بالقاهره على أن يكون ملحقا بشعبه مخابرات السودان بالقاهرة، ويقوم بإصدار التقارير عبر المندوب السامي إلى وزاره الخارجية .. وستكون مهمة هذا المكتب العمل على توافق النشاط السياسي لبريطانيا في الشرق الأدنى وتنسيقه وتوصيل المعلومات والتقارير عن النشاط العثماني الألماني في المنطقة إلى السلطات والدوائر المعنيه في بريطانيا والهند، والتنسيق لبث الدعايه لصالح بريطانيا والحلفاء[١].

وأخيرا كان المندوب السامي البريطاني في القاهره السير هنرى مكماهون قد تبادل المراسلات الشهيره مع الشريف حسين بن على أمير مكه في الفتره من ١٤ يوليو ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ و ١٠ مارس ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ ، حول تنظيم ثورة وانفصال الحجاز ومناطق أخرى عن الدولة العثمانية[٢] .

وهكذا كانت السلطات البريطانية في مصر والسودان تعمل عسكريا وسياسيا في صراعها مع العثمانيين على تثبيت وضعها في هذه النواحى، كجزء من الصراع البريطاني العثماني في منطقة البحر الأحمر بشكل خاص والميادين الآخرى بشكل عام.

---

(١) (PRO)
FO 371/2670, Committee of Imperial Defence, Establishment of an Arab Bureau in Cairo, Report of on Inter Department Confernce, January 10th, 1916.

انظر ملحق الوثائق.

(٢) Hurewitz, J.C., Op, cit, Vol, 2 pp 46-47.

الفصل الرابع

الحجاز
١٣٣٢-١٣٣٤هـ/ ١٩١٤-١٩١٦م

- الوضع فى الحجاز عند قيام الحرب.
- سياسة بريطانيا تجاه الحجاز.
- علاقات الشريف حسين بالعثمانيين قبيل اندلاع الثورة.
- الشريف حسين بين بريطانيا والدولة العثمانية.
- الشريف حسين والعثمانيون فى هذه المرحلة.

الحجــــــاز
١٣٣٢ - ١٣٣٤هـ/ ١٩١٤ - ١٩١٦م

إن أهم أحداث منطقة البحر الأحمر والجزيرة العربية خلال الحرب العالمية الأولى قد انطلقت من هذه البقعة، التى دفعت أهميتها الدينية والسياسية والحربية كلتا الدولتين إلى السعى لكسب جانب الشريف حسين بن على أمير مكة المكرمة، لتحقيق مكاسب لا إقليمية فحسب بل على نطاق أوسع وأشمل بواسطة النتائج التى تتفاعل من قرار المدن المقدسة فى الحجاز للمسلمين الذين يشكلون نسبةً عالية بين رعايا الدولتين.

الوضع فى الحجاز عند قيام الحرب :

يشكل الحجاز بُعداً هاماً فى سياسة الدولة العثمانية باعتباره أحد أهم ولايات الدولة، حيث يمثل الشريف حسين بن على أمير مكة مع الوالي العثمانى آنذاك وهيب باشا السلطة العثمانية التقليدية التى تأرجحت خلال العقود الماضية بين القوة والضعف تبعاً لقوة الشريف والوالي. وقد سبقت الإشارة فى الفصل الأول إلى الظروف التاريخية التى تولى فيها الشريف حسين بن على إمارة مكة، وكذلك تولي وهيب باشا ولاية الحجاز تبعاً للسياسة العثمانية آنذاك.

وبلغ التوتر أشده بين الشريف والوالي قبيل إعلان الحرب العالمية الأولى، تبعاً لطموح الأول[1] وتشدد الثانى[2] . الأمر الذى حدا بالوالي العثماني إلى أن يطلب من حكومته توجيه حملة ضد أمير مكة.. وكادت الحملة أن تتم لولا إقناع بعض مؤيدى الشريف بالآستانة الدولة بالعدول عن هذه الفكرة، وقد أذكت هذه نار العداوة بين الطرفين بعد علم الشريف بها[3].

---

(١) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص ٢٠٥.

(٢) سليمان موسى، الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤، الطبعة الثانية، دار النهار بيروت، ١٩٧٧، ص ٧٦.

(٣) على فؤاد، كيف غزونا مصر، ص ٧٨.

وتشير بعض التقارير البريطانية إلى أن قوة الشريف ومساعدة عرب الحجاز له هى التى منعت العثمانيين من القضاء عليه، ولما حاول وهيب باشا تشديد قبضته على الحجاز، أثار الحسين رعايا الحجاز وجعلهم يرون بأنفسهم أعمال الوالي التى تنقص من سلطة الحسين، مما أحدث الاضطراب فى الحجاز وجعل الحكومة العثمانية تفكر فى تغيير سياستها، بأن أرسلت إلى الشريف حسين تطلب إليه إعادة الأمن والهدوء، فأبرق لهم أن السلطة ليست فى يده وإنما فى يد الوالى، وحصل للشريف ما أراد بأن صدرت الأوامر للوالي بعدم التدخل فى سلطة الشريف[1] .

وقد كان عبد الله بن الشريف حسين يتردد بين إستانبول ومكة لحمل رسائل والده إلى الحكومة العثمانية وبالعكس فيما يتعلق بالخلاف بين الطرفين وبمطالب الشريف وعلى الأخص معارضته لفكرة مد السكة الحديدية من المدينة إلى مكة التى كانت تصر عليها الدولة.. وقد روى عبد الله أن السفينة التى أقلته فى زيارته الأخيرة لاستانبول والتي إشتعلت أثناءها الحرب العالمية الأولى، قد خضعت لتفتيش الشرطة. يقول عبد الله "وكان البوليس أقتحم الباخرة وفتشها وألقى القبض على عدة رجال من الأرمن كانوا يعملون وقادين فى السفينة، بينما هم فدائيون أرسلهم حزب الحرية والإئتلاف فى مصر للفتك بأنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا، ولقد ساورنى القلق إذ ذاك لما كان لي من يد مع هذا الحزب فى هذه المسألة"[2] .

وهذا يوضح أن الأمر وصل بالعلاقات بين الطرفين إلى حد تفكير كل طرف بالتخلص من الآخر، ولكن الدولة بالطبع لم تعلم بتورط عبد الله ومرت الحادثة بسلام إذ لم يذكر عبد الله ما يفيد ذلك.

وبعد عودة عبد الله إلى الحجاز أطلع والده على حقائق الأمور، فكتب الحسين إلى السلطان العثمانى محمد رشاد ينصحه بعدم دخول الدولة الحرب، ثم كرر

---

(١) (PRO) FO 371/2486, The Sherif of Mecca, Communicated by Sir Reginald Wingate,

(٢) عبد الله الحسين، الآثار الكاملة، ص ١٠٢-١٠٤.

الحسين النصح فى رده على برقيات الصدر الأعظم ووزير الحربية بشأن الدخول فى الحرب، فإن كان لابد فاعلون فيجب عليهم قبل نشوب الحرب تزويد وتموين الجيوش العثمانية فى اليمن وعسير والحجاز بما يكفيها لسنوات، وقد جاءت البرقيات الجوابية من الباب العالى تشكره على هذه النصائح[1] .

ولما دخلت الدولة العثمانية معترك الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، وتقرر وفق خطة الدولة العثمانية القيام بغزو مصر، شرع جمال باشا بمخاطبة شريف مكة طالباً منه أن يعزز قائد فرقة الحجاز بقوة مساعدة بزعامة أحد أبنائه أو يتولى هو القيادة ويلحق بالجيش.. فوافق الشريف على إرسال أبنه ليرافق وهيب باشا والي الحجاز وقائد فرقة الحجاز المذكورة[2] .

ولما انهالت على الحسين الرسائل والبرقيات من إستانبول تدعوه لتأييد الجهاد كانت ردوده وإجاباته تنطوى على أنه سيؤيد الدعوة إلى الجهاد بكل قلبه، أما تأييده لها فى العلن فأمر لا سبيل إليه لأنه يخشى إنتقام الأعداء وشرهم، حيث يسيطر الأسطول البريطانى على البحر الأحمر فلو اشترك فى الدعوة إلى الجهاد علناً لضربت بريطانيا موانئ الحجاز التى تصل منها المؤن، ثم تظاهر بالموافقة على طلباتهم الأخرى التى تدل على إهتمامه بالأمر كإرسال أبنائه ليشرفوا على تجنيد المجاهدين من قبائل الحجاز إلى غير ذلك من الأمو الجانبية فكان من الدهاء وسعة الحيلة بحيث جاءت ردوده "حماسية تكتسى حُللاً من النثر المليء بالإطناب والغموض الذى كان الشريف مبرزاً فيه"[3] .

وقد غادر علي بن الحسين مكة مرافقاً لجنود وهيب باشا فى طريقها للإشتراك فى حملة القناة الأولى ولكن ما إن وصل عليٌ إلى المدينة المنورة حتى أعلن أنه بناءً

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠٩– ١١٠.

(٢) جمال باشا، مذكرات جمال باشا، ص ٢٦٢.

(٣) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٤–٢٢٥.

على أوامر أبيه لا يتستطيع مرافقة وهيب باشا إلى أبعد من ذلك فتخلف فى المدينة[1] .

وترى بعض المصادر العثمانية أن خروج فرقة الحجاز من مكة وبقاء الأمير على فى المدينة أثران من خطة مرسومة من قبل شريف مكة[2] . بينما تذكر بعض المصادر العربية أن رجال الشريف الذين صاحبوا وهيب باشا فى رحلته من مكة إلى المدينة فى طريقه للإلتحاق بحملة القناة، قد سرقوا محفظة أوراق وهيب باشا السرية وفيها عدة مخابرات دارت بينه وبين حكومته بشأن مقاومة الشريف والتخلص منه، فكانت سبباً فى تخلف الأمير على[3] .

وربما يكون الدافع الحقيقي ذلك المنعطف الخطير الذى وصلت إليه العلاقات بين الطرفين والمشحون بأجواء الريبة والشك.. كما أن مواقف الشريف المتصلبة التى شجعتها مصادر خارجية سنشير إليها فيما بعد، هى التى دفعته إلى مثل ذلك، إذ قد تؤجل الدولة خطط التخلص منه- إن كانت حقيقة ملموسة- لو أثبت الشريف ما ينفى التهمة عنه بإستجابته لرغبات الدولة.

وقد أثارت قضية إشتراك الفرقة العثمانية فى الحجاز بقيادة والي الحجاز العثمانى الجدل فى المصادر المعنية العثمانية، فخروج هذه القوة من الحجاز كان سبباً في إنعاش الشريف وشعوره بإمكانية الثورة على الدولة، حيث يشير على فؤاد أن خروج الفرقة من مكة وبقاء الأمير علي فى المدينة كان لهما أثر فى نجاح الشريف فى تثبيت وطأة الإمارة فى مكة والمدينة حيث صفا لها الجو فى الحجاز ودانت لها الأمور، ولكنه ما يلبث أن يرد على القائلين بأنه لو بقيت فرقة الحجاز في الحجاز لما نشبت الثورة بأن الفرقة لم تكن من المنعة والقوة بحيث تتمكن من عدم وقوع الثورة بل يرى أكثر أن قرار سحب الفرقة لمساعدة حملة القناة عمل موافق لفن التعبئة[4] .

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٢.

(٢) على فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ٨١.

(٣) أمين سعيد، أسرار الثورة العربية الكبرى، ومأساة الشريف حسين دار الكاتب العربي، ص ٤٩ـ٥٠.

(٤) علي فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ٨١-٨٢.

أما جمال باشا فيرد فى مذكراته على من يقول إن عصيان الشريف كان بسبب إخلاء مكة من حاميتها بلا مسوغ، بأنه قد أمر بعوة كتيبة مكة إلي مكة بعد قرار التقهقر من حملة القناة الأولى بقيادة نجيب بك نظراً لتعيين وهيب باشا قائداً للجيش الثانى، وسفره إلى الآستانة[1] .

وعلى هذا الأساس كان لابد من تفسير لظاهرة موقف الشريف حسين السلبى من طلبات ونداءات الدولة العثمانية فى أحرج المواقف التى مر بها الباب العالي فى بداية المعترك العالمى الذى يحدد مصير بلد الخلافة الإسلامية.

وبدايات وضوح الرؤية فى هذا الموضوع ترجع إلى اللقاءات التى تمت بين الأمير عبد الله بن الحسين والمسئولين البريطانيين فى القاهرة والتى أخذت شكلاً تصاعديا منذ بداية المقابلات قبيل إعلان الحرب العالمية الأولى.. فكان عبد الله عضواً فى مجلس المبعوثان العثمانى عن مكة، وقد اعتاد أن يمر بالقاهرة فى غدوه إلى إستانبول ورواحه منها نظراً لصداقته مع الخديو عباس حلمي الثانى بعد مرافقة الأول للثانى فى أثناء إقامته في الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ[2] .

ويذكر الأمير عبد الله فى مذكراته، أنه توقف فى مصر فى طريقه لإستانبول لحضور إحدى جلسات مجلس المبعوثان فى الوقت الذى كان فيه وهيب باشا يبحر فى طريقه لتسلم منصبه الجديد كوالٍ للحجاز.. حيث اجتمع عبد الله بالخديو عباس فى سراي القبة، وبينما هو فى حضرته إذ دخل اللورد كتشنر القنصل العام لبريطانيا فى مصر فسلم على الخديو، فقام الخديو بتقديم الأمير عبد الله لكتشنر فتصافحا، ولما ذهب عبد الله إلى مقر إقامته بقصر عابدين لحق به كتشنر زائراً ومعه رونالدستورز R. Storse السكرتير الشرقى بالقنصلية البريطانية ليترجم له فأبلغ كتشنر عبد الله برضا الحكومة البريطانية عن الحالة الراهنة فى الحجاز وعدم رغبتها فى أى تغيير هناك، وبعد انتهاء المقابلة ذهب عبد الله إلى دار المندوب السامى العثمانى فى القاهرة

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣.

(٢) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص ٦٦.

فأخبره بزيارة كتشنر، وليستأذنه في رد الزيارة فأذن له، فقابل كتشنر مرة أخرى وتحدثا حول العلاقات بين الجانبين في ضوء ما تسمح به العلاقات بين بريطانيا والدولة العثمانية في صداقتهما التقليدية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى[1] .

ويؤرخ جورج أنطونيوس لهذا اللقاء في الأسبوع الأول من فبراير ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ، عندما كان عبد الله في القاهرة في طريقه من مكة إلى الآستانة[2] .

بينما يذكر سليمان موسى أن ذلك قد حدث في ربيع ١٩١٢م/١٣٣٠هـ بينما كان عبد الله في طريق عودته من إستانبول إلى الحجاز، ثم مرت بعد ذلك سنتان قام بعدها الأمير عبد الله بزيارة كتشنر زيارة ذات هدف سياسي في الأسبوع الأول من فبراير ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، بعد نشوب الخلاف بين الشريف والدولة ومجئ وهيب إلى الحجاز[3].

أما أمين سعيد فقد دون في كتابه من خلال حديثه مع الأمير عبد الله نفسه بأن الأمير قال له إنه قد حدثت بينه وبين الإنجليز ثلاثة إتصالات خلال الفترة القصيرة التي سبقت إعلان الحرب العالمية الأولى :-

الأولى - عندما وصل في خريف سنة ١٩١٣م/١٣٣١هـ إلى القاهرة في طريقه للآستانة حيث زاره كتشنر وستورز في قصر عابدين.

الثانية - عاد الأمير فمر بالقاهرة في أوائل شهر يوليو ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، حيث زاره كتشنر وستورز، وبيّنا له حرص بريطانيا على الإحتفاظ بعلاقات ودية مع العثمانيين غير أنها مستعدة لمساعدة العرب ضمن هذا الإطار.

الثالثة - عند إعلان الحرب العالمية الأولى في أغسطس ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، غادر عبد الله وشقيقه فيصل نائب جدة، الآستانة إلى القاهرة، فزار المستر ستورز

---

(١) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩-٩٠.

(٢) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٥- ٢٠٦.

(٣)سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص ٦٦- ٦٨

الأميرين فى قصر عابدين وسلمهما كتاب شكر من الحكومة البريطانية إلى شريف مكة على سهره لراحة الحجاج وخدمتهم وتقول أنها لا تعارض فى إعادة الخلافة إلى العرب[١] .

أما وثائق المخابرات البريطانية فقد ذُكر فى إحدى تقاريرها أن عبد الله وصل إلى القاهرة فى ٩ يوليو ١٩١٤م/١٣٣٢هـ[٢] ، مطابقاً لما ذكره أمين سعيد فى زيارة يوليو ١٩١٤م/١٣٣٢هـ. وفى رسالة وجهها كتشنر إلى وزير الخارجية البريطانية فى ٦فبراير ١٩١٤م/١٣٣٢هـ أخطره فيها بأن الشريف عبد الله وصل القاهرة فى زيارة قصيرة، وقد زار كتشنر بالأمس، ورجاه أن يبلغ وزير الخارجية البريطاني تحيات والده، ويشرح له أن الأحوال في الحجاز ليست على ما يرام بسبب تعيين الوالي الجديد فى مكة، الذى لم يصل إلى تفاهم مع والده في الشئون الداخلية للبلاد، كما طلب عبد الله من كتشنر أن يستفسر من وزير الخارجية عن موقفها فيما لو حاول الباب العالى إقالة الشريف وهل سيبذل مساعيه فى منع مثل ذلك.. كما يتمنى عبد الله فى حالة قيام قبائل الحجاز بالقتال إلى جانب الشريف فى حالة عزله ألا تسمح السلطات البريطانية بوصول التعزيزات بواسطة البحر لقمع مثل هذه الحركة، وأخيراً يتساءل عن إمكانية المراسلة بين والده ووزارة الخارجية البريطانية[٣] .

ومن خلال ما عرضناه يتضح بعض الإختلاف فى تاريخ لقاءات عبد الله بالمسئولين الإنجليز فى القاهرة، إلا أن الثابت أن الزيارات واللقاءات كانت متعددة، كما نلاحظ إتفاق بعض ما جاء فى المصادر العربية مع ما أوردناه فى الوثائق البريطانية حول تاريخ زيارتين، الأولى ٥ فبراير ١٩١٤م/١٣٣٢هـ والثانية فى ٩ يوليو ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ.

وقد بعث الأمير عبد الله بتقرير إلى والده بعد يومين من اجتماعه بكتشنر فى

---

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٣٥-٣٦.

(٢) (PRO) FO 371/1965, S.I.R, No 240, July 1914.

(٣) (PRO) FO 371/2130, To Sir E. Grey, Cairo, Feb. 6th 1915.

٧فبراير ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، أوضح فيه ذهابه لمقابة كتشنر، حيث باحثه فى الموضوع حسب تعليمات والده، وعن رد كتشنر الزيارة له ومعه رونالد ستورز.. ويفهم من التقرير أن عبد الله كان مفوضاً من قبل أبيه ببحث الموقف مع الخديو عباس ومع كتشنر أيضاً، كما أرسل عبد الله تقريراً آخر بتاريخ ١٥ فبراير إلى والده، يذكر فيه أن إسماعيل حقى بك السكرتير الأول للمندوب السامي العثماني فى مصر تلقى من الصدارة فى إستانبول برقية أبلغها الخديوى جواباً على طلب الخديو من الحكومة العثمانية بتحقيق رغبات شريف مكة، وتتضمن أسباب تعيين الوالى الجديد، وتأكيد إعتماد الدولة على الشريف وعدم تفكيرها في تبديله، مع تبليغ هذا الأمر لعبد الله[1] .

ويشير جورج أنطونيوس إلى أن هذه المباحثات كانت ذات أثر فعال فى سير الحوادث إذ نبهت كتشنر إلى رغبات العرب فى الإستقلال، وإلى عمق العداء بين الأتراك والعرب، مما كان له حافز على أن يبدأ بعد ذلك بالخطوة الأولى من سلسلة خطوات إنتهت بإشتراك العرب مع الحلفاء ضد العثمانيين[2] .

والواقع أن تعبير جورج أنطونيوس برغبة العرب فى الإستقلال فى هذه المرحلة تعبير غير دقيق، إذ أن الواضح أن تلك رغبات الشريف حسين وأولاده من واقع سير المحادثات التى عرضناها، والتى وقفت فيها بريطانيا على نوايا الشريف وتعاملت معه وقتها بحذر خاصةً فى هذه المرحلة المبكرة.

وتجددت بعد ذلك بشهور الاتصالات بين الجانبين، حيث أرسلت الخارجية البريطانية برقية إلى المستر تشيتهام بالقاهرة فى ٢٤ سبتمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ بناءً على طلب كتشنر الذى عين وزيراً للحربية البريطانية بعد قيام الحرب الأوربية، على أن يقوم بإبلاغ ستورز لإرسال مندوب يتم إختياره بعناية يحمل رسالة من كتشنر إلى الشريف عبد الله للإستفسار عن موقف الشريف ووالده وعرب الحجاز فيما لو اضطر السلطان العثماني لإعلان الحرب ضد بريطانيا بسبب نفوذ الألمان، وهل سيكون هذا

---

(١) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص ٦٩-٧٠.

(٢) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٧.

الموقف مع أو ضد بريطانيا[1] .

ويقول الأمير عبد الله فى مذكراته بأنه قد جاء إلى الطائف المدعو علي أفندي البزار، فتقابلا وإذا به يحمل رسالة من المستر ستورز- السكرتير الشرقى فى القنصلية البريطانية فى مصر[2].

وفى ٣١ أكتوبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، أبرق تشيتهام إلى كتشنر يخطره بأن الشخص الموفد قد عاد من مكة برسالة ودية من الشريف عبد الله الذى يرغب فى تقارب أكبر مع بريطانيا .. ولكنه يطلب وعداً خطياً من بريطانيا بأن تمتنع من التدخل فى الشئون الداخلية للجزيرة العربية مع إعطائه الضمان ضد العدوان الأجنبى والعثمانى.. وقد عبر الشريف حسين فى محادثته الشفوية مع الموفد بقوله "مدوا لنا المساعدة، عندها لن نساعد هؤلاء الظالمين"، ... كما يلفت تشيتهام فى البرقية نظر المسئولين الإنجليز إلى أن عبد الله قد عرض مقترحاته بدون أى زيادة عما عرضه لمعتمد بريطانيا فى مصر فى ٨ يناير ١٩١٤م/١٣٣٢هـ وفى نهاية البرقية يفيد تشيتهام بأن الرد على رسالة عبد الله قيد الإعداد بناءً على موافقة بريطانيا بإنكار أي نية فى التدخل فى الشئون الداخلية وتقديم الضمان ضد أى إعتداء خارجي، واستقلال الشرافة، وأخيراً يستعجل تشيتهام فى أن يغادر الموفد فى القريب العاجل بالرد، ولذا يطلب التعليمات بهذا الشأن[3] . ويلحظ من خلال هذه البرقية أن هناك مقابلة ما، أو رسالة قد جرت بين عبد الله ومندوبي بريطانيا فى مصر فى شهر يناير ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ.

وفى نفس اليوم أبرقت الخارجية البريطانية إلى تشيتهام بتعليمات كتشنر وبما يجب أن يحتويه الرد على الشريف عبد الله باسم كتشنر يوضح فيها أن الحكومة

---

(١) (PRO) FO 371/2139, Cypher Telegram (No 219) to Mr. Cheetham Cairo, F.O, September, 24th, 1914.

(٢) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١١١.

(٣) (PRO) FO 371/2139, Decypher No. 233, Mr. Cheetham, October 3st 1914. R 1.45.

العثمانية ارتكبت أعمالاً حربية ضد مصر عن طريق حشدها للقوات على الحدود وذلك بسبب الضغط الألماني، فإذا قامت الأمة العربية بمساعدة إنجلترا في هذه الحرب فإن إنجلترا ستضمن عدم قيام أي تدخل في الشئون الداخلية في جزيرة العرب، وستقدم كل مساعدة للعرب ضد أي إعتداء أجنبي من الخارج.. وبالإمكان أن يتولى أحد العرب الخلافة في مكة أو المدينة[1] .

وقد عاد الموفد من رحلته الثانية إلى مكة التي حمل فيها رسالة بريطانيا، برسالة ودية من الشريف عبد الله يؤكد فيها مشاعر الصداقة تجاه بريطانيا ويؤكد نوايا والده الحسنة تجاهها، كما أكد شريف مكة بنفسه في الرسالة الشفوية تعبيراً ودياً أقوى ولكن مركزه في العالم الإسلامي والوضع السياسي الحالي في الحجاز لا يبرران قيامه بأي حركة على الرغم من انتظاره لمبرر مناسب لذلك[2] .

فهذه الرسائل المتبادلة تحدد معالم المرحلة الثانية من الإتصالات بين بريطانيا والشريف حسين، والتي أظهرت فيها الحكومة البريطانية توجهاً أكبر للاستفادة من حركة الشريف حسين تبعاً لما وصلت إليه العلاقات بين الدولة العثمانية وبريطانيا، حيث بدا من تلك المحادثات تعهد الطرفين بتقديم المساعدة المتبادلة، وبداية الحديث عن نقل الخلافة إلى العرب، وربما طلبت بريطانيا من الشريف القيام بحركة ما، بدليل تقديم الشريف المبررات بعدم إستطاعته في هذه المرحلة.. كما تمثل هذه المرحلة جزءاً من تطبيق السياسة البريطانية العامة في المنطقة والتي ذكرنا خطوصها العامة في الفصل الثاني.

كما كتب نائب الملك في الهند في ١١ ديسمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ إلى وزارة الخارجية البريطانية، عن اقتراح المقيم في عدن لمفاتحة الشريف حسين وموافقة حكومة بومباي على ذلك.. ولذا يعتقد نائب الملك أن من الأفضل أن يكلف المقيم بإرسال رسالة

(١) Same Series and Vol, Cypher telegram No. 303, To Mr. Cheetham F.O, October 31st, 1914, 6.35 P.M.

(٢) Same Series and Vol, Decypher, No. 310, Mr. Cheetham, Cairo, December 10th 1914.

إلى الشريف بما مضمونه إمكانية تعاون الشريف مع بريطانيا فى إقناع عرب الحجاز بأن يفصلوا أنفسهم من الأتراك فى هذه الحرب التى لا تتخذ طابعاً دينياً، وإبلاغ الشريف إن هو نجح فى تقديم المساعدة للسلطات البريطانية وفق هذا الإطار، فإنه يعطى الضمان ليس فقط باحترام الأماكن المقدسة بل حمايتها، مع تشجيعه وعائلته على الاحتفاظ بحقوقهم وإمتيازاتهم.....

وقد ردت الخارجية بأن اللورد كتشنر كان على إتصالات متبادلة مع الشريف عبد الله ووالده... وأنها قد انتهت وفق الخطوات السابقة {المشار إليها}، ولما كانت هذه الخطوات تمهيدية حول هذه المراسلات فقد أُحتُفِظَ بسريتها ولم تبلغ لحكومة بومباى أو عدن، كما سبق للحكومة البريطانية أن طلبت من ابن سعود وشيخ الكويت لمكاتبة الشريف حسين، ولذا من المرغوب فيه عدم مفاتحته من طريق ثالث أى عدن[١].

فهذه البرقيات المتبادلة إنما تعبر عن إزدواجية مهمة كل من المقيم فى عدن والسلطات فى القاهرة، إذ لم تحدد بعد منطقة نفوذ كل منهما فى منطقة البحر الأحمر.. ولذا نجد أن هذا هو السبب كما يبدو الذى حدا بالسلطات البريطانية إلى تحديد مهمتي الطرفين وتقسيم مناطق النفوذ بعد اقتراح السير مكماهون فى فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ على أن تكون الحجاز من مهام السلطات فى مصر حيث سبقت الإشارة إليه فى الفصل الخاص بمصر والسودان.. كما تشير إقتراحات المقيم في عدن إلى الفكرة السائدة فى أذهان الساسة البريطانيين حول إمكانية إستغلال نفوذ الشريف فى الحجاز وفصل الإقليم عن الدولة العثمانية حتى لا تنجح خطة الجهاد التى أعلنها الباب العالي.

سياسة بريطانيا تجاه الحجاز :

سبقت الإشارة إلى أن الحجاز تمثل ركناً هاماً فى خطة بريطانيا فى منطقة البحر الأحمر بعد إعلان الحرب وقد خطت خطوات متقدمة منذ بدايات الحرب فى

---

(١) (PRO) FO 371/2139, From Viceroy, 11th, December 1914, and From Secretary of State to Viceroy, 14th December 1914.

تطبيق هذه السياسة.

وقد استدعت ظروف الحرب تعديلات على بعض جوانب السياسة تجاه الحجاز وفقاً للمتغيرات التى تظهر في الساحة سواءً فى الميادين الأوربية الرئيسية أو الجبهات الثانوية فى الصراع مع الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا.

ولم تكن سياسة بريطانيا الخاصة بالسماح بوصول الإمدادات الغذائية إلى جدة إلا جزءاً من خطة بريطانيا فى الحجاز لتحقيق مكاسب سياسية فى اجتذاب الشريف حسين ورعايا الحجاز، ورعايا بريطانيا المسلمين فى الهند ومصر(١).

وحدث ما توقعته بريطانيا من امكانية تسرب بعض هذه المواد الغذائية إلى العثمانيين إما بالإستيلاء أو بالشراء.. فاقتضى هذا الأمر تعديلاً فى تلك السياسة بإيقاف تلك الإمدادات مؤقتاً وخاصة بعد حادثة إستيلاء السلطات العثمانية فى جدة فى فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ على سفينة محملة بآلاف الأكياس من الشعير، واعترضت إيطاليا وأبلغت بريطانيا بالحادث وقررت حكومة الهند إيقاف إرسال هذه المواد إلى جدة خوفاً من وقوعها بأيدى العثمانيين، إلا إذا تعهدت السلطات العثمانية للحكومة الإيطالية بعدم التعرض لها(٢) .

ومع ذلك أثبتت التقارير البريطانية بعد ذلك أن هذا الإيقاف أحدث تغيراً في موقف العرب فى الحجاز ضد بريطانيا مما حدا بالعثمانيين إلى استغلال هذا الموقف.. ولذا عبر مكماهون بقوله "إننا نطعن مصالحنا" والأمر الهام الذى أشار إليه مكماهون هو أن وسائل الإتصال العادية من الهند ومصر قد انقطعت مع مكة والمدينة، الأمر الذي جعله يطلب إعادة تصدير المواد الغذائية إلى جدة وزف البشرى لشريف مكة وسكان الحجاز بإعادة الإمدادات، وإعلان ذلك(٣) .

---

(١) (PRO) FO 371/2487, From Resident, Aden, 5th December, 1914.

(٢) Same series and Vol., Cypher tele No. 111, to Sir H. Mcmahon F.O, March 8th, 1915.

(٣) Same Series and Vol., decypher, Sir H. Mcmahom, Cairo, May

ولا شك أن الأمـر الذى يهم السلطات البـريطانيـة فى مـصـر وعلى رأسـهـا مكمـاهون هو عدم قطع وسـائل الإتصـالات مع الشـريف إذ يتـعـذر إرسـال المبـعـوثين والموفدين عن طريق آخر غير طريق السفن التي تحمل المواد الغذائية.

الخــــلافــة :

ظهرت مسـألة الخلافة كقضية هامة تنبه إليها المسؤولون البريطانيون يمكن توظيفـهـا لمصلحـة السيـاسـة البـريطانيـة فى اجـتـذاب العـرب ومـحـاولة تفكيك أوصـال الخلافـة العثـمانيـة، واقناع رعايا بريطانيا المسلمين في مـسـتـعـمـراتها ظاهراً بإهتـمام بريطانيا بهذه المسألة الهامة..

ففى أوائل سنة ١٩١٥م/١٣٣٣هـ تلقى مكماهون برقية من الخارجية البريطانية تفيد بوجود عزت باشا فى لندن، وأنه طلب من المسئولين الإنجليز تشجيع العناصر المعطلة فى الدولة العثمانية عن طريق تسهيل إنشاء خلافة عربية تحت حكم شريف مكة، ويقتـرح الذهاب إلى القـاهرة لتنظيم عـمليـة المحـادثات بين المندوب السـامي وابن الشريف.. وفي نهاية البرقية يرى هذا المسئول كرأي شـخصى معارضته لأى تدخل في مـسـألة دينية، كما أن طموحات الشريف ربما تؤثر في هذه القضيـة على بقيـة الحكام العرب، كمـا طلب رأى مكمـاهون فى إمكانيـة تشـجـيع رحلة عـزت باشـا إلى القـاهرة[١] . إلا أننى لم أعـثـر فى الوثائق البـريطانيـة التى بين يدي على القـرار الذى توصلت إليه السلطات البريطانية بشأن إرسال عزت باشا.

وقد أبرق وزير الخارجية البريطاني إلى السير مكماهون بأن وينجت قد بعث إليه من السودان بصورة من مذكرة السيد علي الميرغني بشأن الخلافة الإسلامية، وعليه طلب الوزير من مكمـاهون أن يبلغ وينجت بأن يعلن إذا رأى ذلك مناسـبـاً، أن حكومـة ملك بيرطانيا ستعمل على إدراج شرط مناسب فى أى هدنة للسلام بأن جزيرة العرب

1st, 1915.

(١) (PRO) FO 371/2479, Cypher tele No. 19, to Sir H. Mcmahom, Cairo, 12th January, 1915.

ومدنها المقدسة يجب أن تبقى فى يد دولة مسلمة ذات سيادة مستقلة، أما حدود هذه الدولة فمن الصعب تحديدها بالدقة في هذه المرحلة وللمسلمين أن يقرروا بأنفسهم مسألة الخلافة، ولو رأى المسلمون إقامة خلافة عربية فإن ذلك سيلقى احترام بريطانيا[١] .

وبعد ذلك بشهر تقريباً أبرق مكماهون إلى إدوارد غراي بأن فحوى برقيته قد نقلت إلى السودان بواسطة السردار، وأذيعت فى مصر فى عدة مراكز ويشير إلى أن فقرة "دولة ذات سيادة مستقلة"، فسرت بمفهوم عام وشامل، بسبب أن فكرة إتحاد عربى تحت حاكم واحد معترف به من قبل بقية حكام العرب أمر لا يمكن تصوره في العقلية العربية الآن، كما يرى أن الوضع بالنسبة لمركز الخلافة فى العالم العربى وفى الجزيرة العربية باستثناء العثمانيين كالتالى :-

- الرأي العام يبدو لصالح تنصيب خليفة عربي، وأفضل اختيار سيكون الشريف حسين لنسبه ومركزه.. أما آمال الشريف فإنها تعتمد على مدى الثقة فى استقرار واستقلال وضعه فى الحجاز، فيما يبدو أن المسلمين يركزون انتباههم الآن إلى وضع الأحداث داخل الدولة العثمانية ولذا فإن مغادرة الخليفة لإستانبول لو تم إحتلالها أمر يهم المسلمين أكثر من مجرد تغيير العاصمة العثمانية.. ولهذا يرى مكماهون أن أى تغيير فى مركز الخلافة لا يتأتى إلا بعمل إنفرادي من قبل أحد المرشحين، أكثر من مجرد عملية إستعراض لآراء المسلمين فى هذه المسألة، وفى نهاية البرقية يرى مكماهون أن أفضل وسيلة لمساعدة آمال الشريف حسين هى زيادة ثقة الناس بعزم بريطانيا على حماية ورعاية استقلال وسيادة الحجاز[٢] .

وكانت مذكرة السيد علي الميرغني إلى السلطات البريطانية فى ٦ مايو ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ التى دارت حولها المناقشات الآنفة الذكر، قد تضمنت طلب الميرغني من

---

(١) (PRO) FO 371/2486, Confi-tele No 173, Sir E. Grey to Sir H. Mcmahom, April, 14th, 1915.

(٢) Same Series and Vol Conf.-tele No. 188, Sir H. Mcmahon to Sir E. Grey, Cairo, May 14, 1915.

بريطانيا بأن تصرح في بيان رسمي موقفها ووجهة نظرها حول الخلافة الإسلامية لتبديد مخاوف المسلمين حول هذه الناحية، وقال إن الجزيرة العربية هي المكان المناسب والملائم لمركز الخلافة العربية الجديد، ويرى أن الشريف حسين هو الرجل المناسب لتولي هذا المركز، ولذا يرى أن من الواجب دعمه معنوياً ومادياً بواسطة بريطانيا حتى يصبح مركزه قوياً وبالتالي تعترف بخلافته الأقطار الأخرى كمصر والسودان والهند والجزائر وتونس وبقية حكام الجزيرة.. وفي آخر المذكرة يشير إلى أن بريطانيا لو فعلت ذلك لكسبت عطف وصداقة المسلمين[١] .

ويذكر جورج أنطونيوس بأن الحسين كان يلقى تشجيعاً مستتراً من مصدر بريطاني آخر هو السير ريجنالد وينجت الحاكم العام للسودان الذى دفع السيد علي الميرغني إلى أن يبعث برسالة ودية غير مقيدة بأي تعهد إلى الشريف حسين يحثه فيها على إعلان سياسته، فأدرك الحسين المصدر الذي أوحى بتلك الرسالة فأجاب إجابة ودية وصريحة، ورد الميرغني مرة أخرى، مشيراً إلى صداقته مع الحاكم العام، وطالباً إليه أن يشير بالطريقة التي يستطيع السردار أن يساعده بها. وانتهت تلك الرسائل بوصول بعض رجال الحسين إلى السودان ليعرفوا من وينجت الموارد المتوفرة هناك[٢]

وهكذا فإن مسألة الخلافة الإسلامية والحديث عن نقلها إلى العرب وقناعة البعض بأهلية الحسين للخلافة، وفوق ذلك إلغاء الخلافة العثمانية.. كل هذه القناعات بدأت تشكل سياسة بريطانيا في هذه الفترة تجاه الحسين كامتداد أكبر للإتصالات الأولى بين الجانبين.

الحج :

إرتكزت سياسة بريطانيا حيال الحج من منطلق محافظتها على الشعور

(١) (PRO) FO 371/2486, Translation of Memorandom by Ali Morghani, 6th May 1915.

(٢) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٥-٢٢٦.

الإسلامى بعد إعلان الحرب[1]. وقد أبرق مكماهون إلى وزارة الخارجية فى ١٢أبريل ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، بعدم احتمال وجود أية إمكانية لمشاركة المصريين فى حج ذلك العام (١٣٣٣هـ) إذا لم يحدث تغيير جذري في الوضع الحالي، كما صرح حاكم عام السودان أيضاً أن من غير المحتمل أن يقوم بعض رعايا السودان بالذهاب إلى الحج وستكون هناك صعوبات قليلة في منع السودانيين من الذهاب إلى الحجاز عند الضرورة[2] .

طلب نائب الملك في الهند إلى لندن سرعة إصدار قرار نهائى بشأن الحج لذلك العام نظراً لتوافد حجاج الهند إلى بومباي فى طريقهم لمكة المكرمة ويقترح النائب السماح بالحج إذ أن منعه سيؤثر على مشاعر الهنود ويضعف الإنجليز أمام العثمانين، كما أنه سيكون مناقضاً لتصريح بريطانيا إزاء الأماكن المقدسة الذي ينص على أنه لن يكون هناك تدخل من جانبها، ويضيف النائب أنه توجد بعض المصاعب فى الإمدادات والمحجر الصحي فى كمران التابع للعثمانيين، وحماية السفن.. ويرى نائب الملك أخذ تعهد على الدولة العثمانية بواسطة دولة محايدة بعدم الإستيلاء على المواد الغذائية المرسلة للحجاج، ويمكن أن يترك للعثمانيين تولي أمر الحجاج فى جزيرة كمران إذا كانوا مستعدين لذلك[3] .

ووصل الرد إلى نائب الملك بأن من غير المستحسن قيام أعداد كبيرة من الحجاج بزيارة بلاد تابعة لدولة معادية لبريطانيا، حيث لا يمكن حمايتهم ولا تأمين الغذاء لهم، وربما أحتجز بعضهم كرهائن من قبل العثمانيين.. ولهذه الأسباب يفضل منع الحج لهذا العام ما أمكن، ولكن إذا كانت وجهة نظر نائب الملك أن قرار المنع ربما تكون له آثار أكبر من الأخطار المحتملة للسماح بالحج، فله أن يسمح بالحج بدون أن يقدم أي تشجيع للحجاج، على أن يكون من المفهوم أن مسئولية المخاطر تقع على الحجاج

---

(١) راجع سياسة بريطانيا فى المنطقة بعد إعلان الحرب فى الفصل الثانى.

(٢) (PRO) FO 371/2483, Confi-tele No.113, Sir H. Mcmahon to sir E. Grey, Cairo, April, 12, 1915.

(٣) Same Series and Vol., From V.R., 12th May 1915.

أنفسهم، أما بالنسبة لأخذ ضمان فعال من الدولة العثمانية حيال إمدادات الغذاء، فإن ذلك من الصعوبة بمكان[1] .

ثم وصلت برقية أخرى إلى نائب الملك في الهند من لندن، باستعداد القنصل الهولندي في جدة بالقيام بأى إتصالات أو عمل أى شئ لرعايا بريطانيا .. إلا أن نائب الملك تحفظ حيال الموضوع واستفسر عن إمكانية قيامه بشكل عام برعاية مصالح الرعايا البريطانيين وكتابة تقارير عن توزيع إمدادات الأغذية المرسلة من الهند، وعن تصرفات السلطات العثمانية المحلية هناك تجاه الحجاج الهنود[2] ، إلا أن الحكومة الهولندية قررت إقفال قنصليتها في جدة، حتى تنتهي الحرب، واعتذرت عن القيام بالمهمة[3] .

ويبدو أن الحكومة العثمانية قد تلقت إستفساراً ما عن موقفها من الحجاج الهنود، إذ ردت الحكومة العثمانية من خلال حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بأنه لم يسبق لهم منع الحجاج الهنود من إحضار الأطعمة الضرورية للحج بل على العكس تقدم لهم دائماً المساعدة في أداء مهامهم الدينية، وستبقى على ذلك، وترى أنه من غير الضرورى الوصول إلى إتفاق أو ترتيب معين مع الحكومة البريطانية[4] .

ومن خلال هذا العرض يتبين تعدد وجهات نظر الساسة البريطانيين حيال الحج، وخاصة حجاج الهند التى كان يأتى منها أكبر نسبة من الحجيج، حيث تركزت مخاوفهم على إمكانية إستيلاء العثمانيين على المواد الغذائية المحملة.. وربما هدفوا إلى

---

(١) (PRO) FO 371/2483, From Secretary of State to V.R, 7th, June, 1915.

(٢) Same Series and Vol,From Secretary of State to V.R, 30th, June 1915, and from V.r, 13th, July, 1915.

(٣) Same Series and Vol, From Secretary of State to V.R, 27th, October 1915.

(٤) Same series and V.l, Decypher Sir C. Spring Rice, Washington, 31st, October 1915.

أبعد من ذلك حيث لا ترغب السلطات البريطانية فى أن يتأثر الحجاج بدعاية ما من قبل العثمانيين ضد بريطانيا.. ولهذا أشير على المسئولين المعنيين بعدم تشجيع من يرغب فى الحج بالقيام به، وتحميله مسئولية ما يتعرض له.

علاقات الشريف حسين بالعثمانيين قبيل إندلاع الثورة :

يصف الجنرال العثمانى علي فؤاد الموقف بين الدولة العثمانية والشريف حسين بعد تخلف أبنه علي فى المدينة واعتذاره عن مواصلة السير مع فرقة الحجاز المتجهة للقناة لمشاركة الحملة الأولى على القناة بقوله "مضت الحكومة العثمانية والإمارة الجليلة فى براز (مبارزة) سياسي من ذلك الحين إلى أن أعلنت الثورة، وكانت الإمارة الجليلة تأتى غالبة فى جميع أدواره"[1] .

وقد عمد الشريف بعد أن قطعت مفاوضاته مع الإنجليز شوطاً مشجعاً فى الإعداد للثورة على الصعيد الخارجى إلى التخطيط للقيام بوجه الدولة فى الإعداد لها على الصعيد الداخلي[2] .

وقد كانت البلاد السورية تضم العديد من الجمعيات العربية التى تتخذ طابعاً قومياً وعلى رأسها جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد.. وبعد قيام الحرب العالمية الأولى حدث اتصال بين تلك الجمعيتين لتنسيق عملهما وخططهما لجلب مزيد من الأعضاء الأقوياء ذوى النفوذ من المدنيين والعسكريين[3] .

وبينما كان الشريف حسين يتلمس الظروف والاحتمالات من حوله وصله مبعوث من جمعية العربية الفتاة يدعى فوزي البكري الذى أرسل مجنداً فى حرس الشريف بعد موافقة العثمانيين.. وقد حمل فوزى إلى الشريف رسالة شفهية فحواها أن الزعماء الوطنيين فى الشام والعراق ومن بينهم ضباط كبار من العرب فى الجيش العثمانى يميلون إلى الثورة للحصول على إستقلال العرب فى الجيش العثماني فهل

---

(١) علي فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ٨١.

(٢) طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز، ص ٤٦-٥١.

(٣) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٥-١٢٦.

يوافق الشريف على قيادة هذه الثورة؟ وإذا وافق على ذلك فهل يستقبل وفداً من الجمعية فى مكة أو يرسل إلى دمشق مندوبين عنه للإتفاق على التنفيذ؟ ... ولم يتوان الشريف حسين إذ أرسل ابنه فيصلاً فى مهمة ظاهرها السفر إلى إستانبول ليعرض على الحكومة هناك الإتهام الذى يوجهه والده إلى الوالى، وحقيقتها الإتصال بالزعماء العرب ومعرفة موقفهم من عروض الإنجليز[1].

وصل فيصل إلى دمشق فى ٢٦ مارس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، ومكث فيها قرابة الشهر قبل أن يتوجه لإستانبول، مقيماً فى دار آل البكري، حيث أطلّع على أسرار الحركة العربية القومية من خلال أحاديثه مع أعضاء جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد التى تضم ضباط الجيش وأخبرهم بعرض كتشنر وبخطة والده التى تعتمد على الحذر والحرص[2].

ويذكر أحمد شفيق باشا كاتب الخديو عباس والذي كان موجوداً بالآستانة آنذاك، وصول الشريف فيصل إلى الآستانة فى أبريل ١٩١٥م يحمل من والده شكوى من نادي الإتحاديين هناك، لأنه ضبط خطابات أرسلها النادى إلى المركز فى الآستانة يطلب فيها عزل الشريف حسين وتعيين الشريف علي المقيم فى مصر، وذلك لأن الأخير إستمال إليه أعضاء هذا النادى.. والشريف حسين على هذا الأساس يهدد بالإستقالة إذا لم يتم إبعاد هؤلاء... ثم قام الشريف فيصل بزيارة إلى أحمد شفيق هذا، فعلم منه الأخير أن العلاقات بين الحسين والوالي وهيب باشا سيئة وبالدسائس ضد والده من الشريف علي بمصر والشريف حيدر بالآستانة كما رأى الحسين من خلال المراسلات التى عثر عليها.. أنهم كانوا يتهمونه من قبل بالتشيع للخديو، والآن يتهمونه بموالاة الحجاز، ولما أطلع فيصل المسئولين فى الآستانة وعلى رأسهم أنور باشا على الرسائل المضبوطة أظهرا له أسفهما وثقتهما بوالده[3] .

---

(١) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٢-٢٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) أحمد شفيق باشا، مذكراتي فى نصف قرن، جـ٣، ص ٦٠-٦١.

ويشرح أحمد شفيق باشا دوره آنذاك بقوله "وقد اشتغلت بعد ذلك مع البارون أو بنهايم (الملحق بالسفارة الألمانية بإستانبول) والشريف فيصل مدة أسبوع في عمل إتفاق نهائي بين والده والحكومة العثمانية... وكان الشريف ناصر أخو الشريف حسين يحضر بعض الإجتماعات" وقد شرح فيصل الموقف بين والده والدولة والتي تتلخص فى أن الحجاز يعتمد في مؤونته على المحصولات الخارجية التى ترد بواسطة السفن الإنجليزية، وهذا هو الذى يضطر الشريف إلى التعامل مع تلك السفن، إذ لو إنقطعت الواردات الخارجية لحصلت المجاعة كما أن العلاقات بين والده ووهيب باشا يتخللها الجفاء وسوء الظن، فى حين يقوم بعض الأشراف بعمل الدسائس ضد والده. وقد بين فيصل دقة موقف والده الذى يتمتع بدخل كبير في مواسم الحج ويخشى وقوع الحجاز تحت الحكم الإنجليزى وعليه فيجب أن تثق به الدولة وتبعد عن فكرة عزله، وقد إنتهت هذه المداولات بالإتفاق على إرضاء شريف مكة وتأمينه على مركزه، وأن تقدم له هدية سلطانية وكتاب من طلعت باشا يؤكد ثقته به... ولم يغادر فيصل الآستانة إلا بعد أن قابل أنور باشا الذى سلمه رسالة الترضية وفى طيها فقرات للمشروع المراد تنفيذه من قبل الشريف وأهم نقاطها :-

- تسيير أحد أنجال الشريف مع قوة منظمة للإلتحاق بالحملة على مصر.

- إذاعة إعلان الجهاد فى البلاد الإسلامية.

- إرسال مندوبين لهذه البلاد وتوزيع الرسائل والمنشورات[١] .

ولما عاد فيصل إلى دمشق فى رحلة العودة وجد زملائه فى جمعيتى الفتاة والعهد قد اتفقوا أثناء غيابه على خطة العمل بوضعهم ميثاقاً يتضمن شروط الزعماء العرب[٢] لمؤازرة بريطانيا ضد الدولة العثمانية على أن يحمل فيصل هذا الميثاق إلى

(١) المصدر السابق، ص ٦١-٦٤.

(٢) يلاحظ أن المرجع الذى أخذت منه هذه المعلومات وهو كتاب يقظة العرب لجورج أنطونيوس يستخدم فى كتابه أسلوب التعميم غير الدقيق عبارة الأمة العربية والزعماء العرب رغم أن المقصود هنا فى هذه المرحلة رجال الجمعيات العربية وأولئك قلة نسبة للمجموع الذى يتألف من البلاد الناطقة باللغة العربية وأهمها الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا.

والده بمكة ليتعرف من الحكومة البريطانية مدى قبولها لهذه الشروط كأساس للعمل المشترك وبنود الميثاق هـي :

١- إعتراف بريطانيا بإستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية :

شمالاً : خط مرسين- أضنه- إلى ما يوازي خط العرض ٣٧ شمالاً، ثم على إمتداد خط بيرجيك- أورفه- ماردين- مديات- جزيرة ابن عمر- العمادية إلى حدود إيران.

شرقاً : على امتداد حدود إيران إلى خليج العرب جنوباً.

جنوباً : المحيط الهندى باستثناء عدن.

غرباً : على امتداد البحر الأحمر ثم البحر المتوسط إلى مرسين.

٢- إلغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التى منحت للأجانب بمقتضى الامتيازات الأجنبية.

٣- عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا وهذه الدولة العربية المستقلة.

٤- تقديم بريطانيا وتفضيلها على غيرها من الدول فى المشروعات الاقتصادية[١] .

ويذكر أمين سعيد بأن كلمة جميع الذين اتصل بهم فيصل واستمع إلى آرائهم كانت متفقة حول نقاط أهمها :-

- وجوب الثورة على العثمانيين وطردهم من بلاد العرب.
- إعلان الثورة فى سوريا على أن ينضم إليها الحجاز ويكون الحسين زعيماً لها .
- تعقد الحكومة العربية المنبثقة عن الثورة معاهدة تحالف مع إنجلترا[٢] .

---

(١) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) أمين سعيد، ثورات العرب فى القرن العشرين، ص ٤٢.

وإذا استعرضنا هذه المرحلة التى قام فيها فيصل برحلته إلى سوريا وإستانبول في الفـتـرة من مـارس ١٩١٥ إلى يونيـه ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، نجـد أنه قـد قـام بدور مزدوج، ففى دمشق إجتمع إلى الأحزاب العربية المذكورة وتداول معها أمر الثورة على الدولة العثمانية، ثم تباحث فى إستانبول مع أعضاء الحكومة العثمانية شاكياً تصرفات الوالي نحـو والده ونافيـاً الاتهامـات الموجـهة إليه بإتصـالاته مع الإنجليز وطالباً تأكيد الثـقـة في والده وإمداده بالمال. وبعد أن تم له هنا مـا أراد، رجع إلى دمـشق وأكـمل مباحثاته مع أعضـاء تلك الجمعيات وكأن كل مهمة لها دور خاص وشخصية خاصة.. ولما كـان الأبن يعمل بإيحـاء من والده، فـإن تلك كـانت سيـاسـة الحسين بن علي أمـيـر مكة.. أمـا ميثـاق دمشق الذى حمله فيصل إلى والده فـقد تضمن شروطا لانضـمـام العرب إلى بريطانيا وكأن بريطانيا طرف على مائدة المفاوضات التى وضعت فيها هذه الشروط.. ولما لم تكن كذلك، فإن ذلك فى الغالب أمور نقلها فيصل معه من والده في مـبـاحـثـاته فى دمـشق على ضـوء مـا توصل إليـه أمـيـر مـكة في مـبـاحـثـاته الأولى مع الإنجليز، أو أفكار تناقلتها فروع الجمعيات المذكورة في مصر وغيرها التى تتواجد فيها السلطات البريطانية.

وتجدر الإشارة إلى وضـع الحجاز الأمني والإجتماعي فى تلك الفترة الحاسمة، والتى يمكن أن نعرض إحدى صوره من الرواية التى ذكرها البعض حول تولية بشير السعداوى قائمقام لمدينة ينبع البحر بالحجاز، ويشير هذا أحد رجال طرابلس الغرب كلفته الحكومة العثمانية بمرافقة نوري باشا إلى طرابلس الغرب لتحريك السنوسي فـاعتـذر عن هذه المهـمـة لأسـبـاب تتـعلق بالإخـتـلاف حـول أسلوب وطريقة التـأثيـر على السنوسي للإنضمـام إليهم، فعينته الدولة قائمقام لينبع البحر لثقتها فيه.. وقد وصل السعداوي إلى المدينة المنورة فى فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ ثم واصل رحلته بعد تجارب مثيرة إلى ينبع حيث اتضحت لهذا الرجل حقائق لم يكتف بتسجيلها فى ذهنه بل واجه بهـا المسئولين من رجال الدولة في الحـجـاز والآسـتـانة.. وهـى أن جـهل سـواد بادية الحجاز بالدين الحنيف يكاد يكون تامـاً، بالإضـافة إلى إختلال الأمن وتعرض الحجيج لغارات البدو، والخوف فى السفر. وكتب تقريراً مطولاً عن جولته التى قام بها خارج

ينبع لاستطلاع أحوال البادية وضمنه ملاحظات جريئة، وتبعه بتقارير أخرى متصلة بنشاطه فى ينبع كما بدأ بتنفيذ فكرة نشر العلم والمعرفة لتنوير أذهان أهل البادية حول ينبع البحر، فاتخذ المدرسة الإبتدائية العثمانية الموجودة بالبلدة نواة لمشروعه، مما كان له أكبر الأثر فى إستتباب الأمن فى المنطقة وإقبال المشايخ ورؤساء القبائل على تعليم أبنائهم وإرسالهم إلى المدرسة(١) .

هكذا كان وضع الحجاز من خلال استعراض هذه الحالة، رغم أن ذلك ينسحب على البادية أكثر من الحاضرة، بسبب الجهل وظروف الحياة القاسية وبسبب تركيز الدولة على المدن الكبيرة كمكة والمدينة وجدة.. كما أن ندرة المخلصين ذوى الكفاءة أمثال بشير السعداوي كان العامل الرئيسى فى تردي الأوضاع هناك، كما أنه دليل على أن سلطة الإشراف آنذاك لم يكن لها دور ظاهر فى نشر التعليم وبث الوعى بين قبائل الحجاز.

الشريف حسين بين بريطانيا والدولة العثمانية

خطى أمير مكة خلال الأشهر التالية لقيام الحرب العالمية الأولى خطوات قرّبته إلى الإنجليز وأبعدته عن العثمانيين.. ثم تلا ذلك ارتباطه ببعض الجمعيات العربية التي قررت وفق فسلفتها القومية الإنفصال عن جسم الدولة العثمانية.

وفى منتصف عام ١٩١٥م/١٣٣٣هـ لم تكن الحرب تسير وفق مصالح الحلفاء إذ ظهرت بوادر إخفاق حملة الدردنيل، وبدأ السنوسى وسلطان دارفور يشكلان عبئاً على السلطات فى مصر، رغم فشل الحملة العثمانية الأولى على القناة.. مما اضطر القوات البريطانية إلى الوقوف موقف الدفاع فى البلاد العربية سواءً فى مصر أو عدن، وفى هذا الوقت الحرج بالنسبة للإنجليز وصلت إلى مكماهون المذكرة الأولى من الشريف حسين التي تتضمن أغلب البنود التى حواها ميثاق دمشق الذى حمله فيصل

(١) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، المجلد الثاني، مطبعة الإعتماد، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٤٦٠-٤٨٠.

إلى والده[1] .

أرسل الشريف عبد الله رسالة إلى ستورز السكرتير الشرقي للمندوب السامي البـريطاني فـى القـاهـرة فى ٢رمـضـان ١٣٣٣هـ الموافق ١٤يوليـو ١٩١٥م وأرفق بهـا مـذكرة والده الأولى إلى مكمـاهون، وقد أوضح عبـد الله لستورز أن شعـبه يميل إلى حكومة بريطانيا بفضل المصالح المشتركة وليس من الضرورى أن تقوم بريطانيا بإلقاء المنشورات أو إرسالها لإقناع هؤلاء بقضية الحلفاء، كما رجا عبد الله إرسال القمح لمكة والمدينة لهذا العام والعام المنصرم الذى أُوقفت فيه، حتى تكون ذات أثر فعال فى توطيد المصالح المشتركة...

أما مـذكرة الحسين إلى مكمـاهون فقد تضمنت إدعاءه بتصـميم العرب جميعاً على الحرية، وعلى تسلم مـقـاليد الحكم بأيديهم، وأن هؤلاء قد تأكدوا أن مـصلحة الطرفين العربي والبريطاني مشتركة وبالتالي يرون من المناسب أن تصادق بريطانيا بواسطة مندوبيها على هذه الاقتراحات ومجملها :

أولاً - إعتراف إنجلترا بإستقلال البلاد العربية (وفق الحدود الموضحة بالمذكرة) على أن توافق على إعلان خليفة عربى للمسلمين.

ثانياً - إعتراف حكومة الشريف العربية بأفضلية إنجلترا فى المشاريع الإقتصادية.

ثالثا - تتعاون الحكومتان عسكرياً فى مجابهة أى قوة تهاجم أحد الفريقين.

رابعاً - إذا تعدى أحد الفريقين على بلد ما ونشب القتال، فعلى الفريق الآخر لزوم الحياد، وإذا رغب الفريق المعتدي باشتراك الفريق الآخر اجتمعا معاً للإتفاق على الشروط.

خامساً- توافق إنجلترا على إلغاء الإمتيازات الأجنبية.

سادسا- مدة الإتفاق فى المادتين الثالثة والرابعة خمس عشرة سنة[2].

---

(١) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٩-٢٥٢.

(٢) (PRO) FO 371/2486, Confidintial (B 215), Sherif of Mecca

ولم تكتف السلطات البريطانية برسائل الشريف وولده لمعرفة وجهات نظره بل طلبت إفادات أخرى شفوية من مندوب الشريف المدعو محمد بن عارف بن عريفان حيث أفاد بأن الشريف حسين الذى يقضى الصيف بالطائف طلب منه أن يسلم الرسائل إلى ستورز بالقاهرة ويعود فى غضون أسبوعين.. وبالفعل غادر الطائف فى ٣رمضان ١٣٣٣هـ ١٥مايو ١٩١٥م إلى جدة مروراً بمكة واستأجر أحد المراكب (سنبوك) على أمل أن يقابل إحدى السفن البريطانية الذاهبة إلى السويس، إلا أن الرياح الشديدة قذفته إلى سواحل عسير فاستأجر مركبا آخر أوصله إلى فرسان ثم إلى جزيرة كمران، حيث اتصل بالقنصل البريطاني هناك الذى سمح له برحلة مجانية على إحدى السفن البريطانية إلى بورسودان ومن هناك إلى السويس فالاسكندرية، حيث سلم الرسائل فى ٧شوال ١٣٣٣هـ- ١٨أغسطس ١٩١٥م، وعندما قابل ستورز ذكر له أن الشريف قد سلمه الرسائل بحضور أولاده الأربعة وطلب منه أن ينقل إلى ستورز رسالة شفوية فحواها "نحن الآن جاهزون وعلى أتم الأستعداد" ثم قال عبد الله لأبن عريفان أخبر ستورز بأن وعدنا وعد شرف حتى لو دفعنا حياتنا ثمناً لتنفيذه فنحن الآن لسنا تحت أوامر الأتراك بل هم تحت أوامرنا...

ومضى ابن عريفان فى تصريحاته بقوله أن عرب الحجاز مغتاظون لعدم قدوم الحجاج هذه السنة من مصر والهند وجاوه، ويشير إلى أن العثمانيين يحاولون إقناع عرب الحجاز بأن بريطانيا منعت المسلمين[1] فى مستعمراتها من الحج، ولكن بعض حجاج جاوه الذين استطاعوا القدوم عبر المكلا وعدن صرحوا بأن بريطانيا لم تضع أى عوائق للحج ولكن هناك نقص شديد فى السفن، حيث وضعت تحت تصرف الجيوش.. ثم قال إن الطائرات البريطانية ألقت منشورات في جدة ورابغ فى شعبان ١٣٣٣هـ/يونيو١٩١٥م، وعرف العرب مضمونها. وذهب بعض هؤلاء إلى الوالي والشريف حسين وقالوا لهم أن العثمانيين والألمان وليس الأنجليز الذين أشعلوا الحرب.

Communication from Sherif fof Mecca, to Mr. Srorrs

(١) الثابت أن السلطات البريطانية لم تشجع على الحج حسب تعليمات الحكومة البريطانية التى سبقت الإشارة إليها.

وأضاف ابن عريفان أن قبائل حرب ضد الحلف العثماني الألماني وقد حذروا العثمانيين بأن أي ألماني يطأ أراضي هذه القبيلة فإنه سيقتل على الفور.. وأشار إلى أن محمد أدريس السنوسى قدم إلى الحجاز فى عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م للحج وقام بمهمة من قبل العثمانيين لإثارة قبيلة حرب للإشتراك فى الجهاد ضد الإنجليز فى مصر، واجتمع بمشايخ القبيلة فى المدينة ومكة، ولكن لم تنجح مساعيه لإقتناع هؤلاء بعدم تحقيق الدولة العثمانية لوعودها شأنهم من قبل، وفى النهاية يروي بن عريفان قصته مع العثمانيين عندما إتُهم ظلماً وصودرت بضائعه فى الحديدة وسجن هناك ثلاث سنوات حسب زعمه[١] .

وقبل أن نعود إلى مذكرة الحسين الأولى، نناقش سريعاً أهم ما جاء فى أقوال ابن عريفان.. حيث نجد الشريف حسين قد طلب منه إيصال الرسائل والعودة فى غضون أسبوعين ولكن لم يصل إلى هناك إلا بعد أكثر من شهر بالإضافة إلى طريق العودة الذي يستغرق مثل هذه المدة أو أقل، وهذا يعنى أن الشريف قد قلق لهذا التأخر وربما شك فى اكتشاف العثمانيين لهذه الرسائل، ولم يطمئن بالطبع إلا بعد عودته، كما أن ظروف رحلة الذهاب أجبرته على النزول فى جزيرة كمران حيث اتصل بالقنصل البريطانى الذى ساعده فى إكمال مهمته وهذا يعنى أن ابن عريفان قد أخبره بهذه المهمة، ولما كان هذا القنصل تابعاً لسلطة المقيم فى عدن فلابد أنه أطلع المقيم على ما حدث وبالتالي علم حكومة بومباي والهند بأنباء هذه الاتصالات، أما إذا قارنا إفادة ابن عريفان حول إستياء أهل الحجاز من عدم قدوم حجاج مصر والهند، بتاريخ رحلته فى رمضان ١٣٣٣هـ. فإن ذلك يعني أن وصول الحجاج لم يحن إكتماله بعد، ولا يخلو الأمر من توقع لعدم وصولهم أو مبالغة منه فى تصوير الوضع فى الحجاز، وبخصوص الحج السابق أى عام ١٣٣٢هـ فقد أعلنت الحرب العالمية ودخلت الدولة العثمانية قرب حلول موسم الحج أى بعد أن تم وصول الراغبين فى الحج... أما أقواله عن موقف قبيلته حرب تجاه العثمانيين والألمان فربما استدعى الموقف الذى كان فيه أن

---

(١) (PRO) FO 371/2486, Statement of Messenger, Mohammad Ibn Arif Ibn Ireifan, Alexandaria, 18th August, 1915.

يتحدث أمام الإنجليز بمظهر المتعاطف معهم وضد حلفائهم أو لعداوته للعثمانيين بعد سجنه، أو ربما نتيجة لتأثير الشريف على هذه القبيلة بدليل إختياره لأحد أفرادها حتى تكون أكبرقبائل الحجاز وأهمها في موقف متضامن مع الشريف... ومن جهة أخرى نرى من خلال أقواله أن العثمانيين لم ينسوا كسب صف هذه القبيلة الهامة بإرسال السنوسي إليها لإقناعها بالإنضمام إلى العثمانيين.

أما مذكرة الحسين الأولى إلى مكماهون فإن أهم ما فيها مطالبه بإعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية وفق حدود معينة، وبموافقتها على إعلان خليفة عربى للمسلمين.. وبالطبع فإن هذين المطلبين لهما إرتباط وثيق بما توصلت إليه المراسلات الأولى بين الطرفين التى تحدثت فيها بريطانيا عن نقل الخلافة إلى العرب واستعدادها لتقديم المساعدة والحماية.. أما رسالة الشريف الشفوية بإنتهاء إستعداداته وقول عبد الله إننا على تعهدنا، وطلبه تموينات الغذاء، فذلك دليل على عزم الحسين على الثورة منذ النصف الأول لعام ١٩١٥م- ١٣٣٣هـ.

وبعد إطلاع مكماهون على مذكرة الحسين كتب عدة ملاحظات إلى حكومته فى ٢٢ أغسطس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ حول النقاط التى أثارها، وقد رأى أن الشريف يسعى لتسوية مصالح العرب على الرغم أنه غير مفوض فى الوقت الراهن فيما وراء الحجاز. وأن مطالبه الحالية مبالغ فيها، وأكثر مما يؤمل فى تحقيقه، واقترح أن يحتوي الرد على مذكرة الحسين، ترحيب بريطانيا بتصريح الشريف على إتفاق المصالح بين الطرفين، وتأكيد ما جاء فى رسالة كتشنر الودية فى نوفمبر الماضى من وعود، وأما مسألة الحدود فسابقة لأوانها[1] .

أما رونالد ستورز فقد وجد تشابهاً بين نقاط الشريف التى اقترحها وبين آراء الشيخ رشيد رضا وخاصة فيما يتعلق بالحدود، مما يؤكد فى نظره وجود بعض الإتصالات بين الشيخ والشريف، واقترح إيقاف طلعات الطيران على الحجاز فى الوقت

---

(١) (PRO) FO 371/2486, Decypher, Sir H. Mcmahom, Alexandria, August 22nd, 1915.

الحاضر... وإرسال ما طلبه الشريف مع إعطاء تعليمات لمندوب الشريف لينسق مع الشريف لوضع علامة خاصة لضمان سلامة وصول المواد المرسلة(١) .

بينما فسرت بعض الوثائق البريطانية عرض الشريف بأنه احتوى الإقتراح بعقد إتفاقية مع الحكومة البريطانية كما يفهم من البند الثالث فى رسالته(٢) .

وقد وافق وزير الخارجية البريطانية أن يحتوي رد مكماهون على الشريف نفس المقترحات التي ذكرها مكماهون للوزارة فى ٢٢ أغسطس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ ولذا تضمنت الرسالة الجوابية للشريف حسين فى ٣٠ أغسطس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ النقاط التالية :-

- شكر الحسين على صدق شعوره نحو بريطانيا وتأكيده على المصالح المشتركة.
- تأكيد أقوال كتشنر السابقة للشريف فى رغبة بريطانيا فى استقلال بلاد العرب، والموافقة على الخلافة العربية عند إعلانها.
- تأجيل الحديث حول مسألة الحدود لأن الحرب ما تزال قائمة.
- إعادة الحبوب والصدقات التى ترسل من الحكومة المصرية(٣).

وهكذا قوبل اندفاع الشريف فى مطالبه ببرود متعمد من السلطات الإنجليزية رغم أن هذا التقارب فى صالح بريطانيا والحلفاء فى تلك الفترة الحرجة.. ولكن علموا من خلال اتصالاتهم الأولى أن الشريف عزم على الاستقلال وبالتالي حاجته أكثر لأن يدفع ثمناً أكبر لمطالبه.

ومع ذلك بعث الحسين بمذكرة ثانية إلى هنرى مكماهون بتاريخ ٢٩شوال ١٣٣٣هـ، ٩سبتمبر١٩١٥م، أوضح فيها النقاط التالية :

---

(١) Same Series and Vol., Note on Communication from the Sherif of Mecca, 19 August, 1915.

(٢) (PRO) FO 371/3384, Memorandom on British Commitments to King Husen.

(٣) (PRO) FO 371/2486, To the Sherif Husen, 30 August, 1915.

- شعور الحسين ببرود وتردد رسالة مكماهون فيما يتعلق بحدود الدولة العربية التى هى مطالب شعب بأسره يرى من الضرورة البحث فيها قبل أى مسألة.
- الترحم على الخلافة، دون إثارة مسألتها فى المذكرة.
- تنظيم عملية إرسال الهبات إلى الحجاز بما يكفل سلامة وصولها[1].

وبعد علم السلطات البريطانية بمحتويات مذكرة الشريف الثانية أبرق مكماهون فى ٢٠أكتوبر ١٩١٥م/١٣٣٣هـ إلى حكومته بمعلومات إضافية أدلى بها مبعوث الشريف الذى أحضر المذكرة الثانية وينتظر الرد الآن، حيث أفاد بأن الشريف ارتاح كثيراً لعدم منع الإنجليز الحجاج أو إرسال الكسوة من مصر، وأن الأمير عبد الله غادرفى ٢ سبتمبر إلى نجد ومعه ستة عشر ألف رجل لمساعدة ابن رشيد في الظاهر- الذى حصل على عشرة آلاف جنيه وعشرة آلاف بندقية نظير المساعدة التى يقدمها للهجوم على البصرة- وفى الحقيقة لثني بن رشيد عن هذا المشروع... كما أن الشريف حسين غضب كثيراً للأنباء التى وصلته حول شنق العثمانيين لخمسة عشر عربياً فى حمص وحماه... وعندما استدعى العثمانيون الشريف فيصل لمساعدتهم فى سوريا وذهب فى طريقه إليهم كلف فيصل مبعوث والده بأن يبلغ المندوب السامي في القاهرة بأنهم لا ينوون القتال إلى جانب العثمانيين الذين قد يرسلون فيصلاً إلى القناة... كما أشار مبعوث الشريف أن أمير رابغ وبعض القيادات هناك ينتظرون بعض الضمانات للوثوب على العثمانيين[2].

ومن خلال مذكرة الشريف الثانية يتأكد مدى رد الفعل القوي لدى الشريف الذى لاحظ أن التردد فى مسألة الحدود يعنى المماطلة بالمسألة العربية كلها فى نظره

---

(١) (PRO) FO 371/2768, (B 222), Correspondence with the Grand Sherif of Mecca, From Sherif of Mecca to the British High Commissioner in Egypt. 29th Shawal 1333, 9th September 1915

أنظر ملحق الوثائق.

(٢) (PRO) FO 371/2486, Decypher No. 626, Sir H. Mcmahon, Cairo, October 20th, 1915.

والدخول فى التعميم دون التركيز على القضايا الرئيسية... كما أن المعلومات الهامة التي أدلى بها حامل رسائل الشريف، توضح أن الحجاج القادمين من مصر لم يمنعوا من الحج لعام ١٣٣٣هـ، على عكس الشكاوى التى نقلها هذا الشخص في رحلته الأولى بعدم قدوم الحجاج أو ندرتهم لذلك العام... كما يتضح دور الشريف وأبنائه فى محاولة إعاقه ابن رشيد عن الهجوم على البصرة وقتال الإنجليز هناك، وأيضاً وعود الشريف فيصل بعدم استعداده للقيام بأى مهمة فى مساعدة العثمانيين وخاصة فى الهجوم على القناة.

وقبل أن يرسل مكماهون مذكرته الثانية الجوابية إلى الشريف، دارت مناقشات فى الدوائر البريطانية حول المسألة العربية بشكل عام... إذ أرسل مكسويل قائد القوات البريطانية فى مصر بأن أعضاء جمعية العربية الفتاة الذين يملكون نفوذا كبيراً داخل الجيش العثماني ولدى حكام العرب قد قرّ قرارهم كما يبدو للبدء فى الحركة داخل الجيش، رغم أن العثمانيين والألمان دخلوا فى مناقشات معهم وصرفوا لهم كثيراً من المال لإجتذابهم. وكان الحزب العربي يميل أكثر إلى إنجلترا، ولا يطلب منها سوى تصريح تؤكد فيه تعاطفها وتشجيعها حتى لو لم توافق على كامل برنامجهم، كما يبدو أن الشريف حسين الذى يواصل إتصالاته مع هذا الحزب أكثر تشدداً فى طلب إعلان بريطانيا لسياستها تجاه الحركة العربية.. ولذا يرى مكسويل أن رفض عرض هذا الحزب العربي أو حتى التأخر فى الرد على مطالبه ربما يكون عاملاً فى إنضمامه إلى أعداء بريطانيا، مما يقوى الشعور الديني على الفور وبالتالي يتحول الأمر إلى جهاد موجه ضد بريطانيا... وأخيراً يُذكر مكسويل بالفوائد الكبيرة التي تجنيها بلاده لو إجتذبت هؤلاء إلى صفها فى الجزيرة العربية والعراق وسوريا وفلسطين(١).

وقد رد كتشنر وزير الحربية على برقية مكسويل فى اليوم التالى {١٣أكتوبر١٩١٥م/١٣٣٣هـ} بأن الحكومة راغبة جداً فى التعامل مع القضية العربية فى إطار يرضى العرب، وطلب من مكسويل أن يبرق له بالمطالب الرئيسية لهؤلاء بعد

---

(١) (PRO) FO 371/2486, Tele No. 2012, G.O.C. Egypt to Secretary of State 12/10/1915.

مناقشة الموضوع مع مكماهون[1].

ولا شك أن وجهة نظر مكسويل بصفته القائد العام للقوات البريطانية فى مصر وتبعاً لإهتماماته العسكرية هو أن الضباط العرب داخل الجيش العثماني والذين يشكلون أغلبية حزب العربية الفتاة، عنصر قوة لابد من اجتذابه أو على الأقل فصله عن الجيش العثمانى حتى تخف وطأة إعلان الجهاد الذى أصبح هاجس القواد الإنجليز.

وبعد أيام قليلة أبرق مكسويل إلى كتشنر بأن مكماهون قد بعث إلى وزارة الخارجية بأهم مقترحات الحزب العربي من خلال مقترحات شريف مكة، ولكنه لم يؤكد للوزارة بأن وراء كل حكام العرب حزب قوي فعال، ومع ذلك فإن هذا الحزب سيعمل بفعالية ضد الحكومة العثمانية إذا تم بسرعة الوصول إلى تفاهم معه... ولذا يجب عدم إضاعة الوقت حتى لا ينضم الحكام العرب وأعضاء ذلك الحزب إلى العثمانيين. وعلى هذا يرى مكسويل الوصول إلى تفاهم مع الشريف حول مقترحاته الأخيرة حتى لا يجابه الإنجليز الإتحاد الإسلامى[2].

وكان السير ريجنالد وينجت والميرغني على اتصال بالشريف فى هذه الفترة، ففي يوليو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، أرسل الميرغنى رسالة مع أحد الأشخاص إلى الشريف حيث أوصل هذا المبعوث إلى الشريف رسالة أخرى شفهية من وينجت حول نوايا بريطانيا الودية تجاه الحجاز وبعض المسائل الأخرى كمسألة المخابرات بين الطرفين، وقد عاد المبعوث برسائل جوابية من الشريف تضمنت مخابراته مع الميرغني التى سيبلغها بدوره إلى وينجت حاكم السودان وفيها ذات المطالب التى يذكرها فى رسائله إلى مكماهون، مع طلب المساعدة فى إقناع السلطات فى القاهرة بعدالة مطالبه مما حدا بريجنالد وينجت إلى إبلاغ كلايتون رئيس إستخبارات السودان بوجوب تفهم

---

(١) Same Series and Vol., tele (No 8784), From Kitchener to L.G, Sir Maxwell, 13th, October 1915.

(٢) Same Series and Vol., Form L.G. Sir Maxwell to Kitchener, 16th, October, 1915.

الحكومة البريطانية حتى لا يصبح إعلان العثمانيين للجهاد أمراً نافذ المفعول(١).

وكان ياسين الهاشمي أحد أعضاء حزب العهد قد اتفق بأسم الحزب مع جمعية الفتاة فقرر الحزبان العمل معاً لحث الشريف حسين على الثورة... ولما تقابل ياسين الهاشمي مع شريف الفاروقي أحد الضباط العرب فى الجيش العثمانى بإستانبول فكرا معاً فى وجوب الإتصال بمصر حيث تعهد الفاروقى بذلك. ولما اشترك الفاروقي مع القوات العثمانية فى صد القوات البريطانية فى الدردنيل وخاضت فصيلته معركة حامية ضد الإنجليز، طلب مقابلة القائد الإنجليزى وفاوضه فى رغبته فى السفر إلى مصر ضيفاً على الإنجليز، فوصل بالفعل إلى القاهرة فى أبريل ١٩١٥م/١٣٣٣هـ وأحاطه الإنجليز بكل عناية، وبدأ يراسل الشريف حسين بواسطة الإنجليز(٢).

هذا ما دعا السلطات البريطانية إلى معرفة موقف الأحزاب العربية وخاصة جمعيتى العهد والعربية الفتاة، التى تضم عناصر هامة يمكن توظيفها لصالح بريطانيا.

وقد وافق كل من وزير الخارجية البريطانى إدوارد غراي وكتشنر وزير الحربية على وجهات النظر تلك في وجوب الوصول إلى تفاهم أكبر حتى لا تضيع فرصة "العرض العربى"(٣).

من هذا المنطلق كتب مكماهون مذكرته الثانية إلى الشريف حسين بتاريخ ١٥ذي الحجة ١٣٣٣هـ-٢٤ أكتوبر١٩١٥م التى تضمنت عدة نقاط أهمها :-

- إبداء الأسف حول استنتاج الشريف بأن مسألة الحدود قوبلت بالتردد والفتور.
- مطالبة الشريف باعتبار ولايتى مرسين وأسكندرونة وأجزاء من سوريا الواقعة فى الجهة الغربية لولايات دمشق وحمص وحماه وحلب مستثناه من الحدود المطلوبة مع

---

(١) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٩-٢١١.

(٢) أسعد داغر، مذكراتى على هامش القضية العربية، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص ٨٢-٨٣.

(٣) (PRO) FO 371/2486, From Secretary of State to Vr, 22nd, October 1915.

عدم التعرض للمعاهدات المعقودة بين بريطانيا وبعض حكام العرب أو المساس بمصالح فرنسا فيما يختص بالأقاليم التى تضمها تلك الحدود.

- إستعداد بريطانيا وفق هذه التعديلات بالإعتراف بإستقلال العرب وضمان الأماكن المقدسة من كل إعتداء خارجي، ومساعدة العرب فى إقامة نظام للحكم فى المنطقة المستقلة، مع إشتراط أن يكون لولايتى بغداد والبصرة نظام إدارى خاص نظراً لمصالح بريطانيا هناك[1].

ويلاحظ عدم ذكر الخلافة فى هذه المذكرة رغم ورودها فى المذكرة الأولى ولعل أسلوب الحسين فى مذكرته الثانية بالترحم على الخلافة جعل مكماهون يستغل الفرصة ويتناسى الموضوع... والسبب الحقيقي فى هذه المسألة ربما يتضح فيما بعد فى ٢نوفمبر١٩١٥م عند أبرق وزير الخارجية البريطاني إلى مكماهون أن أغاخان[2] أوضح له أن المسلمين فى الهند غير ميالين إلى الخلافة العربية، ولذا فمن الخطأ أن تتورط السياسة البريطانية في مسألة الخلافة حتى لا تحصل مشاكل فى الهند... وهنا ينبه وزير الخارجية إل ما قاله سابقاً بأن بريطانيا على استعداد لتأييد دولة عربية فى المناطق الآهلة بالعرب، ولكن أى وعود أو مساعدة للعرب يجب أن تكون فى إطار سياسي أو علماني لا دخل له بالدين حيث أن الخلافة أمر يهم المسلمين وحدهم[3]. أى أن أمر الخلافة الإسلامية أصبح خاضعاً لتشجيع أو عدم تشجيع السلطات البريطانية فى ظل عدم إعتراف بريطانيا بالسلطة العثمانية.

وفى ٢٧ ذى الحجة ١٣٣٣هـ/ ٥ نوفمبر ١٩١٥م كتب الشريف حسين مذكرته

---

(١) (PRO) FO 371/2768, (B. 222) From the High Commissioner Cairo, to the Sherif of Mecca, 24th October 1915.

(٢) أغاخان زعيم لإحدى فرق الإسماعيلية وتدعى النزاريه وينتسبون إلى المعز الفاطمى ويقيمون فى بومباى بالهند، حسب ما ذكره أمين الريحاني، مرجع سبق ذكره، جـ١ ص ٢٤٩، ويلاحظ تقرب السلطات البريطانية إلى زعماء مثل هذه الفرق واستماع وجهة نظرها.

(٣) (PRO) FO 371/2486, Confi-tele No.231, Sir E. Grey to Sir H. Mcmahon, November 2nd 1915.

الثالثة إلى مكماهون حيث تطرقت للنقاط التالية :-

- ترك الإلحاح في إدخال ولايات مرسين وأضنه فى أقسام المملكة العربية مع الإصرار على اعتبار ولايات حلب وبيروت وسواحلهما ولايات عربية محضة.
- تحقق بريطانيا وفق مصالحها ما تريده فى الولايات العراقية التى تحت إدارتها في مدة معينة على أن يتم دفع مبلغ مناسب للشريف.
- ضمان عدم ترك العرب عند الصلح أمام جيوش العثمانيين والألمان(١).

ويبدو أن بريطانيا طلبت منه قبل ذلك مما لم يرد نصه فى المذكرات السابقة، الإسراع بالقيام بالحركة، وربما نقل ذلك فى الرسائل الشفوية حيث يقول الشريف "ورغبتكم في الإسراع بالحركة نرى فيه من الفوائد بقدر مانرى فيه من المحاذير"(٢).

وقد ظل الخلاف إذن قائماً فى مسألة الحدود، فبينما وافق الشريف على استثناء ولاية أضنه تنازل عن أكثر مما طلب مكماهون من جانب وعن أقل منه من جانب آخر، حيث كان مكماهون قد طلب إستثناء منطقتى مرسين والاسكندرونه، فوافق الشريف على استثناء مرسين وتبرع باستثناء جميع ولايه أضنه ولكنه لم يوافق على استثناء الإسكندرونه التى تقع ضمن ولاية حلب(٣).

وفى هذه الأثناء كتب مكسويل إلى كتشنر بأن من المرغوب فيه عدم ذكر الشريف حسين فى البلاغ الذى سيعلن فى بغداد، ولا ذكر أي إشارة إلى محادثات بريطانيا مع العرب حتى لا يقع أي خطر على هؤلاء القادة العرب وخاصة شريف مكة

---

(١) (PRO) FO 371/2768, (B 222), Communication from the Grand Sherif of Mecca, to the High Commissioner, Cairo, Dated 27/2/1333, 5th November 1915.

ويوجد نص عربى لهذه المذكرة قد يكون صورة للأصل المرسل من الشريف فى الملف FO ٣٧١/٢٤٨٦، وقد ذكر تاريخ هذه المذكرة في النصوص العربية للمراسلات والملحقة بكتاب جورج أنطونيوس، يقظة العرب، على أنه ٢٤ ذو الحجة، ولكن تاريخ ٢٧ذوالحجة أدق لوروده فى النصين العربي والإنجليزى فى الوثائق البريطانية التى إستقينا منها محتوى المذكرة.

(٢) النص العربي للمذكرة الثانية المذكورة فى الهامش السابق وهو(PRO) FO 371/2486

(٣) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٢.

الذى قد يتعرض للاغتيال[١].

كما أبدت وزارة الهند وجهات نظرها حول مستقبل البصرة وبغداد من خلال المكاتبات التى دارت بين الشريف ومكماهون ورأت أن النقاش حولهما ذهب إلى أكثر مما توقعه المسؤولون فى الهند، فى حين يرى وزير الدولة البريطاني لشئون الهند أن معلوماته تفيد أن شريف مكة شخص ثانوى لا يملك أى امكانيات لتنفيذ مقترحاته لأن العرب بدون وحدة، ولذا يشك فى امكانية قيام ثورة عربية فى الجيش العثمانى أو مكان آخر، كما ينبه إلى أن الإدريسى وابن سعود أعداء للشريف حسين، بينما أصدقاء الشريف هم الإمام يحيى وابن رشيد الذين يميلون إلى العثمانيين، كما يتفق مع حكومة الهند في استنكار أى تصريح يعلن فى بغداد ومصر حتى يثبت بالفعل إستطاعة الشريف والفاروقي على تنفيذ وعودهما.. وعلى هذا يجب أن يشترط في الوعود التى قطعها مكماهون أنها تعتمد على سرعة تنفيذ العمليات التى عرضوها... وفى نهاية المذكرة يؤكد وزير الدولة أهمية المحافظة على الوضع الخاص والمصالح الخاصة لبريطانيا فى العراق بقدر المستطاع بعد وعود مكماهون للشريف[٢].

ولما رأى مكماهون أن موضوع الثقة فى قوة الشريف حسين قد تشعب فى الدوائر البريطانية، كتب إلى حكومته بعض الأدلة التى تشير إلى قوة مركزه حيث أرسل عبد الله إلى القبائل القاطنة بين حائل والبصرة، واستطاع أن يحصل على بعض الأتاوات منها، كما يؤخذ من أقوال بعض الضباط العثمانيين العاملين فى عسير الذين أُسروا في البحر الأحمر فى تلك الآونة إلى تزايد قوة الشريف، حيث يجبى الأتاوات من أغلب مناطق الحجاز، ولو حصل صدام بينه وبين العثمانيين فسيكون النصر حليفه... فهذه المؤشرات بالإضافة إلى أدلة أخرى تبين مدى تزايد قوة الشريف

---

(١) (PRO) FO 371/2486, tele-No 2108 E, From L.G. sir Maxwell to kitchener, 2nd November, 1915.

(٢) (PRO) FO 371/2486. Memorandum by Secretary of State of India, 8/11/1915.

فى السنتين الأخيرتين فى رأى مكماهون[1]. ومن هنا نرى مدى ثقة بعض المسئولين الإنجليز فى إمكانية الإستفادة من الشريف على عكس حكومة الهند التى تشكك فى مقدرته بحيث طلبت التشدد فيما يختص بالعراق.

وفى شهر نوفمبر كتب وينجت[2] تقريرا عن رحلة المبعوث الثانية والذى رمز لأسمه بالحرف {ج} "G" إلى الشريف حسين فى مكة، حيث وصل إلى هناك وأخبره عن قرب وصول المحمل المصري إلى الحجاز، إذ سيغادر السويس بالسفينة إلى جدة فى ٢٧ذو القعدة ١٣٣٣هـ-٧أكتوبر ١٩١٥م، كما سلمه رسالة من الميرغنى. وبعد تنظيم وصول المحمل سلم الشريف للمبعوث رسالة خطية إلى الميرغني ورسالة شفوية إلى السلطات البريطانية التى أرسلته، وتدور حول النقاط التالية :-

- قيام إحدى السفن البريطانية بالرسو فى موقع بين رابغ وجدة وعندما سأل الشيخ المسئول عن هذا المكان قائد السفينة عن نواياه قال إنه يريد إحتلال هذا المكان وتحصينه، فسأله الشيخ عن الجهة التى كلفته فقال القائد أن الترتيبات قد جرت مع ابن عريفان، وعلى الفور أبلغ هذا الشيخ الشريف حسين بما حدث ووصلت أخبار هذه الحادثة إلى الوالي العثماني فبدأت السلطات العثمانية بمراقبة السواحل بعد أن كانت بيد الشريف، ولهذا يطلب الشريف من السلطات البريطانية عدم تكرار هذه العملية لخطورتها على وضع الشريف[3]. وحتى لا يحرج أمام الحالات

---

(١) Same Series and Vol., Decypher, Sir H. Mcmahon, Decmber, 16th, 1915.

(٢) كان وينجت بصفته حاكم عام السودان الذى على اتصال بالشريف حسين بالاستعانة بالسيد على الميرغنى فى السودان هو قناة الاتصال بين مكماهون والحسين حيث جرت عدة اتصالات بين الأطراف الثلاثة وينجت- الميرغنى- حسين، وكان وينجت قد بعث مندوباً رمز إليه بالحرف {ج} "G" فى عدة زيارات إلى الشريف وتتعلق بالتنسيق حول وصول الإمدادات ومعرفة أحوال الحجاز. انظر الملف (PRO) FO 371/2767.

(٣) (PRO) FO 371/2486, Report of Second Mission of Mession of

المستقبلية المشابهة.

وقد وصلت تعليمات أخيرة إلى مكماهون بأن لا يناقش أى نقطة تتعلق بالخلافة فى مذكراته القادمة مع الحسين(1).

وفى ١٧ ديسمبر ١٩١٥-٩ صفر ١٣٣٤هـ، كتب مكماهون مذكرته الثالثة إلى الشريف حسين والتى تتضمن النقاط التالية :-

- سرور بريطانيا فى قبول الحسين إخراج ولايتى مرسين وأضنه من حدود البلاد العربية.
- سيناقش موضوع ولايتي حلب وبيروت فيما بعد لتعلق الأمر بفرنسا.
- تتوقف قوة الاتفاق بين الجانبين على مدى مجهودات الشريف في جمع كلمة الشعوب العربية إلى الغاية المشتركة وحثهم على عدم تقديم المساعدة لأعداء بريطانيا.
- ضمان حرية الشعوب العربية في أى صلح تعقده بريطانيا.
- إرسال مبلغ عشرين ألف جنيه لتنفيذ الغاية المشتركة(2).

هذا المبلغ الكبير الذى وصل إلى الشريف سيكون له تأثير كبير فى تعجيل خطواته لتنفيذ الخطة، وتقوية شعوره بالإلحاح الإنجليزى بعد أن أمدوه بالمال الكافي.

وقد بعث الحسين بمذكرته الرابعة إلى مكماهون فى ٢٥ صفر ١٣٣٤هـ- ١ يناير ١٩١٦م، وفيها :-

- ارتياح الحسين حول مقابلة محمد شريف الفاروقى لمكماهون التى أثبتت جميع ما

Messenger "G" to Sherif of Mecca, khartoum, 29/10/1915.

(١) Same Series and Vol., Cypher tele No. 887 to Sir H. Mcmahom, F.O November 17th, 1915.

(٢) (PRO) FO 371/2768, (B. 222), from the High Commissioner, Cairo, to the Sherif of Mecca, The Residency, 17th, December 1915.

ذكره الحسين من قبل.

- ترك مبلغ التعويض بشأن الولايات فى العراق إلى تقدير بريطانيا.
- تأجيل موضوع النقاش حول الجهات الشمالية وسواحلهما تقديراً لظروف الحرب وموقف بريطانيا مع حليفتها فرنسا إلى أن تنتهى الحرب(1).

وبعد أن تلقى مكماهون هذه المذكرة أرسل مذكرته الرابعة إلى الشريف حسين فى ٢٥ ربيع الأول ١٣٣٤هـ، ٣٠ يناير ١٩١٦م وتتضمن :-

- الإشادة برغبة الشريف فى عدم الإساءة إلى تحالف إنجلترا وفرنسا.
- سرور بريطانيا بجهود الشريف لجر الشعب إلى الغاية المشتركة والكف عن مساعدة أعداء بريطانيا.
- تحقيق طلبات الشريف بسرعة(2).

ويشير جورج أنطونيوس إلى أنه بهذه المذكرة انتهت المفاوضات واعتبر الفريقان أن الصفقة قد تمت، أما المذكرات التالية التى تبودلت فتدور حول الإعداد للثورة، وأما الإلتزامات التى تعهد بها الطرفان فى الأعمال الحربية فلم ينص عليها صراحة إذ تم بحثها شفهياً مع مبعوث الشريف وكان من المفهوم أن على بريطانيا أن تساعده فى الموارد المادية فى السلاح والمال، وعلى الشريف إعلان الثورة(3).

الشريف حسين والعثمانيون في هذه المرحلة

قبل أن نتناول المذكرتين الأخيرتين المتبادلتين بين الشريف ومكماهون تجدر الإشارة إلى ما وصلت إليه العلاقات بين العثمانيين والشريف، ففى شتاء ١٩١٥م-١٣٣٣هـ، هاجم البدو بحارة الطرادة الألمانية "امدن" بالقرب من جدة بعد نزولهم

---

(1) Same Series and Vol., (B. 222), From Sherif of Mecca to the High Commissioner, Cairo, 25 Safar 1334, 1st Jan. 1916.

(2) - Same Series and Vol., (B. 222), From H. Mcmahon to the grand Sherif. 25 Rabi Awwal.

(3) جورج أنطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٦-٢٦٧.

بسواحل الحجاز مما يلي عسير، وهذه الحادثة جعلت جمال باشا يشك أن الشريف حسين وراء هذه العملية، حيث أراد بهذا العمل التقرب من الإنجليز الذين كانوا يحاصرون السواحل العثمانية، ما عدا ساحل الحجاز حيث سمحوا بورود الأطعمة إليه(١).

وبعد تلقي الشريف رسالة مكماهون فى ٢٤ أكتوبر ١٩١٥م/١٣٣٣هـ وجوابه عليها فى ٥نوفمبر ١٩١٥م/١٣٣٣هـ.. إزداد ميل الشريف إلى إعلان ثورته، فأمر ابنه فيصل بالسفر مرة أخرى إلى دمشق بقصد ظاهر وهو أن يكون طليعة المجاهدين المشاركين فى الحملة الثانية على القناة.. وقصد آخر خفي وهو الإعداد فى سوريا لقيام الثورة بعد عمل الترتيبات اللازمة فى الحجاز وسوريا(٢).

وبالفعل وصل فيصل فى يناير ١٩١٦م/١٣٣٤هـ إلى دمشق بصحبة خمسين فارساً من مكة حيث اتخذ من مركز جمال باشا مقراً له فى تجهيز ألف وخمسمائة متطوع حسب ما اتفق عليه من قبل(٣)، ولكن الشريف فيصل رأى أن الموقف تبدل عما كان عليه قبل أشهر عند زيارته السابقة، فقد كان جمال باشا خلال هذه الفترة قد نقل جميع الكتائب العربية المرابطة في منطقة دمشق- حلب إلى ميادين القتال ونقل معها أكثر أصدقاء فيصل الضباط أعضاء جمعية العهد(٤).

ويذكر جمال باشا فى هذا الشأن أنه لما نزل الإنجليز والفرنسيون إلى الدردنيل، وبناءً على طلب القيادة العليا أرسل إلى الآستانة الفرق الثامنة والعاشرة والخامسة والعشرين التى كانت فى سوريا، وبقيت فى سوريا فرقة أو إثنتان من العرب(٥). وفى تلك الأثناء كان جمال باشا قد نفذ أحكام الإعدام فى المجموعة الأولى فى نهاية شهر أغسطس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، فى بيروت، بعد أن ثبت له إشتراك هؤلاء

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٠.

(٣) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٢.

(٤) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص ١٩١.

(٥) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٢.

فى التخطيط للثورة[1].

ولما كان فيصل فى الشام بعث إلى أبيه عن تطورات الوضع فى سوريا، وعن زحف الروس باتجاه ديار بكر، وسقوط بعض الولايات فى أيديهم كأرضروم، مما أزعج الشريف وأثار مخاوفه من إنهيار الدولة العثمانية قبل أن يتاح له الاستقلال[2].

وفى أثناء وجود فيصل بالشام زار أنور باشا وزير الحربية ومعه وكيل القائد العام، سوريا وفسلطين ثم واصل جولته إلى المدينة المنورة[3] بصحبة فيصل حيث قدم فيصل باسم والده الشريف الهدايا[4].

ثم جاء الطلب مرة أخرى إلى الشريف حسين بإرسال المجاهدين وإعلان الجهاد المقدس فى أقطار الإسلام، من مكة باسم الخليفة على روسيا وبريطانيا وفرنسا[5].

فأرسل الشريف إلى أنور باشا البرقية التالية :

" إن خروج الدولة العلية منصورة من الحرب الحاضرة يتوقف على إشتراك جميع العناصر العثمانية فيها ولا سيما العرب، والجانب الأهم من ميادين القتال فى بلادهم وتأييدهم لها قلباً وقالباً فى نضالها، ويلوح لى أن إرضاء الشعب العربى يتوقف على مداواة قلبه الذى جرحه إتهام عدد كبير من أبنائه بتهم سياسية مختلفة والقبض عليهم ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية بالدواء الآتى :

١- إعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين.

٢- إنالة سوريا ما تطلبه من نظام لا مركزي.

٣- جعل إمارة مكة وراثية فى أولادي وإبقائها على حالتها الحاضرة. فإذا قُبلت هذه

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٩.

(٢) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٢-١٩٤.

(٣) تفصيل زيارة أنور وجمال للمدينة المنورة موجود فى/ محمد كرد علي، الرحلة الأنورية، ص ٢٥٧-٢٧٠.

(٤) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص١١٣-١١٤.

(٥) المصدر السابق، ص١١٤.

المطالب فأتعهد بحشد القبائل العربية بقيادة أبنائى فى ميدان العراق وميدان فسلطين وإذا لم تقبل فأرجوكم أن لا تنتظروا منى شيئاً سوى الإبتهال للحق جل وعلا بأن يهب للدولة النصر والتوفيق"[1].

فرد عليه أنور باشا بالرد الآتى :-

"وصلت برقيتكم الهاشمية القائلة إن إحراز النصر يكون باشتراك جميع أبناء الأمة قلباً وقالباً" ولما كان طلب إعلان عفو عن بعض المتهمين وتطبيق نظام اللامركزية فى سوريا وإستبقاء إمارة مكة فى شخصكم السامي وفى أولادكم خارجاً عن إختصاص سيادتكم فالإستمرار فى طلبه ليس من مصلحتكم فى شئ، وإننى أُبلغكم أنه لابد من أن ينال الموقوفون عقابهم كما أن حقوق سيادة ملجأ الخلافة ستظل فى الحجاز على ما كانت عليه وكما هى فى جميع الممالك الشاهانية وأوصيكم ملحاً بأن تستدعوا ولدكم علياً الموجود فى المدينة إلى مكة فوراً وترسلوا المجاهدين الذين وعدتم بارسالهم إلى دمشق فوراً ليكونوا بقيادة ولدكم فيصل بك، وبديهى أنه سيظل ضيفاً على الجيش الرابع حتى نهاية الحرب...".

فأرسل إليه الشريف الرد التالى :-

"لقد أرسلت نجلي فيصلاً إلى دمشق إعتمادا على شرف الدولة ولست أرجو أن يعود إلىّ الآن، على أن سوق المتطوعة إلى دمشق يتوقف على وصوله إلى المدينة ورؤية هؤلاء له، وسيدعى نجلي على إلى مكة قريباً"[2].

وقد أورد عبد الله بن الحسين فى مذكراته نصوصاً أخرى متبادلة مع الصدر الأعظم وأورد جانباً من المراسلات التى أثبتناها على أنها من وإلى الصدر الأعظم، ويبدو أن الاتصالات كانت بين الحسين من جانب والصدر الأعظم وأنور باشا وزير الحربية من جانب آخر بمضمون واحد للبرقيات، فقد أشار عبد الله إلى أن الحسين

---

(١) أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، جـ١، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ص١١٠-١١١.

(٢) ذكر المؤلف أن الشريف عبد الله بن الحسين أملى نصوص هذه البرقيات عليه باللغة التركية وترجمها إلى العربية، أمين سعيد، الثورة العربية، جـ١ ص١١١.

بعث إلى الصدر الأعظم بعد البرقية العثمانية بعدم تدخله فى شئون العرب ومسألة المجرمين السياسيين بسوريا، البرقية التالية :

"ليس ما أقوله سوى النصيحة الأخيرة فى برقيتي وبها ضمان إنحياز العرب إلى صفوفكم بقلوبهم، أما إبنى فيصل فلم أبعثه إليكم وأنا أعتقد أنى أراه مرة أخرى فافعلوا ماشئتم" وبعد يومين وردت من الصدر الأعظم البرقية التالية :-

"بعد التأمل رأينا شكر سيادتكم على أجوبتكم، فإذا بعثتم بالمجاهدين إلى الشام فقد أشعرنا جمال باشا ليذاكر نجلكم الشريف فيصل بك فيما يتعلق بالمجرمين السياسيين" فأجابه الحسين :

"إننى ممتن على تلطفكم بالجواب. أما المجاهدون فقد أصروا على عدم السفر إلا إذا حضر فيصل ليأخذهم، فإذا كانت الرغبة حقيقية فابعثوا به ليستصحبهم"، فوافق الصدر على أن يغادر الشريف علي المدينة لعدم إنسجامه مع المحافظ، فأجاب الشريف بأنه عند وصول فيصل سيترك علي المدينة[1].

ويذكر جمال باشا أن أنور أرسل إليه فحوى رسالة الشريف حسين مشيراً إلى غموض رسالته في الوقت الذى كان فيه الشريف فيصل يلح فى إظهار شئ من التسامح مع المعتقلين فى سوريا، وعلى الفور استدعى جمال باشا فيصلاً ليناقشة فى برقية أبيه وقبل أن يسلمها إياه ليقرأها قال له جمال باشا إن أخاه علياً أخذ في التدخل منذ فترة فى سلطات حاكم المدينة العثماني وقد كلف والده والحاكم بأن يطلبا إليه الكف عن هذا التدخل.. وقال له إنه حريص جداً على المحافظة على حقوق الشريف، وذكّره بأن لوالده خصوماً من بين أسرته فى إستانبول يعملون لإثارة شكوك الحكومة ضده، ولذا يجب تجنب كل ما من شأنه إعطاء الحجة للوشاية بالشريف.. ثم أعطاه برقية والده فلما فرغ فيصل من قراءتها وعلامات الإضطراب على وجهه أكد لجمال أن والده لا يقصد بالبرقية الإضرار بالدولة وأخذ يتلمس المعاذير... وبعد المقابلة أرسل جمال باشا إلى الشريف حسين رسالة فحواها، أن طلب الشريف فيما يختص

---

(١) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١١٤-١١٥.

بجعل الإمارة وراثية فى أسرته سابق لأوانه فى هذه الظروف التى تعبئ فيها الدولة مواردها للحرب، وأما طلب العفو عن المعتقلين فلا يمكن إجابته بعد ثبوت خيانتهم للدولة... وبعد مرور شهر على حوادث الإعدامات فى دمشق وبيروت للدفعة الثانية من المتهمين ضد الدولة، جاء رد الشريف حسين على برقية جمال السالفة مشيراً إلى أنه طلب العفو العام لمصلحة الحكومة، ثم شكا تصرفات بصري باشا فى المدينة، إلا أن جمال لم يقتنع فطلب الشريف فيصل وأطلعه على رد والده ثم أنذره بحدة إذا لم يكف عن تدخله وإلا أُستعملت القوة الحربية ضده حيث يرى أن اللهجة التى إستخدمها والده والمسلك الذى سلكه أخوه علي فى المدينة دلائل على أن هناك غاية أخرى يرمى إليها الشريف حسين[1].

وفى أواخر أبريل ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أرسل جمال باشا البنادق اللازمة إلى المدينة لتجهيز فرقة المجاهدين لحملة القناة الثانية، وكان مقرراً أن ترسل هذه البنادق إلى مكة ولكن بعد شكوك جمال باشا، كتب إلى الحسين أن من الصواب أن يرسل المتطوعين لديه إلى المدينة بدون سلاح، وهناك في المدينة تسلم لهم البنادق... ثم اقترح فيصل أن يذهب إلى المدينة ليصحب المجاهدين فى طريقهم من المدينة إلى القدس ليكون له تأثير معنوي فى نفوس المجاهدين فوافق جمال باشا على هذه الفكرة[2].

وإذا قارنا أقوال جمال باشا فى مذكراته، وعبد الله بن الحسين فى مذكراته ونصوص البرقيات المتبادلة بين الحكومة العثمانية والشريف حسين لاتضح مدى تأزم الموقف أكثر من أي وقت مضى بين الطرفين، نتيجة لشعور الحسين بالمساندة الخفية من قبل بريطانيا من جانب، ورغبة رجال الحكومة العثمانية وعلى رأسهم جمال باشا فى المضي على سياسة عدم التسامح مع أى بوادرللثورة فى المنطقة.

خلال هذه الفترة التى تداول فيها الحسين الكثير من القضايا مع العثمانيين عن طريق ابنه فيصل فى سوريا أو مكاتباته مع إستانبول كتب الحسين مذكرته الخامسة إلى مكماهون فى ١٤ربيع الثانى ١٣٣٤هـ/١٨فبراير ١٩١٦م وأبرز نقاطها :

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٣-٣٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨٨-٣٨٩.

- أن التقارير التى أرسلها ابنه من سوريا تفيد أن العثمانيين لم يبقوا هناك من الرجال الذين يعتمد عليهم فى الثورة، فإن وصلت قوات من حلب وجنوب الموصل وكانت أكثريتها عربية فربما يستطيع القيام بالحركة بهم.
- عزمه على إرسال ابنه الأكبر إلى المدينة بقوات كافية لتقوية أخيه فى سوريا، وللإستيلاء على الخط الحديدى كبداية للحركة.
- طلب مبلغ خمسين ألف جنيه على أن ترسل بسرعة، وإرسال مواد غذائية ولوازم حربية بموجب القائمة الموضحة بالمذكرة على أن تبقى فى بورسودان إلى أن يحين موعد الثورة[١].

ولما وصلت المذكرة إلى مكماهون رد بالمذكرة التالية فى ١٠مارس ١٩١٦م/ ٦جمادى الأولى ١٣٣٤هـ وفيها :

- موافقة الحكومة البريطانية على طلبات الشريف.
- تنبيه الشريف إلى وجود بعض النقط العسكرية العثمانية على طول السواحل العربية خططت لضرب السفن الإنجليزية أو لبث الألغام فى البحر... وحتى لا يحصل سوء تفاهم بين الطرفين صدرت الأوامر إلى الأسطول بضرب النقاط المعادية مع محاولة عدم المساس بالعرب القاطنين فى هذه المناطق.
- توسيط الشريف للتأثير على ابن رشيد الذى باع الجمال للعثمانيين حتى يكف عن ذلك[٢].

وبهاتين المذكرتين الأخيرتين تكتمل جوانب الإتفاقية بين الطرفين والتى ابتدأت بجس النبض، فاستحسان الفكرة ثم المداولات السياسية فالاتفاق النهائى على تموين الحركة مادياً وحربياً.

---

(١) (PRO) FO 371/2768, (8222), From the Grand Sherif of Mecca to the High Commissoner, Cairo, 14/4/1334, 18 Feb. 1916.

(٢) (PRO) FO 371/2768, (B. 222), From High commissioner to Sherif of Mecca, 6/5/1334, 10 March 1916.

وبعد وصول الشريف فيصل إلى المدينة أمر جمال باشا أن يقوم فخري باشا أحد قادة جمال بالسفر إلى المدينة ليرتب مع بصري باشا حاكم المدينة وسائل الدفاع عن المدينة فى حالة شعورهما بأى حركة من جانب الحسين، وفى هذه الأثناء طلب الحسين من جمال باشا قدراً من المال لتغطية نفقات المجاهدين فكلف هذا حاكم المدينة بأن يسلم للشريف علي المبلغ المطلوب[1].

وبعد أيام قليلة أى فى شهر يونيه ١٩١٦م/ شعبان ١٣٣٤هـ وصل إلى علم جمال باشا بعد مكالمة تليفونية من فخري باشا بأن أحد رجال الشريف علي بن الحسين قد سلم إليه ثلاث خطابات الأول لفخري باشا والثاني من الشريف حسين لجمال باشا، والثالث من الحسين للصدر الأعظم.. وفحوى رسالة الشريف علي إلى فخري باشا أنه بناءً على أوامر أبيه سيقف نقل المتطوعين إلى فلسطين مع أمرها بالعودة إلى مكة، أما رسالة الحسين لجمال فيعتذر فيها عن الإشتراك فى حملة القناة إذ لم تجاب مطالبه التى طلبها من قبل[2].

ويذكر عبد الله بن الحسين فى مذكراته أن القوى العربية كانت مهيأة بالمدينة عند وصول أخيه فيصل، فتعمد إستدعاء علي إلى مكة.. وبعدها بدأ الهجوم على الخط الحديدي من الشام والمدينة، وفى اليوم التاسع من شعبان١٣٣٤هـ/١٠يونيه ١٩١٦م، أعلنت الثورة العربية في مكة والطائف وجدة وينبع والوجه وسائر مدن الحجاز وصدر بيان بذلك من الشريف[3].

ومع أن ما ذكرناه في الخلاف بين الشريف والعثمانيين اعتمد على أقوال كل طرف بما يوحي أن كل فريق كتب لنفسه دفاعاً عن قضيته، إلا أن تطور مراحل النزاع بالشكل الذي أدىّ فى النهاية إلى ثورة الشريف... يؤيد أقوال الطرفين خاصة وأن الوثائق البريطانية أعطتنا من خلال ما عرضناه تطور نزاع الشريف المدعوم من بريطانيا إلى قيام الثورة.

---

(١) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩١-٣٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٣-٣٩٥.

(٣) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥-١١٦.

كما أن الصراع بين بريطانيا والدولة العثمانية فيما يختص بالحجاز لم يكن صراعاً ميدانياً مباشراً وإنما تبلور الصراع فى إطار سياسى غفلت عنه الدولة العثمانية نتيجة لدقة وحذر السياسة البريطانية فى اتصالاتها السرية مع الشريف حسين.

ومع ذلك لم تخل سواحل الحجاز فى البحر الأحمر من بعض المناوشات بين الطرفين البريطاني والعثماني فى تلك الفترة ومن ذلك :

- قيام السفينة البريطانية الحربية مينتو Minto بالاقتراب من جدة بعد إعلان الحرب بين الدولتين فى نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، حيث أسرت بعض موظفي العثمانيين وبعض القوارب فى الميناء، وكان هدفها الإشراف على مغادرة السفن البريطانية الموجودة فى الميناء والتأكد من مغادرة القنصل البريطانى ونائبه[1].

- فى يناير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ إقتربت السفينة البريطانية هملايا " Himalaya " إلى ساحل مدينة ضبا أحد موانيء الحجاز على البحر الأحمر، ونزل من السفينة الضابط السياسى التابع لدورية البحر الأحمر بإحدى القوارب إلى الساحل وعند إقترابه أُطلقت عليه النيران من بعض الأهالي حسب تصور هذا الضابط، مما دعا المسئولين البريطانيين لدراسة سياسة التعامل مع العرب القاطنين هناك الذين أثبتوا بهذا العمل ولاءهم للعثمانيين[2].

- فى صباح ٢١ مارس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ قامت إحدى السفن البريطانية الحربيةبالرسو في المويلح أحد موانئ الحجاز، لمحاولة الاتصال بالعرب القاطنين وبث المنشورات المعادية، ولم ير قائد السفينة أحداً من العثمانيين الذين يحرسون الميناء... وما كاد ينزل الضابط السياسى التابع لدورية القطاع الشمالى للبحرالأحمر إلى الشاطئ بإحدى قوارب السفينة حتى انهال رصاص الحامية

(١) (PRO) FO 371/2487, H.M.S, "Minto", Jeddah, 10th November, 1914.

(٢) (PRO) FO 371/2478, Private Secretary Admiralty to Private Secretary, India Office, 26th January, 1915.

العثمانية من كثيب رملي على الشاطئ، مما أسفر عن مقتل أحد الإنجليز وجرح عشرة[1].

هذه أمثلة لبعض العمليات الحربية بين الطرفين فى الحجاز ولكنها لا تمثل السمة الغالبة للصراع فى هذه المرحلة بين الطرفين فى الحجاز وإنما السمة الغالبة هى محاولة كسب جانب الشريف بالوسائل المختلفة للطرفين حيث ظفر المسؤولون البريطانيون فى النهاية فى توجيه الحسين الوجهة التى يرغبونها إستعداداً للمرحلة القادمة فى ميدان الحجاز والتى ستكون عملاً عسكرياً ميدانياً تم إعداده سياسياً فى مرحلة ١٩١٤/١٩١٦م- ١٣٣٢/١٣٣٤هـ.

وتجدر الإشارة إلى معرفة بعض جوانب أسباب ثورة الشريف حسين من خلال أقوال الطرفين المتنازعين :

فجريدة القبلة لسان حال الشريف حسين، والتى صدر أول أعدادها فى يوم الأثنين ١٥شوال ١٣٣٤هـ/١٩١٦م نعت الحال التى آلت إليها الدولة العثمانية بعد استيلاء الإتحاديين على الحكم وتعديهم على حقوق الخليفة العثماني، ومروقهم من الدين واحتقارهم للعرب، وإعداماتهم الأخيرة فى سوريا، الأمر الذى دعا الشريف حسين لأن يثأر لدينه ولقومه... فكانت ثورته على الدولة العثمانية على هذا الأساس[2].

- ويَرُدّ جمال باشا على مبررات الشريف حسين وخاصة ما يتعلق منها بأحكام الإعدامات، بأنها تمت بعد يوليه ١٩١٥م أى بعد أن بدأت المفاوضات بينه وبين الإنجليز، وأورد مستشهداً بما قرأه فى أحد أعدادجريدة القبلة لسنة ١٩١٨م، حول إعتراف الحسين بأنه منذ توليه الإمارة وهو يفكر بالخروج على الدولة[3].
- بينما يشير الجنرال علي فؤاد رئيس أركان حرب جمال باشا إلى أن شخصية

(١) (PRO) FO 371/2349, S.I.R. No. 248, March, 1915.

(٢) جريدة القبلة، العدد الأول، الأثنين ١٥ شوال ١٣٣٤هـ، مكة المكرمة، وتحتوي الأعداد التالية والتى تصدر مرتين فى الأسبوع على مقالات عديدة وبلاغات من الشريف وكلها مبررات لإعلان ثورته على الدولة العثمانية.

(٣) جمال باشا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٠-٤٠٢.

الشريف وأولاده طبعت على هذه الثورة بصورة واضحة وأن مظالم جمال باشا ومغارمه عجلت في إيقاد الفتنة وأولت الشريف حسين حجة ظاهرية بينه أمام العالم الإسلامي والعربي، كما يرى أن موقع الحجاز الجغرافي الذى يعتمد على الموارد الخارجية لفقر أرضه، ودخول الدولة العثمانية الذى يعني محاصرة الحلفاء لسواحل الدولة ومنها الحجاز يجعل من إسعاف الحجاز بالقوت والغذاء من البر مستحيلاً، فيمد السكان أيديهم للسفن المحملة بالأرزاق مهما كانت الشروط... وأخيراً يرى أن لمرامي العرب القومية دور في الثورة[1].

والأسباب التى أوردها علي فؤاد توضح جانباً من الحقيقة كما يبدو.. وهى وضع اللوم على تشدد جمال باشا والاستعداد المسبق للشريف على الثورة.

أما بقية المراجع العربية التى ذكرت الأسباب المختلفة للثورة فلم تتجاوز الأسباب المذكورة آنفاً.

ويتضح من خلال الوثائق البريطانية ومراسلات مكماهون التى سبقت الإشارة إليها أن بريطانيا هى السبب الرئيسى والمباشر لقيام الثورة بأساليب ترهيبها وترغيبها، بعد أن رأت أن ذلك يحقق غايتها في بث الوهن في نداء الجهاد، وفى كسر شوكة الدولة العثمانية بفصل أهم ولاياتها عنها.

---

(١) علي فؤاد، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤-٨٥.

الفصل الخامس

جنوب غربي الجزيرة العربية
١٣٣٣هـ - ١٣٣٤هـ / ١٩١٤م - ١٩١٦م

- الإجراءات العثمانية فى اليمن وعسير وموانئ البحر الأحمر المتاخمة لهما.
- خطة بريطانيا في هذه الأنحاء.
- سياسة الدولة العثمانية فى مطلع الحرب.
- سياسة بريطانيا في مطلع الحرب.
- العمليات الحربية بين الدولتين.

"جنوب غربي الجزيرة العربية
١٣٣٢-١٣٣٤هـ/١٩١٤-١٩١٦م"

مثلما كانت السلطات البريطانية فى القاهرة والمتمثلة فى سلطة المعتمد البريطاني ثم المندوب السامي بعد ذلك، تشرف وتدير السياسة البريطانية فى مصر والسودان والحجاز والجزء الشمالى للبحرالأحمر، وترجع إلى لندن فى مراسلاتها ومشاوراتها، كانت السلطات البريطانية فى عدن والمتمثلة فى سلطة المقيم السياسي فى عدن تشرف وتدير السياسة البريطانية بدرجات متفاوته في عدن والمحميات واليمن وعسير والجزء الجنوبى من البحر الأحمر، وترجع بصفة مباشرة إلى حكومة بومباي التابعة لحكومة الهند.

ولم تكن العلاقات بين مشايخ المحميات على وتيرة واحدة فى هذه الفترة الحاسمة بالنسبة لبريطانيا، حيث يقوم سلطان لحج الموالي لعدن دائماً بمحاولات للصلح بين هذه المحميات كمحاولته بين الحوشبي والأميري. والخلاف داخل إمارة الضالع، إلا أن غالبية هؤلاء المشايخ يأتون إلى عدن كضيوف على الحكومة الإنجليزية[١].

وكانت العلاقات بين الأدريسي والإمام يحيى عدائية عندما أُعلنت الحرب العالمية الأولى، حيث إحتلت قوات الإمام يحيى عدة مواقع للأدريسى[٢].

ورغم أن علاقة الدولة العثمانية بالإمام يحيى كانت جيدة عقب إتفاق دعان في ١٩١١م/١٣٢٩هـ إلا أن الأدريسي كان على العكس حرباً على الطرفين، حيث اضطر العثمانيون إلى فرض حصار على موانئه كجيزان وميدي وحايل مما أسفر عن قلة الأقوات فى تلك المناطق وذلك قبيل شهور من إندلاع الحرب العالمية.. ومع ذلك أشارت

---

(١) (PRO) FO 371/2134, 31st Weekly letter, From, The Resient, Aden, to Secretary to the Govern-of Bombay, 8th, August, 1914.

(٢) Same Series and Vol., 33rd Weekly letter, 22nd August, 1914.

التقارير إلى أن الأدريسى قد بعث بمفاوضين إلى إستانبول للصلح مع العثمانيين[١].

والواقع أن محمود نديم الوالي العثماني في اليمن رغب فى أن يتم الصلح بين الأدريسى والإمام، وخاصة بعد اندلاع الحرب فى أوربا، واحتمال اشتراك الدولة العثمانية في الحرب، ولما كان أي صلح مع الأدريسى يعرض الإتفاقية المعقودة بين الإمام والعثمانيين للإلغاء، فقد حاول محمود نديم إقناع الإمام بجدوى هذا الصلح، إلا أن الخلافات المذهبية والسياسية العميقة، حالت دون ذلك[٢] ، بالرغم من تلقي كلا الطرفين رسائل من إستانبول تحثهما على وقف الإقتتال[٣].

الإجراءات العثمانية في اليمن وعسير و موانئ البحر الأحمر المتاخمة لهما :

طلب والي اليمن فى أغسطس ١٩١٤م تعزيزات بحرية لقواته هناك، حيث وصلت سفينتان حربيتان أُضيفتا إلى أربع قوارب حربية كانت موجودة من قبل، كما أستدعى بعض الفرق العسكرية فى صنعاء إلى الحديدة، وأرسل مجموعة من الجنود لزيادة تحصين ثكنة الشيخ سعيد المقابلة لبيريم[٤].

وقبيل اعلان الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء كتب القنصل الفرنسي فى الحديدة إلى المقيم فى عدن عن وجود دلائل تشير إلى التعاطف مع الألمان فى حربهم ضد الحلفاء فى هذه المدينة وعن انتشار أخبار الانتصارات الألمانية[٥].

---

(١) Same series and Vol., 30th Weekly letter, 1st August, 1914

(٢) Same series and Vol., From Sultan Ali Bin Ahmed Ben Ali, the Abadli, to Colonel, H.F. Jacob, Acting Political resident Aden, 28/9/1332 H./19 August 1914.

(٣) (PRO) FO 371/2478,
From Residen at Aden, to the Chief Secretary to the govern-of Bombay, 30th, September 1914.

(٤) (PRO) FO 371/2134, Aden Residency, August 1914.

(٥) Same Series and Vol., 37th Weekly letter, Aden Residency, 21st September, 1914.

وفى شهر سبتمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، أُعلن إلغاء الإمتيازات الأجنبية في الحديدة، وتم تشديد الحصار على موانئ الأدريسي، وقام الوالي العثماني بزيارات للمدن والقري فى اليمن وعسير لتشكيل جيش من السكان المحليين(١).

توقفت الحرب بين الأدريسى والإمام، وبدأ الإمام يرسل قوات من العرب إلى السواحل بالإتفاق مع العثمانيين، وأخذ العثمانيون ينقلون مخازن الأسلحة من الحديدة والسواحل إلى المناطق الجبلية فى الداخل(٢).

نشطت الإستخبارات البريطانية فى المنطقة وجاء في ملفات مقيمية عدن أن سلطان لحج قد أرسل إلى السلطات في عدن يخبرها عن الأنباء التى وصلت إليه حول تحرك القوات العثمانية باتجاه حدود المحميات(٣).

كما أرسل المخبرون التابعون لعدن معلومات بأن مجموعة من المشايخ والمسئولين من كلا الجانبين الذين يفصلهما خط الحدود بين اليمن والمحميات قد أجتمعوا لدى الشيخ قايد صالح أحد شيوخ المنطقة الذي حثهم على مزيد من العلاقات الحسنة بينهم حتى يعم السلام أراضيهم. ويفسر المقيم فى عدن هذه الحادثة بأنها إما نشاط ذاتى من قبل مشايخ المنطقة للتقريب بين وجهات النظر ونشر السلام، أو عملية خُطط لها من قبل العثمانيين... وفي هذه الأثناء وصلت معلومات لسلطان لحج الموالي للإنجليز بأن أحد الضباط العثمانيين قام برفقة أربعة آخرين بزيارة إستطلاعية باتجاه الدارجة فى أراضى الحوشبي كما قاموا بتسلق تلال ماويه لمسح هذه المناطق وكانوا قبل ذلك قد توجهوا للمخا والشيخ سعيد(٤).

---

(١) (PRO) FO 371/2139, From Resident, aden, 30th September, 1914.

(٢) (PRO) FO 371/2134, 40th Weekly letter, Aden, 10th October, 1914.

(٣) Same series and Vol., 41st Weekly letter, Aden, 17th October 1914

(٤) Same series and Vol., 42 Weekly leter, Aden, 24 October 1914.

وفى نطاق اهتمام والى اليمن للتقريب بين الموالين للحكم العثمانى قابل هذا الوالي الإمام يحيى وطلب منه تجهيز مجموعة من رجاله ليكونوا على أهبة الإستعداد عند الطلب، كما وعده الإمام بتقوية حصن الشيخ سعيد. واستدعى العثمانيون كلاً من أحمد نعمان قائمقام الحجرية والشيخ محمد ناصر قائمقام القماعره إلى تعز للإجتماع حيث تم الإتفاق معهم في حالة عدم رغبتهم فى إستقبال جنود عثمانية فى بلادهم بأن يتولوا حماية الحدود مع المحميات والتي تقع على مشارف بلادهم بجنودهم المحليين وقد طلب هؤلاء المشايخ من الوالي العثماني أن يمدهم بالسلاح والمال والمؤن، فوافق الوالي بعد أن أخبرهم أنه لو قامت الحرب لتوقفت الواردات عن البلاد وبالتالى يجب أن يساعد بعضهم بعضاً بالإضافة إلى المساعدة العثمانية[1].

وقد ذكر العبدلي طرفاً من ذلك حين كتب "وكنا قد شعرنا قبل ذلك بحركة غير إعتيادية فى ولاية اليمن وأن عدداً من الضباط يصلون من جهة القسطنطينية إلى الحديدة ومعهم ذخائر كثيرة لليمن مما دلنا على أن الأتراك ينوون الإنضمام إلى صف ألمانيا فى هذه الحرب. وفى الشهر المذكور(ذو القعدة ١٣٣٢هـ) بلغنا أن ضباطاً من دائرة أركان الحرب مع بعض مشايخ اليمن طافوا الحدود وأن والي ولاية اليمن أنفذ إلى جهة لحج من يستطلع الأخبار ويكشف الأحوال وأنه اتفق بالإمام يحيى للمذاكرة وتم بينهما الإتفاق على مايرام وأن الإمام بذل مساعدته لحماية حدود ولاية اليمن وأن الوالي أشار عليه بتقوية الشيخ سعيد. وبلغنا أن المشايخ أحمد نعمان ومحمد ناصر والسيد أحمد باشا تعهدوا بحماية الحدود وأنهم لا يطلبون من الدولة إلا سلاحاً وذخيرة وإنما فعلوا ذلك لعدم رغبتهم فى أن ترسل إليهم الدولة عساكراً أتراكاً في بلادهم[2].

ويلاحظ هنا الإتفاق إلى حد ما بين ما ذكره العبدلي وما ورد فى الوثائق البريطانية التى دونها المقيم السياسى فى عدن فى تقاريره الأسبوعية التى يرسلها إلى

(١) Same Series and Vol. 42nd Weekly letter. Aden, 24th October, 1914

(٢) العبدلى، هدية الزمن، ص ٢٠٧-٢٠٨.

بومباى.

قرر العثمانيون سحب القوارب البحرية المحاذية لسواحل عسير، ونقلت الجنود المعسكرة في جزر فرسان بأسلحتها إلى الحديدة ومن ثم تحركت إلى الشيخ سعيد، كما نقلت بعض الفرق العسكرية من تعز إلى الشيخ سعيد، ومن جهة أخرى خطب أحد أعضاء البرلمان العثمانى فى مقر الحكومة فى الحديدة حث فيها على بدء تطوع طلاب المدارس للأغراض العسكرية لحماية أرضهم(١).

وفى نطاق الإجراءات الإقتصادية للعثمانيين فى هذه الأنحاء، تلقى متصرف الحديدة في ١٧سبتمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ أوامر من الأستانة بأن يدفع نصف الرواتب فقط للموظفين الرسميين خلال هذه الحرب، كما رفعت الرسوم الجمركية إلى ١٥بالمائة، في الوقت الذي تأكد للعثمانيين أن اليمن فى حالة إقتصادية جيدة وخاصة في مجال إنتاج الحبوب(٢).

ومن الملاحظ أن كل هذه الإستعدادات التى ذكرناها للعثمانيين كانت قبل دخولهم الحرب إلا أن هذه التحركات الدقيقة واللقاءات والزيارات التى قام بها الوالي العثماني وبعض الضباط تشير إلى تلقى هؤلاء أوامر من الحكومة المركزية بإمكانية دخول الحرب، كما أن خطة تقوية حصن الشيخ سعيد الواقع فى المضيق الجنوبى والمقابل لبيريم ينسجم مع المحاولات التي ذكرناها فى الفصل الخاص بمصر والسودان لغزو القناة، وبالتالي تتأكد التصورات الأولى عن خطة العثمانيين فى الإمساك والسيطرة على مدخلي البحر الأحمر الشمالي والجنوبي. كما أن سياسة أخلاء فرسان وسحب السفن جنوباً تشير إلى إنتهاء الحصار العثماني حول موانئ الأدريسى، وربما كان هذا نجاحاً لخطة الأدريسي الذى أرسل وفداً إلى إستانبول ولرغبة الباب العالي الذى أرسل إليه وإلى الإمام بوقف القتال حتى لا تنشغل السلطات العثمانية بأمر الأدريسي.

---

(١) (PRO) FO 371/2134, 42nd Weekly letter, Op., cit.

(٢) Loc. Cit.

خطة بريطانيا فى هذه الأنحاء :

كان البريطانيون يعلمون أن هناك ثلاث قوى فى هذا الجزء من الجزيرة العربية، الأدريسى والإمام والعثمانيين، ولو استطاع الطرفان المتصارعان الأدريسى والإمام الوصول إلى إتفاق- والذى يعتبر صعباً الآن للتنافس المشترك بينهما- لحصل تقارب عثمانى أدريسى، ولكن لو إتفق العثمانيين مسبقاً مع الأدريسى لربما فسدت المعاهدة القائمة بين العثمانيين والإمام.

ولذا يرى جاكوب Jacob نائب المقيم السياسى فى عدن فى حالة قيام الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية أن تتم مساعدة الإمام يحيى مالياً لكى يلغى معاهدته مع العثمانيين وستكون النتيجة إتحاد عربى بين الأدريسى والإمام ضد الأتراك، وحيث إن موقف الإمام تجاه الإنجليز فى عدن ودي من وجهة نظر المقيمية وكذلك الأدريسي كما يتوقع، فإن من الأفضل أن لا تقوم القوات الإنجليزية بأى إجراءات عدائية فى المنطقة حتى تتم المحافظة على السمعة الجيدة لبريطانيا فى المنطقة وليزداد حرج الموقف العثماني، ويقترح جاكوب أخيراً أن يتم الإتصال بالإمام عن طريق أحد الهنود المسلمين فى عدن أو أية مصادر أخرى للإتصال(١).

ولما كان العبدلى سلطان لحج يرسل معلومات هامة إلى دار الإقامة فى عدن بصفة دائمة كما يبدو من إستعراض الوثائق البريطانية، فقد ارسل السلطان علي بن أحمد بن علي العبدلي إلى هارولد جاكوب رسالة بأنه لما رأى الوقت مناسباً لتكوين علاقات مع الإمام أرسل إليه رسالة فى رجب ١٣٣٢هـ/يوليو ١٩١٤م وبينما هو في إنتظار الرد وصل السيد محمد على شريف مندوباً عن الإمام لتقوية العلاقات ومعرفة موقف سلطان لحج تجاه الإمام. جرت المفاوضات حول العلاقات والتحركات العثمانية،

---

(١) (PRO) FO 371/2139, From Political resident, Aden, 19th, August, 1914.

وهذه البرقية مقدمة من هارولد جاكوب، الذى عين نائباً للمقيم فى عدن فى أواخر يوليو١٩١٤م إستناداً إلى إحدى برقيات نائب الملك

(PRO) FO 371/2132, From viceroy 7th August 1914.

وطلب المندوب أخيراً إرسال رجل متخصص فى صناعة البارود بناءً على طلب الإمام، ولم ينس سلطان لحج أن يضمّن خطابه إلى البريطانيين فى عدن بتفاصيل التحركات العثمانية التى ذكرها له المندوب بحسن نية(١).

هذا من جهة ومن جهة أخرى أفاد المقيم في عدن فى ١١سبتمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ بأن الأدريسى أرسل أحد وزرائه فى العام الماضي لمعرفة موقف الإنجليز فى عدن منه، وأن وكيله الخاص الآن موجود في عدن، ويستفسر المقيم عن إمكانية عرض الصداقة والحماية للأدريسي وإعطائه فرسان التى كانت يوماً ما تحت سلطته وكذلك ترك الموانيء التابعة له فى جيزان وميدي وحابل مفتوحة للملاحة. وأشار المقيم إلى وجود مندوب مهم للإمام في عدن فى هذه الفترة وأن من الممكن أن يقدم للإمام عرضاً بوعود بريطانية بالتعهد بالإعتراف بإستقلاله فى ممتلكاته، وحضه على الوصول إلى إتفاق مع الأدريسى، وضرورة أن تعاد العلاقة بين السلطات فى عدن والإمام التى كانت سائدة فى الماضى، وقد ضمّن المقيم إفادته ما قام به الإمام بإرسال مبعوثه إلى سلطان لحج حيث طلب منه إرسال شخص خبير بالبارود، وقد أكّد مبعوث الإمام على حاجة الإمام لهذا الطلب حيث سيعبر الإمام عن شكره لبريطانيا لو تم تلبية هذا الطلب... ويرى المقيم أن ضرب الحديدة والمخا بالقنابل سيقطع الإمدادات العثمانية، وسيؤثر على الإمام مؤقتاً وقد يضطر إلى الإستيراد بواسطة عدن، ويرى المقيم أنه يجب أن يوضح للإمام والأدريسى أن بريطانيا لا تنوى توسيع أراضيها فى هذه الأنحاء فى حالة رحيل العثمانيين من هذه المناطق مع إستعدادها لتقديم السلاح والذخيرة للطرفين، كما يعتقد المقيم أن ضرب هذين الميناءين قد يكون له نتائج فى الإسراع بثورة الأدريسى والإمام ضد العثمانيين، وأخيراً يقترح المقيم أن يمنح كلاً من سلطان لحج وسلطان المكلا وسام ورتبة K.C.O(٢) على غرار الأوسمة المعطاة لمشايخ الخليج العربي لجذب العرب فى هذه النواحى ويرر ذلك بأن سلطان لحج

---

(١) (PRO) FO 371/2134, From Sultam Ali Bin Ahmed Bin Ali, The Abadi, To L.C-H.F Jacob, Acting Political resdint, Aden, 9th, Ramadan 1332.

(٢) Kinghts' Commandor, of the Order of Indian Empire.

الصديق لبريطانيا يسعى كل من الأدريسى والإمام لكسب صداقته، أما سلطان المكلا فإن موقعه البعيد ربما يغري العرب القريبين منه للتحرك ضد بريطانيا[1].

وفى أواخر سبتمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ كتب المقيم مرة أخرى أن الإجراءات العثمانية الأخيرة ومنها إلغاء الإمتيازات الأجنبية والتحركات العسكرية ومقابلة الوالي للإمام، قد تجعل أفكاره التى أوضحها فى رسالته الماضية بتاريخ ١١سبتمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ صعبة التنفيذ. وطلب المقيم سرعة مساعدة الإمام فيما يختص بصناعة البارود، ومنح الوسامين لسلطانى لحج والمكلا[2].

وقد وافقت السلطات فى الهند على مقترحات المقيم على أن يبدأ بتنفيذها فوراً بعد مشاورات بين وزارة الهند فى لندن ونائب الملك فى الهند[3].

وهكذا تتضح معالم السياستين الإنجليزية والعثمانية التى تتبلور فى محاولة كسب السلطة المحلية المتمثلة فى الإمام يحيى والأدريسي ومشايخ القبائل المحمية وغير المحمية، ورغم أن الحرب لم تعلن بين الدولتين إلا أن كل فريق قد شعر أن الأشهر التالية كفيلة بوضع الطرفين على حافة الحرب.

واتجهت السياسة البريطانية إلى أبعد من ذلك إذ فكرت فى إمكانية الإستيلاء على جزر كمران الواقعة بين اللحية والحديدة، إلا أن نائب الملك فى الهند كان يرى أن هذه العملية قد تعد تخطيطاً بريطانياً ضد طريق الحجاج وأن من الأولى فى الوقت الحاضر ترك هذه الجزر وشأنها. وكان للحكومة البريطانية أن تقرر ماتشاء تجاه ضرب الموانئ اليمنية فى البحر الأحمر إلا أن نائب الملك أوصى بأن ذلك غير مناسب

---

(١) (PRO) FO 371/2139, From Political Resident, Aden, 11th, September 1914.

(٢) Same Series and Vol., From Resident, Aden, 30th, September, 1914.

(٣) (PRO) FO 371/2478, From the Secretary to the Govern-of Bombay, To the Secretary to the Govern-of India, Simla, 5th October, 1914.

الآن[1] .

وفي ٢٤ أكتوبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ وصلت برقية إلى نائب الملك بأن حكومة جلالة الملك وافقت على مقترحاته وأن البحرية البريطانية قد أُبلغت بعدم القيام بأى عمليات بحرية تهدد طريق الحجاج أو ضرب أي ميناء يعتمد عليه الإمام إلا بعد الوصول إلى تفاهم معه فى هذا الصدد وأن يبلغ المقيم بأن يقوم بتقديم عرض للصداقة للإمام على ضوء مقترحاته السابقة وأن لا يتعرض لذكر الأدريسى، وأن يكون الوعد بالإستقلال محدداً بمعنى أن يعطى وعداً بأنه سيتلقى مساندة دبلوماسية بعد نهاية الحرب (لو وقعت مع الدولة العثمانية)، كما يمكن تقديم السلاح والذخيرة للإمام لو احتاج إلى ذلك[2].

ويعنى هذا أن التكليف المطلق الذى وصل إلى المقيم فى عدن بأن يطبق السياسة التى اقترحها بشأن مفاتحة الإمام..... إلخ، قد خصصت بهذه الأوامر الأخيرة، مما يعنى أن الحكومة البريطانية قد وصلت إلى قناعة معينة باستحالة الوصول إلى تفاهم أدريسى إمامى وفى الوقت نفسه رأت عدم التورط بوعد يحرجها في المستقبل مع الإمام.

وفي نهاية شهر أكتوبر ١٩١٤م أبرق المقيم فى عدن إلى الهند بأن موافقة الحكومة البريطانية فيما يختص بإرسال خبير فى البارود إلى الإمام قد نقلت إلى الإمام عن طريق سلطان لحج الذى كان الطلب فى الأصل عن طريقه، كما أرسل السلطان للإمام برسالة أخرى لمعرفة شعوره تجاه السلطات البريطانية فى عدن، وبانتظار رد الإمام على رسالة لحج ينصح المقيم بعدم تقديم عرض الصداقة للإمام فى هذه المرحلة وبعدم الدخول فى مفاوضة بشأن إمدادات الأسلحة إليه لأنه لا يعرف بالدقة مقدار العلاقة التي تم التوصل إليها بين الوالي محمود نديم والإمام. ولما كان

---

(١) Same series and Vol., From Viceroy to Secrtary of State for India, London, 13th, October, 1914.

(٢) Same Series and Vol., From Secretary of State for India, To Viceroy Simla 24th, October, 1914.

المندوب الخاص للأدريسى مازال موجوداً في عدن فقد أكد للمقيم أن الادريسي والإمام لم يتوصلا إلى إتفاق، وأكثر من ذلك فالأدريسى لن يصل إلى إتفاق مع العثمانيين. لذا يرى المقيم أن الأدريسي هو الذى يجب أن تبدأ بريطانيا بمفاتحته عن طريق إرسال رسالة شفهية إليه من خلال حاج إدريس مندوبه في عدن "الذى يكره العثمانيين ويصادق الإنجليز وهو معروف للسلطات المصرية[1]".

ويعتبر هذا التردد الذى طرأ فى السياسة الواجب اتباعها تجاه الإمام فى صالح الدولة العثمانية. كان المقيم هو صاحب الإقتراح بتقديم عرض الصداقة الذي وافقت عليه الحكومة البريطانية، ثم بعثت بشروط إلحاقية تحد من اقتراحاته السابقة، ثم رأى أخيراً تأجيل العرض والتعاون مع الأدريسى أولاً. ولعل السبب فى ذلك أن تقدير المقيم لموقف الإمام كان غير دقيق.

وقد رأت حكومة بومباى أن لا يتضمن الاتصال بالأدريسى أى وعد وأن يكون الإتصال شفوياً[2]، أما نائب الملك فى الهند فقال إن من المرغوب فيه أن يكون الإتصال بالأدريسى على أساس تقديم الحماية والصداقة بدون إصدار حكم على الخلافات بينه وبين الإمام، وكذلك حماية موانيء جيزان وميدى وحابل، والتلميح لا الوعد بإعادة فرسان إليه فى حالة قيام الحرب[3].

وجاءت ردود الحكومة البريطانية على آراء نائب الملك فى الهند أكثر إحتياطاً ، حيث أبرق وزير الهند أن حكومة جلالة الملك لا ترغب التورط فى وعود للأدريسى قد تكون غير قادرة على الوفاء بها فى المستقبل، ومن الممكن أن يعطى وعداً بعدم

---

(١) (PRO) FO 371/2478, From Resident at Aden, To the Secretary to the Govern-of India in Froeign and Political Dept-Simla, 30th October, 1914.

(٢) Same Series and Vol., From the Secretary to the Govern-of Bombay Political-Dept, Bombay, 31st October 1914.

(٣) Same Series, and Vol., From Veceroy to Secretary of State for India. 1st November.

التعرض لموانئه، وتقديم المساعدة الدبلوماسية له بعد الحرب[1]. وكان هذا هو الرأى الملزم.

ووصلت التعليمات أخيراً إلى المقيم بأن تكون خطة الإتصال بالأدريسى وفق ما ذكره وزير الدولة لشئون الهند[2].

وفى الأول من نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ وصل بلاغ إلى المقيم فى عدن بإعلان الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية وتكليفه بإبلاغ مشايخ وسلاطين العرب بالحرب[3]. والجدير بالذكر أن مصر والسودان قد أعلن فيهما خبر إعلان قيام الحرب بعد ذلك بأيام كما أسلفنا.

سياسة الدولة العثمانية في مطلع الحرب :

كان الوالي العثماني فى اليمن وكل متصرف أو قائمقام تابع له فى المنطقة قد قطع شوطاً بعيداً فى الإجراءات العسكرية والسياسية، إذ لم يكن إعلان الحرب مفاجأة للوالي الذى انشغل طوال الشهرين السابقين لإعلان الحرب بالتنقل بين الأقاليم لكسب ولاء القوى المحلية. ونجح الوالى فى تقوية علاقاته مع الإمام وبعض مشايخ القبائل فى الحدود مع المحميات.

وكان فى اليمن الفيلق العثمانى الثامن بقيادة أحمد توفيق باشا وينقسم إلى عدة فرق[4]. وقد أفاد بعض أسرى الحرب العثمانيين فى عدن أن عدد القوات العثمانية في

---

(١) (PRO) FO 371/2478, From Secretary of State for India, London, to Viceroy, Simla, 1st November, 1914.

(٢) Same Series and Vol., To the Resident at Aden, 3rd November, 1914

(٣) (PRO) FO 371/2144, From the Secretary to the Govern-of India in the F. Political-Dept, to the Resident at Aden, 1st November, 1914.

(٤) ينقسم هذا الفيلق إلى عدة فرق :-

- الفرقة ٣٩ بقيادة علي سعيد باشا (فى لحج بعد ذلك) ويتبعها فوج المشاة رقم ١١٥و١١٦ بقيادة راهب بك، وفوج المشاة رقم ١١٧ بقيادة رؤف بك.
- الفرقة ٤٠ بقيادة راغب بك (الحديدة) ويتبعها فوج المشاة رقم ١١٨، وفوج المشاة رقم ١١٩

اليمن يتروح بين ثلاثين وأربعين ألفاً[1] أما في عسير فتتكون القوة العثمانية من الفرقة الحادية والعشرين المستقلة بقيادة المتصرف محي الدين بك[2].

وبعد قيام الحرب بأيام قامت مجموعة من العثمانيين باحتجاز نائب القنصل البريطاني فى الحديدة في منزله، كما منع نائب القنصل الفرنسي من مغادرة الحديدة ولكنه لم يحتجز فى القنصلية[3].

وقد تولت السفينة البريطانية مينتو "Minto" أمر المفاوضة بشأن هؤلاء القناصل، حيث اتصل طاقمها بالمتصرف العثماني فى الحديدة لتسليم القنصلين فرفض المتصرف، إلى أن تأتيه أوامر من الآستانة، وطلب المتصرف من السفينة أن ترسل رسالة منه بالشفرة إلى وزير الداخلية العثمانى زاعماً أن الأمر يحتاج إلى إرسال برقية، وأنه لا يستطيع الإتصال بالآستانة، وقد وافقت قيادة السفينة على إرسال رسالة عادية وليست بالشفرة فرفض هذا، مما دعا قائد السفينة إلى الإرتياب فى رسالة الشفرة، ومع ذلك أرسل الرسالة، وتحركت السفينة بعدئذ لتنفيذ أوامر

بقيادة حسني بك وفوج رقم ١٢٠. بالإضافة إلى فرق الفيلق من الخيالة، والبطاريات، وكتيبة المهندسين، وكتائب متعددة من الجنود المحليين.

انظر : (IOR) L/P&S/20 E 80, OP. Cit p. 45

(١) PRO FO 371/2349, S.L.R No 246,Januray 1915.

(٢) تتكون هذه الفرقة من :-

- فوج المشاة رقم ١١٨ {كتيبة واحدة} التى وصلت من اليمن فى ١٩١٣م.
- " " " ١٢١ {ثلاث كتائب} بقيادة عاصم بك.
- " " " ١٢٢ { " " } " فيضي بك.
- " " " ١٢٣ { " " } " علي رضا بك.
- خمس سرايا من الجنود المحليين، ويمكن أن تعتمد القوات العثمانية على مساندة بعض القبائل هناك كبني زيد وبنى يعلى حول القنفذة وقبائل بنى مغيد وعلكم الهول وبني مالك حول أبها، والعدد الإجمالى التقريبى للقوات ستة آلاف جندى، مقسمة بين القنفذة وأبها ومحايل، بالإضافة إلى البطاريات الجبلية وسرايا المدافع وسرية التلغراف وسرية التدريب.

انظر : (IOR). L/P&S?20E 79, Op, cit, pp. 25-26.

(٣) (PRO) FO 371/2139, From Resident, Aden, 11 November 1914.

وردت إليها من البحرية البريطانية ووصلت عدن فى ١٨ نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ(١).

وقد كتبت الخارجية إلى البحرية بأن السلطات الفرنسية قد أُحيطت علماً بالموضوع، واقترحت الخارجية إجراء مفاوضة أخرى مع المتصرف عن إمكانية وضع القنصلين تحت حماية القنصل الإيطالى دون مفاوضة الباب العالى مباشرة من قبل بريطانيا بل من خلال حكومة الولايات المتحدة الأمريكية(٢).

وأخيراً تولت القنصلية الإيطالية رعاية المصالح البريطانية فى الحديدة(٣)، ذلك بالرغم من أن المشكلة لم تنته فيما يختص بالقناصل حتى منتصف يناير ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ(٤).

وفي هذه الأثناء ضربت القوات البريطانية "الشيخ سعيد" ونزلت قوة صغيرة إلى الحصن الموجود هناك وأنزلت خسائر بالقوة العثمانية، ثم رجعت إلى عدن(٥).

ولما علم قائمقام الحجريه الشيخ أحمد نعمان التابع للعثمانيين بالإعتداء على موقع الشيخ سعيد، أرسل إلى سلطان لحج الموالى للإنجليز رسالة يخبره فيها أن هذه العملية تشير إلى نوايا بريطانيا السيئة تجاه الإسلام وأن واجب الأخوة الإسلامية يحتم عليه تذكير هذا السلطان بمثل ذلك، خاصةً وأن القبائل الزيدية والشافعية قررت العمل تحت لواء العثمانيين للدفاع عن بلادهم ودينهم. ثم وصلت رسائل أخرى إلى سلطان لحج من المراسل الإخبارى لسلطات عدن فى ماويه الموالية

---

(١) Same Series and Vol., From Minto, Aden, To Admiralty 18,11,. 1914

(٢) (PRO) FO 371/2139, FO to Admiralty, November 23rd, 1914

(٣) (PRO) FO 371/2145, Decypher, Sir R. Rodd (ROME), November 30th, 1914.

(٤) (PRO) FO 371/2487, From Secretary of state to VR, 14th, January 1915.

(٥) (PRO) FO 371/2134, 46th Weekly letter, Aden, 21st November, 1914.

للعثمانيين، بأن العثمانيين كلفوا محمد ناصر مقبل قائمقام القماعره لجمع مجموعة كبيرة من القوات للهجوم على لحج. وقد أرسل سلطان لحج لهؤلاء المشايخ رداً على رسالة أحمد نعمان بشأن الهجوم على موقع الشيخ سعيد بأن الإنجليز فعلوا ذلك لتأمين مرور سفنهم بعد أن شعروا بالتهديدات من حصن الشيخ سعيد، أما القرية نفسها فإنها لم تمس بأذى لأن العمل موجه إلى العثمانيين لا إلى العرب القاطنين هناك[1].

ويلاحظ أن هذه أول إشارة إلى فكرة الهجوم على لحج التي تطورت بعد ذلك إلى أن أصبحت حقيقة واقعة... كما أن ضرب القوات البريطانية لحصن الشيخ سعيد يبين مدى القلق الذى تشعر به بريطانيا تجاه سلامة سفنها المارة بباب المندب خاصة بعد أن علمت بنوايا العثمانيين فى زيادة تحصين وتعزيز الشيخ سعيد كخطة للتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر رغم قوة الأساطيل البريطانية.

وفى نهاية شهر نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ وصلت تقارير إلى المقيم فى عدن أن العثمانيين وعرب المنطقة قد أعلنوا الجهاد وبدأوا في تجميع القوات فى ماويه وإب وبعض الأماكن الأخرى. رغم أن التقارير تشير إلى أن شيخ ماويه لم يكن راغباً فى تجمع القوات ضد الإنجليز ولكنه كان يخشى أن يجبره العثمانيين على ذلك. وقد قامت قوة عربية كبيرة بمجموعة من المدافع وأعادت الإستيلاء على الشيخ سعيد الذى ضربه الإنجليز قبل أسابيع، مما دعا المقيم إلى تقوية الحامية الموجودة فى بيريم ومنعها من توجيه أية عمليات ضد الشيخ سعيد . ومع ذلك يرى المقيم أنه لو بدرت من العثمانيين والعرب فى الشيخ سعيد أية نوايا عدوانية على السفن في البحر الأحمر فيجب على الفور إحتلال الشيخ سعيد حتى لا تهتز مكانة بريطانيا فى هذه الأرجاء[2].

---

(١) (PRO) FO 371/2479, From The Political resident at Aden, 16th, November 1914.

(٢) (PRO) FP 371/2479, From the Political resident at Aden, to the Secretary to the Govern-of India in the Foreign and Political Dept-Delhi, 28th November, 1914.

كان إعلان الجهاد فى هذه الأقطار جزءاً من خطة الدولة العثمانية العامة فى كل أقاليمها التى شملتها الحرب وخاصة فى المناطق الساخنة للجبهات القتالية ضد الإنجليز كمحمية عدن ومصر.

وفي ٢٣ نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ أى بعد إعلان الحرب بين الدولتين كتب الإمام يحيى إلى سلطان لحج رسالة ودية ولكن يكتنفها الغموض والإلتباس، حيث طلب فيها بعض المعلومات حول المعاهدة التى عقدها السلطان مع السلطات البريطانية فى عدن. ويشير المقيم فى عدن إلى أن الإمام لم يجب على الرسائل التى أُرسلت إليه من سلطان لحج العبدلى، أو من عبد الله المغيره مندوب الحركة العربية، أو المقيم نفسه(١).

كما وصلت معلومات إلى المقيم البريطاني فى عدن إلى إن العثمانيين وبعض عرب المنطقة يتجمعون فى قعطبه للتوجه إلى محمية الضالع وإحتلال الضبيبات وجبل جحاف، وأن سلطان لحج تلقى رسالة من أمير الضالع نفسه يدّعى فيها عدم تخوفه من العثمانيين وفي نفس الوقت يمتدح الخليفة العثمانى، كما يلمح إلى معرفة مدى ميل سلطان لحج إلى الإنجليز، ولذا يرى المقيم أن موقف أمير الضالع {نصر} هذا يعبر عن خوف أمير الضالع أكثر من كونه غير مخلص للإنجليز، ورغم هذا التبرير لموقف أمير الضالع إلا أن المقيم حذره من أن أى إزدواجية فى موقفه وسياسته سيعرض مكانته ومخصصاته التى تدفعها عدن للضياع(٢)، وهذا التأرجح فى موقف أمير الضالع الداخل فى الحماية أثار المخاوف الإنجليزية من تمرد بعض مشايخ المحميات أو تأثرهم بالدعاية العثمانية وخاصة ما يتعلق بالجهاد.

ومن جهة أخرى أبلغ سلطان لحج المقيم فى عدن بأن قائمقام قعطبة العثماني يحصل الضرائب داخل الحدود التى يشملها النفوذ الإنجليزى(٣). وقد كانت الحدود

---

(١) (PRO) FO 371/2139, Resident, Aden, to Govern-of India December 17th, 1914.

(٢) (PRO) FO 371/2479, From the Political Resident at Aden, 8th, December 1914.

(٣) Same Series and Vol., From the Political Resident at Aden, 10th,

بين المحميات ومناطق النفوذ العثماني فى اليمن قد حُددت بإتفاقية عقدت قبيل الحرب بشهور على النحو الذى عرضناه فى الفصل الأول.

ورغم ضرب الشيخ سعيد فى نوفمبر ١٩١٤م إلا أن التقارير الإنجليزية أشارت إلى عودة القوة العثمانية إلى هذه القرية وتعزيزها وإلى وجود عساكر مختلطة من العثمايين وعرب المنطقة[١].

وقد أشار المقيم إحدي برقياته فى أوائل عام ١٩١٥م إلى أن الرسالة التى أرسلها إلى الإمام يحيى قبل ذلك لم يصل الرد عليها، وأنه يتوقع وصول مندوب للإمام لمقابلته، كما أفاد المقيم بأن أمير الضالع تلقى رسالة من الإمام عبر فيها عن شعور غير ودى تجاه الإنجليز، وفى الوقت الذى أخذ فيه أمير الضالع يقوم بجولات على طول الحدود العثمانية الإنجليزية مع العرب الموالين للعثمانيين حاول أن يبرر هذه التحركات بأنها لمعالجة مسائل قبلية بحتة، وأن رسالة الإمام يحيى إليه إنما كانت لجس نبض الضالع عن موقفها في حالة إختفاء العثمانيين عن الساحة في هذه الأنحاء، وفى نهاية البرقية أعاد المقيم التأكيدات حول تحرك القوات العثمانية المدعومة من زيدية اليمن باتجاه الحدود[٢].

كما حدث قتال فى شهر فبراير ١٩١٥م بين قوات عثمانية وإمامية من جانب وإحدى القبائل الواقعة في الحدود التى يدعيها الإنجليز من جانب آخر مما اضطر الأخيرة إلى طلب النجدة من عدن، وقامت عدن على الفور بإرسال السلاح[٣].

نشر الوالي العثمانى-كجزء من الحرب الإعلامية- بلاغاً صرح فيه أن بريطانيا

December 1914.

(١) Same Series and Vol., From the Political Resident at Aden, 13th, December 1914.

(٢) Same Series and Vol., From the Political Resident at Aden, 20th, January 1915.

(٣) Same Series and Vol., From the Political Resident at Aden, 3rd, February 1915.

وفرنسا وروسيا قد إتفقت جميعا على تقسيم البلاد الإسلامية وأن اليمن ستكون من نصيب الإنجليز[1].

أما في عسير فقد قام المتصرف العثماني هناك بالتفاوض مع بعض القبائل الموالية للأدريسى للإنضمام إلى العثمانيين مقابل أموال كبيرة يدفعها العثمانيون[2]. كما أرسل أنور باشا وزير الحربية العثمانى إلى الأدريسى بألا يدخل فى حرب ضد الإمام يحيى، إلا أن الأدريسى لم يصغ لذلك بل أرسل موفداً إلى عدن للحوار مع الإنجليز هناك[3].

وفي فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ وصلت معلومات جديدة بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً من الهجوم على إحدى القبائل داخل حدود المحميات، وتفيد هذه المعلومات أن القوات العثمانية وبعض قوات الإمام يحيى قد عبرت الحدود حيث تعسكر على بعد أميال قليلة من الضالع، وأن الأمير نصر مع العثمانيين بعد أن عزله أتباعه الذين كانوا على أهبة الإستعداد لصد الهجوم وطلبوا المال والسلاح من الإنجليز[4]. وبعد ذلك بأيام شوهد أتباع قائمقام قعطبه البالغ عددهم حوالي مائتين فى إحدى القرى القريبة من الضالع وهى الواعره مع بعض الجنود العثمانيين والمدافع وعلم أيضاً أن جنود الإمام ستتبع هذه القوات حيث ستحتل هذه القوات موقعاً قوياً فى جبل جحاف[5]، غرب الضالع.

وبالفعل صعدت مجموعة من هذه القوات تقدر بأربعمائة رجل مسلح بثلاثة مدافع جبل جحاف، كما وصلت معلومات إلى المقيم بأن الضالع وثلاثة قرى أخرى قد

---

(١) (PRO) FO 371/2349, S.I.R, (No 245), December 1914.

(٢) LOC, Cit.

(٣) (PRO) FO 371/2479, From Viceroy 3rd February 1915.

(٤) (PRO) FO 371/2478, From the Political Resident at Aden, 6th, February, 1915.

(٥) Same Series and Vol., From the Political resident at Aden, 9th, February, 1915.

إحتلها العثمانيون بتواطؤ مع أمير الضالع، وأن قبيلة الأميرى قد قدمت خضوعها للعثمانيين[1]. ولما كانت الأميري من القبائل المشمولة بالحماية البريطانية فإن هذا التحول يعبر عن مقدار الخطر الذى سيحدق بالسلطات البريطانية فى عدن من جراء نقض هذه القبائل للتعهدات البريطانية.

كان المقيم البريطاني فى عدن قد تبادل عدة رسائل مع الأمير نصر بن شايف أمير الضالع بعد الشكوك فى مواقفه، وكذلك جرت مراسلات بين هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم فى عدن والأمير نصر... ففي ١٨صفر١٣٣٣هـ/ ٥ يناير١٩١٥م كتب الأمير نصر إلى المقيم فى عدن حول ما أشار إليه المقيم من أنه عرف فحوى الرسالة التى أرسلها الأمير نصر إلى سلطان لحج وفيها وصف لما وصل إلى أسماع الأمير نصر من تحركات العثمانيين، حيث إتهم المقيم الأمير نصر بأنه واقع فى إرتباك وخوف من هذه التحركات. وقد حاول الأمير نصر فى رسالته للمقيم أن ينفى مخاوفه وأنه يعتمد على مساندة الإنجليز، وأنه مستعد لصد العثمانيين بعد أن حافظ على حماية حدوده فى كل الاتجاهات، وقد أقسم الأمير نصر فى نهاية رسالته بأنه ما يزال على إخلاصه وولائه للإنجليز[2].

وكتب المقيم بعد ذلك بحوالى أسبوعين إلى الأمير نصر رسالة جوابية عبر فيها عن سروره لتأكيدات الأمير بولائه وإخلاصه للإنجليز، ولكنه أشار إلى أن ما قام به الأمير من أعمال فى الفترة الأخيرة يدعو إلى الإرتياب والشك وأشار المقيم إلى أن الرسالة التى تلقاها الأمير من الإمام يحيى وأرسلها إلى المقيم يتضح منها أن إتصالاته مع قايد صالح مهما كان موضوعها جعلت الإمام يعتقد أن الأمير نصر على علاقة غير ودية مع الإنجليز، ولذا هدد المقيم الأمير بانتظار النتائج التى ستتمخض عن

---

(١) Same Series and vol., From the Political Resident at Aden, 12th, February, 1915.

(٢) Same Series and Vol., From-Amir Nasr Bin Shaif Sef, Amir of Dala, To Major-General D.G.L. Shaw, Political resident, Aden. 18th, Safar 1333H, 5th January 1915.

تدخلاته السابقة "فى أمور لا تعنيه" فيما يتعلق بالشئون العثمانية[1].

أما رسالة هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم السياسي إلى الأمير نصر فقد تضمنت طلب جاكوب للأمير بأن يراقب حدوده ويوقف أية إغارة عثمانية عبر حدوده، وقد أجاب الأمير نصر على طلب جاكوب بأنه ورجاله على أتم إستعداد لوقف العثمانيين ولحماية الحدود، وأنه لم يصغ إلى ما يردده العثمانيون حول مشروعاتهم فى إختراق الحدود، أما من جهة مساعدته للشيخ قايد صالح وابن ناصر مقبل فكانت لترتيب أمور خاصة بينه وبينهم، وفى نهاية الرسالة يطلب الأمير نصر تزويده بالمال والسلاح[2].

وفى ٨ فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ كتب الجنرال شو Show المقيم السياسي البريطاني فى عدن تقريراً مطولاً، أشار فيه إلى أن الإمام يحيى قد أرسل إليه الرسالة الجوابية التى انتظرها طويلاً رداً على الرسالة التى بعثها المقيم فى ٢٤ نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ. عبّر الإمام فى رسالته عن سروره إزاء عدم تعدي الإنجليز على أراضيه أو تدخل الإنجليز فى شئون المسلمين على الرغم من هذا استنكر الإمام ضرب الإنجليز للشيخ سعيد وهدمهم حصونها التي تتبع أسلافه منذ ألف عام. كما أشار المقيم إلى رسالة الإمام يحيى إلى سلطان لحج التى ذكر فيها أنه أرسل بعض رجاله إلى قعطبه وغيرها لحمايتها وتثبيت سلطة الإمام فيها، وقد عبّر عن تقديره لسلطان لحج، وصرّح بأنه سيحمى لحج من أي إعتداء، كما حث على المحافظة على بقاء الجزيرة العربية بعيدة عن تدخل الأعداء.

ويذكر المقيم فى تقريره هذا أن سلطان لحج قابل محمد علي شريف مبعوث الإمام حيث شرح الأخير موقف الإمام يحيى وأنه مرتبط بإتفاقية دعان ١٩١١م/١٣٢٩هـ مع العثمانيين ويرغب فى معرفة الموقف البريطاني، وقد نبّه سلطان لحج

---

(١) (PRO) FO 371/2478, From Political resident, Aden, to Amir of dala, 20th, January 1915.

(٢) Same Series and Vol., From, Amir of Dala, To H.F. Jacob, 17th Safar, 1333 H 4th January 1915.

مبعوث الإمام إلى المعونة المتقطعة من العثمانيين للإمام، فأجاب المبعوث بأنه قد تم الإتفاق المبدئى بين الإمام والعثمانيين على أن يكون الإمام مسئولاً عن أعالي اليمن كتعويض عن الإعانة التى يدفعها إليه العثمانيون، وكاد العثمانيون أن يُخلوا اليمن لصالح الإمام لولا رفض الألمان لهذه الفكرة. وعلى هذا قرر العثمانيون نقل مركزهم الرئيسى من صنعاء إلى تعز والإحتفاظ باليمن السفلي تحت إدارتهم، على أن يتم إنشاء متصرفية فى لحج بعد الإستيلاء عليها، إلا أن الإمام عارض ذلك على حد تعبير مبعوثه، حيث خشى معارضة أتباعه، ذلك على الرغم من تفضيله للذهاب إلى صنعاء. وقد أكد المبعوث التحركات العثمانية الإمامية باتجاه الضالع وجبل جحاف وغيرها .

أما أمير الضالع فقد أوقف المقيم دفع مخصصاته بعد أن تأكد له إستدعاؤه لقوات الإمام لمساعدته ضد الأمراء الآخرين، ثم أشار المقيم إلى أن جاكوب مساعده الأول قابل مبعوثاً للإمام يحيى فى "دار الأمير" أحد المخافر الأمامية لسلطنة لحج قرب قرية الشيخ عثمان، حيث أخبر المبعوث بأن يبلغ الإمام بوجوب سحب قواته التى تعمل ضد البيضاء والمناطق المجاورة ويعلن حياده فيما لو حدث قتال بين العثمانيين وعرب المحميات. فقال المبعوث إن الإمام لا يستطيع القتال ضد العثمانيين فرد عليه جاكوب أن الإنجليز لا يتوقعون ذلك أساساً لأنه يتلقى دعماً مالياً منهم ويعتمد عليهم فى إخضاع قبائله، وعند ذلك وعد المبعوث أن يرسل إلى سيده يطلب إليه سحب قواته[(١)].

أما ابن ناصر مقبل في ماويه فقد كان يميل إلى الخروج على العثمانيين رغم أنه كان يتلقى معونة مالية منهم، وحصل منهم على الباشاوية، وكان يحكم فى أراضى عثمانية، إلا أنه رغم ذلك كان يفكر فى طرد العثمانيين وعرب المنطقة المنحازين معهم من لواء تعز[(٢)].

وفى فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أبرق المقيم فى عدن إلى حكومة الهند بعلمه عن

---

(١) (PRO) FO 371/2478, Secret, Aden Residency, 8th, February, 1915.

(٢) Same Series and Vol., From the Political Reseident at Aden 18th, Feb., 1915.

وصول تحويلات مالية ورسائل برقية وبريدية إلى العثمانيين باليمن عن طريق جدة بواسطة سفن صغيرة {داوات} ولذا يطالب بوقف وصول مثل هذه الإمدادات إلى اليمن عن طريق إرسال سفن للإستيلاء على جزر كمران(١).

وقد نجح المقيم فى عدن فى الإتفاق مع الشيخ محمد ناصر مقبل قائمقام القماعره التابع للعثمانيين فى فبراير ١٩١٥م/ربيع الآخر ١٣٣٣هـ على الإنفصال عن سيادة الباب العالى والركون إلى إنجلترا مقابل مبلغ كبير من المال(٢)، وسأُفَصِّلُ الحديث عن هذه الإتفاقية فى المبحث الخاص بالسياسة البريطانية فى مطلع الحرب.

كانت هذه هى أبرز ملامح السياسة التى طبقها العثمانيون فى مطلع الحرب العالمية الأولى فى هذه النواحي وفق ما ذكرته التقارير والمراسلات البريطانية أما المصادر المحلية فقد أورد العبدلى جانباً من أحداث تلك الفترة، حيث أشار إلى ذلك بقوله "ثم توسل محمود بك نديم والي اليمن بالإمام يحيى أن يسعى فى إستمالة سلطان لحج إلى جانب الأتراك. وأن يكفل له أن الأتراك سيوفون بالوعود والتعهدات التى سيقطعونها للسلطان علي بن أحمد. وكان السلطان على بن أحمد قد سبق وكتب للإمام يحيى بأن الدولة العثمانية خاطرت بكيانها بسبب دخولها هذه الحرب وأن معظم أهل الإسلام يكرهون ذلك لأن مصالح الإسلام والمسلمين مرتبطة بمصالح بريطانيا العظمى وحلفائها وعلى الأقل فليس للمسلمين فى هذه الحرب ناقة ولا جمل، ومع أن الإمام كان عالماً بنية السلطان على لم يسعه إلا أن يكتب للسلطان علي بما ترجاه فيه محمود بك نديم إسترضاءً لخاطره. وأرسل هذه الكتاب مع مندوبه السيد محمد على شريف الذى كلفه أن يكتشف الأحوال فى هذه الجهة"....

ثم يتحدث العبدلى عن سياسة الإمام يحيى "أما سياسة الحضرة الإمامية أنئذ فكانت التأنى والتظاهر بالحياد المشوب بالعطف والميل إلى حكومة محمود بك نديم

---

(١) Same Series and Vol., From the Political Resident at Aden, to the Secretary to the Govern-of India in the F and P Dept., 17, Feb., 1915.

(٢) Same series and Vol., Agreement with the representative of Mavea 19th, Feb., 1915.

والي اليمن دون أن يتعرض لعداء بريطانيا العظمى وحلفائها وانتظار الفرص المناسبة للإستفادة من هذه الحرب بمقتضى تغيير الأحوال ومساعدة الظروف".

ثم يشير إلى محاولات أخرى لإستمالة سلطان لحج "وفي جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ وصل الباشا محمد ناصر مقبل والقاضي عبد الرحمن والشيخ أحمد نعمان والشيخ قايد صالح والشيخ صالح الطيرى باشا إلى جول مدرم من أرض الحواشب وطلبوا مقابلة سلطان لحج أو من مندوبه فقابلهم الصنو محسن فضل وكان المذكورون بصفة هيئة أُرسلت لإستمالة سلطان لحج بالوعد والوعيد وتشويقه إلى أن يشترك معهم في الحرب ضد حكومة بريطانيا العظمى وحلفائها. وكان برفقتهم كتاب من والي اليمن لسلطان لحج"...

وقد تضمن الكتاب المرسل مع هؤلاء، طلب الوالى أن يتم الإجتماع بالسلطان أو نائبه "لأجل الإتفاق والمذاكرة مع حضرتكم {السلطان} بما يرضى الله ورسوله وإعزاز دين الإسلام وإتحاد الكلمة... نرجو من ديانتكم وديانة كافة إخواننا أمراء لحج وجميع عائلتكم الكريمة البدار لنصرة الدين الحنيف"[١].

ثم يتطرق العبدلى بعد ذلك إلى علاقة الإمام بالعثمانيين "وكان الأتراك قد أمنّوا جانب الإمام يحيى وأرضوه بما أراد فلذلك لم تظهر من سيادته رغبة فى أن يجتنب اليمن مصائب حرب لمصلحة ألمانيا ولأنه كان يومئذ مقيداً بميثاق العشر سنوات... وحاول الأتراك بجميع الوسائل الممكنة أن يدفعوا الإمام يحيى إلى ميدان الحرب فى صفهم فلم يفلحوا ولازم الحياد. ولكنهم فازوا بأن يركنوا إليه فى ضبط جانب من بلاد اليمن واحتمال جملة من المهام، بصفة مفوض من طرف الخليفة وهى خدمة ثمينة مكنتهم من أن يتفرغوا لمحاربة أعدائهم وتمكنوا أن يقترضوا منه ما احتاجوا إليه من الحب والنقد"[٢].

وهكذا نجد أن السياسة العثمانية فى هذه النواحي فى مطلع الحرب تبلورت فى عدة عمليات قام بها العثمانيون، ومنها حجز قناصل الحلفاء فى الحديدة، وإعلان

(١) العبدلى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨-٢١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١١-٢١٢.

الجهاد، وإعادة الإستيلاء على الشيخ سعيد بواسطة عرب المنطقة بعد تخريب الانجليز لها في الشهر الأول للحرب، ثم تبدل موقف بعض امراء المنطقة لصالح العثمانيين كما حصل في موقف الأمير نصر أمير الضالع، رغم نجاح الإنجليز مع محمد ناصر مقبل قائمقام القماعره التابع للعثمانيين فى الإتفاق معه للثورة ضدهم، ومن جهة أخرى تحركت القوات العثمانية بمعاونة قوات الإمام يحيى بشكل أزعج الإنجليز صوب المحميات، وبدأ متصرف عسير باستمالة قبائل عسير. أما موقف الإمام يحيى وفق ما ذكرته الوثائق البريطانية فيما يختص بعلاقاته مع العثمانيين فقد ارتاب الإنجليز من سياسته وخاصةً بعد أن ثبت لهم أن قواته تشترك مع القوات العثمانية فى التحركات الأخيرة صوب المحميات، ونجد أن ماحوته هذه الوثائق من الاتصالات بينه وبين الإنجليز وسلطان لحج يتبلور فى الآتى :-

- كتب الإمام يحيى إلى سلطان لحج رسالة فى ٢٣ نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ.
- أرسل الإمام إلى المقيم رسالة جوابية على الرسالة التى أرسلها المقيم إليه فى ٢٤نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ.
- تلقى سلطان لحج من الإمام رسالة حملها إليه مندوب الإمام محمد علي شريف.
- قابل جاكوب مندوب الإمام فى إحدى قرى سلطنة لحج المحاذية لعدن.

ومجمل هذه المراسلات لا يشير إلى أي محاولة للإمام للإبتعاد عن العثمانيين، بل على العكس يشير إلى مواقف لصالح الدولة العثمانية، وإذا أضفنا إلى ذلك إستياء الإنجليز من إشتراك قوات الإمام مع القوات العثمانية من واقع تقاريرهم، يجعلنا نميل إلى القول بأن موقف الإمام يحيى كان موقفاً منحازاً أكثر من كونه حياداً مشوباً بالعطف تجاه العثمانيين على رأى العبدلي.

سياسة بريطانيا في مطلع الحرب في هذه النواحي :

واصل الإنجليز إجراءاتهم التى بدأوها قبيل دخولهم الحرب ضد الدولة العثمانية، والتى تلخصت فى محاولة التقرب من الإمام والأدريسي لكى يثورا على العثمانيين، ثم منح الأوسمة لبعض سلاطين المحميات كسلطاني لحج والمكلا، ورغم

فشل الإنجليز فى إمكانية قيام تحالف أدريسى إمامى وبالتالى عربى- لاستحالة التفاهم بين الطرفين- فقد سعى الإنجليز لجذب كل طرف على حده وفق شروط معينة حددت للمقيم فى عدن.

وفى ٢نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ صدرت الأوامر من البحرية البريطانية بأن تقوم السفينة البريطانية مينتو "Minto" بتدمير السفن العثمانية فى البحر الأحمر والقبض فى الموانئ اليمنية على بعض مراكب العرب المحليين المتعاطفين معهم. غير أن المقيم فى عدن طلب من البحرية عدم التعرض لسفن عرب المنطقة طالما أن السياسة الإنجليزية تركز على جذب العرب إلى صف الحلفاء ونبه إلى أن بعض الداوات {المراكب} العربية ترفع العلم العثمانى لأن العرب فى المنطقة رعايا عثمانيين، كما أشار إلى أن سفن الأدريسي تحمل العلم العثمانى كذلك وأن هناك سفناً أخرى تحمل البضائع لموانئ الإمام يحيى، وعلى هذا أشار المقيم إلى التركيز فقط على السفن العثمانية غير العربية، حتى لا تتعرض سياسة التقرب إلى العرب للخطر[١].

وفى نفس اليوم كتبت وزارة الهند إلى البحرية البريطانية بطلب المقيم، واقترحت ألا تقوم أية عمليات بحرية ضد السفن فى الموانئ المذكورة إلا بعد التشاور مع المقيم لأنه صاحب معرفة تامة بالوضع هناك[٢].

وبالفعل صدرت التعليمات إلى السفينة مينتو بعدم التعرض للداوات أو للسفن فى جدة، رغم أن العثمانيين نشروا بعض الألغام فى البحر الأحمر[٣].

ويلاحظ أن اقتراح المقيم تم تداوله بين الدوائر البريطانية كوزارة الهند فى لندن والبحرية والهند وعدن وتمت الموافقة عليه فى غضون يوم واحد فقط، مما يدل على سرعة الوصول إلى قرار فى السياسة البريطانية آنذاك، ولو أن ذلك أمراً طبيعياً فى

---

(١) (PRO) FO 371/2144, From the Political Resident at Aden, 4th November 1914.

(٢) (PRO) FO 371/2140, I.O to Admiralty, 4th November, 1914.

(٣) Same Series and Vol., Teleg-to Resident, Aden, 4th November,1914

حالات الحرب.

وفى ٧ نوفمبر اقترح نائب الملك فى الهند أن تقوم إحدى السفن البريطانية برفع العلم البريطاني على جزر فرسان، ويعتمد هذا الأمر بالطبع على موقف الأدريسى وتعاونه، حيث يمكن التلميح له بهذه العملية. ومن جهة أخرى لم يؤيد نائب الملك فكرة حكومة بومباى لضرب ميناء الحديدة بل يرى حصار الميناء لمنع الإمدادات عن العثمانيين حتى تتم معرفة الموقف النهائى لموقف الإمام يحيى[١].

وقد أجاب وزير الدولة لشئون الهند بأن الحكومة البريطانية ترى من غير المستحسن التلميح للأدريسى فيما يختص بخططها فى جزر فرسان[٢].

وكان المقيم قد أبرق إلى الهند عن مغادرة مندوب الأدريسى عدن لمقابلته وطلب المقيم السماح لجاكوب مساعده الأول بالسفر حسب إقتراحه إلى جيزان فصبيا لمقابلة الأدريسى[٣]. ورفض الطلب نظراً للتغيير المزمع فى منصب المقيمية، وإذا كان المقيم فى عدن يرى إرسال ضابط آخر إلى جيزان فليبلغ حكومة الهند على الرغم أن حكومة الهند ترى فى الوقت الحاضر المفاوضة مع الأدريسى فى عدن دونما حاجة لإرسال مفاوض من عدن إلى الأدريسى[٤].

وفى اليوم التالى أبرق جاكوب بوصفه نائباً للمقيم إضافةً إلى منصبه كمساعد أول للمقيم معرباً عن رأيه فى أن العرب تؤثر فيهم مقابلة شخصية واحدة أكثر من مراسلات متعددة فى الغالب، ولذا يرى أن من الأفضل الإتصال شخصياً بالأدريسى أو مندوبيه وأن يوكل له هذا الحوار نظراً لمعرفته الشخصية بمندوبي الأدريسى وإلمامه

---

(١) (PRO) FO 371/2478, From Viceroy, Delhi, to Secretary of State for India, London, 7th, November, 1914.

(٢) Same Series and Vol., Secretary of State to Viceroy, 7th, November 1914.

(٣) Same Series and Vol., From the Political resident at Aden, 4th Nov., 1914.

(٤) Same Series and Vol., To the resident at Aden, 12, Nov., 1914.

باللغة العربية. كما يقترح جاكوب رفع العلم البريطاني أو علم الأدريسي فوق جزر فرسان لتزايد أهمية الجزر وخاصة بعد إمكانية وجود الزيت فيها[1].

اطمأنت السلطات الإنجليزية في عدن بعد توالي وصول رسائل التأييد والولاء من قبل بعض سلاطين ومشايخ المحميات بعد نشوب الحرب مع الدولة العثمانية[2]. وكانت المقيمية في عدن قد تلقت قبل شهور تأييدات أخرى أثر نشوب الحرب بين بريطانيا وألمانيا وفق ماذكرته الوثائق البريطانية[3].

وتجدر الإشارة إلى أن خطة السلطات الإنجليزية في إقناع رعاياها المسلمين في مستعمراتها ومحمياتها تتركز على الآتي :-

- أن هذه الحرب ليست ذات طابع ديني بسبب إشتراك الدولة العثمانية مع دولتين مسيحيتين ألمانيا والنمسا ضد دولة تضم أكبر عدد من الرعايا المسلمين في العالم وهي بريطانيا.
- ضمان عدم الإعتداء على الأماكن المقدسة للمسلمين.
- أن دخول الدولة العثمانية الحرب كان ضد رغبة الخليفة والعقلاء في الحكومة العثمانية.
- أن بريطانيا تلقت تأييداً من القيادات الإسلامية في الهند، ومن مشايخ الخليج وعدن[4].

ولما كان سلطان لحج هو أكبر حليف للسلطة في عدن من بين سلاطين ومشايخ المحميات، فقد أصدر بياناً لكل مشايخ المحميات عبر فيه "عن الصداقة القديمة" مع

---

(١) Same Series and Vol., From H.F. Jacob, Acting Political Resident at Aden, 13 Nov., 1914.

(٢) (PRO) FO 371/2134, 45th Weekly lette, 14th Nov., 1914.

(٣) Same Series and Vol., 33rd Weekly, letter, 22nd August 1914.

(٤) (PRO) FO 371/2144, From the Secretary to the Gover-of India in the F&P Dept, 3rd, Nov., 1914.

بريطانيا والتى مضى عليها الآن سبعون عاماً. وأهاب السلطان بتقديم الولاء والمساعدة لبريطانيا التى "نذرت نفسها لحماية الأمم الصغيرة ضد العدوان"[1]. وإلى ذلك أشار العبدلى بقوله "وحاول السلطان علي بن أحمد بن علي بحسن نية أن يسعى لأن يتجنب عرب اليمن مصائب حرب ليس لهم فيها صالح، ففاتح مشايخ اليمن المنتمين لدولة تركيا فى هذا الأمر". وأشار العبدلى قبل ذلك إلى إستياء سلطان لحج من دخول الدولة العثمانية الحرب، وسرّه وعد الإنجليز بإحترام حرية الأماكن المقدسة "وأن ذلك مما يزيد ويؤكد إخلاصه للدولة البريطانية العظمى"[2]. ونظراً لأهمية مركز سلطان لحج فقد وافق نائب الملك فى الهند على تزويد السلطان العبدلي فى لحج بالسلاح والذخيرة كهدية مجانية بناءً على طلبه[3].

ورأى جاكوب نائب المقيم في عدن أهمية وجود طابور عسكرى فى عدن، وإذا حدث أي تهديد عثمانى بمشاركة عرب المنطقة فيجب على الذين يتلقون الرواتب والمخصصات الشهرية فى المحميات أن يثبتوا إخلاصهم بالدفاع عنها، على أن يقتصر دور الإنجليز فى عدن على الإمداد بالسلاح والذخيرة والمال، أما سلطنة لحج فتجب حمايتها مباشرة بواسطة الإنجليز ذلك على الرغم أن جاكوب لا يرغب فى خروج أى قوة من عدن نفسها إلى هناك. وبخصوص إمدادات السلاح أفاد جاكوب بإمكانية جلب الأسلحة من جيبوتي[4]، القريبة من عدن والتابعة لفرنسا.

وفى ٢٣ نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ وافقت الحكومة البريطانية على رفع العلم البريطاني فوق جزر فرسان، وبدأت المشاورات داخل الحكومة حول خطة أخرى تتلخص فى الآتى :-

- تفتيش المراكب الصغيرة [الداوات] التى تبحر فوق الخطوط الرئيسية فى البحر الأحمر، إلا إذا عرفت هوية هذه المراكب.

---

(١) (PRO) FO 371/2139, From Viceroy 24th November, 1914.

(٢) العبدلى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) (PRO) FO 371/2144, From Viceroy 22nd Oct., 1914

(٤) (PRO) FO 371/2479, From H.F. Jacob, Aden21st, Nov., 1914.

- يتم إحتلال الشيخ سعيد وجزر كمران وفرسان ومدينة الحديدة، بعد الوصول إلى تفاهم وإتفاق مع عرب المنطقة.
- تتولى السلطات فى مصر إدارة فنارات البحر الأحمر التى كانت تابعة للعثمانيين وتم تكليف المقيم فى عدن بعد موافقة الحكومة أن يصدر بلاغاً من عدن يتضمن النقاط التالية :
- أن الحكومة البريطانية لا ترغب فى مد رقعة حدودها الحالية.
- أن بريطانيا لا تريد قيام تحالف بين العرب والعثمانيين الذين يمثلون العقبة الوحيدة فى سبيل تقدم العرب ضد بريطانيا التى هى على النقيض من هذا، تحافظ على حقوق الإسلام والمصالح العربية.
- يحذر عرب المنطقة من الانضمام إلى العثمانيين والإشتراك معهم فى عمليات عدائية ضد الحدود بين مناطق النفوذ العثمانية والبريطانية فى جنوب غرب الجزيرة. وأُخطر المقيم أن يعمل على توزيع هذا البلاغ على العرب الموالين للعثمانيين والإمام وجميع السلاطين والمشايخ هناك[1].

وقد أجاب جاكوب المقيم بالإنابة فى عدن بأنه سيتولى إصدار البلاغ، إلا أنه لم يؤيد إحتلال الحديدة حيث سيؤثر هذا الإحتلال على مشاعر الإمام يحيى خاصة أن الحديدة هى الميناء الرئيسى للأراضى التابعة للإمام، وحتى لا يتعارض هذا العمل الحربي فى الحديدة مع نصوص البلاغ القائل بعدم الرغبة فى التوسع، أما بخصوص جزيرة كمران فيرى أن الإجراءات القاسية للعثمانيين فى المحجر الصحى للحجاج في الجزيرة تجعل المسلمين يرحبون بأى تغيير فى الجزيرة، ويشير جاكوب إلى أنه بعد رفع العلم البريطانى فوق جزر فرسان دخل فى مفاوضة مع الأدريسى موضحاً له أن الحكومة تفكر في إعادتها إليه وسمح الإدريسي بالتالى بالبحث عن الزيت فى الجزيرة، وأخيرا أيّد جاكوب فكرة تفتيش المراكب فى البحر الأحمر وفق ما ذكر فى البرقية

---

(١) Same Series and Vol., Form the Secretary to the Govern-of India in the F&P Dept., to resident at Aden, 23rd Nov., 1914.

السابقة[1].

وقد اتفقت وجهة نظر حكومة بومباى مع آراء جاكوب حول كمران وفرسان والحديدة وأضافت مقترحات أخرى لا تتعارض مع الإطار العام لفكرة جاكوب[2].

وفى ٢٨ نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٣ه جاءت التعليمات حسب المقترحات السابقة بإنشاء طابور عسكري مجهز تحت قيادة قائد القوات البريطانية فى عدن على أن لا يعمل هذا الطابور خارج حدود عدن إلا بأوامر من السلطات فى الهند. أما بخصوص إمدادات الأسلحة للمحميات أشارت الحكومة إلى أن الأمر يخضع لدراسة مستفيضة فى الوقت الراهن، وكلفت المقيم بإعطاء سلطان لحج مبلغ عشرين ألف روبية[3].

ومع نهاية شهر نوفمبر ذكر نائب الملك فى الهند أنه بعد مشاوراته مع حكومة بومباى والمقيم فى عدن بخصوص السياسة الواجب إتباعها حيال المراكب فى البحر الأحمر وفكرة إحتلال الجزر، رأى نائب الملك أن مايختص بتفتيش المراكب يعتبر ملائماً جداً، فى حين يرى تأخير أي عمليات ضد الشيخ سعيد أو الحديدة. أما كمران فعلى الرغم من الإستياء حول إجراءات العثمانيين بها إلا أن أية عملية سريعة الآن تعتبر غير ملائمة حيث سيساء تفسيرها بأنها مدبرة ضد الحجاج المسلمين. وأخيراً يرى عدم الوعد بإعطاء فرسان للأدريسى وإنما تعتمد النتائج على مدى تعاونه مع الإنجليز[4].

وبإنتهاء الشهر الأول للحرب بين الدولتين تكون بريطانيا قد وضعت الخطوات الأولى لسياستها فى هذه النواحى كجزء من خطتها العامة، والتى تلخصت فى القيام ببعض العمليات البحرية كالتي قامت بها السفينة البريطانية "مينتو"، ثم محاولة كسب ولاء العرب وخاصة فى محميات عدن وبقية أمراء ومشايخ المنطقة وفق بلاغات عامة

---

(١) (PRO) FO 371/2479, From H.F. Jacob, 24th Nov., 1914.

(٢) Same Series and Vol., From the Secretary to the Govern-of Bombay.

(٣) Same Series and Vol., To the Political Resident at Aden, 28th, Nov. 1914.

(٤) (PRO) FO 371/2139, From Viceroy, 29th, Nov., 1914.

تخص المسلمين قاطبة حول عدم التعرض للأماكن المقدسة، وبيان خطأ الدولة العثمانية بدخولها الحرب، والتقليل من قوة وفاعلية نداء الجهاد، ثم بلاغات خاصة تهم عرب المنطقة بعدم نية بريطانيا فى التوسع وتحذيرهم من مغبة الإشتراك فى صف الدولة العثمانية فى هذا الصراع. وبلغ إهتمام السلطات فى عدن بطلب السلاح للدفاع عن المحميات وخاصة لحج ، وبإنشاء قوة فى عدن تكون جاهزة للطوارئ، وأخيراً تقرر رفع العلم البريطاني على جزر فرسان التى ستعود بمردود إيجابى لصالح الأعمال الحربية البريطانية فى البحر الأحمر.

وفى بداية شهر ديسمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ أشار نائب الملك فى الهند إلى المخاطر التى يمكن أن تواجه السفن البريطانية من حصن الشيخ سعيد وبالتحديد احتمال إطلاق المدافع من دفاعات الحصن، ذلك بالرغم من صعوبة نقل مدافع كبيرة إلى هذا الموقع بطريق البر بواسطة العثمانيين. وتم توجيه الدوريات البحرية البريطانية لمراقبة ومنع وصول مدافع لتعزيز الحصن عن طريق البحر. كان هذا الإجراء فى نظر نائب الملك أولى من إعادة إحتلال الشيخ سعيد وبالتالى يمكن إشغال القوى العسكرية فى مناطق هامة أخرى بدلاً من إنشغالها بعمليات ضد هذا الموقع، بالإضافة إلى الإزعاج المتوقع من القبائل القاطنة فى هذه النواحى لو تم هذا الإحتلال فعلاً، وستقع الحامية التي ستحتل الحصن فى عزلة وينتابها القلق وستكون أحوالها كأحوال الحامية الإنجليزية التى تحتل بيريم أو أشد(١).

وقد ألح المقيم فى عدن على سرعة إرسال تعزيزات الرجال والأسلحة لتكون تحت تصرفه فى عدن لحماية الحدود الشمالية لسلطنة لحج التي بدأت فيها التحرشات العثمانية. وقد اضطر سلطان العبدلي فى لحج إلى تجنيد رجال من القبائل اليمنية الأخرى وبالتحديد من اليافعي والعولقي للدفاع عن عاصمته، كما طلب المقيم أن يوكل إليه أمر التفاوض مع الشريف حسين من عدن(٢).

---

(١) Same series and Vol., From Viceroy 3rd, december, 1914.

(٢) (PRO) FO 371/2479, From the Political Resident at Aden, 8th December 1914.

أيدت حكومة بومباى طلب المقيم بأن تكون القوة المعدة فى عدن تحت تصرف المقيم بصفة كاملة وأن يكون له الحق فى أمرها بالتحرك من عدن إلى المحميات خلافاً للأوامر السابقة التى تقضي بأن يصدر أمر مباشر من السلطات في الهند فيما يختص بتحرك هذه القوة خارج عدن، كما أيدت حكومة بومباي إقتراح مفاتحة ومفاوضة الشريف حسين من عدن[1].

وفيما يختص بالشيخ سعيد أيد وزير الدولة لشئون الهند فكرة حكومة الهند بشأن عدم إعادة إحتلال الشيخ سعيد، ولكن إذا تم الإستيلاء عليها من قبل العرب وحدهم فيجب على المقيم أن يرسل إليهم رسالة ودية وبصيغة تحذيرية لكى يثبتوا حسن نواياهم حتى لا تتدخل فى شأنهم. ومع ذلك يبدو أن مثل هذه الرسالة غير مجدية إذا صحت الأنباء والتقارير التى تذكر عن تحرك فرق عثمانية وعربية منذ أوائل ديسمبر باتجاه الشيخ سعيد[2].

وقد سبقت الإشارة فى أثناء الحديث عن خطة الدولة العثمانية فى مطلع الحرب إلى أن التقارير ذكرت أن الفترة بين نهاية شهر نوفمبر وبداية ديسمبر ١٩١٤م/ ١٣٣٣هـ قد شهدت عودة الظهور العثمانى إلى الشيخ سعيد بعد التدمير الذى لحق بالحصن أثر ضرب القوات البريطانية له.

وفى ١٥ ديسمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ أبرق المقيم من على ظهر السفينة البريطانية امبرس أوف أيشيا {Empress of Asia} حول الوضع تجاه الشيخ سعيد حيث أفاد أن مجرد ضرب حصون الشيخ سعيد من البحر لا يوفي بالغرض، إذ أن المدافع العثمانية مخبأة داخل الخنادق ولن تكشف إلا عن طريق هجوم برى، وقد أظهرت التحقيقات السابقة حول العملية البريطانية الأولى ضد الشيخ سعيد أن واحداً فقط من المدافع العثمانية تعرض لنار الأسطول، أما تدمير باقى المدافع فبواسطة جنود المشاة

---

(١) Same Series and Vol., From the Secretary to the Govern-of Bombay, Political Dept., 9th, December, 1914.

(٢) Same Series and Vol., To the Political Resident at Aden, 10th December, 1914.

البريطانية الذين نزلوا فى الحصن، ولذا يرى المقيم أن أي عملية قادمة ضد الشيخ سعيد يجب أن يشترك فيها الأسطول والجيش لضمان نجاح الإستيلاء عليها[1].

وفى ١٧ ديسمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ اقترح المقيم مايلى :-

- توقيع إتفاقية مع الأدريسى بعد أن يقوم المقيم فى عدن الجنرال شو ومساعده الأول الكولونيل جاكوب بزيارة جيزان لمقابلته.
- إقتراح قيام إتفاقية بين العبدلى فى لحج وماويه وضمان إستقلال ماويه تحت الحماية البريطانية.
- تعزيز وتعبئة حامية عدن وإقتراح قيام هجوم موجه من عدن.

ووافقت حكومة بومباى جاكوب على زيارة الأدريسى لفترة وجيزة بقدر المستطاع تمشياً بالتعليمات السابقة التى تقضي بألا يخرج جاكوب من عدن آنذاك للحاجة إليه هناك، ويمكن أن تتضمن الإتفاقية إستقلال الأدريسى تحت حماية بريطانيا، كما أن مسألة تعزيز القوات فى عدن أمر هام من وجهة نظر حكومة بومباى إلا أن التفكير فى إمكانية الإبتداء بالهجوم ليست مناسبة فى الوقت الحاضر[2].

وكان المقيم قد أوضح أن الأدريسى كتب إليه فى ٢١نوفمبر١٩١٤م/١٣٣٣هـ عن موافقته وتأييده لإقتراحه بوجوب إتحاد عرب المنطقة ضد العثمانيين ويشكره على وعوده بتقديم المساعدة فى السلاح والذخيرة وعلى إبقاء موانئه مفتوحة للتجارة، ويطلب تقديم الضمان بالوعد باستقلاله، وبإرسال مفاوض من عدن للتفاوض حول الإتفاق بين الجانبين، كما طالب بزيادة القوات فى عدن وخاصة أن الأمر يستدعي وضع العراقيل أمام العثمانيين الذين يتجمعون على حدود المحميات ويستغلون عدم تحرك أي قوات بريطانية من عدن لصالحهم كدليل على ضعف الإنجليز فى الوقت الذى تنتشر

---

(١) Same Series and Vol., From the Political resident, at Aden 15th, December, 1914.

(٢) Same Series and Vol., From the Secretary to the Govern-of Bombay. Political Dept., 19th December 1914.

فيه أخبار الإنتصارات الألمانية والعثمانية فى أوربا فى المنطقة[1].

ولم يوافق نائب الملك فى الهند على فكرة تعزيز وتعبئة حامية عدن لأغراض الهجوم أو الدفاع عن المحميات إلا إذا كان الهدف حماية عدن نفسها. أما بخصوص الأدريسى فيرى نائب الملك أن من الواضح وقوفه في صف بريطانيا، ولكن مطالبه ستزيد إذا أُشعر بأهمية مركزه من قبل الإنجليز. ولذا يرى نائب الملك أن زيارة المقيم وجاكوب للأدريسى فى هذا الوقت ليست مناسبة لهذا السبب بصرف النظر عن ما ذكر سابقاً حول أهمية عدم مغادرة المقيم وجاكوب لعدن بسبب الظروف الحالية. ويرى النائب أنه من الممكن الرد على رسالة الأدريسى إما برسالة أو عن طريق وكيل مناسب ليخطر الأدريسى بأن الحكومة البريطانية مسرورة للرسالة الودية التى أرسلها إلى المقيم والتى أبدى فيها شعور الصداقة، وأنها على إستعداد لضمان إستقلاله إذا نجح فى توحيد العرب الموالين له ضد العثمانيين ومنع أراضيه أن تكون ميداناً للعمليات الحربية الموجهة ضد بريطانيا .... أما الإمام يحيى فيرى نائب الملك تركه فى الوقت الحاضر لشأنه حتى يتم معرفة موقفه النهائى. ومن جهة قيام تحالف بين ماويه والعبدلي فعلى الرغم من كونها حالة غير عادية فى قيام تحالف معترف به من بريطانيا بين المحميات نفسها أو القبائل القاطنة هناك إلا أنه من الممكن إعتبار هذه الحالة إستثنائية حيث ستضمن حكومة بريطانيا إستقلال ماويه تحت حمايتها بعد الحرب. ويجب أخيراً أن يوضح لسلاطين ومشايخ المحميات أن بريطانيا لا تنوى مساعدتهم فى عمليات هجومية وإنما ستمدهم بالسلاح والمال لحماية أراضيهم، وأنها لن تقوم بأية عمليات حربية ضد الشيخ سعيد إلا إذا تعرضت جزيرة بيريم لهجوم أو إعتداء من هذا الحصن[2].

نلاحظ وجود إختلاف فى وجهات نظر حكومتى بومباى والهند لمعالجة الوضع مع الأدريسي، حيث نرى مشروع الإتفاق مع الأدريسى تختلف طريقة تناوله بين آراء

---

(١) (PRO) FO 371/2139, From Residrnt, Aden, 17th, December, 1914.

(٢) Same Series and Vol., From Veceroy, 20th December, 1914.

حكومة بومباي والهند. فنائب الملك في الهند يرى عدم إعطاء أهمية كبرى للأدريسي أو إفهامه بذلك طالما أن وقوفه فى صف الإنجليز أصبح مضموناً بينما ترى حكومة بومباى إرسال جاكوب حتى يتم التفاوض والإتفاق معه، أما الإمام يحيى فلم يكن موقفه واضحاً كالأدريسى ولذلك آثر البريطانيين التريث والإنتظار حتى تتم معرفة مواقفه فى المستقبل، كما أن سياسة الدفاع لا الهجوم التى جعلت الحكومة البريطانية تقرر إمداد المحميات بالسلاح والمال للدفاع عن أراضيها تمثل جزءاً من السياسة البريطانية العامة في منطقة البحر الأحمر والتى كان تحصين الدفاع عن قناة السويس إستعداداً لصد الهجوم العثمانى إحدى أوجه تلك السياسة.

وقد لاحظ وزير الدولة البريطانى لشئون الهند أن الضمانات التى قدمت للأدريسى من عدن بشأن إستقلاله كانت أبعد مما أشارت إليه الحكومة البريطانية فى نهاية شهر أكتوبر وأوائل نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، ولكن بالنظر إلى أن موقف الإمام يحيى غير واضح أو محدد فلا يبقى خيار فى الأمر سوى الموافقة على هذه الضمانات ولذا وافق وزير الدولة لشئون الهند على ذلك[١].

وقد سبقت الإشارة فى المبحث الخاص بالإجراءات البريطانية قبل نشوب الحرب بين الدولتين إلى أن الحكومة البريطانية لا ترغب فى التورط فى ضمانات للأدريسي لا تستطيع الوفاء بها بعد الحرب، إلا أن موقف الإمام يحيى أدى بصورة مباشرة إلى الموافقة على تقديم ضمانات أوسع من قبل الحكومة البريطانية أكثر من ذى قبل.

هذا وكانت السلطات البريطانية فى مصر قد قررت فى منتصف ديسمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ إنشاء دوريتين بريطانيتين فى البحر الأحمر الأولى من جدة إلى السويس بما فيها العقبة والثانية من جدة إلى عدن، والهدف من إنشاء هذه الدوريات مايلي :-

- إيقاف إمدادات الغذاء المتجهة للحاميات والموانئ العثمانية فى البحر الأحمر كالحديدة والمخا واللحيه.

---

(١) (PRO) FO 371/2478, From Secretary of State to Veceroy 28th, December 1914.

- منع نشر الألغام فى البحر الأحمر.
- إيقاف إرسال القوات أو الوكلاء السريين إلى مصر والسودان.
- الاتصال بمشايخ وأمراء العرب في الجزيرة العربية. على أن يرافق كل دورية ضابط بريطانى ذى خبرة فى التعامل مع العرب للعمل كمستشار سياسي ويكون حلقة إتصال فى إبلاغ العرب بسياسة بريطانيا فى المنطقة. كما كلفت هذه الدوريات بعدم التدخل قدر المستطاع فى تجارة البحر الأحمر وخاصة ما يتعلق بالتجار العرب كالتابعين للأدريسي(١).

ومع نهاية شهر ديسمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ وصلت أسلحة متنوعة بذخائرها من جيبوتي، وطلب المقيم بإعتماد دفع المبالغ المالية المستحقة عن هذه الأسلحة إلى المكتب القنصلى الفرنسى بعدن(٢). وهذه الأسلحة قد ترسل إلى المحميات بناءً على المقترحات السابقة التى تمت الموافقة عليها بشأن مساعدة مشايخ المحميات على الدفاع عن أراضيهم.

وفى أوائل عام ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أبرق المقيم فى عدن إلى حكومة الهند أنه بدأ ينفذ تعليمات الإتصال بالأدريسى والإمام، إلا أنه لاحظ توافد بعض المبعوثين إلى المنطقة للدعاية لبرنامج الوحدة العربية ضد الدولة العثمانية من قبل السلطات فى القاهرة والسودان، ولذا يتوقع حدوث إزدواجية وتضارب فى هذه السياسة إذا لم يكن هناك إتفاق معين للتنسيق، أو لم تدر سياسة التعامل مع عرب سواحل الجزيرة العربية المتاخمة للبحر الأحمر من عدن(٣).

ولما كانت السلطات البريطانية فى مصر والسودان تتلقى تعليماتها من لندن

---

(١) (PRO) FO 371/2139, Decypher tele (No 313) from Mr. Cheetham Cairo, December 11th, 1914.

(٢) (PRO) FO 371/2479, From the Political Resident at Aden, 22nd, Decenber 1914.

(٣) Same Series and Vol., From the Political Resident, Aden, 4th, January 1915.

مباشرةً، والسلطات البريطانية فى عدن تتلقى تعليماتها من الهند {بومباي ودلهي}، فإن ما ذكره المقيم بهذا الصدد يشير إلى صراع الجهتين فى أن تكون هى واسطة الإتصال بعرب سواحل البحر الأحمر.

وعلى الفور أبرقت حكومة بومباى إلى حكومة الهند حول رأيها فى الموضوع الذى أثاره المقيم فيما يختص بالمفاوضات مع العرب القاطنين فى سواحل البحر الأحمر الشرقية حيث أعادت إلى الأذهان ما سبق أن أوضحته حكومة الهند فى ٢نوفمبر ١٩١٤م/١٣٣٢هـ من إقتراح السلطات البريطانية فى مصر لإرسال مبعوثين عرب إلى الإمام والأدريسى ولكن حصلت هناك صعوبات فى البحث عن عناصر مناسبة لهذه المهمة، ولم تقم حكومة بومباي حينذاك بأى عمل تجاه هذه القضية بانتظار نجاح البحث عن مبعوثين ومع ذلك ترى حكومة بومباي أن من الواجب والملائم أن تعمل السلطات فى مصر وعدن وفق خطوط ووجهات نظر متطابقة وبرنامج منسق، حيث يشترط لنجاح المساعي البريطانية أن لا يقع العرب فى حيرة وعدم إقتناع من جراء دخولهم فى مفاوضات مع سلطات بريطانية متعددة المصادر مختلفة الإتجاهات. لكل ذلك ترى حكومة بومباى أن يقوم المقيم فى عدن بصفته {ممثلاً لمصالح حكومة الهند فى هذه النواحي} بدور ونفوذ متفوق وخاصة ما يتعلق بالاتصال بالإمام والأدريسى على أن يقوم كل من يمثل الحركة العربية ويريد الإتصال بالعرب القاطنين جنوب جدة وحتى عدن بتنفيذ السياسة التى أُمليت على المقيم فى عدن، وأخيراً ترى هذه الحكومة عرض الموضوع على السلطات فى مصر من قِبل حكومة الهند(١).

وفى ٩يناير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أبرقت وزارة الهند إلى الخارجية أنها تتفق مع وجهة نظر حكومة الهند بشأن إبلاغ السلطات البريطانية فى مصر بأن الإتصالات مع الإمام والأدريسي يجب أن تدار عن طريق المقيم فى عدن وعلى أن تتم إستشارة المقيم فيما يتعلق بالاتصال بالأمراء والقبائل العربية(٢).

---

(١) Same Series and Vol., From the Secretary to the Govern-of Bombay, to the Secretary to the Govern-of India, 7th January 1915.

(٢) (PRO) FO 371/2478, I.O to F.O, 9th January 1915.

وبالفعل أبلغت وزارة الخارجية السير هنري مكماهون بالقاهرة بأن يتم تبليغ المقيم فى عدن بأية خطوة يتم تنفيذها، وبالمخابرات التى تتلقاها السلطات فى القاهرة، على أن يترك أمر الإتصال والمفاوضة بالإمام والأدريسي للمقيم فى عدن وحده[١].

ومنذ أوائل يناير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ تم التصريح للمقيم بأن يعطى مبلغ ٢٥ ألف روبية، وبشراء أسلحة من جيبوتى وإعطاء الأدريسي منها بقدر حاجته، بشرط أن تستخدم منحتي المال والسلاح لخدمة المصالح البريطانية ضد العثمانيين. كما تم تكليفه بأن يواصل المفاوضات مع الأدريسى للوصول إلى إتفاق، على أن يؤخذ في الإعتبار تجنب النقاط الحساسة التى قد تنفر الإمام يحيى الذى يقف موقفاً متأرجحاً الآن[٢].

ثم أرسلت ماويه ممثلها الحاج علي ناصر الكمراني إلى عدن الذى شرح هناك الحاجة الملحة للسلاح والذخيرة التى يطلبها وكذلك المال والإستقلال بعد الحرب. ويشير المقيم إلى أنه سبق أن طلب من شيخ ماويه أن يكتب إليه بطلباته من السلاح والذخيرة وأنه ما يزال ينتظر هذه الرسالة، كما أشار المقيم إلى وجود حشود عثمانية وإمامية على الحدود مما تتطلب إمدادات عسكرية لعدن[٣].

وقد أيدت حكومة بومباى مثل هذه الإمدادات التى يعتمد عليها نجاح سياسة كسب العامل العربى فى الصراع مع الدولة العثمانية[٤].

تلقى قائد القوات البريطانية فى عدن القرار النهائي والقاضى بعدم إمكانية

---

(١) Same Series and Vol., cypher tele (No 20) to Sir H. Mcmahon, Cairo, 12th January 1915.

(٢) (PRO) FO 371/2479, To th Resident, Aden, 5th January, 1915.

(٣) Same Series and Vol., From the Resident, Aden, 20th, January 1915.

(٤) Same Series Vol., From govern-of Bombay, 22nd, January 1915.

إرسال إمدادات عسكرية ذات طبيعة دائمة[1]. ويعني هذا أن إرسال قوات تبقى بصفة دائمة في عدن أمر غير ممكن في ظل ظروف الحرب وحاجة الميادين المختلفة، كما يفهم من هذه التعليمات... وربما نص على عدم إمكانية إرسال جنود بصفة دائمة ليفهم من ذلك إمكانية قيام بعض العمليات العسكرية في عدن وما حولها لو عبرت بعض القوات البريطانية عدن في طريقها إلى إحدى الجبهات كما حدث بالنسبة إلى ضرب حصن الشيخ سعيد من قِبل القوات البريطانية القادمة من الهند في طريقها إلى مصر على حد ما أُشير إليه سابقاً.

وفي شهر يناير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ كتب هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم السياسي في عدن مذكرة تفصيلية قدمها إلى المقيم هي حصيلة دراسة مستفيضة حول المحميات والقبائل المنتشرة المحيطة بعدن.

وقد استهل جاكوب المذكرة بسياسة بريطانيا لنشر حمايتها على الحزام الساحلي لجنوب الجزيرة العربية غرب الأراضي العمانية، حيث وقّعْت بريطانيا معاهدات على الساحل مع سلطان الفضلي في شقره، والعولقي السفلي في الأهوار ومع شيخ عرقه والهوره Haura"، ومع السلطانين الوحيدين في كلٍّ من بلحاف وبير علي، ومع سلطان الشحر والمكلا، ومع سلطان قيشن وسقطره. ولا تبدو الآن حاجة ماسة إلى خلق معاهدات جديدة مع القوى الساحلية باستثناء رغبة سلطان الكثيرى{الذى يقطن الأراضي الواقعة فوق أراضي القعيطي} بامتلاك ميناء على البحر حيث تحاصر أملاكه أراضي سلطان القعيطي في الشحر والمكلا الذى لا يحتفظ بصداقة جيدة معه.

ثم يشير جاكوب إلى أن الحكم في هذا الجزء من جزيرة العرب ذو صبغة قبلية. فلو قُدر أن العثمانيين طُردوا من اليمن فلا يتوقع أن تتحسن الحال، حتى لو إفترضنا توحيد نزعات هؤلاء العرب في إطار "ولايات متحدة في جنوب الجزيرة العربية" لكل ولاية حاكمها المستقل وتتبع روحياً لخليفة عربي في مكة. فإن هذا التغيير لن يحظى

---

(١) Same Series and Vol., From the Secretary to the Govern-of India, Delhi, 27th, January 1915.

بقبول العرب في هذه النواحي... ولذا يرى أن هذه البلاد ستأتي طواعيةً تحت الحماية البريطانية لو تم تقديم المساعدة لها في إبعاد العثمانيين...

ولم تكن القبائل القاطنة في الداخل أي البعيدة عن السواحل تقل أهميةً بالنسبة لبريطانيا عن القبائل الساحلية، حيث عقدت بريطانيا إتفاقية مع سلطان العوذلي، كما أراد سلطان البيضا علي بن عبد الله توقيع إتفاقية مع الإنجليز إلا أن وفاته حالت دون ذلك ، بالإضافة إلى عروض الصداقة التي قدمها شريف مأرب للإنجليز، ثم ينتقل جاكوب إلى عرض ابن ناصر مقبل قائمقام شرمان والقماعره من مركزه في ماويه للثورة ضد العثمانيين رغم تبعيته لهم، حيث طلب المال والسلاح والوعد باستقلاله في لواء تعز مقابل الثورة مشيراً إلى أن نجاحه في الثورة كفيل بانضمام أحمد نعمان قائمقام الحجرية وقايد صالح قائمقام قعطبه إليه...

أما عن الأدريسي فيذكر جاكوب أن الإتصالات جارية معه للوصول إلى إتفاق يقوم بموجبه بالثورة ضد العثمانيين، أما الإمام يحيى فإنه يطبق سياسة لعبة الإنتظار وربما ينضم إلى بريطانيا لو هاجم العرب العثمانيين أو أخذ ضماناً باستقلاله، عندها تستطيع بريطانيا الإستيلاء على المخا والحديدة وكمران وفرسان خاصة أن العرب يتنبأون حالياً بقيام بريطانيا باحتلال اليمن ويسخرون من تأكيداتها بعدم التدخل في الشئون العربية.

ثم يتساءل جاكوب عن الطريقة المثلى لزيادة نفوذ بريطانيا دون التوسع في الأرض ؟، فربما تستطيع بريطانيا بالفعل الإستيلاء على بعض موانئ البحر الأحمر العربية لبعض الوقت لإظهار قوة الأسطول البريطاني أمام العرب أو إبراز صدق نوايا بريطانيا في مساعدة من يقاتل العثمانيين من العرب. ولإظهار عدم رغبة بريطانيا لضم هذه الأراضي التي ستعاد لهم تحت الحماية البريطانية.

وأخيراً يضع جاكوب في نهاية مذكرته معرفته الشخصية بالمنطقة، رؤسائها ومرؤسيها في خدمة حكومته لتسهيل مهمة تحالف المناطق العربية ضد العثمانيين، كما يشير إلى أن إقامته في عدن فقط غير ذات قيمة إذ من المستحسن السماح له بزيارات

للمنطقة المحيطة بعدن[1].

هذه خلاصة الأفكار التى قدمها جاكوب وهى فى مجموعها لا تتعدى وجهات النظر البريطانية المتداولة بين الجهات المعنية فى الدوائر البريطانية، إلا أن خبرة جاكوب الواسعة فى هذه النواحى تجعل لأرائه قيمة كبيرة خاصةً ما يتعلق بسياسة التعامل مع العرب.

وقد علقت حكومة بومباى على بعض الآراء الواردة فى مذكرة جاكوب وخاصةً ما يتعلق بوضع النواحى المحمية وموقفها من الصراع الحالى ومسألة الخلافة، فإن ما أثاره جاكوب حول إفتراض قيام إتحاد لهذه المحميات تدين بالولاء لخليفة عربي فى مكة تحت الحماية البريطانية، قد لاقى قبولاً لدى هذه الحكومة إلا أنه بالنظر إلى أن الحكومة البريطانية قد قررت ترك هذه المسألة للعرب وحدهم، فإن هذه الحكومة ترى من الأفضل مساعدة العرب فقط للهجوم على العثمانيين.

ومن جهة أخرى لم تؤيد حكومة بومباى قيام جاكوب برحلة إلى المناطق الداخلية المجاورة لعدن، برفقة قوة صغيرة ورأت الدخول فى مفاوضات مع مندوبى تلك القبائل، كما اتفقت مع وجهة نظر المقيم في عدن على تقوية الحامية البريطانية هناك لإقناع هذه القبائل بقدرة بريطانيا على مساعدتهم، ولتصبح جاهزة فى حالة الضرورة القصوى لإرسال حملة من عدن، وعندما يتقرر مثل هذه العملية يمكن الإستعانة بجاكوب كضابط سياسي له معرفة ودراية بشئون المنطقة...

وبناءً على ما ورد فى مذكرة جاكوب تؤيد حكومة بومباى إعادة التفكير فى مسألة تعزيز القوات في عدن بقوات دائمة من قبل حكومة الهند البريطانية[2].

---

(١) (PRO) FO 371/2479, From Political Resident, Aden, Copy of A Memorandum Prepared by the First Assistant Resident, Colonel Jacob, 23rd January, 1915.

(٢) Same Series and Vol., From Secretary to the Govern-of Bombay to the Secretary to the govern-of India, 2nd Feb., 1915.

توزيع الأدوار بين القاهرة {لندن} وعدن {دلهي لندن} :

يبدو أن مسألة الخلاف حول تقسيم مهمة الإتصال بالعرب بين السلطات فى عدن والقاهرة لم تنته بالأوامر التى صدرت إلى مكماهون فى ١٢يناير ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ بترك مهمة الإتصال بالأدريسى والإمام إلى المقيم فى عدن بعد ملاحظة الأخير وجود نوع من الإتصال من قبل السلطات فى مصر والسودان بهذه النواحي... أبرق مكماهون فى الرابع والعشرين من يناير ١٩١٥م/١٣٣٣ه إلى وزير الدولة للشئون الخارجية فى لندن بأن كلاً من القائد العام للقوات البريطانية فى القاهرة وحاكم السودان، لم يقم بأي خطوات للتأثير على المشاعر العربية فى اليمن أو عسير أو عدن، ولم يقم حاكم السودان بأى عمل مستقل عن القاهرة فى البحر الأحمر، بل إن الضابط السياسي المرافق لدورية القطاع الجنوبى للبحر الأحمر وضع نفسه تحت إمرة المقيم فى عدن... ويرى مكماهون أن المجال الذى تعمل فيه السلطات فى الهند ومصر فيما يتعلق بالجزيرة العربية لم يحدد تحديداً واضحاً لكل جهة ولذا يلزم وضع تنسيق بين أعمال هاتين السلطتين فى هذه المنطقة، وضرب لذلك مثالا بأن الأدريسى له علاقات بمصر أكثر من عدن، فارتباطه المذهبى كان دائماً بمصر حيث عاش هناك فترة واتصل بالسنوسي، ثم إرتباطه التجارى بالسواحل المصرية والسودانية، وأخيراً إرتباطه الإجتماعي حيث يعيش بعض أفراد عائلته فى مصر، كما أشارت المذكرة إلى أن الوضع فيما يتعلق بالحجاز قريب من هذا...

واقترحت المذكرة أنه يمكن لحكومة الهند أن تتولى الإتصال بابن سعود فى نجد فهي مؤهلة لذلك بشكل أفضل من السلطات فى مصر وكذلك بابن رشيد بعد ذلك. ومن ثم يقترح مكماهون أن يقتصر عمل المقيم فى عدن على الإتصال باليمن والإعتراف بتقسيم المجال وفق الخطوط الموضحة أعلاه، وعلى تبادل المعلومات لضمان التنسيق فى السياسة، كما أن السياسة الخاصة بمعاملة التجارة فى البحر الأحمر تحتاج إلى تنسيق أيضاً حيث يشير مكماهون إلى أنه تطبيقاً للسياسة التى وافقت عليها الحكومة البريطانية، فقد قام بالسماح للعرب بمزاولة تجارتهم فى القطاع الشمالي للبحر الأحمر من جدة إلى السويس، بينما يبدو الأمر مختلفاً فى القطاع الجنوبى للبحر

الأحمر حيث أن التجارة هناك متوقفة بعد تدمير العديد من المراكب، ولذلك دخل مكماهون في مناقشات مع بعض مسئولي البحرية البريطانية لاقتراح إلغاء بعض القيود على التجارة وإبلاغ المقيم للإتفاق حول ترتيبات العمليات العسكرية(١).

ويُعبر ما ذكره مكماهون عن طموحات السلطات البريطانية في مصر لمد نفوذها في مناطق أوسع في البحر الأحمر، ولم تكتف هذه السلطات بما نالته في السابق بالحصول على موافقة الحكومة البريطانية على تولى الإتصالات بالشريف حسين في الحجاز، وإنما حاولت وضع المبررات لتولي مسئولية الاتصالات بالأدريسي في عسير... فهذه الحادثة يمكن أن تضاف إلى رصيد النزاع على مناطق النفوذ بين فرعي القيادة البريطانية في منطقة البحر الأحمر خاصةً والشرق عامة.

وبالطبع فقد تحركت السلطات المعنية بشئون الهند، إذ أبرق وزير الدولة لشئون الهند إلى نائب الملك في الهند، لإبداء رأيه في الموضوع الذى أثاره مكماهون، مشيراً إلى أنه بعد أن قطع المقيم في عدن شوطاً في مفاوضاته مع الأدريسي فليس من الممكن تغيير العناصر المفاوضة، ثم يُنبّه وزير الدولة للهند إلى أن مقترحاته السابقة لوزارة الخارجية كانت تضع مسئولية الإتصال بالإمام والأدريسي على المقيم في عدن(٢).

ثم أبرق سكرتير حكومة الهند في الشعبة الخارجية والسياسية بدلهي إلى المقيم في عدن لإبداء رأيه في موضوع تقسيم مناطق النفوذ الذى أثاره مكماهون، ولتقديم تقرير عن التجارة في القطاع الجنوبي للبحر الأحمر من جدة إلى عدن(٣).

ولأهمية الموضوع فقد أبدى المقيم في عدن رأيه في برقية إلى وزير الدولة

---

(١) Same Series and Vol., From Sir A.H. Mcmahon, to Secretary of State for Foreign Affairs, 24th, Jan., 1915.

(٢) (PRO) FO 371/2479, From Secretary of State for India, to Viceroy, 28th, January 1915.

(٣) Same Series and Vol., From the Secretary to the Govern-of India, to Resident at Aden, 29th, January 1915.

لشئون الهند بلندن حيث أشار إلى أن وزير الأدريسى موجود بعدن لطلب مساعدات مالية وحربية، كما أن مبعوث الإمام يحيى موجود فى لحج، وتلقى المقيم الرسالة الجوابية من الإمام يحيى، وأخيراً أفاد المقيم أنه سبق له القول بأهمية عدم إرباك العرب بمفاوضين من جهات مختلفة مشيراً إلى قدم علاقات دار الإقامة البريطانية في عدن مع حكام الأراضى اليمنية[1].

أبرق المقيم فى عدن بعد ذلك إلى دلهى مُبدياً رأيه حول الموضوع، حيث أشار إلى أنه قام بإتصالات مع الأدريسي والإمام بناءً على أوامر حكومة الهند، بينما تركت موانئ الأدريسى خارج نطاق الحصار الذى فرضته السلطات البريطانية وأصبح للأدريسى تبادل تجارى واسع مع عدن. أما فى مجال عمل الدورية البريطانية للقطاع الجنوبي للبحر الأحمر من جدة إلى عدن تحت قيادة القائد العام للقوات البريطانية فى عدن فلم تقيد التجارة مع موانئ العرب، ما عدا بعض الموانئ كالحديدة والمخا والخوخه واللحيه وقرب الشيخ سعيد حيث من المحتمل وصول الإمدادات إلى القوات العثمانية وبالنسبة للخوخه فقد سمح رفع الحصار عن تجارتها بعد زيارة شيخ خوخه لعدن...

ثم ينتقل المقيم إلى شرح ما تعانيه دورية القطاع الشمالى للبحر الأحمر التابعة لمصر حيث تعرض بعض أفرادها للنيران فى ينبع، منبهاً إلى أن قائد دورية القطاع الجنوبى يستطيع التنقل والنزول فى بعض الموانئ بأمان بل يعامل أحياناص معاملة تشريفية، ويعترف المقيم بإغراق بعض القوارب المحلية فى القطاع الجنوبى للبحر الأحمر ولكن ذلك العمل لم يلق تأييداً سياسياً بل كان مثالاً لعدم التنسيق، مشيراً إلى وجوب تبادل المعلومات والتنسيق بين السياسات فى منطقة البحر الأحمر وفق ما دعا إليه فى برقياته السابقة...

ولتوضيح الحقيقة فإن الضابط السياسي الذى عين فى دورية القطاع الجنوبي من قبل حاكم عام السودان البريطاني كان على إتصال بالسودان والقاهرة فى حين قام القائد العام للقوات البريطانية فى مصر بإرسال أثنين من مبعوثى الحركة العربية

---

(١) Same Series and Vol., From Political Resident at Aden to Secretary of State for India, 29th, January 1915.

اللذين قدما إلى عدن، أما بقية مبعوثي الحركة العربية الذين أُرسلوا من قِبل مصدر مصري رسمي أو خاص فقد أُوقفوا فى مصوع من قِبل السلطات الإيطالية وأُعيدوا إلى مصر.

وأخيراً يرى المقيم أنه ليس المهم من يدير المفاوضات مع الأدريسي ولكن للحقيقة فإن المفاوضات بدأت من عدن بتكليف رسمي كما أن الشئون السياسية للأدريسي مرتبطة بعلاقاته العدائية مع الإمام يحيى وشئون اليمن(١).

وهكذا فإن ردود المقيم فى عدن كانت مركزة على نفي ما ذكره مكماهون حول تقييد التجارة فى القطاع الجنوبي للبحر الأحمر وتدمير المراكب والإساءة إلى شعور العرب، فى حين كان يتباهى مكماهون بسماحه لتجارة العرب فى القطاع الشمالي للبحر الأحمر، وكانت ردود المقيم فى مجملها دفاعاً عن سياسة عدن فى البحر الأحمر.

ولم تكتف حكومة بومباي بتثبيت مطالب المقيم بأن يتولى الاتصال بالإمام والأدريسي، بل طالبت إبلاغ حكومة الهند بكل ما يجرى فى الحجاز وأخذ رأيها فى الموضوعات التى تخصه نظراً للارتباط الكبير بين الهند والحجاز فى الحج والتجارة، كما طالبت هذه الحكومة أن يتولى المقيم الإشراف على التجارة فى جدة ومنها جنوباً حتى عدن خاصة وأن كثيراً من الهنود يعيشون فى الحجاز(٢).

وفى ٧فبراير١٩١٥م/١٣٣٣هـ أبرق نائب الملك فى الهند إلى وزير الدولة لشئون الهند بلندن جواباً على البرقية التى أرسلها الأخير لإبداء وجهة نظر نائب الملك، أشار النائب إلى أنه سيرد بالتفصيل عند عودته إلى الهند من سفره ويرى حالياً أن تستمر المفاوضات مع الإمام وماويه والأدريسي عن طريق المقيم فى عدن(٣).

---

(١) Same Series and Vol., From Resident, Aden to the Secretary to the Govern-of India, 30th, January, 1915.

(٢) Same Series and Vol., Form the Secretary to the Govern-of Bombay to Delhi, 2nd February 1915.

(٣) (PRO) FO 371/2478, From Viceroy to Secretary of State for India, 7th, February 1915.

ثم أبرق وزير الدولة البريطاني لشئون الهند إلى نائب الملك بأنه كتب إلى وزارة الخارجية حول الموضوع، حيث تم إبلاغ المندوب السامي بمصر بأن الحكومة البريطانية ترى من المرغوب فيه تقسيم البحر الأحمر إلى قطاعين "وفق اقتراح مكماهون" قطاع شمالي تحت الإشراف السياسى المندوب السامي فى مصر... وقطاع جنوبي تحت الإشراف السياسى للمقيم فى عدن الذى سيعمل وفق تعليمات حكومة الهند، ولما كان وكيل الأدريسى فى عدن الآن.. فمن الصعب وقف المفاوضات التى قطعت شوطاً متقدماً بين المقيم والإدريسى من عدن ولذا يجب أن يشمل الإشراف السياسى للمقيم في عدن عسير واليمن والسواحل العربية إلى عدن، كما يجب أن يتم تبادل المعلومات والمشاورات بين المقيم فى عدن والمندوب السامي فى مصر، وتم إبلاغ المندوب السامي أيضاً بمنع أى سلطة فى مصر والسودان من الإتصال أو إرسال مبعوثين إلا بأوامر من المندوب السامي فقط. أما العمليات البحرية فى القطاع الجنوبي فتمنع السفن الحربية البريطانية من القيام بأى عملية إلا بموافقة الضابط السياسى المرافق لسفن الدوريات والذى يجب أن يتلقى تعليماته من المقيم فى عدن وحده[١].

ويبدو أن نائب الملك فى الهند لم يقنع بهذا التحديد لاختصاصات المندوب السامي فى مصر رغم إغتباطه بقرار الحكومة البريطانية، إذ طالب بتعيين موظف من قبل حكومة الهند لرعاية مصالح الحجاج والتجار الهنود فى جدة ومكة "كما أشارت بذلك حكومة بومباي من قبل" كما طالب نائب الملك أن يتم الإتصال بابن رشيد عن طريق حكومة الهند نظراً لإرتباطه بالشئون المتعلقة بنجد وابن سعود[٢].

غير أن الحكومة البريطانية لم توافق نائب الملك إلا على المفاوضة مع ابن سعود

---

(١) Same Series and Vol., From Secretary of state for India to Viceroy, 9th Feb., 1915.

(٢) Same Series and Vol., From Veceroy to Secretary of State from India, 19th Feb., 1915.

وابن رشيد[1].

وفى ٢٤نوفمبر١٩١٥م/١٣٣٤هـ أبرق المقيم فى عدن إلى دلهي والقاهرة مستفسراً عن وضع جدة بعد تقسيم الإشراف والسيطرة على البحر الأحمر هل هى داخلة فى القطاع الشمالى أو الجنوبى على اعتبار أنها ذُكرت كنقطة تقسيم وخط فاصل بن القطاعين بعد أن ساق عدة براهين على إمكانية مدّ إشرافه إلى جدة[2]. وهذه آخر محاولة من الجهات المرتبطة بحكومة الهند للمطالبة بالحجاز أو على الأقل جدة كنقطة خاضعة لنفوذ هذه الحكومة، وقد سبق أن عرضنا مطالب المقيم وحكومة بومباي ونائب الملك فى الهند بهذا الخصوص. إلا أن الحكومة البريطانية لم توافق على ذلك واقتنعت بآراء المندوب السامي فى مصر بإشرافه على الحجاز[3].

وهكذا فإن النزاع بين السلطات فى الهند ومصر حول مناطق النفوذ فى منطقة البحر الأحمر يعتبر سمة مميزة لهذه المرحلة من الصراع مع الدولة العثمانية، ورغم أن الحكومة البريطانية كانت تصدر قراراتها بسرعة نسبياً إلا أن المداولات المختلفة والآراء المتعددة تجعل الحكومة تتأنى فى قراراتها وأحيانا تعيد النظر فيها بعد أن تتلقى من السلطات فى مصر والهند البراهين والحجج حول موقف كل منهما.

تعهد شيخ ماويه

فى نطاق المفاوضات التى كان يجريها المقيم مع ماويه {مافيا} أشار المقيم فى عدن إلى أن وضعه أشد صعوبة من الأدريسى إذ أن الأخير معروف بعدائه للعثمانيين وفى مأمن من الهجوم العثمانى، أما الأول فتابع رسمياً للعثمانيين ويحمل رتبة الباشاوية ويتلقى دعماً عثمانياً ويقيم فى أراضى عثمانية، ومع ذلك فإن ماويه يخطط

---

(١) Same Series and Vol., From Secretary of State to VR, 8th, March 1915.

(٢) Same Series and Vol., From Resident at Aden, to Delhi, Cairo, 24th Feb., 1915.

(٣) Same Series and Vol., From Secretary of State for India to Viceroy 10th, March 1915

الآن لطرد العثمانيين والعرب الموالين لهم من لواء تعز الذى يضم أقضية قعطبه والقماعره والحجريه والمخا، أى من قعطبه حتى الشيخ سعيد، ولذا يطلب المقيم إمداد ماويه بمساعدات أكبر لتشجيعه على الثورة طالما أن السياسة الحالية لبريطانيا هي مساعدة العرب لطرد العثمانيين دون القيام بالمواجهة المباشرة[1].

وبالفعل وافقت السلطات البريطانية فى الهند على مطالب المقيم بشرط إبلاغ ماويه {مافيا} بأن يستمر فى محاولاته الرامية إلى الثورة على العثمانيين[2]. فى تلك المنطقة.

وفى التاسع عشر من فبراير ١٩١٥م/٥ربيع الآخر ١٣٣٣هـ. نجح المقيم فى عدن فى الوصول إلى إتفاقية مع محمد ناصر مقبل {مافيا} قائمقام شرمان والقماعره، حيث وقعها المقيم الجنرال شو "Show" والشيخ الحاج على ناصر الكمرانى بالنيابة عن محمد ناصر مقبل، وتتضمن الإتفاقية البنود التالية :-

- يتعهد المقيم السياسى فى عدن بدفع مبلغ ٧٥ ألف روبية إلى الشيخ محمد ناصر مقبل، حيث سيتم دفع ٢٥ ألف روبية في الحال بواسطة سلطان لحج العبدلى والباقى يدفع بعد ذلك بتوصية من سلطان لحج.
- يمكن زيادة مبلغ المساعدة المالية إذا لم يكف لتغطية نفقات طرد العثمانيين.
- إذا فاتح أيٍ من مشايخ لواء تعز المقيم فى عدن للإنفصال عن سلطة الشيخ محمد ناصر مقبل فيجب على الحكومة البريطانية التأكيد على هؤلاء بتقديم الطاعة لمحمد ناصر مقبل.
- عند إنتهاء القتال وعندما يجني محمد ناصر مقبل ثمار انتصاره ستعترف الحكومة البريطانية برئاسة محمد ناصر مقبل وباستقلاله تحت الحماية البريطانية.

---

(١) Same Series and Vol., From Resident at Aden, to Delhi, 18th, Feb., 1915.

(٢) Same Series and Vol., From Veceroy to Secretary of State for India, 22nd Feb., 1915.

- يتعهد محمد ناصر مقبل باحترام هذه المعاهدة وبالتخلي عن صداقته للعثمانيين من تاريخ توقيع هذه الإتفاقية، وبأن يبدأ القتال فور إستلامه للقسط الأول من المبلغ المتفق عليه.
- يتعهد محمد ناصر مقبل بنقل وترحيل الشيخ قايد صالح وأتباعه من الحدود الداخلية في محمية الحكومة البريطانية ووضع حد لتحركاته ضد الضالع وجبل جحاف، ومحاولة إشراكه في مشروع طرد العثمانيين كمعاون لمحمد ناصر مقبل.
- في حالة إستسلام العثمانيين لمحمد ناصر مقبل في لواء تعز مقابل ترحيلهم إلى خارج تعز يتعهد المقيم في عدن بتأمين سلامة هؤلاء في عملية الترحيل.

وقد وقع الإتفاقية بالإضافة إلى المقيم ومندوب محمد ناصر مقبل كل من محمد عبد السلام والسلطان علي بن أحمد بن علي العبدلي سلطان لحج ومحسن فضل بن علي كشهود من جانب وهارولد جاكوب ويراد شو كشهود من جانب آخر(١).

وافقت حكومة الهند على بنود الإتفاقية بشكل عام وكلفت المقيم بأن يبلغ محمد ناصر مقبل بأن ضمان استقلاله وحمايته يعتمد على تنفيذه لهذه الإتفاقية بطرد العثمانيين وعلى هذا الشرط يمكن المصادقة على الإتفاقية(٢).

والواقع أن الإتفاقية بين الطرفين تمت بسرعة مقارنةً بتأخر الوصول إلى إتفاق مع الإدريسى الذى كانت ظروفه أكثر ملاءمة من محمد ناصر مقبل للوصول إلى إتفاق مع بريطانيا لتبعية الثانى للعثمانيين حيث يحصل على مخصصات معينة من قبلهم. ويبدو أن الوصول إلى إتفاق مع الأدريسي يحتاج إلى مفاوضات أكبر نظراً لتمتعه بما يشبه الإستقلال فى المناطق الخاضعة لنفوذه، ولعلاقاته العدائية مع الإمام يحيى الذى ترغب بريطانيا كسب جانبه أو وقوفه على الحياد على الأقل، ثم الخلافات التى ذكرناها بين المقيم والمندوب السامى فى مصر حول التفاوض مع الأدريسى كان

---

(١) Same Series and Vol., From Resident at Aden to the Secretary to the Govern-of India, 23rd Feb., 1915.

(٢) Same Series and Vol., To Resident at Aden, 13th March 1915.

لها دور نسبى فى تأخير الوصول إلى الإتفاق، وأخيراً فإن تعليمات نائب الملك بعدم إظهار أهمية الإدريسي حتى لا يزايد فى مطالبه قد أخرت الإتفاقية.

ويلاحظ من خلال الإتفاقية مع محمد ناصر مقبل تحقيقها لمصلحة بريطانيا التي أوجدت جبهة جديدة ضد العثمانيين من بين أتباعهم، حيث اشترطت لضمان إستقلاله تحت الحماية البريطانية وهذا مكسب فى حد ذاته نجاحه فى طرد العثمانيين من لواء تعز وهي المنطقة الفاصلة بين المركز الرئيسى للعثمانيين وعدن، فإذا ما نجح محمد ناصر مقبل فى مهمته أمكن لبريطانيا نشر نفوذها باسم الحماية، وإذا أخفق تجني بريطانيا ثمار تجزئة وتوزيع القوات العثمانية بانفصال محمد ناصر وأتباعه بدلاً من إنضمامهم إلى أعداء بريطانيا.

ولم يُشر العبدلي "مؤرخ لحج" إلى هذه الإتفاقية وإنما ذكر شيئاً قريباً من ذلك بقوله "وبعد مخابرة بين السلطان {سلطان لحج} والباشا محمد ناصر أرسل السلطان علي السيد بن محمد الجفرى لمقابلة الحاج علي الكمراني المندوب من قبل الباشا محمد ناصر فوصل السيد إلى السيمير فى شهر محرم سنة ١٣٣٣هـ"[١].

ولما كان السلطان العبدلي أحد الموقعين على الإتفاقية كشاهد والحاج علي الكمراني المذكور مندوب محمد ناصر مقبل فى توقيع الإتفاقية مع المقيم فى عدن، يمكن إعتبار هذا الإجتماع كأحد جولات المفاوضات بين المقيم ومحمد ناصر مقبل بواسطة سلطان لحج.

المعاهدة البريطانية مع الأدريسي

أما الأدريسي فما تزال المفاوضات جارية معه، ففى ٥فبراير١٩١٥م/١٣٣٣هـ كتب نائب الملك فى الهند إلى لندن أن وزير الأدريسى موجود بعدن، وأنه سبق تكليف المقيم بإمداد الأدريسى بالمال والسلاح، والتفاوض معه للوصول إلى إتفاقية، على أن يتم عرض بنود الإتفاقية على حكومة الهند كشرط أساسي للموافقة عليها[٢].

---

(١) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨.

(٢) (PRO) FO 371/2479, From Viceroy to Secretary of State for

وبعد مرور شهر تقريبا أبرق المقيم مرة أخرى، بأن مندوب الإدريسى فى عدن يسعى لعقد إتفاقية للصداقة بين الأدريسي وبريطانيا على أساس تأمين موانئه وسواحله من الهجوم، ودعمه دبلوماسيا بعد نهاية الحرب. كما طلب المندوب إرسال بعض الأسلحة والمال إلى الأدريسي الذى يخشى هجوماً عثمانياً إماميا وشيكاً على أراضيه. وفى نهاية البرقية يشير المقيم إلى عزم المندوب على السفر إلى جيزان لعرض بعض النقاط على الأدريسي ومن ثم العودة إلى عدن لاستكمال التفاوض، ولذا يطلب المقيم الموافقة على شراء أسلحة جديدة من جيبوتي إضافة إلى السابقة، ووضع مبلغ آخر تحت تصرفه حتى يستطيع تلبية طلبات الأدريسى وغيره[١]. وقد وافقت حكومة بومباى على مقترحات المقيم[٢].

لم توافق حكومة الهند على مدّ الأدريسى بالسلاح والمال مرة ثانية، إذ سبق حصوله على معونة مالية وحربية من المقيم، وذلك حتى يثبت استخدامه للأسلحة السابقة فى مصلحة بريطانيا، إذ ترى هذه الحكومة أن مخاوف الأدريسى من الهجوم العثماني مبالغ فيه. ولم تكن بريطانيا ترجح إمكانية هجوم الأدريسى على العثمانيين وإنما سعت إلى ضمان عدم انضمام الإدريسى إليهم، ولذا طلبت حكومة الهند من المقيم فى عدن بتبليغ مندوب الأدريسي بإطلاع حكومة الهند على مشروع الإتفاقية التى يعدها الأدريسي وعندها ستنظر هذه الحكومة فى إمكانية زيادة المعونة المالية والحربية وفق بنود هذه الإتفاقية[٣].

وقد لاحظ المقيم فى عدن أن الحكومة البريطانية غير مقتنعة بالدور الذى يمكن أن يلعبه الأدريسي فى عسير رغم أنه نبّه مراراً إلى أهمية مركزه وإمكانية الإستفادة

India, 5th Feb., 1915.

(١) (PRO) FO 371/2478, From Resident at Aden, to the Secretary to the Govern-of India, 9th March 1915.

(٢) Same Series and Vol., from the Secretary to the Govern-of Bombay, to Delhi, 12th, March 1915.

(٣) (PRO) FO 371/2478, From the Secretary to the Govern-of India to the Resident at Aden, 13th March, 1915.

منه، لاسيما وأن السياسة البريطانية تتبنى مبدأ مقاومة العثمانيين فى هذه النواحي بالعرب القاطنين فيها، وإذا استمر فتور الحكومة البريطانية تجاه الأدريسي فقد يؤدي ذلك إلى ارتماء الإدريسى فى أحضان إيطاليا كالسابق، ويشير إلى أن الأدريسى لديه من الامكانيات التى يمكن أن تتظافر مع امكانيات ماويه فى لواء تعز للتحرك ضد العثمانيين، حيث يمتلك الأدريسى القوى التالية :

- عشرون ألف عسكرى.
- خمسون ألف من رجال القبائل التابعين للعثمانيين والإمام يرغبون فى الإنضمام إليه، بين صعدة وشمال اليمن.

فى حين تتضمن خطة الأدريسي في البدء فى عمليات ضد العثمانيين في الجنوب والشرق، ولذا يرى المقيم إغتنام هذه الفرصة بتشجيع الأدريسي الذي قد يؤثر موقفه وموقف ماويه على سياسة الإمام تجاه العثمانيين عندما يرى هاتين القوتين قد ثارتا بالفعل ضد الدولة العثمانية[١].

وهكذا يتضح العامل الرئيسي فى تأخر الوصول إلى إتفاق مع الأدريسي بالإضافة إلى العوامل السابقة المذكورة آنفاً، وهذا العامل هو تروي الحكومة البريطانية أو فتورها بالأصح تجاه الأدريسي إما لعدم إقتناعها بأهمية دوره أو تعمد هذه الحكومة مثل هذا الفتور حتى لا يساوم الأدريسى أكثر.

وبالفعل كان لإلحاح المقيم فى عدن تأثير واضح على موقف الحكومة البريطانية إذ وافقت حكومة الهند أخيراً على شراء أسلحة من جيبوتى للأدريسى ووضع مبلغ ٢٥ألف روبية تحت تصرف المقيم[٢].

وأخيراً نجح المقيم فى عدن فى توقيع اتفاقية مع الأدريسى فى ٣٠ أبريل

---

(١) Same Series and Vol., From resident at Aden, to the Secretary to the govern-of India, 15th, March 1915.

(٢) Same Series and Vol., to the Political Resident, Aden, 16th March, 1915.

١٩١٥م/جمادى الثانية ١٣٣٣هـ، حيث وقعها المقيم مندوباً عن الحكومة البريطانية والسيد مصطفى بن سيد عبده علي مندوباً عن الأدريسى، وتشمل هذه الاتفاقية النقاط التالية :

١- الأهداف الرئيسية للاتفاقية هى شن الحرب ضد العثمانيين وتعزيز الصداقة بين الطرفين.

٢- يوافق الأدريسى على الهجوم وعلى محاولة طرد العثمانيين من قواعدهم فى اليمن وعلى مضايقتهم والتوسع على حسابهم.

٣- الغرض الرئيسي للأدريسي موجه ضد العثمانيين، ويمتنع عن أي عمل موجه ضد الإمام يحيى طالما لم يشارك فى مساندة العثمانيين.

٤- تتعهد بريطانيا بحراسة أراضي الأدريسي من الهجوم البحري عليها ويضمان استقلاله فى أراضيه، وباتخاذ جميع الوسائل الدبلوماسية لحل المشاكل بينه وبين الإمام يحيى أو أى منافس بعد نهاية الحرب.

٥- لا ترغب بريطانيا فى توسيع حدودها فى أراضي بلاد العرب، وترغب فى رؤية حكام العرب يعيشون فى سلام كلٌ فى مجاله، وعلى صداقتها جميعاً مع بريطانيا.

٦- سبق لبريطانيا أن أمدّتْ الأدريسى بالمال والسلاح وستستمر على ذلك بقدر مايكون نشاطه.

٧- رغم الحصار المفروض على الموانئ العثمانية فى البحر الأحمر تركت بريطانيا موانئ الأدريسي مفتوحة للتجارة مع عدن، وسيبقى هذا الامتياز سارى المفعول(١).

وعندما اطّلعت حكومة الهند على نصوص هذه المعاهدة رأت تعديل عبارة

(١) Same Series and Vol., I.O to F.O, Enclosure 2 in No.1, Treaty, dated 30th April, 1915.

أراضى بلاد العـرب "Arabian Soil" واسـتـبـدالهـا بعـبـارة غـربى جـزيرة العـرب "Western Arabia" حتى لا يتعـارض مع مصـالح بريطانيا فى العراق، كما لاحظت هذه الحكومة أن السماح للأدريسى بالتوسع ولو على حساب العثمانيين ربما يؤدى إلى اصطدامــه بالحكام العـرب الآخـرين ولذا يجب التنويه له بذلك، بالإضــافــة إلى ملاحظات أخرى جانبية ومنها محاولة وضع فقرة فى المعاهدة تعطي التجار الإنجليز والهنود إمتيازاً فى موانئ الأدريسى بالمرور المجاني...

أبرقت وزارة الهند بعد الاتفاق مع وزارة الخارجية البريطانية إلى نائب الملك في الهند فى ٢١يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ بالموافقة على الاتفاقية بعد تعديل عبارة أراضى بلاد العرب بغربى جزيرة العرب حتى لا تكف يد بريطانيا عن التفكير فى ضم العراق وربما الشيخ سعيد التى تعتبرها بريطانيا ضمن جنوبى جزيرة العرب لا غربيها...

وعلى الفور أبلغت حكومة الهند المقيم فى عدن بالتعليمات المذكورة فى ٢٤ يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ وأُعيـدت وثائق الإتفـاقـيـة إلى عدن من الهند فى ٢٨يونيـو ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ لتـعـديل الوثائق، ولكن المقـيم أفـاد فى ٢٠يوليـو ١٩١٥م بصـعـوبة احـضـار الموقـعين فى هذه المرحلة، وفى ٢٣ أغـسطس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أشـار المقـيم إلى أن النص العربى فى النسخة العربية للإتفاقية يحمل عبارة "اليمن" بدلا من عبارة "أراضى بلاد العرب" حيث نبّه المقيم السيد مصطفى الذى وقع الاتفاقية والموجود آنذاك فى عدن بعـدم دقـة هذه التـرجـمـة فى مـقـابل النص الإنجليـزى إلا أن هذا لم يوافق على أي تعـديل، ولذا رأى المقـيم أن الوقت غـير مناسب للتـعديل فى النص العـربي حـيث يمكن الإعتماد على النص الإنجليزى فقط...

وفى ٥ أكتوبر ١٩١٥م/١٣٣٣هـ كتب نائب الملك فى الهند إلى وزارة الهند بعدم أهمية تغيير النص العربى وفق ما أشار إليه المقيم، طالباً سرعة المصادقة على هذه الاتفاقية، وبالفعل وافقت الحكومة البريطانية على ذلك، وصادق نائب الملك فى الهند على الاتفاقية فى ٦ نوفمبر١٩١٥م/١٣٣٣هـ بعد التعديـل فى النـص الإنجلـيزى دون

العربي[1].

وهكذا تمت المعاهدة بين الحكومة البريطانية والأدريسي بعد إلحاح متواصل من المقيم، إذ تباطأت السلطات المعنية فى الهند ولندن فى الإستجابة للطلبات الأولى للمقيم بعقد الإتفاقية، ورغم أن المكاسب البريطانية واضحة فى هذه الإتفاقية إلا أن الأدريسي نال مكسباً كبيراً لعدائه الواضح تجاه الدولة العثمانية ولرغبته فى توسيع الحركة التجارية لموانئه فى ظل ظروف الحرب ولتحقيق طموحاته الواسعة. وبهذه الاتفاقيات سعت حكومة الهند لاستقطاب الأمراء العرب وإبعادهم عن المعسكر العثماني وذلك حرصاً منها على الإستقرار والهدوء فى الجزيرة العربية حيث يمكن أن يؤدى الإضطراب هناك إلى مشاكل كبيرة فى الطريق إلى الهند.

وفى نطاق سياسة تهدئة الجزيرة العربية سعت السلطات البريطانية فى الهند إلى عقد إتفاقية مع ابن سعود فى أثناء الحرب العالمية الأولى... فقد لفت ابن سعود إنتباه الحكومة البريطانية بعد إستيلائه على الإحساء في مايو ١٩١٣م/١٣٣١هـ، إلا أن بريطانيا كانت قد عقدت إتفاقية مع الدولة العثمانية فى ٢٩ يوليو ١٩١٣م اعترفت بموجبها للدولة العثمانية بتبعية هذه المنطقة لسنجق نجد العثمانى، ومنذ ذلك التاريخ وقعت السلطات البريطانية فى حيرة من جراء تعاظم نفوذ ابن سعود فى الوقت الذي أصبحت فيه فى موقف حرج أمام العثمانيين ولا تستطيع الدخول معه فى إتفاق على أساس تبعيته للعثمانيين حسب الاتفاق بين الدولتين[2].

وفى الوقت نفسه كان ابن سعود يفاوض العثمانيين وتوصل معهم إلى إتفاق فى سنة ١٣٣٢هـ/ ١٥ مايو ١٩١٤م وقعه والي البصرة كمندوب عن العثمانيين تم الإعتراف فيها بولاية عبد العزيز فى نجد "والي نجد" وإرسال معونات عسكرية بعد

---

(١) (PRO) FO 371/3414, Memorandom on British Committments to the Idrisi, F.O., Nov., 5th 1918.

انظر ملحق الوثائق.

(٢) (PRO) FO 371/3390, Memorandom on British Committments to Bin Saud, Political Intelligence Dept. Fo.O., Nov., 1918.

التفاوض مع وزارة الحربية العثمانية، وعلى التعاون بين الطرفين.... إلخ.

وبعد قيام الحرب فى أوربا وبداية الإستعدادات العثمانية لدخول الحرب ووصول شائعات إلى السلطات البريطانية باحتمال إنضمام ابن سعود إلى العثمانيين الذين يحاولون بالفعل تسوية النزاع بينه وبين ابن رشيد فى حائل ووضوح أهمية صداقة ابن سعود فى نظر الإنجليز. قررت وزارة الهند إرسال الكابتن شكسبير المقيم السياسي السابق فى الكويت فى مهمة خاصة إلى ابن سعود فى٤ أكتوبر ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ، ووصلت تعليمات إلى المقيم فى الخليج لإبلاغ ابن سعود بذلك عن طريق شيخ الكويت، ثم شرع نائب الملك في الهند في اتصالات أخرى عبر شيخ الكويت أيضاً طلب بريطانيا من ابن سعود المحافظة على السلام فى الجزيرة العربية فى حالة دخول الدولة العثمانية الحرب، وبالفعل وصل شكسبير إلى معسكر بن سعود فى ٣١ ديسمبر ١٩١٤م/١٣٣٣هـ وتناقشا فى موضوع العلاقات بين ابن سعود وبريطانيا والدولة العثمانية وتطورها منذ لقائهما الأول قبل عام، واستخلص شكسبير من هذا اللقاء رغبة ابن سعود فى بقائه على موقف محايد يختار من خلاله ما يحقق مصالح بلاده سواءً عن طريق الدولة العثمانية أو بريطانيا، ولذا ارتأى شكسبير أن يقرر ابن سعود ما يريده من بريطانيا فى مسودة مشروع إتفاقية يمكن لشكسبير إرسالها إلى الحكومة البريطانية، وبالفعل كتب ابن سعود هذه المسودة التي نقلها شكسبير فى تقرير رسمي إلى السير برسى كوكس فى ٤ يناير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ فأبرق هذا فى ١٦يناير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ إلى حكومة الهند بملخص هذا التقرير مضيفاً إليه بعض الاقتراحات والتعديلات، وفى ٢٩ يناير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أبرق نائب الملك فى الهند إلى وزارة الهند بلندن بآرائه حول الموضوع، وفى ٣٠ يناير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ كتبت وزارة الهند إلى الخارجية حول المعاهدة، وبعد التشاور بين الوزارتين أبرقت وزارة الهند إلى نائب الملك فى الهند فى ١ فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ بتعليماتها التى نقلها إلى برسى كوكس في ٦ فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ بالدخول فى مفاوضات للوصول إلى إتفاق نهائى شريطة موافقة حكومة الهند، ثم كتب كوكس مسودة المعاهدة وأرسلها فى ٢٤ أبريل ١٩١٥م/١٣٣٣هـ إلى ابن سعود، وبعد مداولات أخرى بين ابن سعود وكوكس

والدوائر البريطانية حول بعض التعديلات في المعاهدة تم التوقيع النهائي على المعاهدة بين الطرفين في ١٨صفر ١٣٣٤هـ/٢٦ ديسمبر١٩١٥م وصادق نائب الملك في الهند عليها في ١٨يوليو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ وأهم نقاط المعاهدة هي إعتراف بريطانيا بحكم ابن سعود بما تحت يده حكماً وراثياً، ومساعدته في حالة الهجوم عليه، في مقابل تعهد ابن سعود بعدم الإتفاق مع دولة أخرى أو رهن أو بيع شيئاً من أراضيه أو منح إمتياز لدولة أخرى، ويتعهد أيضاً بتأمين سلامة طرق الحج، وبعدم التدخل في أراضي المشايخ الداخلين في حماية بريطانيا في الخليج[1]. وقد أثبت ابن سعود في محادثاته تلك تميّزاً واضحاً ونضجاً سياسياً ومعرفة عميقة بأساليب حكومة الهند[2].

العمليات الحربية بين الدولتين

لم تبدأ المعارك الحربية بين قوات الدولتين أو القوات الخاضعة لنفوذهما مباشرةً في هذه النواحي بعد إعلان قيام الحرب بينهما باستثناء ضرب الشيخ سعيد من قبل القوات البريطانية، وعمليات بعض السفن البريطانية في جنوب البحر الأحمر، وإنما أمضى الفريقان عدة أشهر في صراع غير مباشر لكسب ود القوى المحلية التي يرتكز عليها عبء مساندة القوات ومدها معنوياً ومادياً ورغم أن هناك فارقاً نسبياً بين وضع كلتا الدولتين، حيث توجد للدولة العثمانية فرق عسكرية ثابتة مدربة تنتشر في الحاميات والقلاع والحصون والمراكز الرئيسية في اليمن وعسير وغيرهما من المناطق، بينما تستند القوات البريطانية على قوة حاميتها في عدن وأسطولها في البحر الأحمر بشكل مباشر وعلى ولاء بعض سلاطين ومشايخ المحميات التابعة لعدن كسلطان لحج وبقية الموالين، إلا أن الدولتين تشتركان في سياسة واحدة هي ضرورة استقطاب هذه القوة المحلية.

وصلت أول تقارير رسمية إلى السلطات في عدن بعد إعلان الحرب بثلاثة أشهر تقريباً عن بعض العمليات الحربية في المنطقة، ومنها وقوع هجوم عثماني إمامي

(١) LOC. Cit .

(٢) عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧م دراسة وثائقية، الطبعة الأولى، دار المريخ، الرياض ١٤٠٢هـ، ص ١٦١.

مشترك على بعض القبائل الداخلة في الحدود التي يشملها النفوذ البريطاني عند البيضا، حيث استدعى سلطان البيضا رجال قبيلته واستنجد بالسلطات في عدن(١).

وبعد ذلك بأيام وصلت معلومات أخرى تفيد وصول حوالي مائتين من أتباع قائمقام قعطبه إلى قرية الواعرة القريبة من الضالع، كما تخطط القوات العثمانية بالتعاون مع قوات الإمام يحيى للإستيلاء على مواقع قوية في جبل جحاف، ولذا طلب المقيم في عدن تعزيز القوات في عدن لمواجهة هذه الاحتمالات(٢). إلا أن حكومة الهند لم توافق على إرسال أي تعزيزات سواءً قوات دائمة أو لفترة قصيرة إلا في حالة الضرورة القصوى ووضعت مبلغ ٧٥ ألف روبية تحت تصرف المقيم لمد مشايخ المحميات بالمال اللازم(٣).

وقد سبقت الإشارة إلى أن حكومة الهند لم توافق في السابق على طلبات مماثلة من المقيم بتعزيز القوات في عدن.

وقد أشار العبدلي حول تقدم القوات العثمانية بما ذكره أمير ضالع "ولما وصل الأتراك إلى الضالع في ١٢ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ كتب الأمير نصر إلى السلطان علي {سلطان لحج} يقول : إن الحركة قوية جداً وجيوشاً تركية وإمامية ويمانية "لا لها قدر" {كذا} وأن الدولة العثمانية أخذت مصر والخور {قناة السويس} وأقفلت باب المندب {كذا} وحصنته بالعساكر. والآن جهزت عساكرها من طريق اليمن وواصلين إلى قعطبه وماويه والراهده... والآن الثورة والحركة قوية بالمرة ظاهراً وباطناً ومتوجهين عدن ونحن قد رفعنا للإنجليز بالحقائق(٤).

---

(١) (PRO) FO 371/2479, From the Resident at Aden, 2nd, Feb., 1915.

(٢) (PRO) FO 371/2478, From the Resident at Aden, 9th, Feb., 1915.

(٣) Same Series and Vol., From Viceroy to Secretary of State for India, 10th Feb., 1915.

(٤) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

وبالفعل أبرق المقيم بوصول معلومات إليه عن تقدم العثمانيين واستيلائهم على الضالع وثلاث قرى أخرى بتشجيع سري من أمير الضالع(١). وقد أشرنا سابقاً فى السياسة العثمانية فى مطلع الحرب فى هذه النواحي إلى أن المقيم أخذ يشك فى مواقف أمير الضالع الذى يتلقى معونة مالية من الإنجليز وتبادل معه عدة رسائل حاول فيها هذا الأمير إثبات إخلاصه، إلا أن المقيم قرر إيقاف مخصصاته. ولم يحالفه الحظ حتى مع العثمانيين إذ ذكر العبدلى أن العثمانيين "لم يحسنوا معاملة هذا الأمير المحسن الظن فيهم بل أخرجوه من بلاده وولوا عليها رجلاً من آل خرفه أقارب الأمير نصر"(٢). وربما يكون السبب ما أشارت إليه بعض الوثائق البريطانية من الخلاف بينه وبين إخوته داخل إمارته(٣).

وفى منتصف فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ عاد الحديث مرة أخرى داخل الدوائر البريطانية المعنية حول الإستيلاء على جزيرة كمران، حيث أشارت البحرية البريطانية إلى أهمية هذه الجزر كقاعدة بحرية للسفن الصغيرة والقوارب المسلحة(٤). ولم يكن الخوف من إعتبار هذه العملية موجهة ضد طريق الحج عائقاً فى هذه المرحلة فى نظر المقيم فى عدن(٥). إلا أن حكومة الهند لم توافق على تنفيذ هذه الفكرة آنذاك(٦).

وعلل نائب الملك فى الهند لوزارة الهند فى لندن أسباب عدم التفكير فى القيام بأي عمليات حربية ضد كمران بالآتى :-

---

(١) (PRO) FO 371/2478, From the Resident at Aden, 12th Feb., 1915.

(٢) العبدلى، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

(٣) Same Series and Vol., Secret, Aden Residency, 8th, Feb., 1915.

(٤) Same Series and Vol., From the Naval Commander-in-Cheif Port Said, To the Secretary to the Govern-of India, Marine Dept. Delhi, 21st, Feb. 1915.

(٥) Same Series and Vol., from Secretary of State for India, to Vr, 25th, Feb., 1915.

(٦) Same Series and Vol., to the resident at Aden, 3rd, March 1915.

- احتمال عدم قبول العرب القاطنين فى الجزيرة بالاحتلال.
- احتمال إنزعاج الأدريسى ورعاياه.
- احتمال اعتبار هذا العمل موجهاً ضد الحجاج والأماكن المقدسة.
- وجود بعض الإعتراضات على إرسال قوات من عدن وخاصةً لمسافة بعيدة كجزر كمران[1].

ساق المقيم فى عدن والذى يحاول الإصرار على آرائه دائماً من خلال الأحداث التى عرضناها فى هذا الفصل دليلاً جديداً على ضرورة احتلال هذه الجزر ومن ذلك عبور بعض الألمان من جدة إلى مصوع على الساحل الأفريقي، ولا سبيل إلى منع مثل هذه التحركات سوى احتلال كمران كقاعدة مراقبة[2]. وعزّز المقيم أقواله تلك فى برقية أخرى إلى وزير الدولة لشئون الهند بعد وصول برقية من القائد العام للقوات البريطانية فى مصر عن تحرك مجموعة من الألمان من مصوع باتجاه سواحل الجزيرة العربية، حيث نبّه المقيم مرة أخرى بضرورة احتلال الجزر[3].

ولم تتوان حكومة الهند فى إبلاغ المقيم فى عدن لتأكيد عدم رغبتها فى إحتلال الجزر وأضافت أسباباً أخرى إلى الأسباب الأولى، ومنها أن التحركات العثمانية ضد محمية عدن غير قوية، والقيام بأي عمليات عسكرية موجهة ضد الجزر قد يكون سبباً فى انضمام العرب إلى العثمانيين[4].

أبرق وزير الدولة لشئون الهند إلى نائب الملك يُرجح آراء المقيم بخصوص

---

(١) Same Sereis and Vol., From Veceroy to Secretary of State for India, 3rd March, 1915.

(٢) Same Series and Vol., From the resident at Aden, 3rd, March 1915.

(٣) Same Series and Vol., From Resident at Aden, to Secretary, of State for India, 7th, March, 1915.

(٤) Same Series and Vol., to the Resident at Aden, 11th, March, 1915.

احتلال كمران، إلا أن الوزير أبلغ بأنه لا يستطيع التكهن بالمخاطر التى قد تلحق بالبريطانيين من جراء الهجوم على الجزر أثناء الاحتلال أو عند ترك حامية هناك، ولما كانت الحكومة البريطانية قد قررت من حيث المبدأ احتلال كمران فقد تُرك الأمر لحكومة الهند لاختيار الوقت المناسب لذلك[١].

وهكذا سجل المقيم نجاحاً آخر فى إقناع الحكومة البريطانية فى تبني سياسته رغم أن مرجعه المباشر {حكومة الهند} لم توافق على هذا منذ البداية، وإذا أضفنا هذا النجاح إلى نجاحه الأول فى الإسراع بتوقيع الإتفاقية البريطانية مع الأدريسي، تبين مدى إصرار المقيم الجنرال شو فى عدن فى إقناع الآخرين بجدوى سياسته.

وفى ٩ مارس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أبرق المقيم إلى حكومة الهند عن وصول معلومات بتحرك قوة عثمانية قادمة من سوريا عن طريق المدينة للهجوم على الأدريسي وتقدر هذه القوة بثلاثمائة جندي وتسعة مدافع ميدان، ولذا طلب المقيم إمداد الأدريسى بمزيد من المال والسلاح لتأمين سلامة أراضيه من الهجوم[٢].

وامتدح وزير الدولة لشئون الهند مساعي المقيم ليس فقط فى محاولاته لكسب ولاء الأدريسى وإنما ضمان نجاحه بإمداده بالسلاح[٣].

وفي نهاية شهر مارس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، قُدّم إلى المقيم فى عدن تقريرٌ متكاملٌ عن حالة العثمانيين العسكرية والسياسية والإقتصادية فى اليمن، نثبت هنا بعض المعلومات العسكرية التى وردت فيه. أشار التقرير إلى عدة حقائق عن توزيعات القوات العثمانية المشاركة :-

- الحديدة، بين ثلاثمائة إلى أربعمائة جندي بالإضافة إلى مجموعة مسلحة من السكان مع أربع مدافع جبلية ومدفعي ميدان.

---

(١) (PRO) FO 371/2478, From Secretary of State, for India, to Viceroy, 10th, March, 1915.

(٢) Same Series and Vol., From Resident at Aden, 9th, March 1915.

(٣) Same Series and Vol., From Secretary of State for India, To Viceroy, 16th, March 1915.

- الزيدية، الزهرة، اللحيه والمناطق المتاخمة لحدود بلاد الأدريسى يوجد بها حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي، مع مدفعي ميدان وبعض المدافع النمساوية والمدافع الجبلية.
- جنوب اليمن، فى بيت الفقيه وزبيد... إلخ، خمسمائة رجل، ويوجد على الطريق بين الحديدة وصنعاء مراكز عسكرية عثمانية هامة فى مناخه، سوق الخميس وسنان الباشا، بالإضافة إلى مجموعات أخرى جندت لتزويد المراكز المختلفة على طول الطريق الهام بين الحديدة وصنعاء.
- صنعاء ويوجد بها كتيبة مشاة تقدر بستمائة رجل، وفرقة مواصلات تقدر بثلاثمائة رجل، وبعض الخيالة، وكتيبتان من الشرطة تقدر بألف رجل.
- شرق وجنوب شرق اليمن، أي فى تعز وقعطبه والمخا والشيخ سعيد، ويوجد بها بقية الفيلق العثماني، بكتيبة واحدة فى المخا وأخرى فى الشيخ سعيد وكتيبتان أخريان موزعتان بين قعطبه وماويه، وكتيبتان فى تعز، وتقدر القوة الإجمالية بألفين وخمسمائة جندى، بالإضافة إلى ألفين إلى ثلاثة آلاف من العرب المسلحين فى لواء تعز، وبالإمكان تجنيد عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف رجل من المشايخ الأصدقاء كمحمد ناصر فى ماويه ومحمد نعمان فى الحجريه والشيخ عبد الوهاب فى إب والشيخ مقداد فى عانس....

يقود القوات العثمانية فى لواء تعز سعيد باشا الذى طالب السلطات العثمانية للموافقة على برنامجه بالهجوم على عدن، لدرجة أنه هدد بالهجوم بدون إذن إذا لم يتلق التشجيع اللازم، فى حين كان والي اليمن وقائد الفيلق العثمانى فى اليمن لا يقران مثل هذه العملية[١]. ومن خلال هذا التقرير يتضح مدى إهتمام العثمانيين بنشر قواتهم وحامياتهم فى المراكز الهامة وعلى الطرق الرئيسية، كطريق الحديدة- صنعاء، وقد سبقت الإشارة فى المبحث الخاص بسياسة العثمانيين فى مطلع الحرب إلى تقارير

---

(١) (PRO) FO 371/2478. Notes on the Condition of Turkish Yemen, Written for the use of the Political Resident at Aden, by G.A.R. Richardson, 20-3-1915.

أخرى عن القوات العثمانية وتوزيعها فى المنطقة، كما يشير التقرير إلى التحركات العثمانية باتجاه لحج وعدن والتى يمكن أن نتتبع أهم مراحلها بعد ذلك.

العمليات الحربية البريطانية فى الجزر :

أبرق المقيم فى ٢٨ مايو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ إلى وزارة الهند بشأن جزر البحر الأحمر كمران- فرسان- زقر، حيث أشار إلى الفوائد الكبيرة لاحتلال جزر كمران كقاعدة للسيطرة على الحديدة، ولمتطلبات طريق الحج وغير ذلك في حين ذكر أن جزر فرسان تحت سيطرة الأدريسي ومن الممكن الإستيلاء عليها وفق ذلك، ثم شرح الموقف للأدريسي بأنه إجراء مؤقت ويفضل الإستيلاء عليها بعد احتلال كمران حتى يتسنى إبلاغ إيطاليا بأن فرسان تحت حماية بريطانيا، أما جزيرة زقر فيرى المقيم أن من الأفضل الإستيلاء عليها ... وفى نهاية البرقية أبدى المقيم إستعداده لإرسال الفرق العسكرية اللازمة لاحتلال هذه الجزر[١].

ويبدو أن مسألة المنافسة الإيطالية للحصول على مراكز فى البحر الأحمر كانت من الأسباب المباشرة لاقتناع الحكومة البريطانية بضرورة احتلال هذه الجزر، إذ أبرق نائب الملك إلى وزير الهند فى لندن، بأن من الضروري جداً عدم السماح لإيطاليا بموضع قدم فى أي جزء من الساحل الشرقى للبحر الأحمر أو الجزر المتاخمة له، وأوصى بأن يتم تبادل وجهات النظر بين حكومتي بريطانيا وإيطاليا بخصوص هذا الموضوع، فإذا لم يتم التفاهم بين الحكومتين يمكن للحكومة البريطانية أن تنظر في المقترحات التالية :

- تبقى جزر فرسان تحت سيطرة الأدريسي إلا إذا طلب مساعدة بريطانيا لتأمين مصالحه ضد القوى الخارجية.
- بالنسبة لجزر كمران، فعلي الرغم من نفور حكومة الهند من احتلالها للأسباب السابق شرحها فى الماضى، إلا أنه يمكن إعتبار تغير الظروف مبرراً لاحتلال هذه

(١) Same Series and Vol., resident, Aden, to Secretary of State for India, May 28, 1915.

الجزر، شريطة التصريح بلجوء بريطانيا إلى احتلال جزر كمران مؤقتا لتسهيل حركة الحج.

- بالنسبة لجزيرة زقر، يوجد بها حامية عثمانية صغيرة، ولا تعارض حكومة الهند فى احتلالها مؤقتاً أو بصفة دائمة، ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار احتلال جزيرة حانش الكبرى وبقية الجزر المتناثرة القريبة منها.

وعن القوات اللازمة لعمليات احتلال الجزر نوه نائب الملك إلى استعداد المقيم لتأمين هذه القوات(١).

وفى ٢ مايو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أبرقت الخارجية البريطانية إلى وزارة الهند باتفاق وجهة نظرها مع حكومة الهند حول عدم السماح لإيطاليا بإيجاد مركز لها في السواحل العربية للبحر الأحمر، ولما كان التفاهم مع إيطاليا بشأن إحتلال الجزر يحتاج إلى وقت طويل وربما يؤدي إلى إعاقة خطة الحكومة البريطانية عن طريق المساومة فقد أوصت الخارجية البريطانية بعدم الرجوع إلى الحكومة الإيطالية والبدء بعمليات احتلال كمران لتسهيل طريق الحجاج وفق اقتراح حكومة الهند، واحتلال جزر زقر وحانش الكبرى.. إلخ، للسيطرة على مواصلات الأعداء فى البحر الأحمر، أما فرسان فترى وزارة الخارجية الإعتراف بأحقية الأدريسي فيها على شرط عدم تنازله عنها لأي قوة أخرى(٢). والواقع أن تركيز حكومة الهند على اعتبار احتلال كمران تحقيقاً لخدمة الحجاج، إنما يعبر عن حرص هذه الحكومة أو خوفها من إثارة الشعور الديني لرعاياها المسلمين فى الهند خاصة وأن هذه الجزيرة معروفة بأنها المحجر الصحي العثماني للحجاج القادمين من البوابة الجنوبية للبحر الأحمر.

وتم تكليف الجنرال شو فى ٦ يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ بقيادة اللواء البريطاني لاحتلال الجزر، جاء فى تقرير الجنرال شو الذى قدمه إلى رئيس الأركان العامة، بأنه بناءً على الأوامر الصادرة إليه أبحر بالسفينة البريطانية امبرس أوف رشا "Empress

(١) Same Series and Vol., Viceroy to Secretary of State of India, May 30th, 1915.

(٢) Same Series and Vol., F.O. to I.O, June 2nd, 1915.

"of Russia" فى الساعة الرابعة عصراً من يوم ٧يوينو ١٩١٥م، لاحتلال جزر حانش وزقر وكمران...

وبما أن الحكومة البريطانية ترغب فى احتلال الجزر قبل أن تسبقها إليها دولة أخرى قرر المقيم احتلال جزر حانش وزقر فى يوم واحد ثم جزيرة كمران في اليوم التالي، وبالفعل وصل بقواته إلى جزيرة حانش الكبرى فى ٨ يونيو ١٩١٥م وتم إنزال ضابط هندي و ٤٥ جندي وبعض المدافع، والمواد الغذائية والماء والأدوية الطبية... وفى اليوم نفسه أُنزلت قوة أخرى مماثلة فى جزيرة زقر، ورُفع العلم البريطاني على كلتي الجزيرتين.

ويقرر المقيم أنه لا يوجد بهاتين الجزيرتين سكان أو مياه أو زراعة كما يبدو رغم أن المراكب العابرة من السواحل العربية إلى الأفريقية ترسو أحيانا فى مراسيها، وقد تم تكليف القوات المهاجمة باستكشاف الجزر لمعرفة الحقائق، وتم تزويد القوات في الجزيرتين بوسائل الاتصال لتمكينهم من الاتصال بالسفن البريطانية المبحرة فى البحر الأحمر، وقد أوصى المقيم بربط هاتين الجزيرتين بخط الاتصال البريطاني العائم في البحر الأحمر.

وفى السابعة من صباح يوم ٩ يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ رست السفينة امبرس أوف رشا فى ميناء جزيرة كمران، وأنزل قائد القوة المهاجمة {المقيم} مجموعة مسلحة بقيادة الرائد فيلوز Fellows، ورئيس أركان القوة، والضابط السياسى لدورية قطاع البحر الأحمر الجنوبى لإنجاح عملية الإمساك بأعضاء القوة العثمانية بالجزيرة، ولم تلق هذه القوة مقاومة تذكر، وتم رفع العلم البريطاني فى الجزيرة.

كانت على ساحل الجزيرة العربية المقابل لجزيرة كمران توجد حامية عثمانية في الصليف ويقدر عدد أفرادها بين ٥٠ إلى ٢٠٠ رجل، فرأى المقيم أن هذه الحامية ستكون مصدر خطر على السفن المارة بين كمران وساحل الجزيرة العربية، ولذا تقدم باتجاه هذا المركز وطلب من قائد الحامية الإستسلام فرفض، فبدأت السفينة البريطانية "امبرس أوف رشا" بإطلاق مقذوفاتها على مواقع المدافع العثمانية واستعد قائد الحملة {المقيم} للنزول فى هذا الموقع إلا أنه اكتشف قرية أخرى وبعض المواقع العثمانية مما

يوحي بقوة التمركز العثماني فى هذه المواقع، ولذا قرر القائد العودة إلى كمران والإكتفاء بضرب المنطقة بالسفينتين امبرس أوف رشا وامبرس أوف جابان "Empress of Japan". وتجدر الإشارة إلى أن السلطات البريطانية علمت بوجود ستة بريطانيين من العاملين فى الدائرة العثمانية لأعمال إستخراج الملح فى هذا المركز، احتجزوا كرهائن ورغم أن المقيم حاول أثناء هجومه على الصليف تخليصهم إلا أن فشل عملية الاستيلاء عليها حال دون ذلك.

في هذه الأثناء تلقى قائد عمليات احتلال الجزر (المقيم) برقيات عن الحادثة التي تعرضت لها السفينة البريطانية مينتو "Minto" بعد جنوحها فى منطقة رملية أمام اللحيه وعجزها عن الانسحاب ومن ثم تعرضها لنيران المدافع العثمانية، وكانت هذه السفينة بانتظار وصول قوات الأدريسي لمساعدته فى الهجوم على ميناء اللحيه... ولذا أمر الجنرال شو بصفته قائد عملية احتلال الجزر السفينة البريطانية امبرس أوف رشا للتوجه إلى اللحيه...

تم الوصول إلى اللحيه فى ١٠يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ ووجدت السفينة مينتو قد نجت بعد أضرار بسيطة على الرغم من تعرضها لحوالي أربعمائة طلقة عثمانية، ووصلت بعد ذلك أربع مراكب تابعة للأدريسي لحصار ميناء اللحيه فى انتظار وصول جيش الأدريسي.

ولما كانت قدرة السفينة مينتو والسفينة الأخرى إنتر برايز "Enterprise" على الوصول إلى النقاط القريبة من شاطئ اللحيه أكثر من السفينة "امبرس أوف رشا" فقد أمرت هاتان السفينتان بالاقتراب قدر المستطاع من الميناء لضرب مواقع المدفعية العثمانية ومساعدة القوات الأدريسية والانتقام لضرب السفينة مينتو... وأمر القائد شو بإطلاق مدافع السفينة البريطانية مما أحدث بعض الحرائق فى أحد الأحياء القريبة من ميناء مدينة اللحيه، وأثناء انتظار الجنرال شو لوصول القوات الأدريسية أمر قائد السفينة امبرس أوف رشا بإطلاق المدافع على بعض المواقع فى اللحيه والتى حددها بعض رجال الأدريسي حيث اشتعلت النار فى مستودع للزيت.

وعندما تأكد الجنرال شو أن قوات الأدريسي لن تصل فى اليوم التالى كما كان

متوقعاً، فقد أبحر إلى كمران فى صباح ١١ يونيو١٩١٥م/١٣٣٣هـ لإنزال بقية القوات فى كمران، حيث تم إنزالها وتأمين الغذاء الكافي لها لمدة شهر... ولما كان من الضروري حماية آلات تحلية مياه البحر{الكنداسات} ومعسكرات الحجاج فقد احتل البريطانيين معسكرات الحجاج القريبة من الكنداسات والميناء والتى كانت أيضاً مواقع جيدة للدفاع... وبعد انتهاء هذه العمليات بدأ القائد البريطانى {المقيم} فى تكوين الإدارة المؤقتة لإدارة الجزر ووضع الترتيبات اللازمة لإدارة الجزر، ثم تقدم بالسفينة امبرس أوف رشا إلى اللحيه التى بلغها فى صباح يوم ١٢ يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ ولم يتلق المقيم أي أنباء عن وصول قوات الأدريسي... ولما لم تصل أنباء أخرى فى اليوم التالي فقد غادر اللحيه متوجهاً إلى عدن لأهمية وجوده فى مركزه ومر فى طريقه بجزيرة كمران حيث التقى بموظفي المحجر الصحى وبعض العرب القاطنين هناك وقدمهم إلى الرائد فيلوز الذى عين مسئولاً عن إدارة الجزر. ومن ثم غادر المقيم إلى عدن التى وصلها صباح يوم ١٤يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣ه(١).

وقد ألحق بالتقرير قائمة بأسماء الموظفين العثمانيين المأسورين، وبيان للقوات عن جغرافية الجزر ومعالمها، وملحق بالأوامر الخاصة بإنشاء الحكومة المؤقتة لحانش وزقر وكمران، رغم أن الجزيرتين الأوليين لا يقطن بها أحد، حيث تم إعلان الأحكام العرفية بكمران وتحذير الأهالي من التعاون أو الاتصال بالأعداء، وأخيراً ملحق بخرائط توضيحية للجزر.

وتبدو الحقائق التالية من خلال هذا التقرير الوافي الذى قدمه المقيم ومن أهمها:-

- أن قيادة القوات البريطانية لاحتلال الجزر قد أُسندت إلى المقيم فى عدن بصفته أحد العسكريين القادرين على تولي هذه المهمة ولمعرفته الدقيقة بأحوال هذه الأماكن، ولحماسه الشخصي فى الإسراع باحتلال هذه الجزر.

---

(١) (PRO) FO 371/2490, Confidential Report by Major-General D.G.L. Shaw, Commanding Aden Brigade, on the Occupation of the Islands of Hanish, Zukur, and Camaran in the Red Sea, June 1915.

- نجاح القوات البريطانية فى احتلال جزر كمران يعد مكسباً عسكرياً للسيطرة على بقية الموانئ اليمنية ومراقبتها، ومنع وصول الإمدادات إلى القوات العثمانية.
- أن ثمار المعاهدة مع الأدريسي بدأت تعطي نتائجها، بعد التنسيق بينه وبين القوات البريطانية بواسطة سفنها، إلا أن عملية توجه قائد قوات إحتلال الجزر {المقيم} إلى اللحيه وأمره بضربها، لم يكن فى مخططه مما عطل التنسيق السابق بين الإنجليز والأدريسي، وذهب المقيم لمساعدة السفينة "مينتو" التى كان مُناطاً بها مساعدة قوات الأدريسي، فلو نجحت السفينة "مينتو" فى مهمتها لما تقدم هذا القائد بالسفينة "امبرس أوف رشا" إلى اللحيه لضربها على الأرجح.
- إن اختيار القوات البريطانية لاحتلال المواقع الدفاعية الهامة فى كمران وضربهم للصليف وإعلانهم الأحكام العرفية فى الجزيرة، يؤكد المرامي الحقيقية لاحتلال الجزيرة، وليس لتسهيل مواصلات الحجاج.

وقد ذكر العقيلي أن القوات الأدريسية التى هاجمت اللحيه كانت بقيادة مصطفى بن عبد المتعال الأدريسي وفق الترتيب التالي :-

- القسم الأول بطريق الساحل ووجهته عطن اللحيه بقيادة أحمد الحازمي
- الطريق الثاني بطريق الخبت الساحلي ووجهته ديرحسين بقيادة الحسن بن أحمد بن ابى مسمار... حيث وصلت القوات إلى أهدافها واستولى الجيش الأول على مدينة اللحيه بمساعدة الأسطول البريطاني، ولكن العثمانيين بقيادة غالب بك جندوا رجال القبائل الموالية وتقدموا إلى المعسكر الأدريسى فى دير حسين واستولوا على ما فيه من ذخائر ومؤن بعد هزيمة الأدارسه، ثم استولوا على معسكر الأدارسه فى العطن بعد انسحاب الجيش الأدريسي منه إلى ميدى، والتجأ مصطفى الأدريسي إلى الأسطول البريطانى[1].

ورغم هزيمة جيوش الإدريسي، إلا أن تحركات الأدريسي باتجاه اللحيه أجبرت القيادة العثمانية على حد زعم المقيم فى عدن على إرسال قوات عثمانية من القوات

---

(١) العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ٢، ص ٧٢٨-٧٣٠.

المتجمعة حول تعز إلى الشمال خوفاً من الأدريسي[1]. وهذا بالتالي يخفف وطأة القوات العثمانية المتمركزة على حدود المحميات والتى تخشى السلطات البريطانية أن تتقدم باتجاه عدن.

ولما رأى البريطانيين فاعلية الأدريسي واشتراكه فى عمليات عسكرية ضد العثمانيين {رغم فشله} وافقوا على زيادة إمداده بالأسلحة والمعدات الحربية {إنجليزية وفرنسية وإيطالية}، كما قرروا إهداءه مجموعة من الأسلحة العثمانية التى غنموها فى ميدان العراق[2].

العمليات العسكرية فى المحميات :

وفى ٥ يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أفاد مساعد المقيم فى جزيرة بيريم الواقعة على باب المندب عن وصول معلومات إليه عن مغادرة حوالي ألف وستمائة جندى عثماني قرية الشيخ سعيد إلى الضالع بناءً على أوامر من القيادة العثمانية فى تعز، حيث لم يبق سوى أربعمائة جندى فى الشيخ سعيد[3].

وفى ١٢ يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أبرق المقيم إلى حكومة بومباي بالمعلومات التالية :-

- أن الشيخ أحمد نعمان قائمقام الحجرية التابعة للعثمانيين قد قتل هو وأبنه وعمه بعد خلاف محلي مع بعض عرب المنطقة.
- أن محمد ناصر مقبل {مافيا} قد رجع إلى مقره فى ماويه بعد أن احتل الضالع بقواته، إثر مرضه حيث يعالج بواسطة أثنين من الأطباء العثمانيين هناك.

---

(١) (PRO) FO 371/2479, From the Resident at Aden, 8th, June 1915

(٢) Same Series and Vol, From Viceroy to Secretary of State for India, 18th, June 1915.

(٣) (PRO) FO 371/2489, From Resident at Aden, to Secretary to govern-of Bombay, 5th, June 1915.

- محاولة إغتيال الأمير نصر أمير الضالع، حيث جرح بواسطة أحد إخوته.
- وصول ابن شيخ قبيلة الزرانيق القريبة من الحديدة إلى عدن مع بعض المشايخ طلباً للحماية البريطانية والمال والسلاح لقتال العثمانيين وهذه القبيلة على خلاف مستمر مع العثمانيين.
- قدوم سلطان الحواشب إلى عدن بعد وصول القوات العثمانية إلى ماويه، في حين أرسل سلطان لحج العبدلي بعض قواته إلى حدود لحج[1].

هذه المعلومات تشير إلى تأثر نواحي المحميات - ومايليها من البلاد الداخلة في النفوذ العثماني أي في المناطق الحدودية بين مناطق نفوذ البلدين - بالصراع بين الدولتين، كما يظهر تقدم العثمانيين باتجاه المحميات حيث استولوا على الضالع بواسطة القائمقام محمد ناصر مقبل، وعلى ماويه مركز هذا الرجل الذى دخل قبل شهور فى إتفاقية مع الإنجليز رغم تبعيته للعثمانيين، ألا أنه لم تظهر أى بوادر حتى الآن لقيامه ضد العثمانيين بموجب الإتفاقية مع الإنجليز، بدليل خضوعه لعلاج أطباء عثمانيين أثناء مرضه.

وقد أورد العبدلي جانباً من هذه المعلومات، عن وصول السلطان علي مانع الحوشبي بنفسه إلى عدن فى رجب ١٣٣٣هـ/١٩١٥م طامعاً فى حماية حكومة عدن لبلاده بمقتضى المعاهدات، ولكنه ذكر قبل ذلك أن السلطان الحوشبي لما بلغته أنباء وصول القوات العثمانية أرسل مندوباً من قبله لتقديم الطاعة للعثمانيين، ثم ذكر وصول العساكر العثمانية والقبائل اليمانية إلى ماويه فى أطراف الحدود مما دعا السلطان علي بن أحمد سلطان لحج إلى توجيه فرقة من العبادل والعوالق وأهل شمعه إلى الدكيم[2].

وفي ١٣يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ توقع المقيم حسب المعلومات التى وصلت إليه،

---

(١) Same Series and Vol, From Resident at Aden to Bombay, 12th, June 1915.

(٢) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٣.

وصول القوات العثمانية إلى الدريجة، ولذا قابل سلطان لحج واتفقا على إرسال قوات من عدن، حيث ستغادر بالفعل هذه القوات عدن في ١٤يونيو ١٩١٥م(١).

وفي منتصف شهر يونيو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ وقعت محاولتان عثمانيتان للنزول في بيريم في مدخل البحر الأحمر الجنوبي الداخلة في النفوذ البريطاني، ودمر العثمانيون في هذه المحاولات الحصن والفنار البحري الموجودين في هذه الجزيرة، وعلى الفور تم إبلاغ السفن البريطانية في البحر الأحمر، حيث وصلت بالفعل سفينة "امبرس أوف جابان"(٢).

وكان الضابط السياسي التابع لدورية البحر الأحمر الجنوبي ريتشاردسون G.A. Richardson، قد ضمّن تقريره السابق الذي قدمه إلى المقيم في مارس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ ما يشير إلى استعداد على سعيد باشا لتسليح خمسة عشر مركباً من {الداوات} للهجوم على جزيرة بيريم(٣).

هذا الهجوم العثماني على جزيرة بيريم ذات الموقع الهام، يوضح مدى الخطر الكبير الذي بدأ يواجه الإنجليز في عدن، بخطر موجه من البحر عن طريق هذه الجزيرة وخطر من الداخل عن طريق التقدم صوب المحميات وعدن. وليست الخطورة على عدن فحسب إذ أن الهجوم العثماني في فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ على قناة السويس أظهر مدى التهديد الذي واجه الإنجليز في البحر الأحمر طريق مواصلاتهم الهام إلى الهند.

وفي ٣ يوليو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ وصلت الأنباء بانطلاق العثمانيين من ماويه باتجاه المحميات، حيث وصلوا الدريجه مع قوات متقدمه إلى المليح وحبيل ماشويده، وتقدر هذه القوة بستمائة جندي عثماني وأربعمائة من عرب المنطقة ولذا أمر المقيم في

---

(١) (PRO) FO 371/2478, From Resident at aden, 13th, June, 1915.

(٢) Same Series and Vol., From Viceroy, 16th, June 1915.

(٣) Same Series and Vol., Notes on the Condition of Turkish Yemen, Op., cit.

عدن فرقة إنجليزية للتوجه إلى الشيخ عثمان في ٣ يوليو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ[١].

وذكر العبدلي أن سلطان لحج أرسل جميع العبادل إلى الدكيم في ٣ شعبان ١٣٣٣هـ، وحشد حوالي ألفي مقاتل وأرسلت عدن فرقة عسكرية بقيادة السردار ملك دادخان الهندى "ثم سحبتهم إلى لحج وابقوا من طرفهم نفراً للمخابرة بالهليو"[٢].

وعندما كان العبادله في الدكيم، وصلتهم الأخبار بقرب وصول العثمانيين إليهم ولم يكن موقفهم مشجعاً إذ لم تصل إمدادات من عدن إلى الدكيم، وبدأ بعض مشايخ هذه النواحي بالإنضواء تحت راية العثمانيين كسلطاني الحوشبي والفضلي[٣].

وفي ٥ يوليو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ جاءت التقارير إلى عدن باستيلاء العثمانيين على الدكيم وبتشتت أتباع العبادل المرتزقة ما عدا ثلاثمائة رجل تقريباً. ولذا تحرك طابور عسكري من الشيخ عثمان لمساعدة لحج[٤].

وإلى هذه الحادثة أشار العبدلي بقوله "وفي يوم السبت ٢١ شعبان ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م هاجمنا الأتراك في الدكيم بعدد عظيم من قبائل اليمن العثمانيين والحواشب والأصابح والجنود النظامية التركية فلم نقو على دفعهم لكثرة عَددهم وعُددهم... ولما أبطأت مساعدة عدن أبلغ السلطان حكومة عدن إنهزام عسكره في الدكيم وأنه سيصبح بيته غداً تحت وابل قنابل مدافع الأتراك فأجابوا أنهم سيرسلون غدا من يصل إلى لحج لأجل تغزير مياه الآبار. ولكنهم عادوا فأرسلوا فرقة من عسكرهم باتت في الشيخ عثمان وبكرت يوم ٢٢ شعبان إلى لحج"[٥]، ويلاحظ هنا تطابق المعلومات بين الوثائق البريطانية وماذكره العبدلي حيث لم تتحرك الفرقة الإنجليزية من عدن إلا بعد الإستيلاء على الدكيم.

ويصف العبدلي دخول العثمانيين إلى عاصمة لحج "وفي الساعة الرابعة بعد

---

(١) (PRO) FO 371/2489, From Viceroy, 3rd July, 1915.

(٢) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١٤-٢١٥.

(٤) (PRO) FO 371/2489, From Viceroy, 5th, July, 1915.

(٥) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٦-٢١٧.

العصر {يوم الأحد ٢٢شعبان ١٣٣٣هـ} هاجم الأتراك مدينة الحوطة وأطلقوا عليها المدافع واحتدم القتال بين الطرفين وكان قد وصل إلى المدينة جانب من العسكر الهنود والبريطانيين لمساعدة سلطان لحج ولكنهم مع الأسف وصلوا بعد فوات الوقت ولم يتمكنوا من إيصال مدافعهم ولوازمهم... ودخل الأتراك والعرب الجانب الغربي من مدينة الحوطة نحو الساعة العاشرة من ليلة الأثنين واستدام الكفاح في الجانب الشرقي إلى قبيل الصباح وخرج السلطان علي بن أحمد بن علي قبل الفجر فمرّ بكمين من الهنود ظنوه من الأعداء فأصابوه بسبع رصاصات وقتلوا فرسه وأُعيد مجروحاً إلى القصر وبقي فيه إلى بعد شروق الشمس حيث أخرجه من بقى من العسكر محمولاً على الأكتاف، وكان الأتراك وأعوانهم من العرب يرمونهم بالبنادق من أطراف المدينة فأصابوا بعض الذين يحملونه بجروح خفيفة وساروا به على تلك الحالة إلى قرب الرباط حيث إلتقته سيارة حملته إلى عدن... وكان عدد أعوان الأتراك من العرب لا يقل عن ستة آلاف مقاتل ينقسمون إلى جملة فرق :-

الأولى : تحت قيادة القائمقام محمد ناصر باشا وهم قبائل قضاء القماعره.

الثانية : تحت قيادة السيد أحمد باشا وهم قبائل حوالي تعز ومن جبل صبر.

الثالثة : تحت قيادة عبد الله بن يحيى وهم قبائل الضباب وجبل حبشي.

الرابعة : تحت قيادة القائمقام يوسف حسن وهم قبائل قضاء العدين.

الخامسة : تحت قيادة القائمقام إلياس بك وهم قبائل إب وجبله ونواحيهما.

السادسة : تحت قيادة القائمقام عبد القادر نعمان وهم قبائل الحجرية... والفرقة السابعة : تحت قيادة السلطان على مانع الحوشبي وهم قبائل الحواشب... ويلحق بالعرب الطابور الملي قدر أربعمائة نفر... ومع هؤلاء لفيف من الأصابح ويافع وفوق ذلك قوة نظامية تقدر بنحو ألفين وثلاثمائة عسكري أتراكاً وشواماً ..وكان مجموع الجنود المهاجمة من الباشبوزك والنظام فوق ثمانية آلاف... "[1].

---

(١) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٧-٢١٩.

أما تشكيلات الجنود العثمانية فعلى النسق التالى حسب رواية العبدلي[1].

- {الطوابير]	١، ٢، ٣ من آلاى ١١٦}	بقيادة القائمقام سامي بك في الجناح الأيمن
- {الطوابير]	١، ٢، ٣ من آلاى ١١٨}	
- {الطوابير]	١، ٢، ٣ من آلاى ١١٥}	تحت قيادة القائمقام رؤوف بك في القلب.
- {الطابـور]	٣ من آلاى ١١٩ }	
- {الطوابير]	١، ٢، ٣ من آلاى ١١٧}	
- {الطابـور]	١ من آلاى ١١٩ }	تحت قيادة محمد حسنى بك فى الجناح الأيسر.
- {بلـوكـين }	من آلاى ١٢٠ }	

أما الوثائق البريطانية فقد أوضحت تشكيلات العثمانيين على النحو التالي حسب إفادة المقيم[2] فى عدن.

(- ثلاث كتائب من الفوج ١١٥

(- كتيبتين من الفوج ١١٦

لحـج (- سرية مشاة جبلية

(- أربعة آلاف من العرب

(- عشر مدافع جبلية

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٨-٢١٩.

(٢) (PRO) FO 3712489, From Viceroy 11th, July 1915.

ماويه (- الكتيبة الأولي من الفوج ١١٨

تعـز (- ثلاث كتائب من الفوج ١١٧

بينمـا أشـارت تقـارير أخـرى من عـدن، وفق المعلومـات الى أخـذوها من بعض الأسرى العثمانيين، أن قائد عمليات لحج هـو سعيد باشا، وأن محمد بن ناصر مقبل {مافيا} قد حضر الغزو ولكنه لم يشترك فى القتال، كما اعترف الرائد رؤوف بك قائد الفوج ١١٥ الذي أُسر فى العمليات العثمانية أن هناك خمسة وثلاثون كتيبة {طابوراً} فى اليمن كل واحدة منها حوالي ٤٢٥ رجلاً معظمهم من سوريا[١]، كما ذكر ضابط آخر أسير أن لدى العثمانيين سرية مدافع فى لحج، وأخرى فى صنعاء، وثالثة في صعده، ويشير هذا التقرير إلى أن الإمام يحيى لم يقم بدور فعال مع العثمانيين، فى حين تقف القوات العثمانية فى لحج بانتظار وصول مزيد من السلاح الثقيل للتقدم نحو عدن لتدميرها[٢].

ومن خلال المصادر العربية والإنجليزية التى عرضناها فيما يختص بأعداد القوات المهاجمة يتضح مدى التقارب النسبي بين بياناتها، كما أن اشتراك العرب في هذا الهجوم كان كبيراً مما يدل على نجاح العثمانيين فى اجتذابهم. وكان للنتائج التي حققها العثمانيون باستيلائهم على لحج، أن بدأت أعداد كبيرة من العرب تنضم إليهم يومياً وفق ما ذكرته بعض الوثائق البريطانية[٣].

أما سلطان لحج العبدلي فقد نقل إلى عدن ومعه بعض جنوده ورجال قبيلته[٤]، وكلف ملك بريطانيا وزير الهند ليبلغ نائب الملك فى الهند بنقل رسالة شخصية من الملك إلى سلطان لحج عن تقدير جلالته لإخلاصه وولائه وأسفه على الحادث الأليم الذى

---

(١) استعمال عبارة "العثمانيون" أدق وأصح من عبارة الأتراك لوجود عناصر متعددة منها العربية داخل هذا الإطار، وهذا ماجعلنا نلتزم بهذه العبارة طيلة البحث.

(٢) (PRO) FO 371/2489, From Viceroy, 13th, July 1915.

(٣) Same Series and Vol., From Viceroy, 12th, July, 1915.

(٤) Same Series and Vol., From Resident at Aden, 13th, July, 1915.

تعرض له، ومع تمنياته له بالشفاء العاجل[1] ، ولكن قبل أن يتم شيء من ذلك توفي السلطان علي بن أحمد بعد عملية أجريت له في يوم ١٣يوليو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ الساعة الثامنة مساء، وأبلغ المقيم رسالة ملك بريطانيا إلى أكبر أبنائه[2].

وفي ١٤يوليو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، أفاد المقيم في عدن أن كبار عائلة البيت العبدلي قد عقدوا اجتماعاً في عدن اختاروا فيه عبد الكريم بن فضل بن علي ابن عم السلطان المتوفى سلطاناً جديداً على لحج، وقد أيد المقيم هذا الاختيار وكتب إلى حكومته بالموافقة على ذلك، وبمواصلة دفع المخصصات المالية المقررة[3].

وإلى ذلك أشار العبدلي بقوله "وفي ليلة الأربعاء غرة شهر رمضان ١٣٣٣هـ توفي السلطان علي بن أحمد بن علي وخلفه ابن عمه السلطان عبد الكريم فضل بن علي[4].

وقد وافقت حكومة الهند على تعيين عبد الكريم فضل، وبدفع مخصصات العبدلي الشهرية والبالغة ١٦٤١ ريالاً شهرياً[5].

وتجدر الإشارة إلى ان العثمانيين وصلوا إلى الشيخ عثمان القريبة جداً من عدن واستولوا عليها بعد أن هاجمها بعض العرب من أهاليها وغيرهم، إلى أن استعادها البريطانيون بعد ذلك بأيام في ٩رمضان ١٣٣٣هـ[6]. وكان المقيم قد كتب تقريراً إلى حكومة الهند عن قطع قناة إمداد المياه التي تغذي عدن من قرية الشيخ عثمان، بحيث أصبحت ندرة المياه في عدن تشكل خطراً كبيرا[7]. مما يشير إلى أن تلك العملية وقعت

---

(١) Same Series and Vol., From Secretary of State to Viceroy 13th, July, 1915.

(٢) Same Series and Vol., From Resident, Aden, 14th, July, 1915

(٣) Same Series and Vol., From Resident, Aden, 14th, July, 1915.

(٤) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢١.

(٥) (PRO) FO 371/2489, From Viceroy 24th, July. 1915.

(٦) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٧) Same Series and Vol., From Viceroy, 11th, July 1915.

بعد وصول القوة العثمانية إلى الشيخ عثمان كتهديد مباشر وفعال ضد الإنجليز فى عدن.

وكان من الطبيعى أن تتحرك السلطات البريطانية بعد استيلاء العثمانيين على لحج، السلطنة الموالية لعدن والتى أثبت سلطانيها ولاءً مستمراً للإنجليز فى عدن وكانوا واسطة الاتصال بين السلطات فى عدن ومشايخ وسلاطين القبائل والبلاد المحيطة بعدن ولم تكن هذه السلطنة لتمثل هذا الدور فقط، بل إن موقعها يعتبر خطاً دفاعياً أول عن عدن، وبالتالي فإن فقدانها يعني وقوع عدن تحت التهديد المباشر ووقوفها موقف الدفاع.

ومن مظاهر التحرك البريطاني، التقرير الطويل الذى كتبه ماركس سايكس وقدمه إلى مدير العمليات العسكرية فى وزارة الحرب البريطانية فى٢٣يوليو ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ حيث استهله بخبر وصوله إلى عدن فى ٢١يوليو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ فى اليوم الذي تم فيه استعادة قرية الشيخ عثمان بعد طرد العثمانيين والعرب منها باتجاه لحج. ثم تطرق التقرير إلى الموضوعات العسكرية والسياسية التالية عن عدن والمحميات: أشار التقرير إلى الآثار السيئة للتكتم على سير الأحداث فى المحميات على مصر والمناطق الساحلية للبحر الأحمر. في حين كانت الشائعات التى انتشرت بعد إذاعة الأخبار الأولى عن تقدم العثمانيين واستيلائهم على لحج في غاية الخطورة فكل الذين قابلهم ماركس سايكس سواءً من البريطانيين أو السكان المحليين تخيلوا أن عدن نفسها كانت مهددة بشكل خطير، ولم يعرفوا من المسألة إلا انسحاب الجيش البريطاني أمام العثمانيين وسخط ونفور العرب وتأرجح ولائهم، ووصول الجيش العثماني إلى مسافة قصيرة من عدن ثم وصول تعزيزات بريطانية من مصر. ولذا ذكر سايكس أن الوضع فى عدن كان خطيراً بشكل فاق التصور، واقترح سايكس نشر بلاغ عن الحالة الحقيقية للوضع بعد إستيلاء العثمانيين على لحج، لإضاعة الفرصة على العثمانيين الذين بدأوا فى استغلال هذا الموقف المربك بالنسبة لبريطانيا فى دعم معنوياتهم...

زار سايكس الأسرى العثمانيين وتحرى أحوالهم وعرف أنهم قد قاتلوا ضد

بريطانيا كجنود مسلمين لقوة مسلمة وكان رؤوف بك الذى أُسر فى لحج قبيل الإنسحاب البريطانى، من أبرز الأسرى فهو من عائلة بغدادية ذات أصل تركي. ومن خلال الحديث معه ذكر رؤوف بك أنه في حالة هزيمة العثمانيين سيعلن العراقيون استقلالهم تحت قيادة خليفة قرشي، واقترح أن يعين العثمانيون ابن رشيد حاكما على العراق وقد اقترح سايكس معاملة هؤلاء معاملة طيبة فربما يصبحون يوماً تحت النفوذ البريطاني.

أما عن الوضع السياسى فيرى مارك سايكس أن من الخطأ الدخول فى عمليات عسكرية فيما وراء الشيخ عثمان حيث تكفي القوات الموجودة فى عدن لحماية عدن والشيخ عثمان دون الخروج إلى المحميات وأعاد مرة أخرى المطالب بربط عدن بالسياسة البريطانية فى مصر وليس الهند خاصة أن العثمانيين يعملون ضد مصر وعدن فى وقت واحد[1].

ومن مظاهر التحرك البريطاني ما ذكره العبدلي من وصول الجنرال ينج هزبند بقوة من السويس نزلت من المراكب واسترجعت الشيخ عثمان[2].

ومن مظاهره نقل المقيم فى عدن الجنرال شو إلى جهة أخرى وتعيين الجنرال جورج ينج هزبند G. Young Husband مقيماً فى عدن، ويشير الريحاني إلى أنه بعد تعيين السلطان عبد الكريم خلفاً لسلطان لحج السابق كان أول أعماله الاحتجاج على بريطانيا لأنها لم تقم بواجب المعاهدة بينها وبين أجداداه، فقبلت بريطانيا الاحتجاج وعزلت حاكم عدن [المقيم] وقائد الحامية فيها[3] ، إلا أن الأمر يبدو لى أن نقل المقيم الجنرال شو ليس بسبب إحتجاج السلطان عبد الكريم بدليل أن الجنرال شو هو الذى طلب موافقة حكومة الهند على تعيينه سلطاناً جديداً على لحج مما يقتضي معه اجتماع الطرفين مرات عديدة للتباحث حو الموضوع، وقد يكون السبب الحقيقي هو

---

(١) (PRO) FO 371/2486, To C.E. Callwell, Derector of Military Operation, W.O, By Marks Sykes, Aden July 23rd, 1915.

(٢) العبدلى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢١.

(٣) الريحاني، ملوك العرب، ص ٤٣٠-٤٣١.

محاسبة الجنرال شو على هزيمة البريطانيين فى لحج بصفته قائداً عسكرياً أخفق في هزيمة عدوه، رغم أن هذا المقيم لم يألو جهداً فى المطالبة بتقوية عدن وارسال تعزيزات عسكرية طيلة الأشهر الماضية.

ومن مظاهر التحرك البريطاني بعد استيلاء العثمانيين على لحج، إقتراح هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم السياسى فى عدن فى مذكرة رفعها إلى السلطات البريطانية، بمد السكك الحديدية من عدن إلى الداخل فى المحميات للمحافظة على النفوذ البريطاني في المحميات بل وزيادته، ولتوسيع التبادل التجارى معها وفتح منافذ جديدة لإمداد عدن بالغذاء التى تعتمد على ما يصل إليها عن طريق البحر، وأشار جاكوب أن هذه السكك الحديدية لو كانت موجودة من قبل لما تمكن العثمانيون من الاستيلاء على لحج لسهولة إنقاذها بالنجدات من عدن. كما اقترح تجنيد عدد من العرب الراغبين فى الإرتزاق من الجندية حيث إستشهد بوجود بعض العرب الذين يعملون عساكر فى مقديشو بالصومال، والعدد المقترح بين مائتين وثلاثمائة رجل إستعداداً للطوارئ، كما اقترح فتح مدرسة فى عدن لأبناء سلاطين ومشايخ المنطقة، حيث يمكن زرع الولاء لبريطانيا لدى هؤلاء، وأخيرا يقترح إرسال البعثات الطبية إلى المحميات وفق ما كان سابقاً عند ما فتح أحد أطباء المنصرين فى جمعية الكنيسة التنصيرية عيادة فى الضالع أغلقها العثمانيون قبل الحرب[1]. كل هذه الإجراءات التي نفذت والتى اقترحت كان إستجابة سريعة للإخفاق البريطاني، كما يلاحظ على مقترحات جاكوب التخطيط للمدى الطويل فى سياسته المقترحة وفق التخطيط الصليبى الذى يعتمد على التعليم والصحة.

ويمكن أن نوجز أسباب الإخفاق البريطانى والانتصار العثماني فى لحج بما يلى:-

١- انضمام مجموعات من عرب هذه النواحى إلى العثمانين فى غزو لحج فبالإضافة

(١) (PRO) FO 371/2479, Memorandum on the Political Policy of Our Hinterland. by H.F. Jacob, First Assistant resedent at Aden, 9th, September 1915.

إلى ما ذكرناه سابقاً من أقوال العبدلي والمقيم، لفت إنتباه المقيم انضمام بعض مشايخ المنطقة إلى العثمانيين، حيث اشترك بالفعل في الهجوم سلطان الحوشبي وشيخ الأزرقي وبعض مشايخ يافع، وبعض الصبيحه وعرب الحجريه، ولم يكتف العثمانيون بذلك بل إجتمع سلطان الفضلي بسعيد باشا قائد القوات العثمانية في لحج وأخذ يدعو عرب المحميات للقدوم والإتفاق على الصداقة[1].

٢- حسب رواية بعض المصادر الإنجليزية فإن شدة حرارة الجو التى قابلت النجدة القادمة من عدن رغم وصول بعضها إلى لحج، ثم فرار العرب المستأجرين لحمل المؤن والذخائر من عدن على ظهور الجمال، إذ لم ترافقهم قوات أو مرافقين من قبل السلطات البريطانية فغنموها بعد بداية القتال، ففقد قائد القوة القادمة من عدن الماء والغذاء في الوقت الذى يعاني فيه جيشه من شدة الحر، فقرر الإنسحاب بقواته إلى عدن لضمان تأمينها[2] ، بينما ذكر الريحاني بالإضافة إلى ذلك سبباً آخر سمعه في عدن بعد ذلك وهو عصيان الجنود الهنود لضباطهم، لأنهم كرهوا أن يحاربوا إخوانهم المسلمين[3]. في حين ذكر العبدلي الحادثة بقوله "وكان قد وصل إلى المدينة جانب من العسكر الهنود والبريطانيين لمساعدة سلطان لحج ولكنهم مع الأسف وصلوا بعد فوات الوقت ولم يتمكنوا من إيصال مدافهم ولوازمهم"[4].

٣- ما أشار إليه هارولد جاكوب من صعوبة المواصلات بين لحج وعدن حيث لا توجد سكة حديدية بينهما، فتأخر وصول النجدات إلى لحج.

٤- لعل السبب المباشر في انتصار العثمانيين دعوة الجهاد التى نشروها ورافقت تحركاتهم باتجاه لحج، وقد ذكر العبدلي بعد سياقه لقادة الفرق المهاجمة بقوله

---

(١) (PRO) FO 371/2489, From Resident, Aden, 13th, July, 1915.

(٢) Macmunn, G. and Falls, C., Op. Cit., 222-223.

(٣) الريحاني، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣٠.

(٤) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٧.

وقد "أطلق عليهم المجاهدون لقب رؤساء المجاهدين"[1].

أما أساس فكرة الاستيلاء على لحج وهل هي المقصودة بحد ذاتها أو عدن أو كليهما معاً، فيمكن مناقشتها على النحو التالي :

- لم يكن البريطانيون يجهلون مدى الإستعدادات العثمانية والتحركات التي يقومون بها على طول حدودهم مع محمية عدن، وخاصة ما يتعلق بالهجوم في اتجاه لحج وعدن، بل عرفوا أكثر من ذلك أصحاب فكرة هذا الهجوم والمؤيدين والمعارضين له، إذا صحت المعلومات التى دونها بعض القادة الإنجليز عن حالة العثمانيين في اليمن العسكرية والسياسية والإقتصادية والذي قدّم إلى المقيم فى مارس ١٩١٥م، وسبقت الإشارة إليه حيث يذكر ذلك التقرير أن علي سعيد باشا هو صاحب الفكرة رغم عدم تأييد الوالي وقائد الفيلق العثماني له.

وقد ذكر العبدلى ما يؤيد مثل ذلك بقوله "وقال لي بعضهم أن علي سعيد باشا هو الذي أشار بمهاجمة لحج والاستيلاء عليها لأنه خشي أن يتعطل الفيلق فى اليمن ولا تكفيه حاصلات اليمن المحصورة فيموت جوعاً فرأى أن يستولى على لحج المشهورة بكثرة حبوبها وأرزاقها فى اليمن لضم حاصلاتها إلى حاصلات اليمن لسد حاجة الفيلق وعائلات الضباط"[2]. ويشير قبل ذلك إلى لقاء أحد أمراء العبادلة "الصنو محسن" بوفد المشايخ الذى أرسله العثمانيون لإقناع سلطان لحج بالانضمام إليهم بما يفيد بأنه "ليس فى وسع الأتراك العدول عن مهاجمة عدن لأنه وصلتهم أوامر مشددة من أنور {وزير الحربية العثمانى} أن يقلقوا راحة الإنجليز فى عدن ويجبروهم على إرسال عسكر إليها وأن يشغلوهم فى اليمن بقدر الإمكان وكأنهم أرادوا بذلك أن يشغلو في عدن جانباً من المدد الذى يظنون أن الهند سترسله إلى السويس لكبح جماح حملة أحمد جمال باشا على مصر"[3].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٢) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١٠-٢١١.

أي أن هناك قولان في موضوع المشروع العثماني لغزو لحج وعدن :

- أن الفكرة أساساً تطبيق لخطة عثمانية مرسومة في إستانبول لتنفيذ عمليتين متزامنتين لضرب الإنجليز فى عدن وقناة السويس.
- أو أن هذا المشروع تبناه علي سعيد باشا قائد القوات العثمانية فى لواء تعز كفكرة ليس لها إرتباط بالسياسة العثمانية العامة وإنما إجراء عسكري من قبل العثمانيين فى اليمن فقط.

وأساس الفرق بين القولين هو، مدى نية العثمانيين فى غزو لحج وحدها أو عدن أو كليهما معا، إذ يؤيد العبدلى غزو لحج بقوله "هكذا تظاهر الاتراك بأنهم يقصدون إلى مهاجمة عدن. ولكن السلطان علي بن أحمد {سلطان لحج} أدرك أنهم ما كانوا يقصدون إلا الإستيلاء على لحج فقط"[1].

ومن خلال إستعراض عملية الاستيلاء العثماني على لحج، يمكن ترجيح القول بنية العثمانيين فى الهجوم على لحج وعدن ومحاولة الاستيلاء عليهما للأسباب التالية:-

- تحركات القوات العثمانية قبيل وبعد إعلان الحرب بين الدولتين باتجاه قناة السويس وفق ما أشرنا إليه في الفصل الخاص بمصر، ورافق هذه تحركات مماثلة في جنوب اليمن مما يشير إلى أن النية كانت الإمساك بمدخلي البحر الأحمر الشمالي والجنوبي.
- المحاولة العثمانية للنزول في جزيرة بيريم فى مدخل البحر الأحمر الجنوبي.
- إشارة بعض التقارير البريطانية إلى إنتظار العثمانيين لمزيد من السلاح بعد دخولهم لحج إستعداداً للهجوم على عدن.
- الهجوم على الشيخ عثمان القريبة جداً من عدن وقطع إمدادات المياه عن عدن.
- أن على سعيد باشا قائد عملية لحج قد بعث إلى سلطان لحج قبل الهجوم يستأذنه فى المرورعبرلحج فى طريقه إلى عدن[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٢-٢١٣.

(٢) الريحاني، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠٩.

- أن لحج هي الحليفة المخلصة للسلطات البريطانية فى عدن وكانت تحت الحماية البريطانية ويقوم سلاطينها عادة بدور كبير لخدمة السياسة البريطانية فى المحميات، فالاستيلاء عليها يعني شل السياسة البريطانية في المحميات إضافة إلى خيرات لحج التى يمكن الإستفادة منها لتموين الجيش.

ويمكن تعليل أسباب إخفاق العثمانيين في الوصول إلى عدن بما يلى :-

- فشل الهجوم العثمانى على قناة السويس الذي وقع فى ٣ فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ أفسد خطة الهجوم على عدن أو قلل معنويات الجيش فى اليمن الذى هاجم لحج بعد ذلك فى يوليو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ.
- النجدة البريطانية السريعة التى قدمت إلى عدن بعد الاستيلاء على لحج التى أثمرت عن طرد العثمانيين من الشيخ عثمان المحاذية لعدن.
- عدم وصول أسلحة إلى القوات العثمانية بعد الاستيلاء على لحج، ولذا كما قال مصطفى سالم "والواقع أنهم لم يستطيعوا إكمال المهمة المنوطة بهم، فلم يصلوا إلى عدن"[1].

أما نتائج الاستيلاء العثماني على لحج، فتعتبر غاية في الأهمية، سواءً على صعيد اليمن وجنوب غربى الجزيرة العربية أو على مستوى منطقة البحر الأحمر فقد كسب العثمانيون الكثير من المؤيدين فى اليمن تمثل بقدوم بعض المشايخ ورجال القبائل للانضمام إليهم، واقتربوا من عدن، وغنموا محاصيل لحج وقويت معنوياتهم، وبدا أن العملية تعويض عن الإخفاق العثمانى أمام قناة السويس، وفى المقابل خسر البريطانيون أقوى حلفائهم فى أراضي المحميات ووصل التهديد إلى قاعدتهم الهامة في عدن، واهتزت الثقة بهم أمام مشايخ البلاد الواقعة تحت حمايتهم، فى الوقت الذي أخفقوا فيه فى ميدان آخر أمام العثمانيين فى الدردنيل.

وقبل أن نختم موضوع لحج، نشير إلى زعم الريحانى بقوله "هذا ما وصل بالطرق الرسمية إلى الدوائر الحربية فى الغرب من أخبار تلك الزاوية العربية القصية،

---

(١) السيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، ص ٢١٠-٢١١.

{مشيراً إلى حادثة الهجوم العثماني} وليس فيه كلمة عن نكبة لحج وعما حل بالأسرة المالكة وبسلطانها حليف بريطانيا. فجئت أروى الخبر كما سمعته وتحققته من مصادر شتى هناك"[1]. فنقول إن ما أوردناه من الوثائق البريطانية يشير إلى أسف الحكومة البريطانية عما حل بالسلطان وإلى إهتمام ملك بريطانيا بالموضوع، حيث دونت هذه الوثائق كل تفاصيل النكبة، وإن كان الإهتمام البريطاني لم يتعد تقديم الشكر على ولاء العبادلة وعلى استمرار دفع المعونة لهم، فإن تلك سياستهم ولا يهمنا إلا أن نشير إلى أنهم دونوا أحداث النكبة.

ورغم أن حادثة الإستيلاء على لحج هى أهم أحداث هذا الفصل فى المرحلة الأولى للصراع بين الدولتين فى عدن والمحميات واليمن وعسير، إلا أن هناك بعض الأحداث التى وقعت بعد ذلك وإن لم تكن بحجم وقيمة الاستيلاء على لحج.

ومن ذلك ما أشار إليه المقيم فى عدن حول القتال الذى دار بين الأدريسي والقوات العثمانية فى تهامة بين صبيا ووادى مور، حسب رواية مندوب الأدريسي الذي قدم إلى عدن لطلب السلاح وخاصة النوع الإيطالي منه، وقد نبه المقيم إلى أن سفن دورية قطاع البحر الأحمر الجنوبي مستعدة للتعاون مع الأدريسى للهجوم على اللحيه[2].

وبالفعل تم تزويد الأدريسي بكمية كبيرة من السلاح والذخيرة الفرنسية، طالما أنه يعمل ضد العثمانيين بعزيمة وجد، بل أكثر من ذلك محافظة الأدريسي على التوازن بعد أن استولى العثمانيون على أراضي أصدقاء عدن في لحج حيث أصبحت مناوئة الأدريسي العلنية للعثمانيين تجعل العرب يقتنعون بوجود معارضة فعلية لهم فى هذه النواحي[3].

استمر الأدريسى فى مطالبه بتأمين السلاح الإيطالي لرجاله لأن معظمهم تدرب

---

(١) الريحاني، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٩.

(٢) (PRO) FO 371/2479, From Resident at Aden, 19th, August, 1915.

(٣) (PRO) FO 371/2479, From Political Resident, Aden, 26th, October, 1915.

على إستخدام السلاح الإيطالي... ولما كان الإيطاليون قد دخلوا الحرب إلى جانب الحلفاء فقد اقترح المقيم مفاتحة الإيطاليون لجلب السلاح منهم لإعطائه للأدريسي، وفى مقابل ذلك يمكن إمدادهم فى مقديشو {الصومال الإيطالي} بالحبوب[1].

ومع نهاية عام ١٩١٥م/١٣٣٤هـ أثيرت مشكلة تبعية الأدريسي بين السلطات في عدن والسلطات في القاهرة مرة أخرى بعد إنتهائها قبل شهور لصلحة عدن، وذلك نتيجة لطلب السلطات فى القاهرة ومحاولاتها إيجاد الفرصة لإثارة الموضوع مرة ثانية... ومن ذلك ما أشار إليه مكماهون عن وجود المدعو مصطفى أحد أقرباء الأدريسي فى مصر للمطالبة بمزيد من السلاح والذخيرة والمال للأدريسي فى عسير، مما حدا بمكماهون إلى اقتراح إرسال مندوب إلى الأدريسي يحمل ضمانات أكيدة تشجع بطريق غير مباشر الإمام يحيى والشريف حسين[2].

ولما أستشير نائب الملك فى الهند عن مدى جدوى نقل العلاقات مع الأدريسي إلى السلطات فى مصر، لم يؤيد ذلك خاصة وأن الأدريسي نفسه لم يقترح أو يطالب بمثل هذا، إضافةً إلى أن السلطات فى عدن حققت نجاحاً كبيراً فى مفاوضاتها مع الأدريسي، كما رأى كذلك أن العوامل الجغرافية تحتم الإحتفاظ بالعلاقات بين الأدريسي وعدن للمحافظة على المصالح البريطانية فى السواحل المجاورة والمحميات فى عدن[3].

وفي أغسطس ١٩١٥م/١٣٣٣هـ اقترح المقيم فى عدن إنسحاب القوات البريطانية من جزيرتى حانش وزقر، حيث انتهى الغرض الذى من أجله تم احتلال هذه الجزر وهو سبق الدول الأخرى وإشعارها بتبعية هذه الجزر البريطانية... كما أن المتاعب التي تواجهها القوات الموجودة في الجزيرتين من إنتشار الأمراض وقلة الماء

(١) Same Series and Vol., From Political Resident, Aden, 30th, October, 1915.

(٢) Same Series and Vol., From Secretary of State to Viceroy, 23rd, Nov., 1915.

(٣) Same Series and Vol., From Viceroy, 30th, November, 1915.

وصعوبة العيش فيها يجعل الإنسحاب منها أمراً ضرورياً مع الأخذ فى الإعتبار إبلاغ الدول الحليفة بضم هاتين الجزيرتين مؤقتا(١).

أبرقت وزارة الهند إلى نائب الملك بأن الحكومة البريطانية تفضل التنسيق مع أصدقاء بريطانيا العرب في ساحل الجزيرة العربية المقابل لهذه الجزر على رفع العلم البريطانى بشكل دوري، أما إذا وجدت صعوبة فى ذلك فإن الحكومة البريطانية توافق على إخلاء هاتين الجزيرتين، ومن الأفضل تأجيل الإخلاء لمدة أسبوع لتجنب المصادفة والإتفاق مع حدث إعلان إيطاليا دخول الحرب إلى جانب الحلفاء(٢). وسبب ذلك أن السلطات البريطانية تحاول إبعاد القوى الأخرى عن إيجاد مراكز لها فى البحر الأحمر وخاصة إيطاليا التي تحاول إيجاد الفرصة المناسبة للحصول على مركز يعزز تواجدها في أرتيريا، فإذا أخليت هاتين الجزيرتين فى الوقت الذى قررت فيه إيطاليا دخول الحرب فقد يفسر ذلك بأنه مكافأة لها، وإشعارها بأن بريطانيا لم تعد تقلق من محاولات إيطاليا، وهذا ما لا تريده بريطانيا،.

ويبدو أن السلطات فى عدن إختارت فكرة رفع العلم البريطانى دورياً فى الجزيرتين بعد إخلائها فقد قرر المقيم إرسال سفينة محلية صغيرة من السفن التي تستخدم بين كمران وموانئ الأدريسي، لرفع العلم البريطاني فى رحلة الذهاب وإنزاله عند العودة، حيث سيرتفع العلم ستة أيام فى كل أسبوعين(٣).

ويمكن إنهاء أحداث المرحلة الأولى للصراع بين الدولتين في جنوب غربى الجزيرة العربية عند هذا الجانب من الأحداث التى وقعت فى هذه المرحلة والتي كانت أهم نتائجها الإستيلاء العثمانى على لحج، وتهديدهم للسلطات البريطانية فى معقلهم الحصين عدن، ونجاح العثمانيين كنتيجة لهذا الإنتصار فى اجتذاب مجموعة من القبائل

---

(١) (PRO) FO 371/2490, From Resident, Aden, 8th, August, 1915.

(٢) Same Series and Vol., From Secretary of State to Viceroy, 24th, August, 1915.

(٣) Same Series and Vol., From the Political Resident at Aden, 4th, September, 1915.

ومشايخ البلاد التى تقع تحت طائلة الحماية أو لا تشملها الحماية ولكن لم تذعن للعثمانيين من قبل، إضافة إلى احتفاظهم بصداقة الإمام بل ومساعدته أحياناً، ودحرهم لمحاولات تقدم الأدريسي نحو اللحيه الواقعة على البحر الأحمر...

ومن الجانب الآخر حصل البريطانيون على بعض الإنتصارات السياسية نتيجة لمحاولاتهم المستميتة لجذب أمراء ومشايخ العرب حيث عقدوا مع الأدريسى معاهدة تعهد فيها بقتال العثمانيين والتوسع على حسابهم، كما نجحوا فى التوصل إلى الإتفاق مع ابن سعود الذي أظهر كفاءة كبيرة فى سياسته داخل بلاده بالسيطرة على القبائل، وخارجها بالتعرف على مجريات الأحداث الدولية، ورغم أنهم عقدوا إتفاقية مع بعض العناصر الصغيرة فى الحدود بين مناطق نفوذ الدولتين إلا أن ثمارها لم تبرز فى هذه المرحلة، كاتفاقيتهم مع محمد ناصر مقبل {مافيا}. وهذا النجاح السياسي الذى حققته صاحبه وقوفها موقف الدفاع فى المجال العسكري رغم إشتراك بعض سفنها الحربية فى بعض العمليات الصغيرة... واستيلائهم على جزر كمران.

الفصل السادس

مصر والسودان
١٣٣٤ـ١٣٣٦هـ/١٩١٦ـ١٩١٨م
المرحلة الثانية

- العمليات الحربية بين الدولتين فى الحدود الشرقية لمصر.
- الوضع فى مصر والسودان.
- الوضع فى الحبشة وأرتيريا.
- الوضع فى حدود مصر الغربية.
- الخطط العسكرية للدولتين والعمليات الحربية النهائية على حدود مصر وفلسطين.

مصر والسودان

١٣٣٤-١٣٣٦هـ/١٩١٦-١٩١٨م

المرحلة الثانية-

انتهت المرحلة الأولى للصراع بين الدولتين فى منطقة البحر الأحمر بأقاليمها مصر والسودان والحجازوجنوب غربى الجزيرة العربية ومايقابلها فى الساحل الأفريقى بعد صراع متميز فى كل إقليم من أقاليمه. وقفت بريطانيا فى هذه الفترة موقف الدفاع فى المنطقة لمواجهة الإستعدادات المبكرة للعثمانيين الذين تركزت خططهم على توجيه حملات قوية إلى قناة السويس والقيام بتحركات فى جنوب غربى الجزيرة العربية إستعداداً لغزو لحج إحدى أهم المحميات التى تعتمد عليها بريطانيا في علاقاتها مع هؤلاء فى هذه النواحي. طبق العثمانيون سياسة إعلان الجهاد في أقطار العالم الإسلامي ومن أهمها أقاليم منطقة البحر الأحمر التى تضم إقليم الحجاز موئل الحرمين الشريفين. ومع أسلوب الدفاع البريطاني أفادت السلطات البريطانية من تجربة أخرى وهى بذل الجهود السياسية فى المنطقة للإعداد لمرحلة جديدة ضد العثمانيين ريثما تسمح العمليات العسكرية فى الميادين الأوربية الرئيسية بفرص أكبر للعمل العسكرى ضد العثمانيين فى المنطقة، وقد تجلت الجهود السياسية لبريطانيا فى التعامل مع الحكام والشيوخ العرب وعلى الأخص الشريف حسين والأدريسي وغيرهما من مشايخ المنطقة. وبالرغم من أن العثمانيين حاولوا تطبيق هذا الأسلوب والاتصال بهؤلاء، إلا أن البريطانيين بتفوقهم الدبلوماسي والعسكري والأسطولي أنهوا المرحلة الأولى للصراع بينهم وبين العثمانيين بالهجوم بعد الدفاع وأخرجوا ثورة الشريف وحركة الأدريسي إلى حيز التنفيذ... فإذا كانت المرحلة الأولى بالنسبة لبريطانيا مرحلة الدفاع فالمرحلة الجديدة هى مرحلة الهجوم وخاصة فى مناطق مصر وسيناء وفلسطين والحجاز وعسير، ولم يهاجموا لحج حيث استطاع العثمانيين الصمود طيلة الحرب، ذلك بالرغم من أن بعض القيادات البريطانية نادت بضرورة الهجوم عليها لاستردادها.

العمليات الحربية بين الدولتين فى الحدود الشرقية لمصر :

شهدت المرحلة الأولى للصراع بين الدولتين فى مصر والسودان، التهديد العثماني لمصر وقناتها، والذى تبلور فى الحملة العثمانية الأولى ضد القناة التي أخفقت، ثم الحملة الثانية والتى انتهت بالفشل أيضاً نتيجة لتقدم القوات البريطانية واستعدادها الكافي لمنازلة القوة المهاجمة... وقد تزامن مع هذه الأحداث أحداث أخرى جرت وفق مخطط عثماني لإنجاح الحملتين على القناة، ومنها تحريك السنوسي في الحدود الغربية لمصر، وإقناع سلطان دارفور في غربى السودان بإعلان الجهاد والثورة على الإنجليز فى السودان ورغم أن كلا الطرفين قام بمجهودات حربية إلا أنها كانت تفتقد إلى التنسيق مع الحملات الموجهة ضد القناة بالإضافة إلى العوامل الأخرى التى أفقدت الخطة العثمانية مقومات نجاحها ضد الإنجليز.

مرت الخطة البريطانية فى المرحلة الأولى بتجربتين : الأولى الدفاع السلبي عن القناة بعد سحب النقاط الحدودية فى سيناء والإكتفاء بالوقوف موقف الدفاع على طول القناة لصد الهجمات، والثانية الدفاع الإيجابى وهو التقدم شرقاً والتمركز لمواجهة قوات العدو، وانتهت التجربتان بالنجاح.

وكان الموقف فى الميادين الأوربية بالنسبة للحلفاء خطيراً في الأشهر الأخيرة لعام ١٩١٦م/١٣٣٥هـ فقد إكتسحت قوات المحور رومانيا، وأخذت القيمة الحربية الروسية فى الإضمحلال إثر ظهور بوادر الثورة هناك. واشتدت وطأة حرب الغواصات التي شنها الألمان حلفاء الدولة العثمانية، أما فى الشرق بما فيه الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر فقد كان الحلفاء يعقدون الأمل فى إحراز بعض النجاح حيث أعلن الشريف حسين ثورته، وبدأت العمليات العسكرية البريطانية فى العراق وصدرت الأوامر البريطانية إلى السير أرشيبالد موراى "A. Murray" أن يحاول النجاح فى منطقة عملياته فى مصر[1] .

وكانت تقديرات الوثائق البريطانية للمواقع الأمامية العثمانية فى جهة سيناء قبيل هجومهم الثاني الذى إنتهى بالفشل على النحو التالى :

---

(١) أ. كيرزى، العمليات الحربية فى مصر وفلسطين، ص ٦١-٦٢.

بير المغـــارة .	٣٥٠ جندى
بيرالمـــزار	٣٠٠ جندى
بير روض سالم	٢٠٠ جندى
جفجافه وعين سدر وسدر الحيتان	مجموعة من الجنود فى كل منهما، أما

المراكز الخلفية الرئيسية فهي :

العريش	٣٠٠٠ جندى
القسيمة	١٠٠٠ جندى
حســـنة	١٧٠٠ جندى
نخـــــل	٥٠٠ جندى [١].

وفى سبيل الاستيلاء على شبه جزيرة سيناء، بدأ البريطانيون بتعبيد مئات الأميال من الطرق والسكك الحديدية وأنابيب المياه، وإقامة المعسكرت الثابتة فى وسط الصحراء التى تحوى المطارات ومحطات الإتصالات [٢].

أما العثمانيون والألمان فقد حرصوا على معرفة الوضع العسكري للإنجليز في مصر، وبدأت تنظيماتهم فى سويسرا بالتفكير فى توجيه بعض الأفراد إلى مصر لجلب المعلومات العسكرية والسياسية عن الوضع هناك، فى الوقت الذى اطمأن فيه الإنجليز إلى موقف المعارضة المصرية فى سويسرا خاصة وأن موقفهم تجاه سلطان مصر أكثر اعتدالاً من موقفهم خلال الأشهر الماضية [٣].

وعندما قامت ثورة الشريف حسين فى يونيو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ، اقترحت بعض قيادات وزارة الحرب البريطانية أن تقوم القوات البريطانية في مصر بالإجراء التالي لمساعدة الشريف :-

---

(١) (PRO) FO 371/2779, Arabian Report, July 1916.

(٢) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) (IOR), L/P&S/11/113, Summary, Arab Bureau, September 26th, 1916, P. 285.

-أن يقوم قائد القوات البريطانية فى مصر بجميع الإجراءات اللازمة لاحتلال العريش والعقبة، حيث يمكن من هذه الأماكن تهديد الإتصالات العثمانية بين سوريا وحماية الحدود الشرقية لمصر، واحتلال العريش يتطلب مدّ السكة الحديدية إليها، أما العقبة فإن عمليات الأسطول كفيلة بالإستيلاء عليها [١].

وقد تم تكليف سردار السودان السير ريجنالد وينجت بمسئولية الإشراف العسكري على عمليات الشريف حسين فى الحجاز على أن يتعاون مع قائد الأسطول فى البحر الأحمر لهذا الغرض[٢] .

وهكذا فإن الاعتبارات التي تحكم التقدم البريطانى آنذاك كانت إحراز تقدم ناجح يلبي متطلبات القيادة العامة البريطانية، واحتلال العريش والعقبة لتقديم تسهيلات لثورة الشريف وتأمين الدفاع عن الحدود الشرقية لمصر.

وقرر بالفعل الجنرال موراي القيام باحتلال العريش، وبناءً على ذلك قام بتشكيل القوة الشرقية للقيام بهذا الغرض، وتم تعيين السير تشارلس دوبل "Charles D." قائداً لهذه القوة التى تتكون من فرق تمثل جميع القوات الموجودة على القناة وشرقيها أى فى شبه جزيرة سيناء، وفى ديسمبر ١٩١٦م/١٣٣٥هـ زحفت القوات البريطانية تجاه العريش ودخلتها بعد أن وجدتها خالية بعد انسحاب القوات العثمانية منها [٣].

وبالإضافة إلى تلك الإجراءات العسكرية، كان المكتب العربى بالقاهرة يصدر النشرات الخاصة بشرح الموقف البريطاني والدعاية بشكل عام، ومن أهم هذه النشرات "الكوكب" التى يشرف عليها الكابتن جريفس "P. Graves" والكابتن أورمسباى جور "Ormsby Gore" والنشرة العربية "The Arab bulletin" بالاضافة إلى نشر عدة كتب تهم أقاليم المنطقة كالحجاز "Hejaz Hand Book" واليمن

(١) (PRO) FO 371/2773, The Sherif of Mecca and the Arab Movement, General Staff, W.O. 1st July, 1916.

(٢) (PRO) FO 371/2775, Cypher tele to Sir H. Mcmahom, Ramleh October 3rd, 1916.

(٣) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥-١٢٦.

"Yemen Hand Book" وعسير وعدن..... إلخ[1] .وكانت هذه التنظيمات جميعها تعمل بالتنسيق مع شعبة المخابرات العسكرية التابعة لقوة الحملة المصرية E.E.F[2]

أفادت التقارير التى وصلت إلى السلطات البريطانية فى بداية عام ١٩١٧م/ ١٣٣٥هـ أن بعض القوات العثمانية تتمركز فى المقرونتين[3] جنوب رفح. بعد أن استولت القوات البريطانية على المغضبه، فأرسل البريطانيون قوات هاجمت العثمانيين فى المقرونتين فتم الاستيلاء عليها بنجاح، وفى نفس الوقت الذى بدأ فيه البريطانيون بمدّ السكة الحديدية تجاه العريش، وتم الانتهاء من حفر الخنادق هناك، تقدمت القوات البريطانية بقيادة الجنرال تشيتود Chetwode قائد طابور الصحراء، صوب رفح لاحتلالها. وانطلقت هذه القوات من العريش فى ٨ يناير ١٩١٧م/١٣٣٥هـ، وفى اليوم التالي وصلت إلى حدود رفح إلا أن أنباء وصول تعزيزات عثمانية للحامية فى رفح كادت أن تُحدث التراجع البريطاني لولا قيام إحدى كتائب القوة البريطانية بهجوم ناجح شجع بقية القوات على الهجوم قبل أن تصل إليها أوامر الإنسحاب. واستولت القوات البريطانية على رفح رغم المحاولات العثمانية لإرسال تعزيزات أخرى من خان يونس والشلال. وكانت خسائر الجانب العثماني ١٦٣٥ رجلاً بين قتيل وجريح مقابل ٤٨٧ قتلى وجرحى فى الجانب البريطاني[4] .

وفى أواخر يناير ١٩١٧م/١٣٣٥هـ أعاد العثمانيون إنشاء نقاط عسكرية صغيرة فى كل من نخل والحسنه فى وسط سيناء، فأرسلت القيادة البريطانية فى ١٨فبراير قوة من العريش أسرت حامية حسنة، وقوات أخرى إلى نخل فاستولت عليها[5] .

وعندما وصل خط السكة الحديدية الذى تقيمه القوات البريطانية فى سيناء في

---

(١) (PRO) FO 371/3047, Arab Bureau Report for December 1916.

(٢) Same Series and Vol., Arab Brueau Report for January, 1917.

(٣) انظر ملحق الخرائط فى نهاية البحث.

(٤) Macmunn, G., and Falls, C., Military Operations Egypt and Palastine, pp. 262-270.

(٥) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣.

مارس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ إلي موقع الشيخ زويد الذى يبعد ثلاثين ميلاً عن غزة ثم إلى رفح بعد ذلك ثم إلى موقع قريب من خان يونس، قرر البريطانيون التقدم نحو غزة للإستيلاء عليها. وكانت القوات العثمانية موزعة على طول الخط الحديدي الذى سبق أن بناه العثمانيون والذى يمتد من داخل فلسطين إلى القسيمة قرب وادى العريش، بالإضافة إلى قوة متمركزة فى غزة، ومواقع أخرى قريبة في «أبو هريرة» التى تبعد عشرة أميال جنوب شرق غزة، حيث تقدر القوات بالكامل حوالي ستة عشر ألف رجل. وكان على القوات البريطانية أن تتقدم إما عن طريق البحر أو بطريق الداخل باتجاه العوجه التى تمر بها السكة الحديدية العثمانية، وتم اختيار الطريقة الثانية للتقدم(١) .

تشكل غزة وبئر السبع البوابة الجنوبية لفلسطين. وقد تم للبريطانيين باحتلال رفح في يناير ١٩١٧م/١٣٣٥هـ خروج أراضي سيناء التابعة لمصر من يد العثمانيين، حيث وصلت القوات البريطانية إلى حدود فلسطين- مصر المعترف بها قبل الحرب العالمية الأولى، وكان أى تقدم بريطاني معناه غزو فلسطين ودخول الأراضي العثمانية... وقد قررت الحكومة البريطانية بالفعل غزو فلسطين وتلقى الجنرال موراى فى ٣٠ مارس برقية من وزارة الحرب البريطانية تحدد القدس هدفاً له، وكانت عوامل هذا القرار قناعة رئيس الوزارة البريطانية فى أن دحر ألمانيا لا يتم إلا عن طريق تحطيم حليفتها الدولة العثمانية وميدان فلسطين والعراق ملائم لذلك خاصة وأن بريطانيا لاقت نجاحاً فى جبهة العراق فيلزم التقدم جنوب فلسطين لاستكمال هذا النجاح والمحافظة عليه، ولتخفيف الضغط العثماني على جبهة روسيا، ولاستغلال الموقف الملائم الناشيء عن ثورة الشريف حسين لتسهيل التقدم نحو فلسطين، كما أن فقد العثمانيين لفلسطين يمثل ضربة معنوية شديدة لهم بفقدان القدس الشريف، إضافة إلى هزائمهم في الحجاز، ومعنى ذلك إنهيار النفوذ الديني للخلافة العثمانية. كما وجد الصهاينة فرصة التعاون مع البريطانيين لإنتزاع فلسطين من أيدى العثمانيين الذين حاربوا فكرة الوطن القومي اليهودي، وتحقيق المطامع الإستعمارية من الأسباب

(١) Macmunn, G., and Falls, C., Op. cit pp. 279-280.

البارزة فى التقدم البريطانى نحو فلسطين[1] .

وقامت الخطة البريطانية على أساس تكليف الجنرال تشيتود قائد طابور الصحراء من قبل السير دوبل قائد القوة الشرقية بالهجوم على غزة[2] . أما العثمانيون فقد حصلوا على طائرات ألمانية بطياريها متفوقة على الطائرات البريطانية، ورابطت قوات عثمانية على خط غزة- بئر السبع وهى فرقة القوة السفرية الأولي بقيادة فون كريس وتقدر بخمسة آلاف محارب. إضافة إلى بعض الفرق الأخرى ليصل المجموع إلى خمسة عشر ألف محارب ولما تقدمت القوات البريطانية تجاه غزة وبدأت بتطويقها والاستيلاء على بعض المراكز الخارجية فيها أمر فون كريس فى ٢٦ مارس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ القطاعات الموجودة فى الخلف بالتقدم لتعزيز حامية غزة، ولذا قرر القائد البريطاني سحب قواته لفشله فى الاستيلاء على غزة بسرعة كما كان مقرراً لتفادى نفاذ المؤن، ففتح بهذا المجال أما التعزيزات العثمانية لدخول غزة... إلا أن القيادة البريطانية إسترقت من قيادة الجيش العثماني إحدى الرسائل اللاسلكية ومفادها أن حامية غزة تنوى التسليم، فأمر القائد البريطاني بعض فرق قوته فى فجر يوم ٢٧ مارس بالهجوم. استطاعت القوات العثمانية دحر القوة المهاجمة بهجوم مقابل فانسحبت القوات البريطانية وانتهت معركة غزة الأولى بخسائر بريطانية تقدر بثلاثة آلاف وخمسمائة بين قتيل وجريح ومفقود مقابل حوالي ألفين وأربعمائة فى الجانب العثمانى[3] .

ومنذ بداية أبريل أشارت تقارير طلعات الطيران البريطانية أن العثمانيين يزيدون دفاعاتهم حول غزة وعلى طول خط غزة- بئر السبع، ولذا صرح كل من السير موراي والسير دوبل أن خطتهما القادمة تجاه غزة ستكون مختلفة عن المحاولة الأولى الفاشلة

---

(١) شكرى محمود نديم [العميد الركن]، حرب فسلطين ١٩١٤-١٩١٨م، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٧٠-٨٥.

(٢) Macmunn, G., and Falls, C., op. cit, p. 283.

(٣) شكرى نديم، مرجع سبق ذكره، ص ٧٥-٨٠.

ضد غزة[1] .

ووصلت التعليمات إلى الجنرال دوبل قائد القوة الشرقية لوضع خطة الهجوم الثاني على القوات العثمانية في غزة، وكانت الخطة الملائمة هى الهجوم من جهة الشرق لقطع خط الرجعة على العثمانيين ولمنع وصول الإمدادات إلا أن عقبات توفير الماء وتوصيل المؤن للقوات البريطانية تحول دون تنفيذ مثل هذه الخطة، فتقرر الهجوم على غزة هجوماً أمامياً من جهات مختلفة على مرحلتين وبالاستعانة بالأسطول، إلا أن القوات البريطانية خسرت بعد معارك ضارية بين ١٧، ٢٠ أبريل ١٩١٧م/١٣٣٥هـ حوالي ستة آلاف وخمسمائة جندي بين قتيل وجريح وأسير، وانتهى الهجوم البريطاني الثاني على غزة بالإخفاق[2] . وعلى ذلك صُرف النظر عن القيام بأي عمليات هجومية أخرى حتى تصل الإمدادات الكافية للقوات البريطانية[3] . ومع أن البريطانيين قد أُوقِفوا أمام غزة إلا أن عملياتهم الهجومية قد مكنتهم من إبعاد العثمانيين عن مصر وتحقيق الغرض الأساسي وهو تأمين قناة السويس[4] .

وهكذا فشلت المحاولات البريطانية فى معاركها الأخيرة مع القوات العثمانية في المواقع الهامة الواقعة فى الحدود الفاصلة بين سيناء والحدود الجنوبية لفلسطين، وهذا الإخفاق كفيل باستمرار التهديدات العثمانية للتقدم صوب القناة رغم أن ظروف العثمانيين فى ساحة القتال فى المنطقة سواءً فى العراق أو الحجاز لا تسمح بالهجوم فى تلك الفترة.

الوضع فى مصر والسودان :

يشير اللورد لويد فى كتابه "مصر منذ كرومر" إلى أن الأشهر الأولى لعام ١٩١٦/١٣٣٣هـ شهدت تغيراً في وضع مصر، إذ بدأت أهداف بريطانيا الحربية

(١) Macmunn, G. and Falls, C., Op. cit, p. 326.

(٢) Macmunn, G. and Falls, C., Op., cit, pp. 329-348.

(٣) أ. كيرزى، مصدر سبق ذكره، ص١٤٢.

(٤) المصدر السابق، ص٧١.

تتوسع بطموح أكبر، فبدأت الإدارة في مصر ترسم خططها أكثر فأكثر لخدمة المخططات العسكرية، وتعتبر مغادرة الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية في مصر فى مارس ١٩١٦م/١٣٣٤هـ إلى بلاده بعد تعيين أرشيبالد موراى قائداً لقوة حملة مصر E.E.F مرحلة فاصلة فى القضية المصرية... فمن ذلك الحين لم تعد العمليات العسكرية فى ذلك المسرح الذى كانت مصر فيه بمثابة المركز قاصرة على الدفاع عن مصر والقناة، بل أصبحت هناك برامج ومخططات أخرى تعتمد على مصادر مصر. وإذا كان ماكسويل إدارياً بالدرجة الأولى وعسكرياً بالدرجة الثانية فإن ذلك لا ينطبق على موراي الذى لم يكن راغباً فى الاشتراك فى الإدارة في مصر... ولذا أصبح الحكم العرفي في يده كأحد أسلحة الحرب، وعلى هذا الأساس وقع على كاهل المصالح المصرية تلبية المتطلبات العسكرية البريطانية كمد السكة الحديدية من الزقازيق إلى الإسماعيلية لنقل القوات البريطانية من الإسكندرية إلى القناة التي اعتبرتها القيادة البريطانية منطقة حرب لا يسمح لأى دولة حتى مصر بالعبور فيها إلا بإذن بريطانيا[1]. بدأ المصريون يتضايقون أكثر من أي وقت مضى من حالة الحرب. لا سيما وقد قررت القيادة العسكرية البريطانية مدّ السكة الحديدية من القناة إلى وسط صحراء سيناء مع مدّ المياه على طول هذا الخط، حيث أرسلت مجموعات من عمال مصر لخدمة أغراض بريطانيا سواءً فى جبهة مصر أو الميادين الأخرى[2] . ثم يعرض اللورد لويد وجهة النظر البريطانية حول هذه الإجراءات بأنها للحفاظ على مصر، وللحفاظ على سلامة الإمبراطورية البريطانية التى أصبحت مصالحها فى خطر، ومع ذلك ينتقد أسلوب السياسة البريطانية التى لم تحاول إقناع الرجل العادي أو الحكومة المصرية أن بلادهم فى خطر، وأن الإشتراك فى الدفاع عنها من مسئولياتهم، وإكتفت في البلاغات الأولى بإبلاغ المصريين أن أعباء الحرب لا تقع عليهم ثم تطورت الحوادث فى الأشهر التالية... الأمر الذى أجبر بريطانيا على الإلحاح فى طلب المساعدة من

---

(١) هنا تتضح المخالفة البريطانية لقواعد المرور فى القناة فى وقت السلم أو الحرب حسب إتفاقية عام ١٨٨٨م، المشار إليها فى بداية الفصل الأول.

(٢) Lord LLoyd, Egypt Since Cormer, Vol., 1, Macmillan and Co., Limited, London, 1933, pp. 221-225.

المصريين[1] .

هذه أقوال أحد العاملين في السياسة البريطانية والمطّلعين على سياسة بريطانيا في مصر، ويشرح أعمال بريطانيا في مصر في صراعها مع الدولة العثمانية وألمانيا وكيف استغلت المصادر المصرية البشرية والمادية لتحقيق مصالحها خاصة بعد ظهور بوادر التطلع البريطاني إلى ما وراء حدود مصر، وهو بذلك يعرض للتطور المرحلي للسياسة البريطانية التي دافعت في المرحلة الأولى من الحرب، وبدأت في المرحلة الثانية بالإعداد للحرب وراء حدود مصر.

وتشجيعاً من القيادة البريطانية للإدارات المصرية في المشاركة بشكل أكبر في أعمال الحرب، كانت ترسل خطابات الشكر إلى هذه الإدارات ومن ذلك مثلاً أن القائد العام للجيوش البريطانية بعث برقية يشكر فيها الحكومة المصرية وخاصة وكيل وزارة الأشغال العمومية والعمال الذين معه على الجهود التي بذلوها في قناة السويس وفي الصحراء الشرقية، وعلى جهود رجال شركة المياه[2] . إلا أنها في المقابل تصدر أوامرها التي تحقق مصالحها مثل تحريم التجارة في محصول بذرة القطن في عام ١٩١٧/١٣٣٥هـ نظراً لعزم بريطانيا على شراء هذا المحصول[3] .

وعندما عين السير ريجنالد وينجت مندوباً سامياً في مصر خلفاً لمكماهون، قرر بالإشتراك مع قائد حملة مصر السير موراي أن أفضل وسيلة للاستفادة من إمكانات مصر هي الإستعانة بالمزيد من المستخدمين والعمال، والاستفادة من خطوطها الحديدية، إذ سبق تشغيل الآلاف من الجند المصريين في السودان، والآلاف من العمال في سيناء، ذلك بالرغم من قرار ماكسويل في بداية الحرب بتحمل بريطانيا لأعباء الحرب في مصر[4].

---

(١) Ibid, pp. 225-227.

(٢) دار الوثائق القومية بالقلعة، وثائق مجلس الوزراء، المحفظة ٩ب المجموعة ٣٨١، خارجية، ٤ يوليو ١٩١٦م.

(٣) نفس المحفظة والمجموعة، منشور ١٢ أغسطس ١٩١٧م.

(٤) Macmunn, G. and Falls, C., Op, cit, pp. 364-367.

ويعتبر تعيين السير ريجنالد وينجت استمراراً للسياسة البريطانية فى تعيين نوي الدراية والخبرة الواسعة بأحوال مصر بعد أن ثبت لها أن مكماهون أقل منه كفاية فى حكم مصر، وتحقيق متطلبات الحرب فى المنطقة. ويعتبر وينجت الرجل العسكرى القادر على السيطرة على الشئون الداخلية فى مصر والسودان إضافةً إلى الأعمال العسكرية فى المنطقة، لا سيما وأن وينجت أبقى لنفسه الإشراف على الجيش المصري ورئاسة حكومة السودان، فأخذ يعمل منذ تسلمه السلطة فى معالجة عدة مسائل أهمها علاقة مصر ببريطانيا وزيادة دور مصر فى المجهود الحربى، إذ عادت مسألة وضع مصر والتفكير فى ضمها أو التمسك بنظام الحماية إلى الساحة مرةً أخرى، والتى تقرر فيها أخيراً الإستمرار على نظام الحماية[1] .

والواقع أن تعيين السير ريجنالد وينجت جاء استكمالاً للمهمات المتتابعة التي أُنيطت به... فعندما كان في السودان تم تكليفه بالإشتراك العسكري على المساعدات التى تقدم لثورة الشريف حسين فى الحجاز، ثم عُين قائداً عاماً لعمليات الحجاز التي تقوم بها بريطانيا، ولما كانت السلطات البريطانية فى مصر هى الجهة التى تتعامل منذ البداية مع الثورة، فإن تعيين وينجت مندوباً سامياً فى مصر يخدم عدة قضايا في جبهة مصر والسودان والحجاز كخطة من جانب بريطانيا لتنسيق السياسة البريطانية فى المنطقة لا سيما وأن سلطة المندوب السامي ستمتد إلى عدن بعد ذلك فى أغسطس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ حيث تتلقى الأخيرة سياستها من القاهرة بدلاً من الهند[2].

وفى الوقت نفسه ضاعف المكتب العربي في القاهرة جهوده لتقديم الدراسات والمعلومات والخرائط التفصيلية التى تعين القوات البريطانية فى حربها ضد الدولة العثمانية فى الحجاز وعسير واليمن وسيناء وفلسطين، إضافةً إلى نشر الدعاية لصالح بريطانيا وحلفائها فى المنطقة[3] .

---

(١) لطيفة محمد سالم، مصر فى الحرب العالمية الأولى، ص ١٠٦-١١٠.

(٢) انظر تفصيلات هذه المناصب والمهام التى أُنيطت بالسير ريجنالد وينجت في: الفصل السابع الخاص بالحجاز. ثم الفصل الثامن الخاص بجنوب غربى الجزيرة العربية.

(٣) (PRO) 371/3047, Arab Bureau Report For march 1917.

وهذا العرض للحالة فى مصر فى تلك المرحلة الهامة من الحرب يعطى تصوراً للوضع البريطاني هناك، وموقف المصريين من الحكم البريطاني لاسيما وأنهم أُجبروا على المشاركة والتعاون مع الإنجليز فى الأعمال الإنشائية التى تخدم أغراض الحرب، وهذا العبء الذى وقع على كاهل أصحاب البلاد أورثهم النفور من الأسلوب البريطاني، وبالتالي تهيأت الفرصة لأن يستغل العثمانيون هذا العامل فى صالحهم، إلا أنه لم يحدث اتصال بين الطرفين بالشكل الذى حدث فى المرحلة الأولى حينما أرسل العثمانيون منشوراتهم إلى هناك ووجد من بين المصريين من يتعاطف معهم، وربما يعود ذلك إلى قوة الرقابة في ظل الأحكام العرفية، وإلى إخفاق العثمانيين فى جبهة سيناء.

وفي عدة تقارير بريطانية عن الدعاء للخليفة فوق المنابر فى عدة بلدان من العالم الإسلامي بما فيها مصر، أشار المندوب السامى إلى أن مسلمي مصر منذ بداية الصراع العثمانى البريطانى يدعون لخليفة المسلمين دون ذكر إسمه، إضافةً إلى الدعاء لسلطان مصر حسين كامل[1]، وكذلك الحال فى السودان بشكل عام[2] . مما يشير إلى قوة الرقابة البريطانية حتى في المساجد. ويعتبر الوضع فى السودان آنذاك إمتداداً لما يجرى فى مصر إذ أن السلطات البريطانية التي تحكم البلاد بموجب إتفاقية الحكم الثنائى مع مصر، زادت قبضتها منذ بداية الحرب تحت حكم السردار ريجنالد وينجت الذي أصبح مندوبياً سامياً فى مصر مع بداية عام ١٩١٧م/١٣٣٥هـ وأبقى فى يده سلطاته السابقة فى السودان... ولم تحصل هناك ثورة فى هذه المرحلة على غرار ثورة علي دينار في المرحلة الأولى بل تفرغت السلطات البريطانية فى السودان لمد وسائل الاتصالات بين الفاشر عاصمة دارفور والأقاليم الأخرى[3] . وإخضاع القبائل فى جبال النوبة، وملاحقة القبائل التى تخل بالنظام بشكل عام فى

---

(١) توفى السلطان حسين كامل فى ٩ أكتوبر ١٩١٧م، وخلفه السلطان فؤاد الأول

انظر:- (PRO) FO 371/3199, S.I.R, No. 279, October1917.

(٢) (PRO) FO 371/3051, From High Commissionor in Egypt to Viceroy, 2nd April 1917.

(٣) (PRO) FO 371/3080, Eastern Report No. IV Feb., 21st, 1917.

السودان[1] .

أما السيد علي الميرغني الذى لعب دوراً كبيراً مع وينجت فى المفاوضات مع الشريف حسين وتشجيعه على الثورة والذى منح لقب (سير) من قبل السلطات البريطانية، فقد أشارت تقارير المخابرات السودانية أن حالته الصحية أجبرته على الذهاب إلى مصر للعلاج فى نوفمبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ[2] ، وعاد من القاهرة في ديسمبر من نفس العام حيث إستقبل هناك عدداً من المسئولين طيلة فترة إقامته، مستمراً فى تعاونه مع الإنجليز[3] .

الوضع فى الحبشة وأرتيريا :

تجدر الإشارة إلى أن الأوضاع فى الحبشة لم تكن فى صالح الحلفاء حيث أشارت تقارير المخابرات السودانية أن إمبراطور الحبشة ليج ياسو Lij Yasu يتقرب إلى المسلمين وأنه على علاقات وطيدة معهم، وأن الرأى العام يؤيد عزله كما أن بريطانيا وحلفاءها تخشى من المحاولات العثمانية والألمانية للاتصال به[4] .

وسبق للسلطات الإيطالية فى إرتيريا أن أوقفت بعثة ألمانية عثمانية وصلت إلى مصوع فى فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ فى طريقها إلى أديس أبابا، ومع أن رئيس البعثة أوضح أن أغراضها تجارية، إلا أن السلطات البريطانية التى علمت بالخبر شكّت في خطورة الأعمال التى تنوى البعثة القيام بها فى الحبشة[5] .

واتضحت مخاوف السلطات البريطانية فى السودان أكثر بعد توجيه ليج ياسو لمجموعة من الجواسيس إلى السودان لمعرفة مدى صحة الأخبار باضطراب الموقف فى السودان، وفسرت بريطانيا ذلك بأنه صدى لتأثير الدعاية العثمانية الألمانية لدى ليج

---

(١) (PRO) FO 371/3199, S.I.R, No. 279, Oct. 1917.

(٢) Same Series and Vol., S.I.R. No. 280, Nov., 1917.

(٣) Same Series and Vol., S.I.R. No. 281, Dec.,1917.

(٤) (PRO) FO 371/2349, S.I.R No. 249, April, 1915.

(٥) Same Series and Vol., S.I.R. No. 248, March 1915.

ياسو بدليل تعاطفه المتزايد مع المسلمين[١] .

وتشير بعض المراجع إلى أن الكنيسة فى الحبشة وقفت بنفوذها لإقصاء ليج ياسو عن الحكم، وتعاونت معها الدول الأوربية وخاصةً بريطانيا لتقرب الإمبراطور من الألمان والعثمانيين وما في ذلك من خطر على مصالحها فى شرق إفريقيا ومنطقة البحر الأحمر. وصدر قرار من الكنيسة فى سبتمبر ١٩١٦م/١٣٣٤هـ بخلع الإمبراطور بعد أن نشر الرهبان والقساوسة الإشاعات بأن الإمبراطور- قد أهدى القنصلية العثمانية فى أديس أبابا علماً عليه الهلال وشهادة التوحيد ونجحت هذه المحاولات فى النهاية بخلع ليج ياسو بالقوة[٢] .

زاد فى قلق بريطانيا وحلفائها أن ليج ياسو سبق له أن تفاهم مع المُلا محمد عبد الله حسن وأنصاره الذين يجابهون منذ سنوات السلطات البريطانية فى الصومال، حيث توقعت تسرب الأسلحة من جيبوتي على البحر الأحمر التى تعتبر سوقاً رائجة للسلاح، رغم إيقاف الإتجار به بعد الحرب، إلى الحبشة ثم إلى رجال المُلا محمد أو إلى القبائل الأخرى بين حدود السودان والحبشة[٣] .

وعلى هذا الأساس دارت مناقشات بين مكماهون فى القاهرة ووينجت فى السودان مع وزارة الخارجية البريطانية للتفاهم حول موضع ميناء جيبوتى التابع لفرنسا وإمكانية سيطرة بريطانيا عليه، لوقف المخاطر الحالية والمستقبلية لتجارة السلاح فيه على المصالح البريطانية فى المنطقة[٤] .

وإزاء التحركات التى يقوم بها المُلا محمد عبد الله حسن وأتباعه ضد الإنجليز فى الصومال البريطاني وضد الدول الأخرى، والتي استمرت لسنوات طويلة، كتبت

---

(١) Same Series and Vol., S.I.R. No. 252, July 1915.

(٢) ممتاز العارف، الأحباش بين مأرب واكسوم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص٢٣٢-٢٣٧.

(٣) (PRO) Co 535/44, Memo, British Legation, Adis Ababa Marcdh 16th, 1916

(٤) Same Series, and Vol., From H. Mcmahon to E. Grey, May 24th,1916.

البعثة البريطانيةفى أديس أبابا إلى مكماهون فى القاهرة تقترح الإتصال بالشريف الذى أعلن ثورته فى الحجاز بأن يخاطب أحد مشايخ المُلا محمد الموجودين فى مكة ليبعث من يقنع المُلا بضرورة التفاهم السلطات البريطانية هناك[١] .

كان المُلا على إتصالات بممثلي الحكومات الألمانية والعثمانية والحبشية حيث إتفق مع الحبشة فى أديس أبابا فى ١٩١٦/٨/١٦م/١٣٣٤هـ إتفاقاً أثمر عن دعم قوات المُلا بخبير أسلحة ألماني، وكان هذا من العوامل التى جعلت الدول الأوربية تحرض على عزل ليج ياسو، خاصةً بعد أن أُشيع أنه سيتزوج أبنة محمد عبد الله حسن وأنه اتفق مع ممثلي الدولة العثمانية فى نوفمبر ١٩١٦م/محرم ١٣٣٥هـ بإعلان الجهاد ضد أعداء العثمانيين[٢] .

وكان المُلا محمد عبد الله حسن يحرض أتباعه والقبائل فى الصومال ومن يتعامل مع الإنجليز على الجهاد ضد بريطانيا الكافرة، وعدم التعاون معها[٣] .

ورغم أن السلطات البريطانية تخلصت من خطر ليج ياسو المباشر إلا أنه ظل يتنقل فى قرى إرتيريا مع بعض أتباعه طيلة الأشهر التالية لعزله، فأخذت المخابرات البريطانية ترصد تحركاته حتى لا يشكل خطراً على السودان أو الصومال البريطانى[٤] .

---

(١) (PRO) Co 535/44, British Legation, Adis Ababa, to Sir H. Mcmahon, Sep., 14th, 1916.

(٢) عبد الصبور مرزوق، ثائر من الصومال المُلا محمد عبد الله حسن، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، ص ١٧٧-١٨٢.

(٣) (PRO) Co 535/39, Translation of a letter from the Mullah to the Musa Arrch, 30 June, 1915.

(٤) _ (PRO) FO 371/3199, S.I.R. No. 282, Januaryu 1918.

الوضع في حدود مصر الغربية :

أما الحدود الغربية لمصر فإن الإنجليز لما دخلو السلوم في مارس ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ على النحو الذي سبقت الإشارة إليه في المرحلة الأولى، حاولوا الاتصال مرةً أخرى لإقناع السيد أحمد الشريف بالوصول إلى تسوية سلمية تضمن لهم عدم الإغارات على حدود مصر والتفرغ للجبهات الأخرى، بينما واصل محمد صالح حرب الذي إنضم إلى المجاهدين في السابق، وأعلن ثورته على الإنجليز بعد أن ضم إلى جانبه مجموعة من الضباط والموظفين المصريين وقاد حرب العصابات ضد الإنجليز طول عام ١٩١٦م/١٣٣٤هـ وأوائل العام التالي، مما اضطر الإنجليز إلى وضع خطة عسكرية كبيرة للقضاء على حرب العصابات التي عمل فيها محمد صالح حرب كقائد لقوات السيد أحمد الشريف، فحاول محمد صالح حرب الإنسحاب من ملاحقة الإنجليز إلى أن وصل المجاهدون إلى الجنوب في أوائل عام ١٩١٧م/١٣٣٥هـ، فأرسل السيد محمد أدريس السنوسي خطاباً إلى السيد أحمد الشريف ومحمد صالح حرب أن الإنجليز أنذروه بتدمير جغبوب إذا لم يغادرها المجاهدون حيث سبق للسيد محمد أدريس توقيع إتفاقيات من جانبه للصلح بينه وبين الإنجليز والطليان. قرر السيد أحمد مغادرة جغبوب، وتحمل المجاهدون في تنقلاتهم الكثير من المصاعب رغم أن نوري باشا حاول إمدادهم بالمؤن، في الوقت الذي انتقلت فيه زعامة المجاهدين في ليبيا إلى السيد محمد إدريس السنوسي منذ إتفاقاته مع الإنجليز والطليان قبل فترة من توجه السيد أحمد الشريف ومحمد صالح حرب إلى إستانبول لحضور حفلة تتويج السلطان الجديد محمد وحيد الدين[1] .

وقد ذكرت التقارير البريطانية أن عمليات عسكرية بريطانية ناجحة تمت ضد القنوات الرئيسية للسنوسي والتي كانت متمركزة في سيوه في فبراير ١٩١٧م/ ١٣٣٥هـ، مما اضطر السيد أحمد ومحمد صالح حرب قائد قواته إلى مغادرتها[2] .

وأعقب هزيمة السيد أحمد الشريف هذه توقيع السيد محمد إدريس إتفاقية

(١) محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، ص ١٧٧-١٨٢.

(٢) (PRO) FO 371/3080, Eastern Report No 111 Feb., 14th, 1917.

عسكرية للتعاون مع إيطاليا والإنجليز بين ٢ يناير إلى ٢٨ أبريل ١٩١٧م/١٣٣٥هـ، حيث سعى محمد إدريس إلى كسب اعتراف إيطاليا بزعامته للسنوسية، وقبل شروط الإنجليز التى تضمن عدم الإعتداء على الحدود الغربية لمصر[١] .

ولما رأى العثمانيون بقيادة نوري باشا أن برقة أصبحت فى يد السيد محمد إدريس، ويئسوا من تنفيذ السياسة العثمانية ضد الإنجليز فى برقة، نقل نوري باشا النشاط العثماني إلى طرابلس وأقام فى مصراته، حيث أخذ النشاط العسكري العثماني مع أهل البلاد يتركز ضد الإيطاليين[٢] .

وهكذا فإن السلطات البريطانية واجهت فى هذه المرحلة صعوبات عدة فى مصر والسودان، وخاصة ما يتعلق بالخطر على الحدود الغربية لمصر من جهة السنوسية، والحدود الجنوبية للسودان فيما يتعلق بتطور الأحداث فى إثيوبيا والصومال، رغم نجاحها فى السيطرة على الوضع الداخلي فى مصر والسودان، وتفوقها على العثمانيين فى إبعادهم إلى حدود سيناء وأبواب فلسطين، كما أن أحداث هذه المرحلة تشير إلى المحاولات العثمانية فى برقة وإثيوبيا والصومال للتفاهم مع رعايا تلك البلاد وإقناعهم بالجهاد ضد الحلفاء، إلا أن السياسة البريطانية التي نجحت من قبل مع الحسين فى الحجاز، نجحت مرة أخرى مع حلفائها بالتفاهم فى برقة مع عنصر آخر وجدت فيه مآربها واتفقت معه وهو السيد محمد إدريس وسحبت السلطة من السيد أحمد الشريف بهذه الوسيلة، وتعاونت بريطانيا مع حلفائها فى تشجيع عزل إمبراطور إثيوبيا، وأخفقت فى الوصول إلى الملا محمد عبد الله حسن فى الصومال.

---

(١) النصوص الكاملة للإتفاقيات

Hurewitz, L.C.,(ed) Vol.2, Op.,cit, pp.79-92

(٢) الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، الطبعة الأولى، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر، ١٩٥٠م، ص ٢٠٧-٢٠٩.

الخطط العسكرية للدولتين والعمليات الحربية على حدود مصر وفلسطين :

لما رأى العثمانيون والألمان خطورة الوضع بعد ثورة الشريف وخسائر العراق، والتهديدات البريطانية على أبواب فلسطين، عُقد مؤتمر عسكري في حلب في يونيو ١٩١٧م/١٣٣٥هـ وحضره قائد الجيش الرابع أحمد جمال باشا وقائد جيوش القوقاز أحمد عزت باشا وقائد الجيش الثاني مصطفى كمال باشا وقائد الجيش السادس خليل باشا ورئيس أركان الحرب العام الفريق برنزوار باشا ومستشار وزارة الحربية محمود كامل باشا وعلى فؤاد بك وغوزة بك وفون فالكنهاين بك وترأس المؤتمر وكيل القائد العام أنورباشا، حيث دارت المناقشات حول السياسة الواجب اتباعها لمواجهة الموقف، وغادر أنور باشا بعد أيام دون التوصل لنتائج حاسمة[1] .

وبعد أيام عُقد اجتماع في مقر الصدارة العظمى بإستانبول برئاسة سعيد حليم باشا حضره أنور باشا وطلعت بك وخليل بك وتقرر إلغاء الجيش الرابع الذي كان مسئولاً عن سوريا وفلسطين وشرقي الأردن، وإنشاء جيش بإسم جيش الصاعقة "ييلدرم" بعد مفاهمة بين أنور والقيادة الألمانية، وتولى المشير فون فالكنهاين قيادة هذا الجيش بأكثرية ألمانية وأقلية عثمانية في قياداته وتنظيماته[2] .

وقد أشار أحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع أنه تناقش مع أنور باشا في الجبهة قبيل إنعقاد مؤتمر حلب في يونيو ١٩١٧م/١٣٣٥هـ وشرح له أنور أهمية تشكيل جيش الصاعقة للزحف على بغداد لاستردادها من الإنجليز ولما عُقد المؤتمر عبّرأحمد جمال عن رأيه في حشد قوة كبيرة في حلب بدلاً من حملة بغداد، فإذا عرف الإنجليز أن لدى العثمانيين قوات كبيرة في حلب لربما عدلوا عن الهجوم رغم تصميمهم على الهجوم على غزة، فأجابه أنور بأن قرار هيئة أركان الحرب العليا إستقر على إنفاذ حملة بغداد، فرأى أحمد جمال باشا بعد ذلك أن يخاطب الصدر

---

(١) جمال باشا [الصغير]، كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب، ترجمة فؤاد ميداني، بيروت، ١٩٣٢م، ص ٩-١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢.

الأعظم فأرسل إليه برقيات بخصوص هذا الموضوع فأجابه الصدر أن قرار الشروع في حملة بغداد تم بقرار من مجلس الوزراء، وأن الصدر طلب في زيارته الأخيرة لألمانيا نقل خدمات فالكنهاين تحت تصرف الدولة العثمانية، ومع ذلك توجه جمال باشا إلى الآستانة في نهاية أغسطس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ ليلفت نظر الحكومة إلى الخطر الذي يهدد الجبهة الفلسطينية فعقد مجلس الحرب برئاسة أنور وبحضور فالكنهاين وجمال وبعض القادة واقترح أحمد جمال العدول عن حملة بغداد وحشد فرق جيش الصاعقة في فلسطن ودمشق وحماه وحلب، وارسال بعض فرقها إلى جبهة فلسطين المقابلة للإنجليز، ولكن مجلس الحرب انتهى بإصراره على الرأي الأول، وبعد فترة وعندما كان أحمد جمال في زيارة ألمانياوصلته برقية من أنور بأن التعليمات وصلت فالكنهاين قائد جيبوش الصاعقة بمهاجمة الجبهة الفلسطينية الإنجليزية وتولي قيادة الجيش في ميدان فلسطين وإلحاق الجنود في الجبهة التي يقودها فون كريس بقيادة فالكنهاين... وعلى هذا الأساس يذكر أحمد جمال أن فترة ثلاثة أشهر أُضيعت في الإنتظار للشروع لحملة بغداد التي لم تتم فوصلت القوات إلى فلسطين بعد فوات الأوان[١].

أما جمال باشا {الصغير} فيذكر أن جمال باشا كان جاهلاً لهذه التنظيمات الجديدة التي يريد بها أنور القضاء على سيادته[٢] .

ومهما كان الأمر في علم جمال باشا بالخطة حسب أقواله، أو عدم علمه بها حسب ما أشار إليه جمال {الصغير} فإن الواضح أن القيادات العثمانية كانت على خلاف في الخطة العسكرية الواجب اتباعها، لاسيما وأن الخلاف ليس بين القيادات العثمانية فحسب وإنما تشترك فيه القيادة الألمانية من جانبها، وهذا بلا شك من العوامل الخطيرة في فشل الخطط المقررة.

وفي هذا الوقت الحاسم وصلت قوات الشريف إلى العقبة لتقترب أكثر في زحفها شمالاً بالقيادة البريطانية، ويلتقي الزحف القادم من مصر عبر سيناء بالزحف

---

(١) جمال باشا، مذكرات جمال باشا، ص ٣١٢-٣٢٤.

(٢) جمال باشا (الصغير)، مصدر سبق ذكره، ص١٢.

القادم من الحجاز[1].

وكانت قد ظهرت عدة حقائق لفالكنهاين عندما زار الجبهة فأبر ق إلى أنور باشا بأن القيام باسترداد بغداد عملاً بالخطة المرسومة لا فائدة منه ولاسيما أن القيادة تقوم بإستعدادات هائلة لمهاجمة فلسطين، ولهذا يؤيد فكرة قائد الجيش الرابع جمال باشا بإرسال الفرق إلى فلسطين مع الإختلاف في بعض النقاط فرفض أنور، وكان ذلك قبل عقد مجلس الحرب الذى حضره أنور وجمال وفلكنهاين، فلما عقد المؤتمر وظهر الإختلاف، قرر أنور بالتعاون مع طلعت باشا وجاويد بك إرسال فالكنهاين إلى جبهة فلسطين لدراسة الوضع، فكتب هذا تقريراً بعد وصوله يرى فيه إلغاء الجيش الرابع وتأمين الغذاء للجنود والأهالي، وتطبيق سياسة الدفاع لا الهجوم، لمجابهة الخطر القادم من جبهة سيناء والحجاز، دون العراق التى حقق فيها الإنجليز ما يريدونه باحتلالهم بغداد[2] .

وفى الوقت الذى كان فيه العثمانيون والألمان يتدارسون خططهم العسكرية دون إتفاق تام، قام البريطانيون من جانبهم بخطوات جديدة فى جبهة سيناء، ففى ١١ يونيو ١٩١٧م/١٣٣٥هـ تلقى السير أرشيبالد موراي برقية من وزير الدولة البريطانى يخبره بقرار وزارة الحرب البريطانية باستدعائه وتعيين الجنرال اللنبى E. Allenby[3] قائداً لقوة حملة مصر E.E.F[4] .

ووصل اللنبي إلى مصر فى ٢٨ يونيو ١٩١٧م/١٣٣٥هـ، وقد قابله لويد جورج قبل سفره إلى مصر وبين له رغبته فى تقديم القدس هدية للأمة البريطانية بمناسبة عيد الميلاد {أي بعد ستة أشهر}، بينما كان الهدف الأول للجنرال اللنبى يتركز على

---

(١) انظر الفصل السابع.

(٢) جمال باشا {الصغير} مصدر سبق ذكره، ص ١٥-٢٠.

(٣) إديموند اللنبى Edmund Allenby (١٨٦١-١٩٣٦) أحد القادة العسكريين عمل فى جنوب إفريقيا والتحق بالميادين الغربية فى الحرب العالمية الأولى، إلى أن عين فى عام ١٩١٧م قائداً لقوة الحملة المصرية فى ميادين سيناء وفلسطين.

انظر: Kenyon, J.P., Adictionary of British History, pp.10-11.

(٤) __ Macmunn, G., and Falls, C., Op. cet. p. 368.

دحر الجيش العثماني فى فلسطين الجنوبية وسحب الإحتياطات العثمانية من منطقة حلب وإزالة خطر توجيه أي حملة إلى بغداد[١] . مما يوضح الأهداف الصليبية التى رافقت المخطط البريطاني فى جبهة سيناء وفلسطين.

وفى ٢٨ يوليو وافق الشريف حسين على طلب السير ريجنالد وينجت بوضع الجيش الشمالي الذى يقوده الشريف فيصل تحت قيادة الجنرال اللنبي ليصبح جناحاً أيمن للقوات البريطانية المتقدمة[٢] .

وكان وينجت يرى أن الهجوم على فلسطين يبعد إمكانية الهجوم العثمانى على مكة سواءً من القوات الموجودة فى المدينة أو من الشمال، ويساعد على هزيمة الجيوش العثمانية فى المعركة، ودعا وينجت فى نفس الوقت إلى إعادة التفكير فى الهجوم على لحج من عدن ليكون الهجوم على العثمانيين بشكل شامل أقوى وأجدى[٣] .

بينما كان تفكير بعض رجال البحرية البريطانية أن موقف القبائل فى المناطق الواقعة شمال معان وجنوب حمص إذا أُحسن إستغلاله سيمنع إتصال القوات العثمانية فى الشمال وخاصة فى حلب مع جنوب فلسطين فى جبهة غزة-بئر السبع، كما أن موقف القبائل هذا يتيح إستخدام العقبة كقاعدة بحرية للعمليات العسكرية في الشمال[٤] .

وعلى هذا الأساس فإن تفكير السلطات البريطانية فى مصر وعلى رأسها وينجت ينصب على توحيد العمليات فى سيناء وشمال الحجاز وعدن فى وقت واحد، وقد تمت العمليات على هذا الأساس باستثناء الهجوم على لحج من عدن[٥].

---

(١) شكري محمود نديم، مرجع سبق ذكره، ص ٩٠.

(٢) El-Edroos, Syed. Ali., The Hashemite Arab Army 1908-1979, the Publishing Committee, Amman, Jordan, 1980, p. 102.

(٣) (PRO) FO 371/3054, Reference Sir R. Wingate's despach No. 127, 11th, June 1917.

(٤) Same Series and Vol., Form R.E. Wemyss to Secretary of Admiralty, 17th, July, 1917.

(٥) انظر ما يختص بالمداولات حول الهجوم على لحج وصرف بريطانيا النظر عن ذلك فى الفصل

وفى بداية شهر أكتوبر ١٩١٧م/١٣٣٥هـ، كان الموقف الحربي للعثمانيين في العراق أخطر منه فى جبهة فلسطين، رغم وجود بعض المناوشات فى سيناء، التي تطورت بعد ذلك فأصبحت بداية للهجوم للبريطانى[1] .

وقد قام الجنرال اللنبى قبل الهجوم العام بتنظيم القوات، حيث ألغى قيادة القوة الشرقية، وأعاد تنظيم قوة الحملة المصرية، فى الوقت الذى كان فيه الموقف البريطاني ملائماً للهجوم، حيث ساد الهدوء فى الصحراء الغربية واستتب الأمن فى مصر والسودان، وأعلنت الحبشة ولاءها وكانت قوات الشريف تواصل تقدمها الناجح فى الشمال[2] .

وأخذت القوات البريطانية تعسكر فى جبهة سيناء، وتقدر بثمان فرق بريطانية وفرقة فرنسية وأخرى إيطالية وهندية وثلاث فرق من العمال المصريين، إضافةً إلى عشرات الطائرات التى تقلها السفن البريطانية، ولذا كان على العثمانيين أن يسارعوا إلى تعزيز جبهة فلسطين بإرسال الجيش السابع والثامن إليها، والاكتفاء بالقوات الموجودة فى العراق للدفاع عنها، ومحاولة إستمالة القبائل الموجودة فى الصحراء لمنع توسع القوات البريطانية[3] .

وكان العثمانيون يعرفون ما ترمى إليه القيادة البريطانية فى تقدمها، وأن تحمل قواتهم لمشاق الصحراء ومدهم السكة الحديدية ومثلها أنابيب المياه شرقاً، إنما جاء تحقيقاً للوصول إلى الأهداف البريطانية فى التوسع على حساب العثمانيين[4] .

وفى ٢٢ أكتوبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ، أصدر الجنرال اللنبي أوامر بالهجوم وكانت الخطة تقوم على الهجوم على العثمانيين فى غزة وفى بئر السبع، وبعد الإستيلاء على بئر السبع القيام بهجوم لتطويق الجناح الأيسر لمواقع القوات العثمانية الرئيسية في

الأخير.

(١) جمال باشا {الصغير}، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨-٦١.

(٢) شكرى محمود نديم، مرجع سبق ذكره، ص ٩١.

(٣) جمال باشا {الصغير}، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦-٤٧.

(٤) حسين حسن أمير، بيلديرم، إستانبول، ١٣٣٧، {باللغة التركية} ص ٤٣.

اتجاه شريعة وهريره، على أن يسبق الهجوم على بئر السبع بأربعة أيام القيام بضرب دفاعات غزة بواسطة الأسطول وإحدى الفرق المخصصة لذلك، وأن يكون الهجوم على بئر السبع من ناحية الشرق والشمال الشرقي لمنع الهجمات الخاطفة من الفرق العثمانية، ولمنع هروب الحامية، وينبغي أن يكون هجوم القوات البريطانية بسرعة وعنف لئلا يتاح للعثمانيين تدمير الآبار الموجودة في المدينة، حيث ستعتمد التحركات للهجمات التالية على إمدادات المياه هذه[1] .

وقد لجأت الخطط البريطانية إلى إجراءات أخرى غير الإستعدادات العسكرية، كإعداد بعض الخدع الحربية، ومنها إيهام العثمانيين بإنزال بريطاني في الساحل السوري في خليج الإسكندرونة، وأبرقت عدة رسائل مزيفة ليلتقطها العثمانيون على أنها حقائق صحيحة، ورغم عدم نجاح بعض هذه الإجراءات فقد كُتب النجاح لخطة قام بها أحد الضباط حيث أعد بعض الأوراق المزيفة والوثائق والخطط وفي إحداها قرار مزعوم من القيادة البريطانية الرئيسية لتوجيه الهجوم الرئيسي على غزة، ثم إقترب هذا الضابط إلى المواقع العثمانية التي لاحقته وأطلقت النار في الإتجاه الذي قدم منه، متظاهراً بإصابته ورمى الوثائق والأوراق ونظارته الخاصة. واستطاع الفرار، فعثرت القوة العثمانية على الأوراق ودرستها القيادة العثمانية التي اقتنعت بأن القوات البريطانية ستركز هجومها الرئيسي على غزة بينما الحقيقة أنها ستتركز على بئر السبع ومن ثم غزة[2] .

أما خطة االدفاع العثمانية إستعدادا للهجمات البريطانية. التي تنتظرها القوات العثمانية على جبهة سيناء[3] . فهي تعزيز المواقع العثمانية في غزة وبئر السبع، وتأليف جبهتين جديدتين، الأولى في غزة ويطلق عليها الجناح الأيمن وتتبع الجيش الثامن الذي يقوده فون كريس، والثانية في بئر السبع ويطلق عليها الجناح الأيسر وتتبع الجيش

(١) Falls, C., Millitary Operations Egypt and Palastine From June 1917, to the End of the War, Part 1, H.M. Stationery Office, London, 1930, pp. 28-30

(٢) Ibid, 30-31.

(٣) حسين حسني أمير، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦.

السابع الذى يقوده فوزي باشا[1] .

ويبلغ طول خط الدفاعات العثمانية من غزة إلى بئر السبع حوالى ٣٢ ميلاً، وترتبط غزة ببئر السبع بطريق ممهد للمواصلات يتيح الاتصال بين المراكز الدفاعية، وتبلغ القوات العثمانية المدافعة فى الجبهة حوالى أربعين ألف جندى مقابل ثمانين ألف جندى فى الجانب البريطانى[2] .

وكانت القيادة العثمانية وعلى الأخص فون كريس الألمانى قائد الجيش الثامن ترى أن الهجوم البريطاني سيتركز على غزة، بدليل تركيز مدفعية الأسطول البريطانى ضرباته على دفاعات غزة وما حولها، وزيادة المعارك الإستكشافية[3] .

ولذا كانت قناعة القيادة العثمانية بأن الهجوم البريطاني الرئيسي سيوجه على غزة بينما تنوي القوات البريطانية الإستيلاء على بئر السبع أولاً. وهذا مؤشر على نجاح الخطة البريطانية فى إيهام الخصم، نتيجة لتصديق العثمانيين لمحتويات الأوراق والوثائق والخرائط التى خلفها الضابط البريطانى وراءه.

وفى الوقت الذي كانت تصل فيه إلى القائد العام لجبهة فلسطين تقارير عن الخطر المحدق بغزة وإحتمال سقوط جبهتها، بدأت المعركة الرئيسية فى جبهة بئر السبع فى صباح ٣٠ أكتوبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ[4] . وفى اليوم التالى أخذ البريطانيون يهاجمون بقوات كبيرة بئر السبع من الجنوب ومن الشرق واشتد القتال بين الطرفين، بتفوق جوي من الجانب البريطاني، حيث استطاعوا اختراق صفوف الجبهة، فاضطر العثمانيون إلى الإنسحاب على نية تدمير آبار المياه حتى لا يستفيد منها الخصم فانسحبوا من بئر السبع ودخلها البريطانيون دون أن يتم تدمير آبار المياه[5] .

---

(١) جمال باشا [الصغير]، مصدر سبق ذكره، ص ٦١-٦٢.

(٢) شكرى محمود نديم، مرجع سبق ذكره، ص ٩٧.

(٣) جمال باشا [الصغير]، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢-٦٤.

(٤) جمال باشا [الصغير]، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.

(٥) حسين حسنى أمير، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩-١٣١.

وكانت الخطة البريطانية للهجوم على غزة تتوقف على نتائج معركة بئر السبع[١]، فلما تم الإستيلاء عليها، بدأت الاستعدادات البريطانية لضرب دفاعات غزة للاستيلاء عليها، ولسحب الجنود الاحتياطية للعثمانيين فى عمليات غزة لتسهل بذلك مهمة القوة البريطانية المخصصة لاختراق موقع الشريعة فى الداخل، ولذا أصدر اللنبي أوامره بالهجوم على غزة فى الثاني من نوفمبر إلا أن آبار المياه التى خلفها العثمانيون فى بئر السبع لم تكن بحالة جيدة كما كان متوقعاً فقرر تأجيل الهجوم[٢] .

ومع ذلك فقد سبق ابتداء ضرب غزة من البر والبحر منذ ٢٧ أكتوبر ثم تلاه ضرب أشد عنفاً فى الأيام التالية وتعد أقوى عمليات ضرب بالمدفعية أُستعملت خارج الميادين الأوربية للقتال، وأُستعملت فيها قنابل الغاز[٣] .

ونتيجة للهجمات البريطانية القوية على غزة وعلى طول الجبهة البالغ طولها ٥٠ كيلاً، اضطرت القوات العثمانية فى السابع من نوفمبر إلى التراجع حيث انسحب الجيشان السابع والثامن إلى الوراء، وخرق الإنجليز بشكل خطير الجبهات العثمانية على طول الساحل من ناحية وبجوار تل الشريعة من جانب آخر[٤] .

وتضع بعض المصادر العثمانية مسئولية الهزائم العثمانية فى هذه الجبهة والتى اعتبرت مقدمة مشئومة لها تأثيرها الحاسم على الحرب وبالتالي إنهيار الجبهة وضياع فلسطين، على القيادة الألمانية وعلى الأخص القائد الألمانى فون كريس الذي كان يجزم بأن المناورات الحربية البريطانية لا ترمى إلى الاستيلاء على بئر السبع بل هى مناورة حربية يراد بها خدعة القيادة العثمانية ولم يعبأ بأقوال الضباط العثمانيين حيث لم يأمر بتعزيز قوات بئر السبع بقوات جديدة أو يأمر القوات الموجودة بالجلاء والتراجع إلى الوراء، ولم يقم جبهة خلفية لحماية القوات المهزومة وبالإضافة إلى ذلك كانت قوة بريطانيا وحلفائها الجوية والبحرية عاملاً كبيراً فى الهزائم العثمانية، كما عُثر على

---

(١) انظر ملحق الخرائط.

(٢) Falls, C., Op, cit, Part 1, pp. 63-64.

(٣) Ibid, pp. 64-65.

(٤) حسين حسنى أمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

بعض الجواسيس الذين يزودون القيادة البريطانية بأسرار القيادة الألمانية العثمانية كقضية القائد أحمد زكي بك من أركان حرب المشير فالكنهاين الذى وجد مع رجل يهودي يدعى داود كبراوسكى يسلمه تعليمات جديدة عن حركات الجيوش العثمانية وفق مخابرات سابقة بينه وبين الاستخبارات البريطانية[١] . ويذكر جمال باشا فى مذكراته أنه لو لم يدر البحث مطلقاً فى استرداد بغداد وحشدت كل الجنود فى الميدان الفلسطينى، ولو لم يوضع فالكنهاين فى قيادة الجيش لربما أمكن الدفاع عن خط غزة- بئر السبع[٢].

وكان للتردد والمناقشات الطويلة أثر فى الهزائم العثمانية فعندما تم التوصل إلى القرار النهائي وهو وجوب تعزيز الجبهة الفلسطينية، وأمر الجيش السابع بالتوجه إليها، كانت الفرصة قد ضاعت فقد شرع الجنرال اللنبي بهجومه العام فى ٣١ أكتوبر فى الوقت الذى كانت فيه القوات العثمانية فى طريقها للجبهة[٣] .

وهكذا فإن الانتصار البريطاني فى خط بئر السبع- غزة وهى البوابات الجنوبية لفلسطين والحدود الشرقية لسيناء، يُعد عائقاً لأي تهديد عثماني على مصر، ولما كان التقدم البريطاني يقابله تراجع عثماني إلى داخل فلسطين، فإن كفة التهديد البريطاني هى الراجحة وبالتالي إستحالة أى هجوم قادم على مصر، خاصةً وأن السلطات البريطانية بتصميمها على وضع نهاية للتهديدات العثمانية فى سيناء، ووضعها القيادة فى يد الجنرال اللنبى بعد أن خاض الجنرال موراي تجربتين فاشلتين أمام غزة في السابق، وأخذ البريطانيين لزمام الموقف فى الجبهات الأخرى أمام العثمانيين لاسيما في بعض مناطق البحر الأحمر كالحجاز وعسير وداخل مصر والسودان، كل ذلك يعطي إنطباعاً عن بداية التقهقر العثماني الذى يعد أحد سمات هذه المرحلة.

---

(١) جمال باشا {الصغير}، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦-٧٩، وحسين حسنى أمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.

ومهما قيل عن أسباب الهزائم العثمانية الأخيرة، فإن هناك عاملان حسب الحقائق المشار إليها آنفاً، يُعدان من أبرز العوامل في الإخفاق العثماني: الأول إزدواجية القيادة العثمانية الألمانية التى أظهرت إختلافات واسعة فى وجهات النظر رغم أن القيادة العليا فى يد الألمان... إذ أن العمليات السابقة التى خاضها العثمانيون مهما كانت أجناسهم تركاً أم عرباً أظهرت بعض التفوق، ومن يطالع ما كتبه جمال باشا {الصغير} وهو أحد القيادات العثمانية فى الحرب العالمية الأولى أو ما كتبه أقرانه الآخرون يلمس الشعور السائد فى التبرم من القيادة الألمانية وما تهدف إليه من أهداف أخرى لا تمت للمصالح العثمانية بصلة. أما العامل الآخر فهو عظم الإستعدادات البريطانية للهجوم الجديد ومشاركة فرق من حلفائها فيه بالإضافة إلى مساعدة اليهود فى أعمال الجاسوسية بما يوحى بالمشاركة الصليبية اليهودية للتقدم إلى أرض الميعاد حسب زعمهم.

وكان حاكم سيناء البريطانى باركر A.C. Parker قد وضع برنامجاً لإدارة الأراضي التى ستحتلها القوات البريطانية قبل أسابيع من بداية الهجمات البريطانية التى انتهت بالإستيلاء على غزة وبئر السبع، حيث سيوضع المركز الرئيسى لإدارة منطقة غزة- بئر السبع- خان يونس، فى غزة على أن تكون الهيئة الإدارية مُشكّلة من ضباط بريطانيين ذوى إلمام باللغة العربية وموظفين مصريين ذوي إلمام بالإنجليزية، بالإضافة إلى بعض الموظفين للأعمال الكتابية من مصريين وسوريين مسلمين ونصارى، ووضع نظام للشرطة يشترط فى أعضائه التحدث بالعربية، وإدارة عسكرية تتولى البت فى الأمور التى تحتاج إلى مثل هذه السلطة، وهيئة طبية فى هذه المناطق. واقترح باركر إصدار بلاغ بعد الإحتلال يحث على تعاون الأهالى ويحذر من أى معارضة، وأن البلاد تحت الأحكام العرفية [١]. ويعني هذا أن البريطانيين كانوا واثقين باحتلال هذه الأماكن التى تستدعي إعداداً إدارياً مسبقاً.

---

(١) (PRO) FO 371/3061, Scheme for Administration of Accupied Enemy Territory, (Sgd.) A.C. Parker. Military covernor, Sinai, El Arish, 9-10-1917.

وبعد تمكن القوات البريطانية من خرق جبهة غزة- بئر السبع اخترقت الجبهة الثانية التى تراجعت إليها القوات العثمانية، ولم يبق للعثمانيين سوى المحافظة على جبهة يافا- القدس فى ١٢ نوفمبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ، وفي كل البرقيات المتبادلة بين القائد العام لجبهة فلسطين وإستانبول وتقارير قادة جيوش الجبهة يدور الحديث عن الصعوبات والمتاعب التى يلاقيها الجنود فى المؤنة والمواصلات، وقرر أنور باشا زيارة جبهة فلسطين فى ١٥ نوفمبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ، حيث وصل إلى القدس، وتفقد الجبهة، وصرّح فالكنهاين لأنور عدم صحة المخاوف من ضياع القدس، ولكن فى اليوم الذي عاد فيه أنور إلى إستانبول دخل البريطانيون يافا فى ١٦نوفمبر١٩١٧م/١٣٣٦هـ [١]

وقام العثمانيون بمحاولة القيام بهجوم مضاد فى ٢٧ نوفمبر فى إحدى الثغرات فى مراكز البريطانيين. ولم تنجح المحاولة[٢].

وقد سبق لفالكنهاين أن أبرق إلى أنور باشا بوجوب القيام بحركة هجوم مقابلة لإنقاذ الموقف وحتى لا يقع الفشل التام بل والجلاء النهائى عن منطقة فلسطين [٣]

ومع ذلك لم تجد هذه المحاولات اليائسة، إذ بدأت الاستعدادات البريطانية لدخول القدس، ورغم أن البريطانيين توقعوا إخلاء القدس من قبل العثمانيين إلا أن هذا الرأي لم تثبت صحته، فقد تأكدوا أن العثمانين مصممون على الدفاع عنها ساعدهم فى ذلك رداءة الطقس وغزارة الأمطار وعدم صلاحية الطرق، ولذا قرر اللنبي الإستعداد من جديد لإستئناف الهجوم على القدس بإصلاح الطرق واستبدال الفيالق المنهكة بأخرى جديدة[٤].

ولذا فإن المحاولة البريطانية الأولى للتقدم إلى القدس عن طريق رام الله لم تحقق نتائجها. قرر الجنرال تشتوود قائد الفيلق العشرين مهاجمة القدس من الجنوب

---

(١)جمال باشا {الصغير}، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧-١١٩

(٢) Falls, C., Op., cit, Part 1, pp. 218-236

(٣) جمال باشا {الصغير}، مصدر سبق ذكره، ص١٠٨-١٠٩.

(٤) شكري محمود نديم، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٣-١٤٧

والإستفادة من طريق يافا– القدس[1].

وبالفعل استطاعت القوات البريطانية احتلال القدس فى ٨ ديسمبر ١٩١٧م/ ١٣٣٦هـ رغم الجهود التى بذلت لتقوية دفاعات القدس، إلا أن إعترافات فالكنهاين تشير إلى أن القيادة حسب التقارير السرية والعسكرية القادمة إليها لم تفد باحتمال قيام البريطانيين بهجوم عام جديد على جبهة القدس[2] . فكانت النتيجة دخول البريطانيين القدس.

وقبل الاستيلاء على القدس بأسبوعين وصلت إلى القيادة البريطانية فى مصر برقية من وزارة الحرب، برغبة رئيس الوزراء البريطانى لويد جورج في عمل أول بلاغ رسمي عن احتلال القدس فى مجلس العموم البريطانى متضمناً طريقة إستقبال أهالى القدس للاحتلال، ودخول المدينة المقدسة، وحماية الأماكن المقدسة ووضع القدس تحت الحكم العرفى[3] .

وفى ١٣ديسمبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ تلقى وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية بلفور A.J. Balfour التهنئة من الحكومة اليونانية بالإنتصار الذي حققته المسيحية بخلاص المدن المقدسة من الحكم العثماني، حيث ستقام الصلوات فى الكنائس فى مدن اليونان إبتهاجاً بهذا الإنتصار[4] .

وهكذا تحققت أمنية العالم الصليبي والعنصر اليهودي بعد ذلك بالإستيلاء على القدس وانتزاع حكمها من المسلمين، في الوقت الذى يتم إقناع العرب المسلمين بالخلاص من العثمانيين المسلمين.

وبذلك فقد العثمانيون إحدى البقاع الإسلامية الهامة التى حرص أسلافهم

---

(١) Falls, C., Op, cit, Part, 1, pp. 237-238

(٢) جمال باشا (الصغير)، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤–١٢٥.

(٣) (PRO) FO 371/3061, From War Office to G.H.Q., Egypt, 21st, Nov., 1917

(٤) Same Series and Volto, A.J. Balfour, Secretary of State for Foreign Affairs. Dec., 13th, 1917.

لقرون عديدة على إبقائها تحت السيادة العثمانية الإسلامية، وقبلها فقدوا مكة ثم فقدوا المدن العريقة الأخرى كبغداد، وأصبحت كل الدلائل تشير إلى قرب الإنهيار النهائي للحكم العثماني.

وقام العثمانيين بإجراءات جديدة لتدارك الوضع، فتم عزل فون كريس من قيادة الجيش الثامن وتولية جواد باشا مكانه، وعين جمال باشا {الصغير} قائداً للجيش الرابع الذى أُعيد تشكيله من جديد ويتألف من فرق حاميات الحجاز الباقية وفيالق أضنه ودمشق وعاليه، والجيش الثاني فى معان. ثم عُزل فالكنهاين فى فبراير ١٩١٨م/ ١٣٣٦هـ وعَين مكانه ليمان فون ساندرز الذى كان أول عمل قام به إصدار أمر جلاء القوات العثمانية من الحجاز على أن يتم تنفيذه حين تتهيأ الفرصة المناسبة بعد شهرين على الأقل من صدور الأمر(١) .

وقد طبق الجنرال ليمان فون ساندرز بحكم معرفته بأساليب وقدرات العثمانيين سياسة جديدة بالقوات الموجودة وهي الجيش الرابع والجيش السابع والجيش الثانى، وتقوم هذه السياسة على القتال حتى الموت فى المكان الذى يقف فيه الجندي وهي تجربة مستوحاه من الدفاع الناجح فى غاليبولى، ولذا أُصدرت الأوامر للجيوش الثلاثة بالتمسك بالدفاع عن الأرض بأي ثمن(٢) .

أما الجانب البريطاني فقد عقد فى يناير ١٩١٨م/١٣٣٦هـ مجلس الحلفاء الأعلى وقرر الوقوف موقف الدفاع فى ميادين فرنسا، وإيطاليا والبلقان والقيام بهجوم حاسم ضد العثمانيين، وفى فبراير ١٩١٨م/١٣٣٦هـ، قام الليفتنانت جنرال سمطس J.C. Smuts مندوب مجلس حرب الحلفاء الأعلى بزيارة مصر لوضع الخطط مع الجنرال اللنبى والجنرال مارشال Marshall الذى خلف الجنرال مود فى قيادة قوة حملة البحر المتوسط MEF لإخراج الدولة العثمانية من الحرب.

وعقد هؤلاء مؤتمراً فى القاهرة تقرر فيه الوقوف موقف الدفاع في العراق والقيام بهجوم فى فلسطين وسوريا بعد تعزيز قوة الحملة المصرية بقوات هندية. إلا

---

(١) جمال باشا {الصغير}، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧-١٣٥.

(٢) El-Edross, S.A., Op. cit, pp. 106- 107.

أن هجوم الألمان في مارس عام ١٩١٨م/١٣٣٦هـ في فرنسا كلف البريطانيين آلاف القتلى فاستدعى ذلك سحب بعض القوات البريطانية من قوات اللنبي واستبدالها بأخرى هندية، فتأجلت خطط هجوم اللنبي[١] . ومضى صيف عام ١٩١٨م/١٣٣٦هـ، كفترة إعادة تنظيم وتهيئة للقوات البريطانية فى ميادين فلسطين وسوريا[٢] .

كانت قوات الشريف فيصل تقوم فى هذه الفترة بحملات ناجحة فى شمال الحجاز وفى قطاعات معان والعقبة. ورغم أن العثمانيين والألمان كثفوا الحاميات هناك وقاموا ببعض المفاوضات مع القبائل الموجودة في المنطقة لاقناعهم بالمال، مما أقلق الشريف حسين، إلا أن الجنرال اللنبى دفع ببعض قواته تجاه عمان في مارس ١٩١٨م/١٣٣٦هـ فتراجعت القوات العثمانية، واستمرت قوات الشريف فى أعمالها التخريبية ضد السكة الحديدية وهجماتها على الحاميات العثمانية إلى أن أكمل اللنبى إستعداداته فى ستبمبر ١٩١٨م/١٣٣٦هـ، للقيام بالهجوم الشامل ضد القوات العثمانية فى فلسطين وسوريا على أن يكون دور قوات الشريف استكمال وتعضيد الهجوم من مواقعها الحالية في منطقة العقبة ومعان باتجاه الشمال لتلتحم بالقوات الرئيسية لقوات اللنبي فى النهاية[٣] .

ولما كانت الإستعدادات البريطانية جارية منذ شهور للبدء فى الهجوم العام في ستبمبر ١٩١٨م/١٣٣٦هـ وفقاً لخطة الحلفاء التى قضت بتأجيل الهجوم إلى أن تتحسن حالة جبهة الحلفاء الغربية، فقد ركزت القيادة البريطانية على أن تكون خطة الهجوم الجديدة فى سبتمبر ١٩١٨م/١٣٣٦هـ وفق ما يلى :-

- إيجاد رابطة بين القيادة العامة البريطانية عن طريق القدس وقوات ثورة الشريف فيما وراء نهر الشريعة.

---

(١) Ibid, pp. 105-106.

(٢) شكري محمود نديم، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠١.

(٣) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, War Office, 30th, September 1918, pp. 6-12.

وتوجد تفصيلات تحركات الشريف فيصل فى الفصل السابع الخاص بالحجاز.

- إيجاد صلة بين القوات البريطانية وقوات الثوار عن طريق وادي اليرموك لتقطع خط الرجعة على القوات العثمانية فى فلسطين[1] .

وكانت القيادات العثمانية تتوقع أن يقوم البريطانيون بالهجوم فى خريف ١٩١٨م/١٣٣٦هـ كما فعلوا في العام الماضى فى هجومهم الناجح ضد غزة وبئر السبع حيث سيهدف التحرك الجديد إلى احتلال دمشق[2] .

ولكن البريطانيين فاجئوا القوات العثمانية بصورة غير متوقعة، ففى ٨ سبتمبر ١٩١٨م/١٣٣٦هـ طوقت القوات البريطانية مقر القائد العام ليمان فون ساندرز في الناصرة فأسرت أركان حربه وهم فى منازلهم وأسرت قوات المعسكر العام، ونجا القائد العام الذى وصل إلى درعا وناقش الوضع مع باقى القيادات وتقرر :-

- تعزيز حامية درعا بالقوات التى ستتراجع جهة حيفا .
- تراجع القوات المعسكرة فى فلسطين كلها إلى درعا ودمشق.
- تولي الجيش السابع حماية القوات المتراجعة من جهة شرقى الأردن[3] .

لم تستطع القوات العثمانية تطبيق هذه الخطة نتيجة للحالة السيئة للقوات العثمانية ولقطع البريطانيين لخط رجعة هذه القوات، حيث تمكنت قوات الخيالة البريطانية متابعة زحفها وإيجاد رابطة بينها وبين قوات الشريف فى جهات نهر الشريعة[4]، وتم إخلاء درعا في ٢٧ سبتمبر فأصبحت القوات البريطانية المسيطرة على الخطوط الحجازية الممتدة من درعا إلى المدينة وإلى حيفا، إلى أن انتهى الأمر بدخول القوات إلى دمشق فى أوائل أكتوبر ١٩١٨م[5] .

ولم يبق أمام الصدر الأعظم طلعت باشا مجال للاستمرار فى الحكم بعد هذه

---

(١) جمال باشا (الصغير)، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٠.

(٢) (PRO) FO 371/3413, Translation of adocument captured by Desert M.C. during Operation 19th to 21st September, 1918.

(٣) جمال باشا (الصغير)، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٠-١٤١.

(٤) انظر ملحق الخرائط.

(٥) المصدر السابق، ص ١٤١-١٤٣.

النتائج الخطيرة على الدولة العثمانية فقدم إستقالته فى ١٣ أكتوبر ١٩١٨م/١٣٣٧هـ وتم تكليف أحمد عزت باشا بتشكيل الوزارة الجديدة من قبل السلطان محمد وحيد الدين (محمد السادس) الذى تولى العرش فى يوليو ١٩١٨م/١٣٣٧هـ بعد وفاة السلطان محمد رشاد (محمد الخامس)، وبدأت الوزارة الجديدة بمفاوضات الصلح مع الحلفاء، فوقعت المعاهدة فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م/١٣٣٧هـ، وفر معظم أعضاء الحكومة السابقة إلى الخارج كأنور وطلعت وجمال وبقية أعضاء جمعية الإتحاد والترقى[(١)] .

وهكذا فإن السلطات البريطانية التى وقفت فى السنتين الأولين من الحرب في مصر والسودان موقف المدافع من الهجمات العثمانية إنتقلت إلى إبعاد أثر هذه الهجمات من سيناء ثم تجاوز الحدود وملاحقة هذه القوات واحتلال فلسطين وأجزاء من سوريا ليصبح النفوذ البريطاني فى مصر والسودان أقوى منه قبل الحرب العالمية الأولى بفعل احتلال الأراضي المحيطة بوجودها هناك وتأمين منطقة البحر الأحمر شريان مواصلاتها البحرية مع الهند.

---

(١) توفيق برو، العرب والترك فى الحرب العالمية الأولى، ص ٣٥١-٣٥٢.

الفصل السابع

الحجاز
١٣٣٤ـ١٣٣٧/١٩١٦ـ١٩١٨
المرحلة الثانية

- قيام الشريف حسين بالثورة.
- موقف بريطانيا من الثورة.
- موقف العثمانيين في هذه المرحلة.
- مشاورات بريطانيا مع الملك حسين حول الوضع في الحجاز.
- زحف قوات الشريف نحو الشمال.
- الاتصال بالقبائل وخطط تدمير السكة الحديدية.
- الاستيلاء على العقبة.
- الوضع العثماني.
- العمليات الحربية في السنة الأخيرة للحرب.

الحجـــــاز
١٣٣٤-١٣٣٧هـ / ١٩١٦-١٩١٨م
المرحلة الثانية

انتهت المرحلة الأولى للصراع بين بريطانيا والدولة العثمانية فى الحجاز كجزء من منطقة البحر الأحمر، بنجاح السياسة البريطانية فى فصل الشريف حسين من جسم الدولة العثمانية بل وتهيئته للثورة عسكرياً ضد العثمانيين.

قيام الشريف حسين بالثورة

مع أن ثورة الشريف حسين أعلنت فى التاسع من شعبان ١٣٣٤هـ/١٠ يونيه ١٩١٦م[١] ، فقد أشارت بعض الوثائق البريطانية أن إعلانها فى هذا التاريخ يعني تقدمها بحوالي ثلاثة أشهر عما كان مقرراً لها، ولذلك أسباب منها أن فيصل بن الحسين علم فى المدينة أن الإستعدادات جارية لإرسال قوة عثمانية إلى جنوب الحجاز بالتعاون مع بعثة ألمانية بقيادة فون ستوتزنجن Von Stotqingen فأخبر والده بخطورة هذه القوة فكانت النتيجة التعجيل بالثورة[٢] .

وقبيل قيام الثورة بأيام قليلة غادر بعض أعضاء المكتب العربي بالقاهرة وهم ستورزStorrs وهوجارث Hogarth وكورنواليس Cornwallis القاهرة متوجهين إلى السويس للذهاب على متن السفية البريطانية دوفرين " Dufferin " من هناك إلى بورسودان ليأخذوا مبعوث الشريف حسين ثم ينطلقوا إلى ساحل الحجاز لمقابلة الشريف عبد الله ومعهم عشرة آلاف جنيه لتسليمها للشريف والنقاش مع عبد الله حول الوضع العسكري لبريطانيا وإزالة الشكوك حول أية إتفاقيات دولية مع الحلفاء

---

(١) عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص ١١٦.

(٢) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, With a preface by Commander D.G. Hogarth, C.M.G., R.N.V.R General Staff, War Office, 30th September, 1918, p.1

بشأن سوريا، ولمعرفة وضع الشريف حسين واستعداده للثورة. وكان مبعوث الشريف حسين المدعو ابن عريفان قد وصل إلى بورسودان قبل أيام وبالتحديد في ٢٧ مايو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ ومعه رسالة من الشريف حسين إلى مكماهون يشرح فيها الإستعداد الكامل للقيام بالثورة، ويطلب بعث الفاروقي إلى مكة، كما أحضر ابن عريفان رسالة من عبد الله إلى ستورز يؤكد قرب إعلان الثورة(١) .

وفي الثامن من يونيو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ، أي قبل الثورة بيومين، بعث ستورز برقية إلى مكماهون بأنه قابل هو وزملاؤه الأمير زيد الأبن الأصغر للشريف حسين وابن عمه نظراً لانشغال عبد الله في الطائف، وأفادوا بأن الثورة بدأت بالفعل في المدينة المنورة في يوم الأثنين ٥ يونيه - شعبان ١٣٣٤هـ، ولكن بسبب قطع الاتصالات في الحجاز ليست هناك أخبار عنها، أما المدن الأخرى كجدة ومكة والطائف فستعلن الثورة في يوم السبت ١٠ يونيو، على أمل طلب إستسلام الحاميات العثمانية في الطائف ومكة وجدة، بقيادة عبد الله بن الحسين في الطائف التي يوجد بها الوالي العثماني غالب باشا، والشريف في مكة، والشريف عبد المحسن في جدة، وقد طلب ستورز في برقيته مبلغ خمسين ألف جنيه الموعودة للشريف شريطة أن يسلمها بعد أن تبدأ الثورة بالفعل في مدن الحجاز، بالإضافة إلى قائمة الأسلحة التي طلبها الشريف(٢)، وعلى هذا يمكن القول أن ثورة الشريف في الحجاز بدأت يوم ٥ يونيه ١٩١٦م وليس في ١٠ يونيه اليوم الذي أصدر فيه الشريف بلاغ الثورة(٣) .

وبعد أيام قليلة من قيام الثورة هلك اللورد كتشنر(٤) وزير الحربية البريطاني في

---

(١) (PRO) FO 371/2773, Decypher Sir H. Mcmahon, Cairo, May 28th,1916.

(٢) (PRO) FO 371/2773, Decypher, Sir H. Mcmahon (Ramleh) June 8th, 1916.

(٣) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hijaz Revolt, p 2

(٤) هوراتيو هربرت كتشنر Herbert Ktichener (١٨٥٠-١٩١٦م) عمل في مصر والسودان من عام ١٨٨٣ إلى ١٨٩٩، ثم أعاد السلطة البريطانية إلى السودان بعد هزيمة المهدية في أم درمان، ثم عمل قائداً عسكرياً في الهند من عام ١٩٠٢ إلى عام ١٩٠٩، وعين في عام

عرض البحر وهو فى طريقه إلى مهمة فى روسيا، ولذا أبرقت الخارجية البريطانية إلى مكماهون ليبلغ الشريف حسين بالحادث حتى لا تظهر أية آثار فى الحجاز تضر بمصلحة واستمرارية الثورة لدى العرب بسبب هذا الحادث[1].

وعندما بدأ رجال الشريف حول المدينة المنورة باقتلاع خطوط السكة الحديدية لخط الحجاز، عجزوا نتيجة لقلة خبرتهم فى تدمير مثل هذه الخطوط من تعطيل هذا الخط قبل أن يطاردهم العثمانيون، ولهذا لم يتعطل الخط بشكل كامل بل استمرت المواصلات بين المدينة المنورة ودمشق على هذا الخط، أما جدة فقد هاجمتها قوات الشريف وعزلت حاميتها من الاتصال بمكة نتيجة للإستيلاء على المعاقل العثمانية على طريق جدة مكة، وبدأت الطائرات البريطانية ومدافع الأسطول البريطاني بضرب الثكنات العثمانية بجدة مما أجبر العثمانيين على الاستسلام بعد أسبوع من الثورة أما حامية مكة المكرمة العثمانية فقد استسلمت بعد ثلاثة أسابيع نتيجة لذهاب غالبية الجنود إلى الطائف لقضاء الصيف هناك وبقاء حامية ضعيفة بها، أما القوات العثمانية فى الطائف فقد صمدت ثلاثة أشهر ونصف تحت حصار قوات الشريف بقيادة عبد الله بن الحسين[2].

ويشير عبد الله فى مذكراته إلى أنه تم الاستيلاء على الحاميات العثمانية بمكة المكرمة فى أول يوم من الثورة، وبقي الجيش العثماني محصوراً فى ثكنة جرول وقلعة جياد، وسقطت ثكنة جرول فى اليوم التاسع وأسر فيها ألف ومائتا جندي وضابط، كما هوجمت قلعة جياد، وتم الاستيلاء على جدة فى اليوم الثالث، أما الطائف التى توجد بها الفرقة العثمانية النظامية بقيادة والي الحجاز العثمانى غالب باشا، فقد بدأ الهجوم عليها فى منتصف ليلة ١١ شعبان ١٣٣٤/ليلة ١٢يونيه ١٩١٦م، بقيادة عبد الله بن الحسين وليس فى التاسع من شعبان كباقى المدن، إلا أن قوة المدفعية العثمانية التي

١٩١٤ وزيراً للحربية البريطانية. أنظر..Kenyon, J.p. Op cit p 208

(١) (PRO) FO 371/2773, Cypher, tele, to Sir. H. Mcmahon, Ramleh, F.O June 14th 1916.

(٢) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hijaz Revolt, p. 2.

ابتدأت تعمل مع بزوغ شمس اليوم التالى حالت دون التقدم واضطرت بعض القبائل المهاجمة إلى التراجع وحاول عبد الله إعادة ترتيبها . وظل الموقف هكذا إلى حين إستسلام الحامية[1]

ويلاحظ الإختلاف البسيط بين رواية الوثائق البريطانية، وما رواه عبد الله فى مدد الإستيلاء، كما أن معاونة الأسطول والطائرات البريطانية للشريف فى جدة تبين مدى استعجال القيادة البريطانية على تحقيق نتائج سريعة للثورة ضد العثمانيين.

وعندما قامت ثورة الشريف كانت الفرقة العثمانية ٢٢ ترابط فى الحجاز وتتألف من الكتائب ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، بالإضافة إلى كتيبتين من فرقة عسير الحادية والعشرين، إحداهما فى القنفذة والثانية فى الليث، ومجموع هذه القوات فى الحجاز حوالى ١٢ ألف رجل، فى المدينة المنورة أربعة آلاف بقيادة فخري باشا، وفى الطائف ثلاثة آلاف وخمسمائة بقيادة الوالي الفريق غالب باشا الذى كان يصطاف هناك، وفي مكة ألف ومائتان بقيادة درويش بك، وفى جدة ألفان وستمائة، بالإضافة إلى حاميات ينبع والوجه ومحطات سكة الحديد وبعض المواقع الأخرى[2].

ويمكن تفصيل الاستيلاء على المدن الحجازية على النحو التالى :ـ

مكة المكرمة

بدأ القتال فى فجر ٩ شعبان ١٠ - ١٣٣٤ يونيه ١٩١٦، حيث احتشدت قوات الشريف فى الليلة السابقة حول المواقع العثمانية وهى دار الحكومة الحميدية ومركز باش قرقول، وقلعة جياد، وثكنة جرول، وقطعت أسلاك الهاتف مع جدة والطائف وتم الهجوم بقيادة زيد بن الحسين وشرف البركاتى، واستمر القتال طوال اليوم تحت وابل

---

(١) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧-١٢٥.

(٢) سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٢٧٤ ، وأشار تقرير المكتب العربى بالقاهرة أن أعداد الجنود العثمانية فى المدينة ثلاثة آلاف، وفى الطائف ألف ومائتان، وألف فى مكة، وألف فى جدة، بالإضافة إلى بعض الجنود العربية الذين يعملون في الجندرمة (الشرطة)، انظر (PRO) FO 371/2771, Secret No 6, Arab Bureau, 23rd June 1916.

قنابل مدافع قلعة جياد[1] المرتفعة، وفى اليوم التالى استسلم مركز باش قرقول، وفي اليوم الثالث أجبرت دار الحكومة على الاستسلام، ولما كان رجال الشريف لا يملكون مدافع تواجه مدافع العثمانيين فى قلعة جياد وثكنة جرول، وجب إحضار بعض المدافع، وأمكن الحصول عليها من جدة بعد وصول محمد شريف الفاروقي ومعه مدفعان تم الاستيلاء عليها هناك، حيث نصبت أمام القلعة، وقد بادر الإنجليز فى مصر إلى إرسال سفن محملة بالأسلحة من المدفعية المصرية بقيادة الأميرآلاى سيد علي، الذي باشر إطلاق نار المدافع على قلعة جياد حتى فتح ثغرة فى جدارها وأرغموا حاميتها على التسليم فى ٤ يوليو، ثم وجهت نار القنابل الأخرى إلى ثكنة جرول فاضطرت للتسليم يوم ٩ يوليو[2] ، ويلاحظ أيضاً الاختلاف بين هذه الرواية ورواية الشريف عبد الله فى تاريخ هذه الهجمات.

وفى تقارير المكتب العربى بالقاهرة والموقعة من قبل هوجارث أن الشريف زيد بن الحسين قدم إلى جدة من مكة برسالة من الحسين يطلب فيها من الإنجليز مزيداً من الأسلحة خاصة وأن قلعة جياد لم تستسلم بل إن مدافعها التى أصابت كسوة الكعبة لم تهدأ ..... وحتى كتابة التقرير فى ٢٣ يونيو يمكن حصر النتائج العسكرية لحركة الشريف بالإستيلاء على جدة[3] ، ولذا بادر الإنجليز إلى إرسال السلاح والفرقة المصرية لمساعدة الشريف.

وتجدر الإشارة إلى أن الشريف حسين والسلطات البريطانية فى القاهرة حاولوا استغلال حادثة إصابة كسوة الكعبة المشرفة بنار إحدى القنابل الموجهة من قلعة جياد، ففى إحدى البرقيات الموجهة لمكماهون حول سير الثورة، أن هناك إتجاه

---

(١) تقع قلعة جياد على شرفة جبل مطل على الحرم المكي الشريف ويمكن للواقف فى الجهة الجنوبية للمسجد الحرام أن يرى هذه القلعة فى الوقت الحاضر.

(٢) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٦ - ٢٧٥ ، ويوجد فى العدد الأول لجريدة القبلة بتاريخ ١٥ شوال ١٣٣٤ هـ تفصيل دقيق لهذه الحوادث.

(٣) (PRO) FO 371/2771, Secret (NO 6), Arab Bureau, 23rd, June 1916.

لإصدار بلاغ للعالم الإسلامى حول هذه الحادثة لاستغلالها[1] ، ثم ذكر فى برقية أخرى إلى أن الإشارة إلى هذه الحادثة قد مرت بدون ملاحظة مراقب الصحف وظهرت فى مقال بجريدة الأهرام فى ٩ يوليو ١٣٣٤ / ١٩١٦ هـ ولكن مرت بدون أن تلفت الإنتباه فى مصر فى الوقت الذى مازال فيه الموقف فى مصر تجاه الثورة ساكناً وهادئاً[2] .

كما أورد الشريف حسين هذه الحادثة فى بلاغ عام إلى العالم الإسلامى كدليل ضد الدولة العثمانية ولصالح موقفه المعادي لها[3] .

ويبدو من إهتمام الشريف وإذاعته لهذا الخبر أن هذه الحادثة قد أعطيت أكبر من حجمها الحقيقى إن كانت فى الأصل حقيقة.

الطائــــف

سبقت الإشارة إلى أن عبد الله حاصر بالقبائل الحامية العثمانية بالطائف، حيث طالت فترة الحصار دون نتيجة تذكر، ولهذا طلب الشريف حسين أربع طائرات بريطانية لمساعدته، كما طلب مده كذلك بمجموعة من الضباط العرب المأسورين لديها[4] ، . وفى شهر يوليو / ١٩١٦ رمضان ١٣٣٤هـ، انتقلت الفرقة المصرية بعد انتهاء مهمتها فى إخضاع حامية مكة المكرمة إلى الطائف لتقوم بنفس المهمة وبدأت بضرب القلاع والمواقع العثمانية الحصينة إلا أنها لم تستطع إحراز النجاح وقتل

(١) (PRO) FO 371/2773, Decypher, Sir. H. Mcmahon, Ramleh, June 28th, 1916.

(٢) (PRO) FO 371/2774, Decypher, Sir H. Mcmahon, Ramleh, July, 11th, 1916.

(٣) Same Series and Vol., Appendix IV, Copy of Proclamation to all our Brother Moslems, Signed by the Sherif and Amir of Mecca, 25th Shabaan 1334.

(٤) (PRO) FO 371/2779, Arabian Report (No XXA)Asia, 28th, June 1916.

وجرح بعض أفراد الفرقة المصرية. واستمر الحصار والضرب المتبادل لفترة طويلة، إلى أن أعلن الشريف حسين فى ٢٣ سبتمبر الساعة الحادية عشرة صباحاً، إستسلام الحامية التى تضم ثلاثة وثمانين ضابطاً، وألفين من الجنود وبعض الأسلحة .... وكان أحد الضباط الإنجليز قد توقع إستسلام الحامية فى نفس الموعد، حيث ذكر طبيعة العمليات اليومية بضرب القلاع ثم إعادة بناء الأضرار من قبل العثمانيين ثم الضرب وهكذا بما يوجب الإستسلام المبكر[١] .

ويلاحظ الدور البريطاني فى كل العمليات التى قامت فى جدة ومكة والطائف ففي جدة ساعدت الطائرات ومدافع الأسطول فى العمليات وفى مكة والطائف كان دور الفرقة المصرية المرسلة من قبل الإنجليز بمدفعيتها كبيراً لمواجهة قوة المدافع والحاميات العثمانية، بالشكل الذى أرغم العثمانيين على الاستسلام لقوة الحصار المضروب، وقوة ضربات المدفعية على الحصون.

المدينة المنورة

بقدر ما نجحت قوات الشريف فى جدة ومكة والطائف، لم يحالفها النجاح في المدينة المنورة، لعوامل منها ارتباط المدينة بدمشق بواسطة السكة الحديدية[٢] . ورغم أن هجمات رجال الشريف ركزت على تخريب السكة الحديدية لقطع المواصلات إلا أن العثمانيين استطاعوا إصلاح الخط بسرعة بعد أيام من تخريب الخط. ومنها كذلك وجود أربعة حصون منيعة فى المدينة وسور قوي يحيط بالمدينة المنورة[٣] ، ووجود الفيلق الثانى عشر فى المدينة الذى يتولى قيادته فخري باشا[٤].

---

(١) (IOR) L/P & S /11/113, Secret (No 23) Summary, Arab Bureau, Cairo, September 26, 1916.

(٢) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص، ٢٧٨

(٣) (PRO) FO 371/2771, Secret (No 6), Summary, Arab Bureau 23rd, June 1916.

(٤) (PRO) FO 371/2773, Decypher Sir H.Mcmahon, Ramleh, June

ومع صلاحية الخط الحديدي استمرت الإمدادات العثمانية إلى المدينة، واستطاع فخري باشا تطهير المنطقة المحيطة بالمدينة(١) ، حيث دفع بالأميرين فيصل وزيد إلى ينبع البحر بعد أن هزم زيد في بئر سعيد وهزم فيصل في وادى ينبع النخل ودفع بالأمير علي إلى رابغ(٢).

ورغم أن الشريف حسين كسب بمساعدة الأسطول البريطانى استسلام حامية الليث فى يونيو ١٩١٦(٣)، وينبع فى يوليو، وأملج بعد ذلك(٤) ، إلا أن القوات العثمانية فى المدينة بقيادة فخري باشا حالت دون النجاح المبكر لحركة الشريف حسين إضافة إلى العقبات التى واجهها علي وفيصل بعد إنتقاض حسين بن مبيريك شيخ رابغ، حيث أنزلت السفن البريطانية كمية من المؤن والعتاد على أساس أن يؤمن توصيلها لقوات الأميرين وأن يشترك معهما فى القتال، ولكن تبين أنه مع العثمانيين، فمنع إرسال المؤن وحال دون نزول بطارية المدافع المصرية(٥).

لهذا استدعى الأمر بالنسبة لبريطانيا تحريك الوضع فى المنطقة، ومنع التفوق العثماني فى المدينة المنورة من الإنتشار أو التأثير على مسار ثورة الشريف حسين.

موقف بريطانيا من الثورة في هذه المرحلة :

بعد مضي أسابيع قليلة على قيام الثورة قدم إقتراح إلى وزارة الحربية البريطانية حول البرنامج الأمثل لمساعدة الشريف، ويشتمل على النقاط التالية :-

- يقوم قائد القوات البريطانية فى مصر بكافة الاستعدادات لاحتلال العريش والعقبة لمنع الاتصالات بين القوات العثمانية فى سوريا والحجاز.

28th 1916.

(١) (PRO) FO 371/3393, Summary of the hijaz Revolt, p. 2

(٢) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص، ١٢٧

(٣) (PRO) FO 371/2779, Arabian Report (No XXA).

(٤) (PRO) FO 371/2771, Arab Bureau, Summary No 13.

(٥) سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص، ٢٧٩

- منع العثمانيين من استعمال موانئ البحر الأحمر بين الحديدة والليث.
- السعي للحصول على تعاون الأدريسي، وإن أمكن الإمام يحيى، لمنع قيام الفرقة العثمانية من هناك إلى الحجاز.
- تعزيز قوات الشريف والأدريسي بالأسلحة.

وتوقع العسكريون البريطانيون أن يقوم العثمانيون بتقوية حامياتهم فى معان والعقبة لمنع إنتشار ثورة الشريف إلى سوريا[1]. أى أن تركيز البلدين ينصب على المناطق الحدودية التى تفصل بن الأقاليم الهامة، فالبريطانيون يريدون منع الإتصال العثماني بين سوريا والحجاز، والعثمانيون يريدون منع انتشار ثورة الشريف أي الإتصال بين الحجاز وسوريا.

هذا ما يتعلق بالتخطيط المرحلي للدولتين، أما الإجراءات الفورية من الجانبين، فقد قام العثمانيون بإرسال التعزيزات السريعة عبر السكة الحديدية إلى المدينة لتقوية حاميتها ومن ثم محاولة التقدم نحو مكة، ولذا رأت السلطات البريطانية أن من الواجب مساعدة قوات الشريف لتحطيم السكة الحديدية خاصة وأن رجاله ليست لهم الخبرة الكافية لمثل هذه الأعمال[2].

كما قام البريطانيون بإرسال مندوب إلى رؤساء القبائل القاطنة فى شمال الحجاز وجنوب سوريا لإقناعهم بمحاربة العثمانيين[3] .

أما الشريف حسين فقد ساوره القلق نتيجةً لصلابة حامية المدينة المنورة خاصة وأن البريطانيين قبضوا على إحدى الرسائل العثمانية الموجهة إلى فخري باشا في المدينة وفيها الأوامر بصموده إلى أقصى حد ممكن، مع الوعد بإرسال مزيد من

---

(١) (PRO) FO 371/2773,Secret, The Sherif of Mecca and The Arab Movement, General Staff, War Office, 1st July, 1916.

(٢) (PRO) FO 371/2771, secret, No6, Summary, Arab Bureau, P.2.

(٣) (POR) FO 371/2779, Arabian Report (NoXXA), P.1.

السلاح والعتاد والرجال، ولم يكن الأمر كذلك فحسب بالنسبة للشريف بل ساور القلق المسئولين الإنجليز إذ أخبر الكابتن كورنواليس العائد من جدة، هوجارث مدير المكتب العربى بالقاهرة أن الوضع فى الحجاز ليس وفق ماتؤمله السلطات البريطانية(١) .

قام العثمانيون ببث دعاية مضادة الشريف حسين فى الصحافة العثمانية بقيادة عبد العزيز جاويش وشكيب أرسلان فى إستانبول وسوريا، لبيان حقيقة تمرده على الدولة(٢) . وقامت دعاية أخرى ألمانية عثمانية ضد الشريف(٣) فى أنحاء الهند، مما دعا بعض المسئولين المعنيين فى بريطانيا إلى المطالبة بالدفاع عن موقف الشريف حتى لا تتأثر الثورة بمثل هذه الدعايات(٤) .

وكإجراء عثماني مباشر ضد الشريف حسين، تم تعيين الشريف علي حيدر من فرع ذوي زيد المناوئين لفرع العبادلة الذى ينتمى إليه الشريف حسين، أميراً على مكة وعزل الشريف حسين، ووصل الشريف علي حيدر بعد تعيينه فى رمضان ١٣٣٤هـ/ يوليو ١٩١٦م إلى المدينة برفقة عدد من العلماء(٥) . ومن الجانب الآخر عينت السلطات البريطانية الكولونيل ولسون Wilson ممثلاً لها لدى الشريف فى جدة، ولكن تحت مسمى وهمي وهو ضابط الحج(٦) .

وكانت خطة الشريف لمواجهة أى تقدم لقوات فخري باشا من المدينة إلى مكة

---

(١) (PRO) FO 371/2779, Secret, Arabian Report of July 1916, P.5.

(٢) (PRO) Fo 371/2773, Decypher Sir H. Mcmahen, Ramleh, June 28 th, 1916.

(٣) حرص الشريف حسين من خلال جريدة القبلة بيان مبررات ثورته بالتفصيل، راجع الأعداد الأولى لجريدة القبلة.

(٤) (Same Series and Vol., Decypher, H.Mcmahon, Ramleh, July 3rd 1916

(٥) (PRO) FO 371/2771, Summary No 13, Arab Bureau, p. 131.

(٦) Ibid, p. 153.

المكرمة تقوم على أساس تعزيز القوات وتجميعها فى رابغ وينبع، فإذا صمم العثمانيون على التقدم كان عليهم تخصيص قوة كبيرة لمواجهة قوات الشريف فى هاتين المدينتين وهذا ما سيعيق أي تقدم نحو مكة[1] .

اهتم الإنجليز بمسألة رابغ خاصة بعد موقف شيخها حسين بن مبيريك أحد مشايخ قبيلة حرب الذى أعلن ميله للعثمانيين، وبدأت بريطانيا مشاوراتها لتحديد نوعية العمليات ضد رابغ[2] ، ورغم أن التقارير البريطانية أشارت إلى أن حسين بن مبيريك قدم ولاءه بعد ذلك للشريف[3] . إلا أن بريطانيا واصلت إجراءاتها لجعل رابغ مركزاً قوياً يمنع التقدم العثماني.

وفى ٩ سبتمبر قدم فيصل إلى جدة على ظهر السفينة البريطانية دوفرين Duffrin وتباحث مع ولسون حول موقف الشيخ حسين، حيث ذكر الشريف فيصل أنه غير مطمئن لولائه وربما يعود مرة أخرى إلى ولائه للعثمانيين. وشرح فيصل الخطة التي يعتقد أنها مناسبة للعمليات ضد العثمانيين، وهي سماح قوات فيصل للقوات العثمانية بالتقدم جنوباً ثم قطع مواصلاتها والهجوم عليها من الشمال، فى الوقت الذى تهاجمها قوات علي من الشرق، والقوات الموجودة في رابغ من الجنوب. وقد لاحظ ولسون أن نقطة الضعف فى هذه الخطة هو كيفية ضمان عدم سير القوة العثمانية إذ يخشى نجاحها فى التقدم وصعوبة ذلك فى حالة هزيمة جيش فيصل فيصبح الطريق ممهداً للعثمانيين للتقدم إلى مكة، وكذلك مدى الموقف الحقيقى للشيخ حسين بن مبيريك ... ولذلك طلب فيصل أن تصل قوة بريطانية إلى رابغ لتكون دليلاً على المساعدة الحقيقية لرجال الشريف ولرفع المعنويات. وعرف ولسون من خلال حديثه مع فيصل أن خطورة الوضع الحالي تتمثل فى الآثار المعنوية على الثورة فى

---

(١) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨ .

(٢) (PRO) FO 371/2778, Decypher, Mcmahon, Ramleh, September 5th 1916.

(٣) (PRO) FO 371/2779, Arabian Report No IX, September 13, 1916.

حالة تقدم ناجح للقوات العثمانية[1] .

كتب المندوب السامي فى القاهرة إلى نائب الملك في الهند أن الترتيبات جارية بالتنسيق مع الأسطول لزيادة السفن الحربية البريطانية العاملة فى سواحل الحجاز لمنع أى تقدم للعثمانيين على طول الساحل إلى رابغ فى حالة إختراق قواتهم لقوات الشريف عبر الجبال، ولرفع معنويات رجال الشريف .... وأشار المندوب السامى إلى الحاجة لمساعدة الطائرات لتلبية رغبات الشريف[2] .

والواقع أن الانتصارات الأولى لقوات الشريف بمساعدة أصدقائه لم تبلغ أهدافها بالصيغة المأمولة سابقاً ولا سيما فى هذه المرحلة بدليل :-

- وجود العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل فى المدينة المنورة ثاني أكبر وأهم المدن فى الحجاز، حيث تضفي أهمية المدينة المنورة الروحية باعتبارها المدينة الثانية بعد مكة المكرمة والعسكرية باعتبارها نهاية الخط الحديدى، على الوجود العثمانى أهمية وثقلاً في الحجاز.
- موقف بعض مشايخ حرب كحسين بن مبيريك أعطى للعثمانيين قوة كبيرة ولو معنوياً، خاصة وأن الشريف كان يأمل من هؤلاء وقوفهم ضد الدولة العثمانية.
- أن قوات فخري باشا استطاعت تشتيت قوات أبناء الشريف فيصل وعلي وإبعاد خطرها عن المدينة.
- تعيين الشريف الجديد علي حيدر أميراً بدلاً من الشريف حسين، كانت له إيجابيات كبيرة رغم ما يبدو للوهلة الأولى من عدم جدوى هذا التعيين إذ وفد إليه وهو في المدينة الكثير من شيوخ حرب وجهينة المجاورين للمدينة[3] ، وأخذ يوزع الأموال

---

(١) (IOR) L/P&S/11/113, Summary No 23, Arab Bureau, pp 301 302.

(٢) (PRO) FO 371/2776, From High Commissioner, Cairo, to VR, 17th, September 1916.

(٣) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص١٢٧

وينشر الدعاية للدولة العثمانية[1] .

- أمد الألمان العثمانيين فى الحجاز ببعض الطائرات التى كان لها تأثير على العربان المجندين لدى فيصل، مما حداه إلى الإلحاح فى طلب طائرات تقابل ما عند العثمانيين وإلا "لا يبقى من العربان أحد فى ناحيتنا وتحت أيدينا"[2] على حد تعبير فيصل.

وعندما عرفت السلطات البريطانية المخطط العثماني الألماني لاستعمال الحجاز واليمن كقواعد عمليات ضد البريطانيين، وهى المهمة التى شكلت بقيادة خيرى بك مع قوة كبيرة وبقيادة الألمانى فون ستوزنجن Von.s ، حيث وصل خيري إلى المدينة على أمل الذهاب إلى صنعاء مروراً بمكة والقنفذة وأبها مع تجنب أراضي الإدريسى، والهدف هو تهديد عدن وتحريك ثورات ضد الإنجليز على الساحل الإفريقى والصومال والحبشة... عندما عرف البريطانيون هذا المخطط الكبير قدروا قيمة ثورة الشريف حسين فى إعاقة تنفيذ مثل هذه الخطة .... وهذا الدور لوحدة فى نظر مكماهون كاف لإعطاء الشريف كافة أنواع المساعدة[3] .

وعلى هذا الأساس ناقشت لجنة الحرب البريطانية War Committee إمكانية إرسال فرقة عسكرية من مسلمي مستعمراتها إلى رابغ بقيادة ضباط إنجليز من مصر ويمكن أن تختار هذه الفرقة من الجنود السودانيين، وذلك بالنظر إلى أن الساسة البريطانيين يعرفون صعوبة إنزال قوات بريطانية مسيحية فى أراضي الحجاز، فى الوقت الذى شعروا فيه بأهمية مساعدة الشريف بكافة الوسائل حتى لا تفشل الثورة، ولهذا أستشيرت حكومة الهند فى الموضوع[4] .

(١) (IOR) L/P & S / 11/113, Summary No 23, Arab Bureau, p., 303

(٢) عبد الله بن الحسن، مصدر سبق ذكره، ص , ١٢٧

(٣) (PRO) FO 371/2776, From High Commissioner, Cairo, to Viceroy, Simla, No 778, 17th September 1916.

(٤) (PRO) FO 371/2775, From Secretary of state to Viceroy 25th September, 1916.

وقد رد نائب الملك فى الهند، بأن حكومة الهند تعارض إرسال قوات إسلامية بقيادة ضباط إنجليز إلى رابغ للأسباب التالية :-

- سيؤدي هذا العمل إلى إمتعاض بين مسلمي الهند ويفسر على أنه خرق متعمد لإعلان بريطانيا بعدم التدخل فى شئون الأماكن المقدسة.
- إذا أرسلت قوة مسلحة إلى الشريف فمعنى هذا إلتزام بريطانيا بالوقوف معه مدة الحرب إلى النهاية وأي إخفاق سيؤدي إلى فقدان مكانة بريطانيا وقد يمتد هذا التأثير إلى الجبهة الرئيسية للحرب.
- سيفقد الشريف إحترامه أمام المسلمين إذا أعتمد نجاحه على سلاح قوة مسيحية تعمل فى الحجاز.....
- وفى نهاية البرقية يشير نائب الملك أن للحكومة البريطانية الخيار بعد إبداء وجهة نظر الهند وأنها ستلتزم فى النهاية بوجهة نظر لندن[١] . وكان هذا نفس رأى البحرية البريطانية أيضاً، التى رأت أنه من غير الضرورى إرسال هذه القوة إلى رابغ وإنما يتم حل الموضوع بالاكتفاء بالقوات التابعة للشريف هناك وتقديم العون من السفن البريطانية والطائرات[٢] .

كانت هذه هي الاعتبارات التي حكمت السياسة البريطانية. وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية شاركت حليفتها بريطانيا فى موضوع تشجيع الثورة فى الحجاز إذ أرسلت بعثة فرنسية[٣] برئاسة الكولونيل بريمون Bremont وتتكون هذه البعثة من أعضاء مدنيين وعسكريين، بالإضافة إلى بعض العناصر المسلمة من الجزائر لتتعامل مع الشريف مباشرة فى مكة. على أن يكون مقر البعثة فى جدة[٤] .

---

(١) Same Series and Vol., From Viceroy, 28th September 1916

(٢) (PRO) FO 371/2775, From Secretary of State to Viceroy, 28th September, 1916.

(٣) رسمت هذه البعثة خرائط فرنسية عن المنطقة، انظر ملحق الخرائط.

(٤) (PRO) FO 371/2776, From High Commissioner, Cairo, to Governof India, 15th September 1916.

وفى الأول من أكتوبر ١٩١٦م١٣٣٤ /هـ بعث ولسون من جدة برقية إلى الشريف حسين بأنه تلقى برقية من مكماهون يذكر فيها فحوى برقية الشريف حسين التى اعتمد فيها على برقية تلقاها من شريف الفاروقى ومفادها أن مكماهون أشار إلى أنه من غير الممكن للحكومة البريطانية أن ترسل قوات إلى الحجاز (رابغ) لأسباب متعددة أهمها أن العالم قد يسئ تفسير هذا التدخل، وأن القوات العثمانية هناك ليست من القوة بمكان ... هذه المعلومات ليست صحيحة على حد تعبير ولسون وإنما الحقيقة تتضح بعد شرح الحالة فى الحجاز ثم شرح أسباب عدم إرسال القوات إلى هناك على النحوالتالى :-

فى نهاية أغسطس ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ كان الوضع خطيراً بسبب الشائعات بتقدم القوات العثمانية إلى رابغ، ووصول المحمل العثماني إلى المدينة للذهاب إلى مكة، ووقوع رابغ فى يد الشيخ حسين بن مبيريك الذى كان صديقاً للعثمانيين والذى احتجز المؤن فى رابغ بدلاً من إرسالها إلى علي بن الحسين أو فيصل على أساس أن تكون هذه المواد فى يد العثمانيين عند قدومهم إلى رابغ، ثم إن الطائف لم تستسلم بعد آنذاك، ولا توجد أسلحة كبيرة مع فيصل ...... لكل هذه الأسباب طلب ولسون بعد اجتماعه بفيصل ذهاب قوات علي لاحتلال رابغ وطلب الشيء نفسه من الشريف حسين الذى استجاب لذلك ....

بعد شرح هذا الوضع انتقل ولسون إلى الأسباب التى منعت بريطانيا من إرسال القوات إلى رابغ وهي عدم وجود قوات إسلامية جاهزة سواءً في مصر أو في الهند. ففي مصر انشغلت القوات في الإستيلاء على أراضي دارفور، أما القوات فى الهند فإن بعد المسافة يحول دون ذلك. ويضيف ويلسون بأن أمر إرسال قوات بريطانية خضع لدراسة عميقة، لم يكن الشريف حسين يحبذ إرسال قوات مسيحية أولاً ولكنه أبدى بعد ذلك عدم معارضته لإرسال حوالي ثلاثمائة من القوات البريطانية ليكونوا حرساً للطائرات، ثم طلب آخر الأمر بسبب خطورة الوضع إرسال ثلاثة آلاف من القوات البريطانية إلى رابغ، فعلى هذا الأساس قام ولسون بزيارة مصر لشرح الحالة هناك وسبقها زيارة قائد الأسطول إلى رابغ وبعض الضباط لتقديم الدراسات

والترتيبات فى حالة قدوم قوات بريطانية.

ثم ينتقل ولسون فى رسالته إلى الشريف حسين، إلى أن الوضع الحالي شهد تحسناً لصالح الثورة، فرابغ محتلة من قبل قوات الشريف، كما تم الاستيلاء على الطائف ....وفى نهاية البرقية يشير ولسون إلى إخلاص بريطانيا للثورة وثقتها في شجاعة الشريف وأولاده، وإلى المساعدات التى ستقوم بها بريطانيا بإرسال السلاح وحماية الأسطول البريطاني للموانيء[١]

والواقع أن ولسون فى رسالته حاول إقناع الشريف حسين بأسباب لا يبدو منها إمتناع بريطانيا عن ارسال القوات بل شرح إنشغال القوات فى مصر وبعد المسافة على القوات فى الهند، بينما الحقيقة التى تداولتها الدوائر البريطانية هى عدم الاقتناع بإرسال قوات إسلامية من المستعمرات تحت قيادة ضباط إنجليز نتيجة لمعارضة حكومة الهند وقناعة البحرية البريطانية بعدم جدوى ذلك والاكتفاء بمساعدة الأسطول وتقديم السلاح وبعض الضباط ذوي الخبرة ... وهذا يوضح بالتالي دور ولسون كممثل لبريطانيا فى إقناع الشريف وإرضاءه دون حاجة إلى أن يعرف الشريف خفايا السياسة البريطانية، وإلا فإن سلطان دارفور تمت هزيمته فى مايو ١٩١٦م/١٣٣٤/هـ على النحو الذى عرفناه فى الفصل الخاص بمصر، ومسألة بعد المسافة من الهند يناقضها وصول قوات من الهند بشكل دوري إلى الجبهات المختلفة.

وبعد أن قررت السلطات البريطانية حصر المساعدات فى إرسال بعض الضباط والمستشارين والإمداد بالسلاح، ومساعدة الأسطول، عهدت لجنة الحرب البريطانية إلى حاكم عام السودان (السردار) ريجنالد وينجت بالإشراف العسكري ومراقبة ترتيبات المساعدات للشريف حسين في الحجاز، على أن يتعاون وينسق مع قائد الأسطول البريطانى فى البحر الأحمر، وصدرت تعليمات لقائد الأسطول بالتعاون مع السردار بالمثل[٢] .

---

(١) (PRO) FO 371/2775, From Wilson Pasha, to Sherif of Mecca, Jedda 1st, October 1916.

(٢) (PRO) FO 371/2775, Cypher tele to Sir H.Mcmahom, Ramleh

ويبدو أن اختيار حاكم عام السودان لمهمة الإشراف على ترتيبات المساعدات مبني على أساس قرب السودان للحجاز، ولعلاقة السردار في موضوع المحادثات الأولى ومعرفته الدقيقة بأحوال السودان ولرتبته العسكرية كقائد للقوات المصرية .

وفى ١٨ أكتوبر ١٩١٦م١٣٣٤ /هـ بعث السردار إلى حكومة الهند بقرار الحكومة البريطانية بمنع إرسال قوات بريطانية إلى رابغ وكذلك الطائرات، حيث كلف ولسون بإبلاغ هذا القرار لعبد الله بن الحسين الذى طلب إعادة التفكير فى إرسال الطائرات، إلا أن ولسون وصلته تعليمات بأن القرار فى هذا الشأن نهائي.

ومع ذلك وافق الشريف على فكرة إرسال قوات عربية من الجزائر تابعة للبعثة الفرنسية بواسطة الحكومة الفرنسية والتى كانت فى طريقها إلى السويس[1] .

والواقع أن مسألة إرسال الطائرات أو المدافع وجميع أنواع المساعدات تركت لتقدير السردار وقناعته بحكم تكليفه بتولي مهام الإشراف على المساعدات العسكرية[2].

ويلاحظ أن السياسة البريطانية وجدت حلاً لمشكلة الوضع فى رابغ بالاستعانة بحليفتها فرنسا لإرسال قوات من قبلها من مستعمرتها فى الجزائر، وهذا يبعد التهمة عن بريطانيا فى التدخل فى الحجاز وخاصة أمام رعاياها فى الهند.

ثم وصلت تعليمات إلى السردار بأن يبلغ الشريف أن مبدأ عدم السماح للنصارى بالنزول فى الحجاز يجب التخلي عنه عند الضرورة، مع الأخذ فى الإعتبار إقامة كافة التسهيلات لأي ضباط أو مستشارين بريطانيين أو فرنسيين فى رابغ، وإلا أضطر هؤلاء لمغادرتها[3] .

F.O October, 3rd, 1916.

(١) (PRO) FO 371/2776, From The Sirdar, Khartoum, to the Secretary to the Governof India, Simla, 18th October, 1916.

(٢) Same Series and Vol., To Viceroy. Simla, 21st October 1916.

(٣) Same Series and Vol., Cypher tele to the Sirdar, F.O., November 6th, 1916.

وفى شهر نوفمبر ١٩١٦م/١٣٣٥هـ عرضت الحكومة الفرنسية وضع كتيبتين من السنغال كانتا فى جيبوتي تحت تصرف الحكومة البريطانية، لكي ترسل بها إلى رابغ ... إلا أن وزارة الخارجية البريطانية أبلغت السردار صعوبة إستخدام قوات سنغالية فى رابغ لأسباب دينية، ولهذا خططت لجنة الحرب البريطانية وضع هاتين الكتيبتين فى السودان وأخذ كتيبتين بدلاً منهما من السودان للخدمة فى رابغ(١) .

وهذا يعني أن السلطات البريطانية بدأت تفكر مجدداً فى إرسال قوة من القوات الإسلامية التابعة لها سواءً فى السودان أو غيره، أي بعد أسابيع قليلة من قرار المنع.

وبالفعل صدر قرار بريطاني فى ٢٩ أكتوبر ١٩١٦م/١٣٣٥هـ إرسال طائرات إلى رابغ من مصر، فى الوقت الذى وصلت أنباء عن تقدم عثماني تجاه رابغ، وأخذ يطلب فيه الشريف وقادة قواته المساعدات العسكرية، كما وصلت بعض القوات الفرنسية إلى السويس لترابط هناك عند الحاجة(٢) .

وبدأت السلطات البريطانية تعرف الوضع بشكل أدق بعد إرسالها لمجموعة من الضباط إلى الحجاز ... فقد وصل ستورز ولورانس(٣) إلى جدة ورافقهما في السفينة عزيز علي المصري(٤) الذي قدم إلى الحجاز ليلتحق بجيش الشريف، وعند وصول لورانس وستورز قابلا الشريف عبد الله وعرض عليهما فكرة إعداد فرقة بريطانية من جنود مسلمين لتحول دون تقدم العثمانيين من المدينة إلى مكة، إلا أنهما

---

(١) (PRO) FO 371/2776, Cypher tele to the Sirdar, F.O. November, 11th, 1916.

(٢) Same Series and Vol., from High Commissioner to the Gover of India 9th November 1916.

(٣) توماس إدوارد لورانس Thomas Edwars Lawrance (١٨٨٨ـ١٩٣٥م) إشترك فى ثورة الشريف حسين ضد الدولة العثمانية، واشترك مفاوضاً فى مؤتمر السلام بباريس ١٩١٩م ثم عمل مستشاراً لوزارة المستعمرات، وانتقل بعدها فى عدة وظائف إلى أن قتل فى حادث دراجة نارية عام ١٩٣٥م، انظر : Kenyon, J.p. Op cit, p 214.

(٤) سبق الحديث عن اتصالات بريطانيا بعزيز المصرى فى المبحث الخاص بسياسة بريطانيا بعد نشوب الحرب فى الفصل الثاني.

طلبا معرفة الوضع فى رابغ علي الطبيعة فوافق الشريف، وعلى هذا الأساس غادر لورانس جدة متوجهاً إلى رابغ حيث وجد السفينة نورث بروك راسية فى ميناء رابغ وعلى ظهرها الكولونيل باركر Parker ضابط الإرتباط بين السلطات البريطانية والأمير علي فى رابغ، وسلم إلى الأمير علي رسالة توصية من أخيه عبد الله بتسهيل مهمة لورانس وتأمين سفره إلى معسكر فيصل[1] .

وبعد عودة لورانس مع الأدميرال ويمس Womyes إلى الخرطوم بعد مقابلة فيصل قدّم إلى السردار تقريرا عن الرحلة، فقام السردار بدوره بإرسال برقية إلى حكومة الهند عن الوضع حيث أشار إلى أن رابغ لا يمكن الإحتفاظ بها فى حالة تقدم العثمانيين إليها حتى بالمساندة من البحر إلا بأحد طريقين :-

- وصول فرقة من الجيش النظامي بأسلحتها فى الوقت نفسه.
- وجود فرقة من القوات العربية المدربة لا يقل عددها عن خمسة آلاف بأسلحتها في وقت الهجوم.

يقول السردار بعدم جدوى الطريقة الأولى لعدم توفر مثل هذه القوات كما نشرت وزارة الحرب، أما الثانية يمكن توفيرها عن طريق إرسال حكومة الهند للأسرى العرب العثمانيين الموجودين لديها فهم جنود مدربون يمكن أن يلتحقوا بجيش الشريف لتغطية النقص الذى يعاني منه جيش الشريف الذي يشمل قوات غير نظامية من رجال القبائل، وفى نهاية البرقية أشار السردار إلى ضرورة وجود بعثة بريطانية فى رابغ من الضباط ذوي الخبرة العسكرية والذين لهم خبرة بشئون العرب أمثال نيوكومب Newcombe[2].

وقد أشار لورانس أنه عرض على السردار ريجنالد وينجت وجهة نظره القائلة بالتفاؤل بنجاح الثورة إذا زودت بالمساعدات الفنية وبعض الضباط الذين يتحدثون

---

(١) ت. أ. لورانس، أعمدة الحكمة السبعة، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٩ - ٣٦.

(٢) (PRO) FO 371/2776, From the Serdar, to Simla, 9th, November 1916.

العربية، حيث أبدى وينجت موافقته على ذلك الرأى. إلا أن التقارير التي بعث بها بريمون رئيس البعثة الفرنسية والتي تصف خطورة الأوضاع العامة في الحجاز قد أثرت على وينجت، حيث ألح بريمون فى النصح بإنزال القوات المتحالفة في الحجاز بعد أن أحضر إلى السويس المدافع والجنود الجزائريين بقيادة بعض الضباط الفرنسيين[1] .

وبالفعل أشار وينجت إلى أنه قد اتفق بشكل عام مع وجهات نظر لورانس التي عرضها عليه .... وعرف منه أن العرب سيرحبون بفكرة نزول قوات بريطانية أو فرنسية فى حالة الضرورة كما طلب الشريف[2] .

تبلورت السياسة البريطانية فى معالجة هذه المسألة فيما يلي :-

- إرسال طائرات إلى رابغ.
- الإكتفاء بإرسال ضباط[3] بريطانيين إلى الحجاز.
- تكوين فرق نظامية من الضباط العرب المأسورين فى المعارك الأولى مع العثمانيين وضمهم إلى الشريف.

وصلت إلى ميناء جدة فى ٢ أغسطس ١٩١٦م/١٣٣٤هـ أول قافلة من الجنود والضباط العرب المأسورين الذين طلبوا من قبل الشريف، وتألفت هذه القوة من حوالي ١٣٠ جندياً وخمسة ضباط، وحين نزولهم إلى البر ومقابلتهم الأسرى العثمانيين الذين كانوا هناك تأثروا بأقوال أولئك الأسرى من أن الشريف جعل المسلمين يحاربون

---

(١) لورانس، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢ - ٦١

(٢) (PRO) FO 371/2776, Decypher, The Sirdar (Khartoum), November 22nd. 1916.

(٣) أشارت بعض المصادر العثمانية الوثائقية إلى أدوار الضباط الإنجليز الجاسوسية فى هذه الثورة، حيث كان لورانس مسئولاً عن إعداد نظم الحرب العثمانية، ونيوكومب مسئولاً عن شبكات جاسوسية الصحراء ..... وغير ذلك من المهام الأخرى لبقية الضباط. انظر: Ergun Hicyilmaz Belgelerle. Teskilat Mahsusa, Istanbul, 1979, sy. 128. (بالتركية)

المسلمين فقرر أكثرهم العودة إلى معسكرات الأسر التى قدموا منها . فاتصل نوري السعيد أحد أولئك الضباط الخمسة بالشريف حسين ليبلغه قرار هذه المجموعة فكانت النتيجة أنه لم يبق من أفراد هذه القافلة سوى ستة جنود والضباط الخمسة[١] . وهذا الموقف الإسلامي الجليل لهؤلاء الجنود الذين آثروا الأسر على القتال لهدف غير واضح أو من أجل مصالح فرقة دون أخرى جدير بالتقدير، وقد استعان الشريف ببقية مجموعة هؤلاء الضباط فى صراعه مع العثمانيين.

وفى هذه المرحلة الحرجة من الصراع البريطاني العثماني الذى يشترك فيه الشريف بثورته فى الحجاز ... تلقى ولسون الممثل البريطاني فى جدة فى الثاني من محرم ١٣٣٥هـ٢٩ / أكتوبر ١٩١٦م ، برقية من الشريف عبد الله بصفته وزيراً للخارجية يبلغ فيها الحكومة البريطانية أن الشريف حسين بويع فى ذلك اليوم ملكاً للأمة العربية من قبل العلماء فى مكة، وكانت الأسباب التى شرحها عبد الله ووالده هي أن الإعتراف باللقب الجديد يبعد الشك عن العرب فى سياسة بريطانيا تجاه الأماكن المقدسة، وبالتالي يطلق يد بريطانيا فى إرسال قواتها لمساعدة الملك. كما أن الإعتراف يساعد القضية العربية عموماً[٢] .

وفى ٢ نوفمبر ١٩١٦م/١٣٣٥هـ، بعث مكماهون برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية اقترح فيها أنه بالنظر إلى الاتفاقيات مع الرؤساء العرب الآخرين والاعتراف باستقلالهم، فإن بريطانيا تعترف بالحسين ملكاً على الحجاز فقط، وفي ٣ نوفمبر أبرقت الخارجية إلى مكماهون بأن من الممكن تهنئة الحسين ولكن بدون اعتراف صريح، وتشير البرقية إلى أن الحكومة الفرنسية ترغب فى الإحتذاء حذو الحكومة البريطانية حيال هذا الموضوع، وفى ٦ نوفمبر أبرقت الخارجية إلى السير وينجت بالتعليمات التالية للرد على الشريف عبد الله بالنيابة عن حكومات بريطانيا وفرنسا وروسيا :-

أن حكومات بريطانيا وفرنسا وروسيا يعتبرون الحسين الرئيس الأسمي (Titular head) للجماعات العربية فى ثورتهم ضد العثمانيين، ويسرهم الاعتراف به

---

(١) انظر : سليمان موسى، مرجع سبق ذكره، ص٢٩٠ـ٢٩١

(٢) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, pp.16-17.

حاكماً للحجاز، ولكن لا يستطيعون الاعتراف بأي لقب يحدث شقاقاً في صفوف العرب في الوقت الراهن، وستنظر بعد ذلك في المسألة بالاتفاق مع حكام المنطقة، وفي ٩ نوفمبر احتج مكماهون على تعبير الرئيس الأسمي. وفي ٢٧ نوفمبر اقترحت فرنسا على بريطانيا أن يكون لقب الشريف حسين " ملك الحرمين الشريفين "، اعترض وينجت ومكماهون وحكومة الهند على هذا اللقب، واقترح هؤلاء لقب ملك الحجاز الذي كان في الأصل اقتراح مكماهون. وتم تكليف ولسون بإبلاغ الشريف أن تحديد اللقب بهذا الشكل «ملك الحجاز» لا يؤثر بحال على الاتفاقية بين الحكومة البريطانية وبين الشريف[١]. وهكذا لم تبال السياسة البريطانية بشعور الشريف حسين طالما كان بحاجة إليها بعد أن وصل إلى مرحلة يصعب عليه التراجع منها، في حين لم تنس بريطانيا شعور حكام المنطقة الآخرين الذين ارتبطت معهم باتفاقيات اعترفت فيها باستقلالهم وهي بذلك تنتظر منهم وقوفهم إلى جانبها.

والواقع أن السلطات البريطانية حاولت معرفة مواقف الأمراء المجاورين لبلاد الشريف كابن سعود والأدريسي وابن رشيد وآثار تلك المواقف على ثورة الشريف سلباً وإيجاباً.

وقد عرف الإنجليز أن القيمة العسكرية لجيش ابن سعود ضد العثمانيين صغيرة، إلا أن من الممكن الحصول على مساعدته بشكل غير مباشر عن طريق إشغال ابن رشيد ومنعه من الهجوم على الشريف أو البصرة[٢]، وعندما قابل برسي كوكس P. Cox ابن سعود وجد أن إمكانية تعاونه مع الشريف بعيدة الإحتمال وأن خير وسيلة هي الإستفادة من تحركاته ضد ابن رشيد[٣].

---

(١) PRO) FO 371/3384, Memorandum on British Commitments to King Husein, pp.13-14.

(٢) (PRO) FO 371/2769, From Secretary of State to Viceroy, 27th October, 1916.

(٣) Same Series and Vol., From Sir P. Cox, Bushire, 13th November 1916.

أما ابن رشيد فكان أقرب الأمراء العرب صلة بالعثمانيين، وحتى إعلان الشريف لثورته كانت العلاقات بين ابن رشيد والشريف طبيعية[1] .

ولما كانت علاقات ابن سعود مع الشريف غير طيبة لم يكن من الممكن تعاونهما بعد إعلان الشريف لثورته، وكذلك ابن رشيد الذى كانت علاقاته طيبة مع الشريف والعثمانيين لم تستمر علاقته الطيبة بالشريف بعد إعلانه لثورته. أى أن الشريف وقف بمفرده فى هذه الثورة، خاصة إذا علمنا أن الإدريسي وصل إلى نزاع معه بسبب القنفذة بعد الإستيلاء عليها عقب الثورة وادعاء كل طرف بتبعيتها له على النحو الذي سنعرفه فى الفصل الأخير الخاص بجنوب غربى الجزيرة العربية.

موقف العثمانيين في هذه المرحلة

شهدت الفترة منذ قيام الثورة إلى نهاية ١٩١٦م مرحلتين من الأحداث :ـ

- من يونيو ١٩١٦م إلى سبتمبر ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ تم الإستيلاء على مكة والطائف وبعض موانئ البحر الأحمر مثل القنفذة، الليث، جدة، رابغ، ينبع، أملج، ومحاولة الإقتراب من المدينة المنورة.
- من أكتوبر ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ إلى نهاية وبداية العام التالي قام العثمانيون بالهجوم المضاد بالفرقة الثانية والعشرين فى المدينة لمحاولة استعادة مكة المكرمة، حيث نجحت قوات فخري باشا بالتقدم حوالى ١٤٠ ميلاً عن المدينة باتجاه ينبع ورابغ ولكن نجحت قوات الشريف بمساعدة بعض القوات النظامية فى تقهقر قوات فخري باشا[2] بعد ذلك على هذا النحو :

ففي ٣ ديسمبر ١٩١٦ / ١٣٣٥هـ أفادت بعض التقارير الواردة من ينبع ورابغ .

---

(١) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt,Appendix C. Ibn Rashid, Emer of Hail, p.19.

(٢) EL -EDROOS, S.A., The Hashemite Arab Army, pp. 69/70.

أن جمال باشا وصل إلى المدينة، وأن العثمانيين الموجودين فى الأماكن المجاورة لبير عباس قد احتلوا الحمرا وبير سعيد مما اضطر فيصل إلى تأجيل خططه الرامية إلى مهاجمة الخط الحديدي فى مدائن صالح والوجه(١).

ثم أشار وينجت إلى حصوله على صورة لبرقية بعثها فيصل إلى والده ويذكر فيها أن جيش العثمانيين فى سيناء شوهد وهو يتقدم نحو الحجاز ويضيف بأنه لم يتبين ما إذا كان التركيز العثمانى فى بير سعيد أو وادى الصفراء، ويفترض أنه في الحالة الأولى سيكون الهجوم موجهاً ضد ينبع، وفي الثانية ضد رابغ. وأفاد وينجت أنه لا يملك أي دليل على وجود تعزيزات عثمانية قادمة من الشمال إلى الجيش العثمانى فى سيناء. وفى برقية أخرى من وينجت فى ١٨ ديسمبر ١٩١٦م/ ١٣٣٥هـ شرح فيها ما ورد من تقارير من ينبع مفادها أن قوة عثمانية أجبرت بعض مجموعات من قبيلة حرب على التراجع، ثم دخلت هذه القوة وادى الصفراء قرب الحمرا(٢) إلى الشرق عن الخيف بحوالي عشرة أميال(٣).

أى أن المخاوف من التقدم العثماني تجددت أكثر من أى وقت مضى خاصة من الجانب البريطاني الذى أزعجه التفوق العثماني حول المدينة رغم صعوبة الاتصالات مع الشمال في سوريا والجنوب فى عسير واليمن.

ثم توالت التقارير بعد ذلك مشيرة إلى إمكان قيام العثمانيين بدفع فيصل إلى الشمال ثم الإستيلاء على ينبع، وفى هذه الحالة يتوجب على الإنجليز تفريغ ينبع من المؤن والعتاد المرسلة لنجدة القوات فى رابغ لكيلا تسقط فى أيدى العثمانيين(٤) ، وفى الوقت نفسه أرسل أنور باشا فى ٢٧ ديسمبر ١٩١٦م/ ١٣٣٥هـ إلى خليل باشا في

(١) (PRO) FO 371/2776, Decypher, The Sirdar, December 6th, 1916.

(٢) انظر ملحق الخرائط.

(٣) (PRO) FO 371/2781, Arabian Report No XX1, December 13, 1916. pp. 1-2.

(٤) Ibid P. 12.

العراق يحثه على التعاون مع ابن رشيد كجزء من سياسة عثمانية لمنع أي تعقيدا، جديدة[1]. وربما قصد بذلك تجنب أى ثورة على غرار ثورة الشريف حسين.

ووصلت تقارير أخرى عن ورود مبالغ كبيرة من العملة الذهبية العثمانية إلى الحجاز ظهرت فى الأونة الأخيرة، كما أبلغ الملك حسين السلطات البريطانية بوصو إمدادات كبيرة من المؤن إلى المدينة، وكانت هذه المؤن قد أرسلت من الكويت إلى حائ فوصل أكثرها إلى المدينة، بالإضافة إلى بعض الإمدادات التى وصلت إلى المدينة مر القصيم وشقراء[2]. وهذا يعني أن المؤن وصلت إلى حائل وبحكم علاقة ابن رشيد مع العثمانيين أوصل كميات كبيرة منها إلى المدينة، كما أن ارسال المؤن من القصيد وشقراء إلى المدينة إذا صحت الرواية دليل على سماح ابن سعود بوصول المؤن إلى العثمانيين فى المدينة المنورة أو تغاضيه عنها.

وفي برقية بالشفرة بعثها جمال باشا قائد الجيش الرابع إلى أنور باشا، طلب ضرورة إرسال مبالغ كبيرة من المال لدفعها إلى ابن رشيد إضافة إلى المدافع والبنادق اللازمة لضمان مشاركته[3].

وزيادة على هذه التحركات العثمانية، عزز العثمانيون قواتهم فى الحجاز بقوات جديدة بقيادة جمال الثالث[4]، وذلك فى بداية عام ١٩١٧ / ١٣٣٥هـ ومركزها الرئيسي فى تبوك[5].

---

(١) (PRO) FO 371 / 3393, Summary of the Hejaz Revolt, Appendix F, p 21.

(٢) (PRO) FO 371/3044, Arabian Report NO. XXIV. January 3, 1917, pp 2-3.

(٣) نص الوثيقة منشور فى الكتاب التركى Şevket süreyya Aydemir Enver Pasa (1914-1922)istanbul. وانظر ملحق الوثائق.

(٤) جمال هذا قائد آخر غير جمال باشا الأول قائد الجيش الرابع، وغير جمال باشا (الصغير) أحد قادة جمال الأول، وعرف بالثالث تمييزا له عن هذين القائدين.

(٥) (PRO)- FO 371.3393, Summary of the Hejaz Revolt, p.3.

مشاورات بريطانيا مع الملك حسين حول الوضع :

بعد تقديم لورانس لتقاريره الخاصة عن الوضع فى الحجاز إلى السردار وينجت، طلب منه كلايتون الذى يشرف على المكتب العربي بالقاهرة العودة إلى الحجاز ليكون إلى جانب فيصل، فكان عليه أن يتوجه إلى ينبع قاعدة فيصل حيث يعمل جارلند Garland خبير المتفجرات بتدريب بعض رجال فيصل على نسف الخطوط الحديدية بالديناميت(١).

وعندما وصل لورانس إلى ينبع كتب تقريراً إلى ولسون وبعثه هذا بدوره إلى ريجنالد وينجت، حيث أشار لورانس إلى أن فيصل يعتقد تغير الوضع لصالح العثمانيين عقب إستيلاء العثمانيين على وادى الصفراء، إذ لمس رجال فيصل خطورة الوضع. يقول التقرير وإذا لم يحسن فيصل الموقف باستقبال قوات بريطانية فإن الثورة قد تخفق في غضون أسابيع، فإذا علم فيصل بتأمين سلامة رابغ عن طريق بريطانيا يمكنه القيام بعمليات هجومية ضد السكة الحديدية.... وأشار ولسون إلى أنه بعث بصورة من تقرير لورانس إلى الشريف، الذى عبر عن عدم رغبته فى إنزال قوات مسيحية فى الحجاز فى الوقت الراهن ولكنه يرغب فى إبقائها على أهبة الإستعداد (٢).

وفي نهاية شهر ديسمبر ١٩١٦م/ ١٣٣٥هـ عقد فى رابغ مؤتمر حضره ولسون وبعض الضباط العسكريين وبريمون رئيس البعثة الفرنسية، حيث عبر بريمون للمؤتمرين بأنه سيبرق إلى الحكومة الفرنسية عن رأيه فى أن مكان القاعدة الجوية في رابغ يحتاج إلى حامية لا تقل عن ثلاث كتائب مع فريق فرنسي من السويس(٣).

وقامت السلطات البريطانية بتشكيل بعثة عسكرية تابعة لولسون المندوب

---

(١) لورانس، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥ - ٦٤.

(٢) (PRO) FO 371/2776, Decypher, Sir R. Wingate, Khartoum December,13th,1916.

(٣) Same Series and Vol., Decypher Sir, R. Wingate, Benisuef December 25th,1916.

البريطاني فى جدة، ومن أفراها نيوكومب Newcombe، والميجورفيكري Vickery، والميجور كوكس Cox، حيث سيذهب الأول إلى ينبع والإثنان الآخران إلى رابغ، وفى نفس الوقت حصلت تغييرات فى القيادات السياسية البريطانية العاملة في مصر والسودان، حيث بدأت الترتيبات لنقل مكماهون من مصر، وتعيين السير ريجنالد وينجت مندوباً سامياً لبريطانيا فى مصر، وسيتبع ذلك بالطبع تغييرات في مهمات وتشكيل المكتب العربي فى القاهرة، وسيضاف إلى مهام هذا المكتب قيامه بدور الوسيط بين المندوب السامي وبين قوات الحملة المصرية المعرفة بـ E.E.F في مسائل الإمدادات (١).

ثم عين وينجت بدوره الجنرال كلايتون رئيس أركان لشئون الحجاز Chief Staff Officer ، وسيظل المكتب العربي تحت إشرافه المباشر، وأفادت التقارير أن الملك حسين مايزال يعارض فى إنزال سريع لقوات مسيحية فى رابغ، ولذلك أبلغته السلطات البريطانية أن القوات والمواصلات سوف لن تستبقى فى السويس بعد ذلك، كما أن العمل جار لتقوية موقع المطار في رابغ للدفاع عنه ضد أى هجوم محتمل من قبل العثمانيين.

رفض الملك حسين إنزال قوات مسيحية وأصر على طلب قوات أفرادها مسلمون للدفاع عن رابغ فاقترح ولسون على بلاده إرسال كتيبتين من الجنود غير المسيحيين إذا كانت متوفرة لتقوية الحامية الصغيرة هناك. وعلى هذا اقترح وينجت إبلاغ الحكومة الفرنسية إرسال هذه القوة. كما أبرق نائب الملك فى الهند إلى وينجت أن لدى حكومته مايزيد على المائة وثلاثين أسيراً عربياً من العسكر وقد تطوع إثنان من هؤلاء للانضمام إلى الشريف، ويستفسر نائب الملك عن رغبة وينجت فى إرسال هؤلاء الأسرى إلى مصر (٢).

ويلاحظ أن الإجراءات البريطانية واكبت الأحداث فى المنطقة خاصة وأن الوضع فى الحجاز مايزال فى غير صالح الملك حسين وبريطانيا، فكان التفكير فى نقل وينجت

---

(١). (PRO) FO 371/3047, Arab Bureau Report for December, 1916

(٢) (PRO) FO 371/3044, Ababian Report No XXIV, January 3, 1917, p 2.

مندوباً سامياً خطوة أخرى للتعامل مع الحجاز بشكل أجدى من ذى قبل، خاصة إذا علمنا أن وينجت إستلم مهام المساعدات العسكرية للحجاز قبل شهور وجاء تعيينه الأخير إستمراراً للثقة فى حنكته، كما نرى أن مسألة إرسال القوات البريطانية إلى رابغ مازالت قيد الأخذ والرد نتيجة لعدم توصل الملك حسين إلى قرار نهائي حول إنزال أو عدم إنزال قوات مسيحية إلى رابغ، أو استبدالها بقوات إسلامية تابعة لبريطانيا أو حليفتها فرنسا . أما نسبة تطوع إثنين من العسكريين العرب للانضمام إلى الحسين من ١٣٠ عسكريا فنسبة قليلة لا تبرر ما يقال عن إنخراط العسكريين العثمانيين العرب مع جيش الملك حسين العربي، خاصة إذا تذكرنا أن مجموعة أخرى سبق لها القدوم للحجاز للعمل مع الحسين فعاد معظمها إلى الأسر الذي كانت فيه على النحو الذى عرضناه فى الصفحات الماضية.

وفي بداية عام ١٩١٧م / ١٣٣٥هـ ناقشت وزارة الحرب البريطانية موضوع إرسال قوات بريطانية إلى رابغ وقررت عدم إرسال أى قوة حتى يقوم الشريف حسين بتقديم طلب خطي ويوافق فيه على تحمل المسئولية كاملة إزاء وجود قوات مسيحية في الحجاز، ويقوم بإعداد بلاغ مناسب للعالم الإسلامى يشرح فيه أسباب نزول هذه القوات على أن تعرف الحكومة البريطانية محتويات هذا البلاغ قبل إصداره [١]، وربما كان هذا القرار المشروط نتيجة لتردد الملك حسين فى إتخاذ قرار نهائى حول إنزال القوات المسيحية[٢] ، لما لذلك من أثر على مكانته فى العالم الإسلامى.

وبالفعل كتب الملك حسين بعدم رغبته فى إنزال قوات بريطانية في الحجاز في الوقت الحاضر على الرغم من علمه بأن القوات الموجودة فى السويس ستنقل إلى مكان آخر، وأنه لو طلب المساعدة البريطانية مستقبلاً فلن تكون فى المتناول[٣]. وهذا يعني أن السلطات البريطانية أجبرت الملك على كتابة رأيه النهائي حيال الموضوع، ولمّا

---

(١) (PRO) FO 371/3042, Cypher tele to Sir R. Wingate, Cairo, F.O,January 8th, 1917.

(٢) (PRO) FO 371/2781, Arabian Report (No XXI) December 13 191.

(٣) (PRO) FO 371/3044, Arabian Report No XXVI, January 17, 1917

كتب بعدم رغبته فى إنزال القوات البريطانية نفّذت هذه السلطات رأيها السابق بأن عدم إنزالها يعني ترحيل القوات الموجودة في السويس، وصعوبة طلبها مرة أخرى، بما يشير إلى أن رغبة بريطانيا كانت فى إنزال قواتها وتحميل الحسين مسئولية الإنتقاد أو الإعتراض من قبل العالم الإسلامي.

زحف القوات نحو الشمال[1]:

أما عن العمليات فى جبهة الحجاز بعد قرار الملك حسين بعدم الموافقة على إنزال القوات البريطانية فى رابغ فيمكن تفصيلها بعد عرض التشكيل النهائى لقوات الملك حسين والتى جاءت بالشكل التالى :ـ

القائد الأعلى : الشريف حسين بن علي

رئيس الأركان : عزيز علي المصري

الجيش الشمالي : في ينبع بقيادة الأمير فيصل ومعه من الضباط مولود مخلص وآخرون.

الجيش الجنوبي : فى رابغ بقيادة الأمير علي ومعه الضابط نورى السعيد.

الجيش الشرقي : فى وادي العيص بعد الطائف بقيادة الأمير عبد الله ومعه الشريف شاكر بن زيد[2].

أما القوات العثمانية فقد قسمت دفاعات خط السكة الحديدية على النحو التالي:

١- حامية المدينة وعددها ١٤ ألف مقاتل بقيادة فخري بك.

٢- حامية تبوك على بعد ٣٢٠ ميلاً شمال المدينة بقيادة محمد جمال باشا (الثالث) وعددها خمسة آلاف مقاتل.

٣- حامية معان على بعد ٤٥٠ ميلاً شمال المدينة بقيادة محمد جمال باشا (الصغير)

---

(١) انظر ملحق الوثائق.

(٢) EL-Ddroos, S.A., Op. cit, p 79.

وعددها سبعة آلاف مقاتل[1].

وكانت خطة الأمير فيصل هي التقدم شمالاً للاستيلاء على الوجه بمساعدة السفينة البريطانية آن Ann ، ثم التقدم نحوالعلا لقطع السكة الحديدية، ثم الإنضمام إلى عبد الله وفتح طريق الإمدادات إلى نوري الشعلان الذي سبق له الإتفاق مع بعض رؤساء العشائر لقطع العلاقات مع العثمانيين وانتظار قيام فيصل بالعمليات للانضمام إليه، وقد حالف التوفيق قوات الأمير عبد الله فى هزيمة أشرف بك وأسره والحصول على غنائم وفيرة قبل أيام من تقدم فيصل نحو الوجه[2]، وقد ذكر عبد الله فى مذكراته بأنه توجه نحوالغرب بعد اقامته فى الحناكيه التي تقع شرق المدينة، ليعبر السكة الحديديةبين محطتي أبي النعم وهديه، وبينما هو فى طريقه إلى ذلك وقعت المعركة مع قوات أشرف بك التى كانت تحمل هدايا إلى ابن رشيد وابن سعود وإمام اليمن، فاستولت عليها قوات عبد الله، مما أحدث تراجع قوات فخري باشا من ينبع النخل ومن وادى الصفراء ومن بئر سعيد إلى بير دوريش كما تراجع الجناح الأيمن الذى يعمل ضد الأمير فيصل والجناح الأيسر الذى كان يعمل ضد الأمير علي[3]. وما أشار إليه عبد الله من الهدايا إلى بعض زعماء الجزيرة العربية يشير إلى المحاولات العثمانية لإقناع هؤلاء للانضمام إليهم وخاصة ابن سعود، الذى يعتبر إرسال الهدايا إليه دليلاً على ثقة العثمانيين بامكانية تعاونه معهم، وإذا أضفنا هذا الدليل السابق الخاص بوصول إمدادات من القصيم وشقراء إلى المدينة لعلمنا أن موقف ابن سعود لم يكن معادياً للعثمانيين كما يبدو.

وإذا كان عبد الله يشير إلى أن انتصاره الأخير حدث بعده التراجع العثماني الذى كان مركزاً ضد فيصل فى ينبع وعلي فى رابغ، فإن بعض الوثائق البريطانية أشارت إلى أسباب أخرى أحدثت مثل هذا التراجع قبل انتصار عبد الله بأيام ومنها

---

(١) Ibid,p 94.

(٢) (PRO) FO 371/3044, Arabian report No XXVII, January 24, 1917.

(٣) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤-١٣٦.

إنتشار بعض الأمراض فى صفوف الجيش العثمانى[1] . بينما يشير لورانس إلى أن الأمراض المتفشية فى الجنود، والرواحل المنهكة وهجمات العشائر الليلية حملت فخري باشا إلى التراجع والتحول إلى الدفاع السلبى في المدينة المنورة[2]. وفى بعض الوثائق إشارة إلى أن نجاح بريطانيا فى عمليات سيناء ضد العثمانيين وصعوبة الإمدادات عليهم أثربشكل واضح على التحركات العثمانية في الحجاز[3].

والمهم في الأمر أن التراجع العثماني مهما كانت أسبابه يعتبر مرحلة حاسمة تقهقرت فيها التهديدات العثمانية التى تسببت فى القلق البريطانى والنقاش الطويل حول نوعية المساعدات العسكرية لقوات الشريف، ولكن الخطة العثمانية التى سبقت الإشارة إليها حول تقسيم دفاعات السكة الحديدية إلى مراكز ثلاث فى معان وتبوك والمدينة سيكون لها تأثير بلا شك نظراً لتمركزها فى نقاط هامة على طول الخط.

وقد أثمر تعاون الأسطول البريطانى لصالح الثورة فى الحجاز على إقصاء الحامية العثمانية في الوجه إلى الداخل والاستيلاء على ميناء الوجه بخسائر عشرين قتيلاً وثمانين أسيراً، كما استولت على بعض المدافع من الجانب العثماني وذلك فى نهاية شهر يناير ١٩١٧م، وفى نفس الوقت قدّم الملك حسين طلباً إلى وينجت عبر فيه عن حاجته إلى الكثير من المال والبنادق لإغراء قبائل بلي والحويطات والقبائل الأخرى القوية فى شمال الحجاز للانضمام إليه[4]. ويذكر عبد الله أن الأسطول البريطانى ضرب الوجه، وعند وصول طلائع قوات الأمير فيصل تراجع قائمقام الوجه عبد السلام بك والأميرآلاي أحمد بك بقواتهما إلى العلاء، ودخل جيش فيصل الوجه بدون مقاومة تذكر، أما ابن رفاده شيخ الوجه وأحد رؤساء بلي فقد التحق بأحمد جمال باشا في

(١) (PRO) FO 371/3044, Arabian Report No XXII, January 24, 1917.

(٢) لورانس، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

(٣) (PRO) FO 371/3042, Decypher Sir R. Wingate, Cairo, January 29th, 1917.

(٤) (PRO) FO 371/3080, Eastern Report No 1, January 31, 1917

الشمال(١). وفى ذلك إشارة إلى أن بعض القبائل ظلت على ولائها للعثمانيين. ويذكر لورانس فى روايته للحادثة إلى أنه تم توفير الاحتياطات اللازمة عندما توجه فيصل ناحية الشمال للاستيلاء على الوجه لأجل المحافظة على ينبع من هجمات العثمانيين، خاصة وأن فيصل يعتبرها قاعدته الرئيسية ودخول العثمانيين إليها يفسد جميع خططه، فتم الاتفاق بين لورانس وفيصل على استدعاء عبد الله من الحناكية للاستيلاء على وادى العيص الذى يقع على بعد مائة ميل من المدينة ويشكل تهديداً لخطوط مواصلات فخري الحديدية مع الشام، ولمنع الامدادات التى ترسل إلى المدينة من جهة الشرق، فى الوقت الذى أخذ فيه لورانس وبعض الضباط الإنجليز الترتيبات لنقل مستودعات الأسلحة والمؤن من ينبع إلى إحدى السفن الحربية الراسية فى الميناء، وبعد أن تمت عملية النقل على ظهر السفينة هاردنج، أبحر لورانس وبعض الضباط إلى أملج ليلتحق بفيصل وقواته المتجهة إلى الوجه، وبينما كانت هذه القوات متجهة إلى الوجه وبصحبتها لورانس ونيوكومب وبعض الضباط جاءت رسائل من عبد الله عن هزيمته لجيش أشرف بك فارتفعت معنويات فيصل وقواته. وقبل وصول جيش فيصل بساعات كانت السفن البريطانية وعلى رأسها السفينة فوكس تضرب الوجه فأحدثت خسائر كبيرة فى المباني بالإضافة إلى هجمات بعض العشائر على سكان البلدة والحامية العثمانية، فدخلتها قوات فيصل فتم بذلك الاستيلاء على الوجه بدون قتال من جانب قوات فيصل(٢).

وبعد مرافقة لورانس لقوات فيصل من ينبع إلى الوجه، توجه إلى القاهرة لشرح الوضع للسلطات البريطانية هناك(٣).

وفي برقية هامة إلى وينجت بالقاهرة في الثالث من فبراير ١٩١٧م/١٣٣٥هـ مفادها أن مجلس الوزراء البريطاني ناقش مسألة الحجاز وقرر إعتبار وينجت القائد العام للقوات فى الحجاز G.O.C The Hejaz ليعمل تحت الأوامر المباشرة من

---

(١) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦-١٣٧.

(٢) لورانس، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩ - ١١٢.

(٣) (PRO) FO 371/3047, Arab Bureau, 31 January, 1917.

وزارة الحرب دون أن يتعارض هذا مع منصبه الحالي في مصر[1]. وهذا النجاح الذى حققه وينجت إمتداد لثقة الوزارة البريطانية بخدماته وعلاقتها بالحجاز إذ يعتبرهذا التكليف الثالث بعد إسناد عملية التموين لثورة الحجاز إليه ثم تكليفه ليكون مندوباً سامياً بدلاً من مكماهون فى مصر.

وفى ٨ فبراير ١٩١٧م/١٣٣٥هـ تم الاستيلاء على ضبا الواقعة على بعد ٩٠ ميلاً شمال الوجه وهي إحدى موانئ البحر الأحمر، حيث وصلتها قوة من جيش فيصل بالبحر بعد يوم من إخلاء الحامية العثمانية لها، ثم أبحرت السفينة إلى المويلح الواقعة على بعد ٢٠ ميلاً شمال ضبا التى أخليت أيضاً من قبل حاميتها العثمانية[2].

الإتصال بالقبائل وخطط تدمير السكة الحديدية[3]:

كان الاتصال بالقبائل الواقعة شمال الحجاز يشغل بال القيادة البريطانية والأمير فيصل وقد سبق لفيصل الاتصال بنوري الشعلان أمير الرولة الذى تتبعه عشائر متعددة، ولكن العثمانيين كانوا المصدر الذى تصل منه المؤن إلى عشائره سواءً من دمشق أو بغداد، ولذا كان من الصعب عليه التعاون مع فيصل على الرغم من تفاهمه معه. وفى اجتماع ضم نوري الشعلان وابنه نواف، وفواز بن فايز شيخ بني شاكر، عقد فى الجوف فى ديسمبر ١٩١٦م/١٣٣٥هـ عزم هؤلاء على التعاون الفعلي مع قوات الشريف ولكن حتى يصل فيصل وقواته إلى العلا ثم يفتح طريق المؤن إلى الروله. وفى الفترة نفسها اشترك عودة أبو تايه شيخ الحويطات مع نوري الشعلان في تأييد قضية الشريف حسين. وفي أبريل ١٩١٧م/١٣٣٥هـ قدم عودة مع خمسة من

(١) (PRO) FO 371/3042, Cypher tele to R.Wingate, Cairo, F.O. February 3rd, 1917.

(٢) (PRO) FO 371/3080, Eastern Report No. 111, Frbruary 14, 1917.

(٣) انظر ملحق الخرائط .

أفراد عائلة الشعلان ليقابل فيصل فى الوجه[1] ، حسب رواية الوثائق البريطانية.

ويشير لورانس إلى أن قوات الثورة كانت تريد من نوري الشعلان أن يفتح أمامها وادي السرحان الذى يمتد من الجوف مركز نورى الشعلان شمالاً إلى الأزرق قرب جبل الدروز فى سوريا، كما أن المرور فى هذا الوادي يسهل الوصول إلى عشيرة الحويطات الشرقية التى يرأسها عوده أبو تايه الذي بواسطته يمكن إثارة القبائل من معان إلى العقبة وذلك حتى يتم بسهولة الاستيلاء على العقبة[2].

كانت العمليات الفعلية ضد خط السكة الحديدية بعد استيلاء فيصل على الوجه، حيث بدأت قوات عبد الله المعروفة بالجيش الشرقي من مركزها فى العيص بشن الهجمات على السكة الحديدية، وكان يرافق هذا الجيش مفرزة تخريب فنية بقيادة الضابط البريطانى دافنبورت Davenport كما بدأت قوات فيصل المعروفة بالجيش الشمالي بشن هجمات من الوجه على محطات السكة الحديدية فى الشمال[3]

ألح السير ريجنالد وينجت على حكومته بإرسال الأسلحة والمدافع التى يفتقر إليها جنود الشريف حسين، واحتج بأن القبائل لن تنضم إلى قواته إذا لم تزود بالسلاح الكافي لرجالها، واقترح جلب هذه الأسلحة من الدول الحليفة فى حالة تعذر توفيرها من المصانع البريطانية[4].

وفى ١٦ مارس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ وصلت برقية إلى وزير البحرية البريطانية عن نقل قاعدة الطيران من رابغ إلى الوجه لإعاقة أي تقهقر للعثمانيين على الرغم من عدم صلاحية ميناء الوجه لإقامة قاعدة جوية، ولكن نظراً لأهمية الموقع تم التغلب على مثل

---

(١) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, Appendix L.Attitude of the Northern Hejaz tribes towards the Hejaz Revolt, p. 26.

(٢) لورانس، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٨-١٤١.

(٤) (PRO) FO 371/3080, Eastern Report No IV. February 21, 1917, p. 4.

هذه المصاعب[1].

وفي نهاية شهر مارس أشار تقرير المكتب العربي إلى وصول الكابتن رويل L.Royle، وهورنباي H.S. Hornby إلى الوجه للمساعدة في عمليات الهجوم المستمرة ضد السكة الحديدية في الحجاز[2]. إضافةً إلى الفنيين الذين سبق إرسالهم إلى الحجاز بما يشير إلى أن الخطة البريطانية مركزة على تدمير الخط لقطع المواصلات والامدادات عن العثمانيين في المدينة المنورة، ولقطع خط الرجعة عليهم أيضاً فيما يبدو.

وقد التحق لورانس بجيش عبد الله الشرقي المعسكر في وادي العيص وقام مع مجموعة من رجال عبد الله بالهجوم على محطة أبي النعم في نهاية شهر مارس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ حيث تم ضرب المحطة ونسف بعض خطوط السكة وإحدى القاطرات مع قتل وجرح العديد من العثمانيين وتعطيل المحطة ثلاثة أيام انشغل فيها العثمانيون بترميم واصلاح المحطة، ثم تلاه هجوم على المحطات القريبة بمشاركة لورانس الذي عاد بعد انتهاء مهمته إلى جيش فيصل[3].

وفي برقيتين إلى ولسون، الأولى من فيصل والثانية من عبد الله، يطلب فيها الأول المساعدة لتلبية طلبات القبائل والعشائر التي اتصل بها خاصة وأنه خالي اليدين من جميع ما وعد به هؤلاء، ويطلب الآخر بعث المزيد من المفرقعات التي تستخدم في تفجير الخطوط الحديدية[4]. وهذا يعني أن فيصل وعبد الله كانا يراسلان ممثل السلطات البريطانية في جدة مباشرة وليس عن طريق والدهما الحسين في مكة فيما يتعلق بالإمدادات والمساعدات المالية والحربية.....

---

(١) (PRO) FO 371/3042, To the Secretary of the Admiralty, 16th, March 1917.

(٢) (PRO) FO 371/3047, Arab Bureau Report For March 1917.

(٣) لورانس، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣-١٤٨.

(٤) نصوص البرقيتين في، سليمان موسى، المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨ الثورة العربية الكبرى، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عمان ١٩٧٣م، ص ٩٩-١٠٠.

وأشار لورانس إلى أن الأوامر صدرت إليه بالإنتظار فى الوجه لتلقى الأخبار والتعليمات من إحدى السفن القادمة إلى الميناء، حيث وصلت إحدى البواخر وعلى ظهرها أحد الضباط. سلّم ذلك الضابط إلى لورانس نسخة من برقية مطولة أرسلها جمال باشا إلى فخري باشا فى المدينة المنورة، وبها تعليمات من أنور باشا وهيئة الأركان العامة الألمانية، تأمر فخري باشا بإخلاء المدينة المنورة والانسحاب بقواته إلى العلا فتبوك ثم إلى معان التي يجب أن يقيم فيها خطوطاً دفاعية جديدة لتأمينها، وكانت هذه الخطة فى نظر لورانس تتفق ورغبات (العرب) وتلائم أغراضهم غير أنها أزعجت القوات البريطانية في مصر، فجلاء خمسة وعشرين ألف جندي عثمانى بمدفعيتهم وتمركزهم في معان يهّدد تهديداً مباشراً هيمنة الجيش البريطاني فى قطاع بئر السبع. ولذلك طلب كلايتون من لورانس بذل الجهد للاستيلاء على المدينة المنورة وتدمير حاميتها العثمانية على الرغم من احتمال فوات الفرصة نظراً لوصول البرقية إلى فخري باشا . ولقطع خط الانسحاب على حاميات العثمانيين نسّق فيصل ولورانس لتقسيم الخط الحديدي إلى قطاعات، يتم تكليف كل فرقة بالهجوم على قطاع محدد، ويبقى فيصل فى منطقة الوجه كي يسارع إلى نجدة كل قطاع يحتاج إلى مساعدته[1]. أي أن هذه المسألة كانت عاملاً جديداً يدفع الإنجليز إلى تحطيم الخط لئلا تندفع القوات المنسحبة إذا صح خبر إعتزامها على الإنسحاب إلى جبهة سيناء وفلسطين، خاصة وأن القوات البريطانية لاقت انتصارات في تلك الميادين ولا تريد أى ترجيح لكفة العثمانيين هناك.

وقد ذكرت بعض المراجع أن فخري باشا رفض إقتراحاً من السلطة العثمانية فى إستانبول للإنسحاب إلى عمان[2]. ولعل المقصود بها معان.

والمهم أن عمليات التخريب فى السكة الحديدية استمرت فى نقاط متعددة من الخط، ففي شهر مارس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ قامت قوة بقيادة الشريف ناصر بن علي بالهجوم على محطة الدار الحمراء شمال مدائن صالح، كما هجم الجيش الشمالي

---

(١) لورانس، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) El-Edroos, S.A., Op.cit, p. 95.

على الخط الواقع جنوب محطة العلا، ودمروا ثلاثة جسور هناك، وفى نهاية شهر يوليو ١٩١٧م/١٣٣٥هـ قامت قوة مكونة من جعفر باشا الذى تولى قيادة القوات النظامية للأمير فيصل فى يونيو، ومولود مخلص، وفرقة مشاة، وفرقة تدمير بقيادة نيوكومب بالهجوم على محطة قلعة الزمرد، فوقعت معركة كبيرة انسحب فيها جيش الشريف بعد جرح خمسين من أفراد جيشه إلى مكان يدعى بير جيده. ولكي يقاوم العثمانيون هذه المخاطر اتخذوا الإجراءات الجديدة التالية لتنظيم الدفاع عن السكة الحديدية :

قطاع العلا	بقيادة بصري باشا، ألفا جندي، ومسئولة عن العمليات فى المنطقة الممتدة بين المدينة إلى العلا.

قطاع تبوك	بقيادة عاطف بك، خمسة آلاف جندى، ومسئوليتها تمتد من العلا إلى تبوك.

قطاع معان	بقيادة محمد جمال باشا (الثالث)، ومسئوليتها من تبوك إلى معان.

قطاع معان	درعا، الفيلق السابع بقيادة محمد جمال باشا (الصغير) ومسئوليتها من معان إلى درعا[1].

ويلاحظ فى الخطة الجديدة وجود بعض التغييرات فى مراكز القطاعات والقيادات عما كان معمولاً به فى الخطة السابقة.

وقد أمضى ولسون طيلة شهر يونيو ١٩١٧م فى الوجه لتنظيم العمليات التالية لقوات فيصل ضد العلا وخط السكة الحديدية[2].

كما أخذ فيصل يرسل التقارير إلى والده عن جهوده لتحريك القبائل وإصلاح الخلافات بينها وخاصة بين قبائل الشمال، وبين الدروز وجميع حضر وبدو سوريا، وتوجيه الشيخ عوده أبو تايه والشريف ناصر بن علي إلى الشمال إضافة إلى تنظيم

(١) Ibid, p. 98-99.

(٢) (PRO) FO 371/3047, Arab Bureau Report for June, 1917.

السرايا للهجوم على السكة الحديدية[1]. ثم كتب بعد ذلك بأسابيع إلى أبيه أن خطته تقوم على أحد احتمالين: الأول هو " طي السكة والإستيلاء على العلا ومداين صالح. فإن حصل هذا... نبقى أحد الأشراف في العلا ونتقدم إلى الشمال. والإحتمال الثانى هو طي السكة إلى حدود العلا وعدم التمكن من الإستيلاء على العلا ومداين صالح " وعليه إما أن يبقى فيصل أمامهما أو يتقدم إلى الشمال ويجعل غيره مكانه، على أن تكون صورة التقدم إلى الشمال عن طريق البحر وهو الأجدى فى نظر فيصل بالصورة التى تم بها الإستيلاء على الوجه، حيث يتم التقدم نحو العقبة ثم تسير قوة بمحاذاة معان بالداخل إلى أن يتم الإتصال بالكرك وحوران والدروز وجيش بريطانيا حول بئر السبع[2]. وربما قصد فيصل من طي السكة أى تجاوزها وعبورها، أو المقصود تدميرها كما هو واقع الحال.

أما ولسون فكتب إلى الملك حسين أنه بذل أقصى جهوده لإحضار المواد اللازمة لتخريب الخط الواقع جنوب العلا بصورة لا يمكن إصلاح الخط بعدها على أن يتم الاستيلاء على المحطات والمراكز التى بين العلا والمدينة، وطلب ولسون من الملك حسين أيضاً إصدار الأوامر لجيوش علي وعبد الله وزيد ببذل الجهود للاستيلاء على المدينة المنورة لاسيما إذا تم تخريب الخط حتى تعلم الحامية العثمانية فى المدينة أن مواصلاتها قطعت وبالتالي يتم إستسلامها[3]. أى أن فكرة الاستيلاء على المدينة وقطع خط الرجعة على حاميتها بتدمير السكة الحديدية ما تزال تسيطر على أذهان القيادة البريطانية، لاسيما بعد العلم بإمكانية إنسحاب الحامية الكبيرة فى المدينة إلى الشمال، حيث العمليات العسكرية هناك تحتاج إلى هذا المدد العثمانى للساحة هناك.

---

(١) من فيصل إلى الملك حسين، الوجه : ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٥هـ - ١٩١٧/٤/١٧م نقلاً عن سليمان موسى، المراسلات التاريخية، ص ١٠٣.

(٢) من فيصل إلى الملك حسين، الوجه : ٦ رمضان ١٣٣٥هـ - ١٩١٧/٦/٢٤م، نقلاً عن المرجع السابق ص ١٢٠-١٢١.

(٣) من ولسون إلى الملك حسين، جدة : ٩ رمضان ١٣٣٥هـ - ١٩١٧/٦/٢٩م نقلاً عن المرجع السابق ص ١٢٢-١٢٣.

الاستيلاء على العقبة

بالنظر إلى خريطة البحر الأمر تمثل العقبة آخر نقطة فى شمال البحر الأحمر فى نهاية خليج العقبة، وهى بذلك تشكل أهمية لقربها من حدود سيناء التى ظلت تجرى فيها العمليات العسكرية بين الدولتين منذ بداية الحرب.

وقد سبقت الإشارة إلى أن فيصلاً وجه الشريف ناصر وعوده أبو تايه زعيم أحد عشائر الحويطات بحملة إلى الشمال، وكان لورانس أحد أعضاء الحملة، حيث قطعت الحملة مئات الأميال خلال الصحراء، إلى أن تمكن الشريف ناصر وعوده أبو تايه من الاتصال بالعشائر هناك، والهجوم بهم على المراكز العثمانية، حيث وقع إشتباك كبير إثر الهجوم على مركز أبي اللسن القريب من معان الذى خسر فيه العثمانيون عدداً كبيراً بين قتيل وجريح وأسير[(١)]. وقد وقعت هذه الحادثة فى ٢ يوليو ١٩١٧م/ ١٣٣٥هـ وتلاها هجمات أخرى، إلى أن تم الاستيلاء على العقبة في ٦ يوليو ١٩١٧م/ ١٣٣٥هـ[(٢)].

وكان للاستيلاء على العقبة فوائد ونتائج هامة لحركة الشريف حسين فيما بعد إذ أصبحت رأس جسر على حافة المنطقة الخلفية لسوريا، كما أنها تقع فى منتصف المسافة بين دمشق ومكة على بعد ستمائة ميل من كليهما، وأصبحت قوات الشريف على بعد مائة وثلاثين ميلاً عن قوات الحملة المصرية المعروفة بـ EEF التى تشتبك مع الجيش الثامن العثماني على خط غزة – بئر السبع، وبالإضافة إلى ذلك بدأ الخطر بشكل أكبر يهدد القوات العثمانية فى ميادين سيناء وفلسطين وأخذ موقف الشريف يعتمد على تشجيع القبائل القاطنة فى شمال العقبة إلى سوريا، كما أن الهجمات على السكة الحديدية بين قطاع معان – المدورة – سيعزل بصورة أكثر من ذى قبل الحاميات فى المدينة ومراكز الخط الحجازي البالغ عددها ستة وعشرين ألفاً، والفيلق

---

(١) لورانس، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦–١٩٠ وتفصيل تحركات الحملة بقيادة الشريف ناصر بن علي موجودة فى برقية بعثها الشريف ناصر إلى فيصل من العقبة بتاريخ ١٥ رمضان ١٣٣٥هـ/١٩١٧/٧/٦م، سليمان موسى، المراسلات التاريخية ص ١٢٥–١٢٧.

(٢) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, p. 3.

القوي في اليمن والبالغ عدده خمسة عشر ألف جندي[1].

وبعد الاستيلاء على العقبة، سافر لورانس من العقبة عبر سيناء إلى مصر وشرح للقيادة في مصر أن قوات الشريف والعشائر يتمركزون في المواقع العثمانية بين العقبة ومعان والطفيلة، وأن عدد القتلى من العثمانيين بلغ سبعمائة قتيل وستمائة أسير بما فيهم عشرين ضابطاً، وأن عدد العرب الموجودين في العقبة حالياً أربعمائة[2].

ولم يحضر فيصل هذه العمليات التي تم بها الإستيلاء على العقبة، وإنما تمت بقيادة الحملة المكونة من الشريف ناصر وعوده أبو تايه ولورانس، بينما بقيت قوات فيصل في قطاع الوجه، وما ذكره لورانس عن عدد العرب البالغ أربعمائة يشير إلى عدد القوات التي تم جمعها من العشائر المحيطة بالمنطقة.

وعلى الفور عينت السلطات البريطانية الضابط فيلدينج E.F.Feilding كضابط سياسي في العقبة بصفة مؤقتة[3]. إلى أن تم تعيين الكولونيل جويس P. C. Joyce ضابطاً سياساً بصفة دائمة في العقبة في نهاية شهر أغسطس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ[4].

وبعد أسبوعين من الاستيلاء على العقبة أبرق ولسون إلى الملك حسين رغبته في مقابلة الحسين برفقة لورانس في الطريق بين مكة وجدة لمناقشة عدة مسائل تحتاج إلى الدراسة بين الأطراف الثلاثة[5].

وكان الهدف من هذه المقابلة هو إقناع الملك حسين بتحرك قوات فيصل إلى العقبة ومن ثم إرتباطها بالميدان الشمالي الذي يدير العمليات فيه الجنرال اللنبي الذي

---

(١) El-Edroos, S.A., Op. cit, pp. 101-102

(٢) (PRO) FO 371/3047, Decypher, Sir R. Wingate (Ramleh), July. 13th, 1917

(٣) Same Series and Vol., Arab Bureau Report for July 1917.

(٤) Same Series and Vol., Arab Bureau Report for Agugst, 1917.

(٥) من ولسون إلى الملك حسين، جدة ٣ شوال ١٣٣٥هـ/١٩١٧/٧/٢٢م (أوراق زيد) نقلاً عن سليمان موسى، المراسلات التاريخية، ص ١٣٠.

عين أخيراً بدلاً من أرشيبالد موراي الذى خسر أمام غزة، وبالتالي إخراج جيش فيصل من مجال العمليات فى ميدان الحجاز الذى يتولاه الملك حسين، وقد وافق الحسين على الطلب البريطاني بعد هذه المقابلة(١).

وبالفعل تحرك فيصل وقواته فى يوليو ١٩١٧/١٣٣٥هـ وبالتالي أصبحت فرصة العمليات والدعاية ضد العثمانيين فى الشمال متاحة بشكل أكبر، كما أن العمليات ضد السكة الحديدية اتسعت من شمال تبوك حتى شمال معان، وبرغم الإعاقة التي حصلت للإنجليز فى غزة فى مارس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ فإن معان نفسها كانت مهددة من القوات التابعة للشريف(٢).

وفى أغسطس قام كلايتون وكورنواليس بزيارة العقبة لمقابلة فيصل ولمناقشة العمليات القادمة ضد الشمال، ومتطلبات العشائر والقبائل المنتشرة فى هذا القطاع، وعلى الرغم أن الإشراف على العمليات فى هذا القطاع تحول إلى الإشراف المباشر لقيادة الحملة المصرية E.E.F ، إلا أن المكتب العربى فى القاهرة بإشراف كلايتون سيستمر فى التعامل مع العمليات التى تقوم بها قوات الشريف شمال وجنوب خط العقبة – معان(٣). وذلك كما يبدو للإستفادة من خبرات رجال المكتب العربي الذين تعاملوا بشكل مباشر مع الثورة منذ البداية.

وهكذا فإن ثورة الشريف حسين بدأت تلبي حاجة الخطة العسكرية البريطانية الجديدة، بعد عاملي إنتصار قوات الشريف فى الإستيلاء على العقبة وتعيين الجنرال اللنبي فى قيادة قوة الحملة المصرية بعد إخفاق الإنجليز أمام غزة، فى نفس الوقت الذى أخذت القيادة البريطانية فى عدن بعد ربطها بالقاهرة تمارس ضغطاً من جانبها فى جبهة جنوب غربى الجزيرة العربية بالتعاون مع الأدريسى والعشائر الحليفة(٤) هناك لتشكل مع خطة الإنجليز فى سيناء بقيادة اللنبي الهيكل العام للسياسة البريطانية فى

---

(١) لورانس، مصدر سبق ذكره، ص٢١٢-٢١٦.

(٢) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, pp. 3-4.

(٣) (PRO) FO 371/3047, Arab Bureau Report for August, 1917.

(٤) انظر تفصيل الخطة فى جنوب غربى الجزيرة العربية فى الفصل الأخير.

البحر الأحمر والجزيرة العربية.

الوضع العثماني فى هذه الفترة

عندما بدأت القوات البريطانية بعد تولى الجنرال اللنبي تحقق بعض الانتصارات فى بير السبع وغزة فى سبتمبر ١٩١٧م/١٣٣٥هـ إعترف العثمانيين بخطورة الوضع وخاصة فيما يتعلق بالحاميات المرابطة فى مراكز السكة الحديدية، حيث شبه بعض العثمانيين حركة العرب الذين يقودهم الشريف بمرض الجذام الذى بدأ عند الإصبع "المدينة المنورة" وسينتشر إلى راحة الكف "معان" إذا لم يقطع الإصبع ثم إلى الذراع "سوريا". وعندما بدأ فيصل يكسب ولاء العشائر فى مناطق العقبة ومعان فى نهاية ١٩١٧م/١٣٣٦هـ وحصل على أسلحة تمكنه من الهجوم، حاول العثمانيون فى معان طرد فيصل وقواته من منطقة البترا فى أكتوبر، وفي نوفمبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ ولكن لم يكونوا من القوة بمكان، كما أن برودة الطقس آنذاك فى تلك المناطق الجبلية حالت دون الهجوم القوي من جانب قوات الشريف، وقد تم إخلاء الحجاز من العثمانيين تقريباً ماعدا المراكز التالية :-

- الخط الحديدى لسكة الحجاز.
- القوات العثمانية فى المدينة المعروفة بقوة حملة الحجاز بقيادة فخري باشا التي تواجه عدة صعوبات.
- القوة العثمانية فى تبوك[1].

والواقع أن احتفاظ العثمانيين بخط حديد الحجاز رغم الهجمات المدمرة على السكة والعربات والمحطات، ثم بقائهم فى المدينة المنورة التي تقوي المعنويات العثمانية باعتبارها إحدى البقاع الإسلامية الهامة بعد مكة المكرمة، يؤكد قوة الدفاع لديهم وقدرتهم على إصلاح الخط بسرعة رغم ظروف قلة الإمدادات بسبب الإنقطاع

(١) (PRO) FO 371/3393, Summary of Hejaz Revolt, p. 4.

المتواصل. وقد ذكر عبد الله بن الحسين أحد المشاركين فى تدمير الخط أن "السبب الأكبر في دوام محافظة الأتراك على الخط، هو قدرتهم على الدفاع من جهة، وعدم وجود قوات مدربة نظامية معنا من جهة أخرى"[1].

كما قام العثمانيون بتغيير بعض القيادات فى المنطقة، فتم إستدعاء أحمد جمال باشا إلى الآستانة في نوفمبر ١٩١٧/ ١٣٣٦هـ لاخفاقه فى التعاون مع فالكنهاين الألمانى فى الجبهة[2]. إضافة إلى التنظيمات الخاصة بتشكيل القوة المسماة بيلدرم[3] لمواجهة الإنتصارات البريطانية.

العمليات الحربية فى السنة الأخيرة للحرب

بعد الاستيلاء على العقبة كانت المهمة الرئيسية للقوات الشمالية بقيادة فيصل التى تم تسليحها وتنظيمها هى تكرار العمليات الموجهة ضد السكة الحديدية من تبوك جنوباً إلى عمان شمالاً، ولمنع تحويل القوات العثمانية من الحجاز إلى فلسطين أو سوريا، ولسحق القوة العثمانية المرابطة فى معان، مع السعي لشن حرب إستنزاف ضد العثمانيين[4].

ومع بداية عام ١٩١٨م/١٣٣٦هـ بدأت قوات فيصل بالإستعداد للتقدم باتجاه المنطقة الواقعة جنوب شرق البحر الميت، وفى ٣ يناير ١٩١٨م/١٣٣٦هـ، استولت قوات فيصل على موقع أبي اللسن الواقع على بعد ١٥ ميلاً جنوب غرب معان، واستولت قوة مؤلفة من الشريف ناصر وعوده أبو تايه وعشيرة بني صخر على الشوبك وهجموا على عدة محطات للسكة الحديدية شمال معان. وفى ١٤ يناير تم الاستيلاء على الطفيلة

(١) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

(٢) (PRO) FO 371/3393, Summary of Hejaz Revolt, p. 20.

(٣) انظر التفصيلات الخاصة بهذه القوة فى الفصل السادس.

(٤) EL- Edroos, S.A., Op, cit, p. 109.

الواقعة على بعد عشرين ميلاً شمال الشويك وأسر مائة وخمسين من العثمانيين بما فيهم القائمقام نجيب بك، وفي ٢٦ يناير فشلت محاولة لاستعادة الطفيلة، إضافة إلى قيام علي من جانب وعبد الله من جانب آخر بإغارات متوالية على السكة الحديدية شمال المدينة المنورة[١].

ومن خلال التقرير الذى كتبه ضابط قلم الإستخبارات بجيش فيصل المدعو صبحي بعد معركة وادى الحسا التى حاول فيها العثمانيون إسترداد الطفيلة تتضح معلومات هامة من إفادات الأسرى من الضباط والجنود إثر الهزيمة التى مُنوا بها، ومن ذلك أن الفرقة ٤٨ بقيادة القائمقام أركان حرب حامد فخري بك الذي قتل فى المعركة، موكول إليها المحافظة على المنطقة الممتدة من اذرعات إلى محطة الحسا، وتتشكل هذه الفرقة التي مقرها عمان من ثلاث آلايات ١٥٠-١٥١-١٥٢، وكل آلاي يتشكل من ثلاث طوابير، تعمل عدة طوابير منها ضد الإنجليز فى جبهة فلسطين، أما سبب هزيمة هؤلاء باعتراف الأسرى فهو نفاذ المؤن، إضافة إلى أن جيش الشريف غير النظامي الذى يعتمد على البدو أزعج الجيش النظامى المقابل وبث الذعر بين جنوده[٢].

وكان قائد الجيوش الشمالية الأمير فيصل قد بعث إلى أهل الشمال رسالة ونصها "إلى كافة أهل الشمال حضريهم وبدويهم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فإنه يتبين لكم من الفرمان الذى ضمن هذا الكتاب الصلاحية التى خولنى إياها جلالة والدى المعظم فى بلادكم وعليه ريثما آتى إلى بلادكم بشخصي قد أنبت عني الشريف ناصر بن علي والسيد نسيب البكرى لتكونوا وإياهما يداً واحدة على أعدائنا وأعدائكم وتبذلون غاية الجهد فى كل ما تستطيعون فعله مع عدوكم وتفادون

(١) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, pp. 5-6.

(٢) University of Oxford, M.E.C, DS/25.3. W.45, Faisal, Akaba Archive,

الوثيقة ضمن أوراق الإمير فيصل المحفوظة بجامعة إكسفورد، مركز الشرق الأوسط ومكتوبة بالعربية تحت توقيع ضابط قلم الإستخبارات " صبحى ٢١ ربيع الثانى سنة ١٣٣٦هـ - فبراير ١٩١٨م. انظر ملحق الوثائق.

بالنفس والنفيس والغالي والرخيص لِتُخلِصوا بلادكم من ربقة الذل والهوان وتطردوا من دياركم عدواً طالما طغى فى أرضكم وفسق فى بلادكم وقتل وشنق أعاظم رجالكم وعن قريب إن شاء الله أكون عندكم وأفرح نفساً طالما شقيت لأجلكم وتألمت لألمكم وما ذلك على الله بعزيز فى غرة شعبان سنة ١٣٣٥هـ " موقع من فيصل بن الحسين[١] .

وقد رأينا من خلال العرض السابق أن الشريف ناصر ونسيب البكري نجحا إلى حد ما فى إقناع بعض العشائر، وقام الشريف ناصر بدور وسيط للصلح بين بعض القبائل فى سبيل الانضمام إلى الحركة.

ولما رأى الإنجليز نجاح مثل هذه الفكرة بادروا إلى الاستعانة بالشريف حسين لشرح موقف بريطانيا لعرب سيناء وفلسطين الجنوبية، كما طلبوا من فيصل أن يرسل أحد الأشراف لبث الدعاية لهم بين عرب فلسطين، كما ألقت الطائرات البريطانية منشورات وجهها الملك حسين إلى عرب المنطقة والعرب العاملين فى الجيوش العثمانية تدعوهم للفرار منها[٢] .

ولما كان الملك حسين يرمي فى نظره إلى تحقيق الانتصارات فى سوريا من واقع مراسلاته السابقة مع الإنجليز، فقد استغل هؤلاء إمكانية الإستفادة منه فى عمليات شمال الحجاز وميدان فلسطين لتحقيق التكامل مع قوات اللنبى.

وفى المقابل تنبه العثمانيون والألمان إلى خطورة الوضع فى هذه الجبهات مع بداية شهر مارس ١٩١٨م/١٣٣٦هـ خاصة فيما يتعلق بعمليات قوات فيصل التى تضم مجموعات من أفراد القبائل وبين عمليات البريطانيين فى ميدان فلسطين فأرسلت مجموعات من القوات الألمانية إلى الساحة، وشوهد الألمانى نيدماير Niedermayer فى عمان كوكيل ألمانى لشئون القبائل Tribal Agent

حيث نتج عن ذلك تجميع قوات عثمانية فى جرف الدراويش جنوب عمان التي

---

(١) Univ of Oxford, M.E.C. Ds 43.1.F4, Documents from Syrian Archives on Feisal's Rule in Damascus 1919-1920.

وانظر ملحق الوثائق.

(٢) سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٣٠٧-٣٠٨.

تمر بها السكة الحديدية، لدفع قوات فيصل إلى الوراء، حيث بدأت هذه القوات بالتقدم لإعادة الاستيلاء على الطفيلة، مما اضطر الشريف زيد إلى إخلاء الطفيلة فى ٧ مارس والعودة إلى الشوبك، فيما بدأت الطائرات البريطانية ضرب القوات العثمانية المتجهة إلى الطفيلة ولكن العثمانيين إستولوا على الطفيلة فى ١٢ مارس ١٩١٨م/ ١٣٣٦هـ وقد قلق الملك حسين لهذا الانتصار العثمانى وإلى محاولاتهم الناجحة لإغراء القبائل بالأموال للإنضمام إليهم(١) .

ومهما يكن من أمر فإن تقدم قوات الجنرال اللنبى باتجاه عمان فى ٢١ مارس ١٩١٨م/١٣٣٦هـ جعل العثمانيين ينسحبون إلى عمان والسلط، واستطاعت قوات الشريف إستعادة الطفيلة مرة أُخرى، وتم تقسيم جيش فيصل إلى ثلاث فرق لتنظيم العمليات فى منطقة معان، حيث شنت هجمات قاسية على محطات السكة الحديدية في المنطقة خسر فيها العثمانيون العديد من القتلى والجرحى والأسرى، كما شنت قوة مشتركة من فرقة الجمال المصرية وبعض السيارات البريطانية هجمات على القرى والمحطات الواقعة جنوب معان، في نفس الوقت الذي هاجم فيه الشريف علي سكة الحديد الواقعة شمال المدينة، إضافة إلى هجمات أخرى على السكة بين تبوك والعلا، وكان من نتائج عمليات اللنبي فى شرق الأردن أن العثمانيين لم يستطيعوا إرسال نجدات كافية إلى حامياتهم التى لا زالت فى الحجاز(٢) . أي أن عمليات قوات الشريف فيصل فى الشمال بالإضافة إلى حملة اللنبي قد زادت مصاعب القوات العثمانية شمال الحجاز وشرقي الأردن، رغم محاولات الدولة مع حليفتها ألمانيا لإستعمال السلاح نفسه وهو الاتصال بالقبائل، ولكن بدون جدوى.

وفي رسالة وجهها الكولونيل باست(٣) نائب ولسون فى جدة، إلى القاهرة أشار إلى أن الملك حسين لا يعلم بالتفصيل عن حقيقة الوضع أمام معان ولذلك طلب من

---

(١) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, p. 6.

(٢) Loc. Cit

(٣) بدأ باست يمارس أعمال ولسون فى جدة أثر مرض الأخير وغيابه عدة أشهر عن جدة انظر سليمان موسى، المراسلات التاريخية، ص ١٩٦.

باست إبلاغ فيصل وأخيه أن يجتهدا فى حربهما وأن يقاتلا للاستيلاء على معان أو يموتا دونها[1] وعندما عاد ولسون إلى جدة اتصل بالملك حسين وتناقش معه حول موضوع فيصل فى الجبهة وعبر الملك عن عدم رغبته فى قدوم فيصل إلى جدة ومكة لئلا يفسر قدومه أمام رعاياه كدليل على إخفاق فيصل فى عملياته ..وبعد أن أقنع ولسون الملك بأن رغبة المندوب السامي والقائد العام وولسون نفسه هى قدوم فيصل إلى والده وافق الملك حسين شريطة أن يقابله فى جدة وليس فى مكة، ولذا طلب ولسون من القيادة فى العقبة نقل فيصل على جناح السرعة بواسطة إحدى سفن الأسطول قبل أن يذهب الملك إلى مكة مع قدوم شهر رمضان، ويبدو أن دافع الزيارة هو مناقشة بعض الموضوعات بين الطرفين بشكل سري خاصة فيما يتعلق بالتقدم نحو الشمال، رغم أن الملك لا يرغب فى قدومه بدون أن يحقق انتصارات كبيرة، ومن خلال ما ورد فى إحدى برقيات المكتب العربي يمكن فهم بعض جوانب أسباب اللقاء، وفيها أن تأخير لقاء فيصل بوالده يزيد الشائعات المنتشرة بوجود خلاف بين الولد ووالده في حين أن لقاء فيصل المزمع مع وايزمان ربما يؤخر زيارة فيصل إلى والده[2] .

وعلى هذا الأساس يحتمل أن تلك المفاوضات بين فيصل ووالده كانت بخصوص موضوع اليهود وأطماعهم فى فلسطين وإن كانت الأخرى وهو الحرص على تبديد الشائعات بوجود الخلاف، فالزيارة محاولة بريطانية ليلتقى فيصل بوالده حتى لا يظن أن هناك أي خلاف، بينما تشير برقيات الملك حسين إلى اهتمامه بالوضع أمام معان للاستيلاء عليها ولهذا فهو لا يريد حضور ابنه.

وكان فيصل يتوق إلى التقدم نحو دمشق، فطلب من أبيه أن يرسل أحد اخوته إلى جبهة معان، ثم يتوسع هو في العمليات شمالاً فرفض الملك حسين، واقترحت القيادة البريطانية بعد ذلك أن يتقدم فيصل شمالاً لا سيما وأن القوات العثمانية في

---

(١) Univ. of Oxford, M.E.C. Ds 244.4, From Bassette, Jeddah Cairo, 9/5/1918.

(٢) Ibid, From Wilsom, To Commandant, Akaba,27th May 1918, and From Arbur, 28-5-1918.

المدينة عاجزة عن القيام بعمليات فعالة بعد الأضرار الكبيرة التى لحقت بالسكة الحديدية، وتم تكليف لورانس لإقناع الحسين بالموافقة على نقل الجنود النظامية في جيوش علي وعبد الله إلى جيش فيصل، وبالفعل ذهب لورانس إلى جدة وأرسل إلى الملك رسالة أوضح فيها صعوبة استيلاء فيصل على معان بقواته الحالية، وطلب إرسال النظاميين فى قوات عبد الله وعلي حتى تتمكن من صد الهجمات العثمانية المعاكسة، إلا أن الحسين عبر عن عدم اقتناعه بذلك[1].

ولم تقف المحاولات العثمانية فى منطقة عمليات معان وما حولها، ففي سبتمبر ١٩١٨م/١٣٣٦هـ غادرت قوة عثمانية قلعة الحسا الواقعة شمال معان على السكة الحديدية، بهدف الإلتفاف جنوباً على القوات المعادية الواقفة أمام معان ثم استولت هذه القوة على الطفيلة، فقامت فرقة قوامها ثلاثمائة من قوات فيصل بالتحرك إلى الشوبك لوقف القوة الزاحفة من الطفيلة، إلا أن العثمانيين استولوا على الشوبك. وبالرغم من هذه الإنتصارات الجانبية إلا أن تقدم قوات اللنبي فى ميدان فلسطين أجبر العثمانيين على سحب حاميتهم من معان، فى حين أرسل الحسين بتحريض من وينجت إلى فخري باشا فى نهاية أغسطس ١٩١٨م/١٣٣٦هـ لتسليم المدينة المنورة وتأمين نقل جنوده إلى مصر، فأرسل فخري بدوره الأمر إلى أنور باشا وقيادة ييلدرم فصدرت التعليمات إليه بالدفاع عن المدينة وعدم تسليمها[2] .

وهكذا فإن ساحة العمليات فى الحجاز وفى الشمال تشهد بعض الانتصارات العثمانية الجانبية إلا أن وطأة التقدم البريطاني فى جبهة فلسطين وصعوبة الإمدادات وغارات الشريف فيصل حالت دون الاستفادة من مثل هذه الانتصارات الجانبية.

وقد عمل اللنبي على تعزيز قوات فيصل وتنظيمها وتسليحها، حتى تساند قواته الزاحفة فى الهجوم العام، حيث بدأ اللنبى هجومه الكبير فى ١٩ سبتمبر ١٩١٨/ ١٣٣٦ وأخذت قواته تتقدم شمالاً، فى حين قامت قوات فيصل بهجمات على خط السكة بين درعا ومعان وبين درعا وعمان، وبدأت القوات العثمانية تتراجع من معان إثر

---

(١) سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٣١٣-٣١٥.

(٢) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, pp. 11-12.

صدور الأوامر إليها من قياداتهم رغم نجاحها في شن بعض الغارات، واستمرت الإشتباكات مع القوات العثمانية والألمانية المتراجعة، ووصلت قوات الشريف التي تسير على ميمنة القوات البريطانية وتتعاون معها إلى دمشق في الأول من اكتوبر١٩١٨م/ ١٣٣٦هـ[1] .

وتم الإنسحاب العثماني إثر توقيع الحكومة العثمانية للهدنة إلا أن فخري باشا استمر يدافع عن المدينة المنورة بإصرار، فتحرك الجيش الشرقي إلى موقع يسمى الجفر شمال غرب المدينة للتضييق على القوة العثمانية في المدينة[2] . وكان فخري باشا قد تلقى برقيات من الشريف حسين وويتجت يطلبان إليه الإستسلام بعد توقيع الهدنة فرفض إلا إذا جاءه أمر بالتسليم من السلطان. أرسلت إستانبول ضابطاً عثمانياً يحمل رسالة سلطانية تتضمن الشكر على قيادته وتطلب منه التسليم، فاستسلم في بداية عام ١٩١٩م/١٣٣٧هـ[3] .

وتجدر الإشارة إلى ما حدث من اتصالات سياسية من جانب العثمانيين لاقناع الشريف ليعدل عن سياسة التحالف مع بريطانيا، لا سيما وقد ظهرت بوادر المطامع البريطانية والفرنسية في المنطقة، وقد أرسل أحمد جمال باشا رسالة إلى جعفر العسكري في نوفمبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ وهو أحد الضباط النظاميين الذين التحقوا بجيش الثورة بعد أسره من قبل الإنجليز في عمليات غربي مصر – يطلب فيها المذاكرة معه بخصوص التفاهم بين الطرفين، وأرسل أحمد جمال رسالة أخرى في نفس التاريخ إلى فيصل بخصوص إزالة أسباب سوء التفاهم، وإلى أخيه عبد الله.فعرض فيصل الأمر على والده، فبعث إليه وإلى المعتمد البريطاني في جدة بفوات الأوان، ورفض العرض العثماني ... وقد شكر المندوب السامي في مصر موقف الشريف حسين واطلاعه على نصوص الرسائل العثمانية[4] .

---

(١) سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٣١٦- ٣٢٠.

(٢) عبد الله بن الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٢-١٤٤.

(٣) سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٣٣٠.

(٤) نصوص هذه المراسلات انظر: سليمان موسى، المراسلات التاريخية ص ١٥١-١٥٩، ويوجد

وكان أحمد جمال باشا قبيل مغادرته سوريا فى نوفمبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ قد ألقى خطاباً هناك عن مطامع الحلفاء وخاصة بريطانيا وفرنسا فى سوريا وغيرها ... ولم يعلم الملك حسين بفحوى الخطاب إلا بعد مدة، كتب بعدها إلى مندوبه فى مصر عن قلقه تجاه ما ورد فى الخطاب الآنف الذكر[١] .

وبعد ذلك بشهور، أى فى منتصف عام ١٩١٨م/١٣٣٦هـ أبلغ الملك حسين السلطات البريطانية أن مندوباً عثمانياً من معان وصل إلى معسكر فيصل حاملاً رسالة من محمد جمال باشا (الصغير) الذى عين بدلاً من أحمد جمال، وفيها تعليمات من الحكومة العثمانية بتلبية مطالب الشريف، فأبلغ فيصل والده بذلك، فوصله الرد بأن لا حكم بين الشريف وبينهم إلا السيف. وتم إطلاع وينجت بالخبر فشكر الملك حسين واقترح على الحكومة البريطانية توجيه الشكر بأسمها إلى الملك حسين على موقفه المتحالف[٢].

وكان دافع الملك حسين لعدم التفاهم مع العثمانيين هو ثقته بتعهدات بريطانيا ففى رسالته الجوابية إلى فيصل يقول " يا ابني أُصرح لك بأن الحلفاء هم مجبورون بمقتضى الوفاء بالعهد بأنهم يسلمونا الحدود التى أنت خابرها ولا شك أن الحالة الحاضرة ما تبقى محل للتردد ..."[٣] ثم بعث الحسين إلى المعتمد البريطانى فى جدة بتعهداته وقسمه على أن لا يقع بينه وبين العثمانيين صلح حتى يحكم الله بينهم وبين الحلفاء[٤].

وعلى هذا الأساس لم تيأس الحكومة العثمانية آنذاك من امكانية الصلح مع

فى الملف FO ٣٧١/٣٤٠٣ ، صورة لترجمة رسالة جمال إلى عبد الله، ورد الملك حسين على رسالة فيصل.

(١) (PRO) FO 371/3393, Summary of Hejaz Revolt,P.8.

(٢) (PRO) FO 371/3403, Decypher. Sir R. Wingate, Ramleh, June 10th, 1918.

(٣) صورة للخطاب بعثها الملك حسين إلى المسئولين الإنجليز فى جدة Same Series and Vol.,

(٤) Same Series and Vol., To the British Agent, Jeddah, 13/6/1918.

الشريف رغم ثورته ضدهم، وذلك لقناعة العثمانيين بأن الشريف حسين إذا فهم بوادر الأطماع البريطانية والفرنسية فى المناطق التى يحلم أن يمد إليها ملكه ربما يوقف اندفاعه مع الحلفاء.

وكانت هناك اتصالات بين ابن سعود وفخري باشا فى المدينة المنورة حسب رواية الوثائق البريطانية، وعندما اعتلى السلطان الجديد فى إستانبول العرش في منتصف عام ١٩١٨م/١٣٣٦هـ صدرت التعليمات إلى فخري باشا بإبلاغ ابن سعود بهذا النبأ[١] . مما يشير إلى أن علاقات ابن سعود بالعثمانيين لم تكن عدائية.

أما بريطانيا وحليفتها فرنسا فقد سعيا إلى الإتفاق[٢] فيما بينهما على المصالح في المنطقة بما فيها الأراضي التى يسعى الشريف حسين إلى مد نفوذه إليها. وإعطاء اليهود الحق فى إقامة وطن خاص بهم فى فلسطين[٣] التى دخلتها قوات اللنبى دخول الصليبيين.

وبهذه الصورة انتهى الحكم العثمانى فى الحجاز، بعد قتال مرير وهجمات متوالية، خاصة وأن القوات العثمانية فى المدينة المنورة نجحت فى الصمود طيلة سنوات الحرب وعوضت خسائر الدولة الأولى فى المدن الحجازية وعلى رأسها مكة المكرمة، واستطاعت أن تشكل خطورة على ثورة الشريف حسين ... إذ لو تم الإستيلاء على المدينة فى أوائل الثورة كباقي المدن لربما انتهى الحكم العثماني فى الحجاز قبل شهور طويلة من نهاية الحرب العالمية الأولى، ولكن الذى حدث أن العثمانيين بقيادة فخري باشا فى المدينة المنورة صمدوا فى البداية ثم تحولوا إلى الهجوم، وحاولوا التقدم نحو رابغ فى طريقهم إلى مكة لإستعادتها، مما جعل الإنجليز حلفاء الحسين يبذلون أقصي مساعيهم لإنقاذ الموقف، ثم كانت قدرة العثمانيين على المحافظة على السكة الحديدية بين المدينة ودمشق طيلة سنوات الحرب عاملاً قوياً فى

---

(١) (PRO) FO 371/3393, Summary of the Hejaz Revolt, p. 19.

(٢) فى نهاية الفصل الثالث إشارة أكثر تفصيلاً لهذه الاتفاقيات.

(٣) نص وعد بلفور البريطانى لليهود فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م موجود فى : Hurewitz, J.C.Op.cit. p. 106

إعاقة ثورة الشريف وإنقاذ الموقف العثماني فى الحجاز، رغم الهجمات وأعمال النسف على طول السكة الحديدية، ويمكن القول إن أوامر التسليم من القيادة العليا العثمانية بموجب قبول الهدنة هى التى حددت الموقف النهائي، فكان تسليم قوات فخري باشا، وتراجع القوات العثمانية وخروجها من شمال الحجاز وشرق الأردن وفلسطين شمالاً إلى الشام فالبلاد الأصلية التى امتد منها المد العثماني فى عصور الإزدهار.

الفصل الثامن

جنوب غربي الجزيرة العربية
١٣٣٤-١٣٣٧/١٩١٦-١٩١٨
المرحلة الثانية

- الإجراءات البريطانية في جنوب غربي الجزيرة العربية في بداية هذه المرحلة.
- سياسة بريطانيا تجاه الشريف حسين والإدريسي.
- الوضع السياسي والعسكري في جنوب غرب الجزيرة العربية.
- سياسة بريطانيا تجاه علاقات الإمام يحيى بالعثمانيين.
- نقل الإشراف السياسي والعسكري في عدن إلى القاهرة ولندن.
- الوضع في جنوب غربي الجزيرة العربية في المراحل الأخيرة للحرب
- العمليات البريطانية الأدريسية المشتركة ضد العثمانيين في نهاية الحرب.

جنوب غربي الجزيرة العربية
١٣٣٤-١٣٣٧هـ/ ١٩١٦-١٩١٨هـ
المرحلــة الثـانيـــة

بدأ البريطانيون في عدن يقومون بدور مرحلي هام لخدمة أغراض السياسة البريطانية في منطقة البحر الأحمر في فترة الحرب وما بعدها، خاصة وأن بعض الأصوات البريطانية قد ارتفعت مطالبة بأن تشهد الأشهر التالية تغيراً عميقاً في بنية السياسة البريطانية في المنطقة لتواكب تفاعلات الحرب(١) .

الإجراءات البريطانية في جنوب غربي الجزيرة العربية في بداية هذه المرحلة :

اتخذ التحرك الجديد للسلطات البريطانية في عدن في بداية هذه المرحلة عدة خطوات على النحو التالي :ـ

أولاً ـ مقاومة الأطماع الإيطالية والفرنسية في البحر الأحمر:ـ

علم البريطانيون في عدن أن أحد أقرباء الأدريسي ويدعى الميرغني الشريف، من الموالين للإيطاليين، اقترح على الأدريسي الإتصال بالإيطاليين للمساندة في التحركات الحربية للأدريسي، إلا أن الإنجليز أوعزوا إلى مندوب الأدريسي بعدم تنفيذ ذلك، خشية أن يضر ذلك بالمصالح البريطانية(٢) . ولم تكن السلطات في عدن هي المسئولة

---

(١) (PRO) FO 371/2486, Secret report by Marks Sykes, Aden July, 23rd 1915.

(٢) (PRO) FO 371/2479, From Resident, Aden, 22nd September 1915.

عن مراقبة النوايا الإيطالية فقط، بل إن السلطات البريطانية فى مصر كانت معنية بهذا الأمر كذلك، تلقت هذه السلطات من السردار فى السودان رسالة قدمها إليه أحد معارفه العرب من ذوي المعرفة الكبيرة بالأوضاع في جنوب غربي الجزيرة العربية، وقد جاء فيها تفصيل عن الأوضاع هناك وبعض التحركات الإيطالية في المنطقة، وتتضح من خلال هذه الرسالة بعض المعلومات الهامة عن الوضع هناك ومن ذلك حدث قتال فى الوهط إحدى القرى الواقعة في منتصف الطريق تقريباً بين الشيخ عثمان ولحج، حيث استولى عليها العثمانيون، بعد أن جرح أحد المشايخ المنتمين إلى جبل صبر فى تعز، ويحاول العثمانيون قدر استطاعتهم قطع الإمدادات من عدن ولكن العرب فى لحج الذين يعتمدون على ما يرد من عدن، يستعملون طريقة تحايل غير مباشرة إلى عدن للحصول على الأطعمة حيث يصل حوالي مائتي بعير بحمولتها.

أما ما يختص بالإيطاليين فيما أفاد به هذا العربى، فهو وصول الأخبار بإرسال السلطات الإيطالية فى عصب لأحد الجواسيس من مواطني المخا، لرصد معلومات عن العثمانيين فى المخا وقواتهم فيها وفيما جاورها. وعندما أرسل الجاسوس بهذه المعلومات فى رسالة إلى الإيطاليين كشفتها السلطات العثمانية، ويعتقد هذا الرجل ضرورة أن تقوم بريطانيا باحتلال المخا لأنهم مفضلون هنالك على الإيطاليين، ويرى أن هذا سيفيد تجارة هذه المدينة التى ستنتعش، وسيفد إليها عرب المنطقة وسيساعد ذلك فى علو مكانة السلطات البريطانية فى المنطقة.

وتذكر الرسالة أن قوات الأدريسى قد انتصرت على الزعيم هادي هيج شيخ قبائل الواعظات الذى يقال أنه جرح أو قتل[1]، حيث يترقب الأدريسي الفرصة لهزيمة هادى هيج الذى يتعاون مع العثمانيين بشكل كبير بحيث لو استطاع القضاء عليه لسهل استيلاؤه على اللحيه ....

---

(١) ذكر العقيلي أن هادى هيج عندما شعر بتحسن الموقف الحربي للعثمانيين في الحرب ساند العثمانيين وتخلى عن إتفاقيته السرية مع الأدريسى فاشترك بقبائل الواعظات مع الجيش العثماني ودفع قبائل وادى مور للاشتراك، وذلك لتعزيز موقف القائد غالب بك فى صد تقدم الجيش الأدريسى ومحاولاته ضد اللحيه، مما دعا الأدريسى إلى أمر أتباعه بالهجوم على هادى هيج واغتياله ولكن لم يفلح. انظر العقيلي تاريخ المخلاف السليماني جـ ٢ ص ٨٧٨.

وصلت هذه المعلومات إلى السلطات فى مصر فكتبت إلى وزارة الخارجية البريطانية بأن ما ورد فى رسالة هذا العربي يقوي الإنطباع السائد عن محاولات إيطاليا إيجاد موطئ قدم لها فى الساحل العربى المقابل لأرتيريا[١] .

تلا ذلك قيام خمسة من مشايخ الزرانيق – الذين يقطنون البلاد الساحلية الواقعة جنوب الحديدة – بزيارة حاكم عصب الإيطالي (المقيم) ليعرضوا عليه بيع مينائهم إلى الحكومة الإيطالية ... وقد سبق لهؤلاء أن فاتحوا المقيم البريطاني في عدن فى هذا الصدد، وكانوا يتلقون بعض الإمدادات فى بلادهم من عدن إلا أنها أوقفت مؤقتاً بسبب الموقف غير الودي الذى طرأ منهم في خوخة فى الفترة الأخيرة. ودعاهم هذا الموقف إلى الاتصال بالحكومة الفرنسية فى جيبوتي التى حولت الأمر إلى عدن، فاضطروا أخيراً إلى الذهاب إلى الحكومة الإيطالية[٢] .

ورغم تقدير المقيم فى عدن الجنرال برايس " Price " لموقف السلطات الفرنسية فى جيبوتي التى أحالت أمر طلب قبائل الزرانيق للسلاح إلى عدن، إلا أنه نبه حكومته إلى الإدعاءات الفرنسية السابقة فى الشيخ سعيد والتى يمكن أن تثار مرة أخرى، رغم عدم اتهامه للسلطات الفرنسية بإثارة الموضوع فى هذه المرحلة[٣] . هذا بالنسبة للشيخ سعيد، أما السواحل العربية الأخرى فقد وصلت بعض الأخبار منها تشير إلى حرص السلطات الفرنسية في الصومال الفرنسى على وجود نوع من العلاقات معها أكبر ممّا كان عليه الأمر قبل ذلك[٤] .

يشير هذا الرصد الدقيق للتحركات الإيطالية والفرنسية من قبل السلطات

---

(١) (PRO) FO 371/2492, From The Residency, Cairo to E.Grey, October 18th,1915, With letter from an Arab notable, dated September 23rd, 1915.

(٢) (PRO) FO 371/2479, From Resident at Aden, 30th October, 1915.

(٣) (PRO) FO 371/2492, From C.H.U. Price, Political Resident At Aden to Bombay, 27th september 1915.

(٤) (PRO) FO 371/2770, Memorandom. Un dated.

البريطانية، ومحاولة حصر القوتين فى مناطق النفوذ التابعة فى مستعمراتها فقط أي أرتيريا بالنسبة لإيطاليا وجيبوتى (الصومال الفرنسى) بالنسبة لفرنسا، دون السماح لها بالتوسع وخاصة في السواحل العربية المقابلة - على الرغم من أن كلتا الدولتين حليفتان لبريطانيا - إلى حرص بريطانيا على طريق مواصلاتها إلى الهند عبر البحر الأحمر وعلى تقوية مصالحها الاقتصادية فى موانئه الهامة.

ثانياً ــ رصد التحركات العثمانية :

أما التحركات العثمانية فى بداية هذه المرحلة، فقد أسفرت عن إخضاع العلوي بالتعاون بين العثمانيين وسلطان الحوشبي ومحمد ناصر مقبل (مافيا) حيث أُرسل شيخ العلوي إلى لحج، إضافة إلى وصول بعض المشايخ إلى لحج كالقطيبي، كما وصلت تقارير تشير إلى تحرك بعض القوات العثمانية مع (مافيا) للإشتراك مع اليوافع السفلى أعداء الفضلي ... ولذا تحركت السفينة البريطانية نورث بروك "Northbrook" إلى ميناء الفضلي فى شقره لرصد الحقائق[١] .

عادت السفينة البريطانية نورث بروك بعد زيارة استطلاعية لسواحل الفضلي، وتأكدت من نية السلطان الفضلي فى السفر إلى لحج، بعد أن عادت الحملة العثمانية، وانجلى الخطر عن الفضلي، وقد دفعه خوفه من العثمانيين إلى الصلح مع على سعيد باشا[٢] ، ويشير هذا إلى أن أهداف الحملة العثمانية هو إقناع بعض سلاطين المحميات مثل الفضلي بالقدوم إلى لحج وتقديم الطاعة للعثمانيين بدل الإنجليز فى عدن.

وتأكد المقيم بعد ذلك أن الأخبار التى وصلته عن خضوع القطيبي للعثمانيين في لحج غير صحيحة، فى حين يوجد سلطان الفضلي فى لحج، وأمير الضالع ومافيا في

---

(١) Same Series and Vol., From General Officer Commanding, Aden, 13th January 1916.

(٢) (PRO) FO 371/2770, From Resident, Aden, 18th January 1916.

الضالع[1] .

هكذا رصدت السلطات فى عدن التحركات العثمانية السياسية والعسكرية بعد استيلاء العثمانيين على لحج، تمهيداً للوقت الذي يتم فيه التعامل بشكل أقوى مع العثمايين والقوى المحلية الموالية لهم.

ثالثا ـ تنفيذ سياسة جديدة فى موانئ القطاع الجنوبى للبحر الأحمر :-

كان من الطبيعى أن تتبنى السلطات البريطانية فى عدن سياسة جديدة فى حدود مجالها فى البحر الأحمر، بعد هزيمتها أمام العثمانيين فى لحج، وبعد ظهور بوادر بعض التحركات من قبل إيطاليا وفرنسا لإيجاد مناطق نفوذ فى السواحل العربية الجنوبية للبحر الأحمر.

وحتى شهر نوفمبر ١٩١٥م/١٣٣٣هـ كانت التجارة فى جنوب البحر الأحمر مفتوحة سواءً للبريطانيين أو الفرنسيين أو الإيطاليين، ولكن بعد هذا التاريخ أصدر المقيم فى عدن قراراً فى ٥ نوفمبر ١٩١٥م/١٣٣٣هـ بأنه بعد الخامس عشر من نوفمبر يجب عل جميع السفن الحربية البريطانية التابعة لدورية البحر الأحمر الجنوبية اتباع التعليمات التالية :

ـ حظر المواصلات بواسطة المراكب (الداوات) من عدن وبيريم وكمران إلى أي ميناء من موانئ الجزيرة العربية.

ـ كل البضائع التى تنقل من عدن إلى ميدى ميناء الأدريسى يجب أن تتولى نقلها سفن شركة كاواسجى دينشو وإخوانه ـ Cowasijee Denshow & Bros

ـ لن يفتح أي ميناء للتجارة من موانئ الجزيرة العربية فى جنوب البحر الأحمر.

ـ سيتم إيقاف التجارة بين بيريم وزيلع علي الشاطئ الأفريقي بالإتفاق مع الممثل البريطاني فى بربرة الذى يتم التنسيق معه الآن لإيقاف نشاط المراكب من الصومال

(١) Same Series and Vol., from Resident, Aden, 20th, January 1916.

إلى موانئ البحر الأحمر أو خليج عدن بين بيريم وعدن.

- ستبلغ السلطات الفرنسية في جيبوتي والسلطات الإيطالية في مصوع بهذه السياسة، وحتى يتم التنسيق اللازم يقترح على سفن هاتين الدولتين المتوجهة إلى ميدي بإثبات هويتها لدى ضابط الميناء بكمران، لتحقيق المصلحة المشتركة بتضييق الخناق على تجارة العدو.

- تنطبق هذه الإجراءات على تجارة الإستيراد إلى عدن من موانئ قبائل الزرانيق[1] كموانئ الخوخة والطايف، حيث تضمحل هذه الموانئ بالطبع خاصة بعد توقف تعاملها مع عدن.

- تحتجز كل قوارب المواصلات المخالفة بعد الخامس عشر من نوفمبر ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ بواسطة دوريات الأسطول[2] .

ولما علم مكماهون بهذه الإجراءات الجديدة التي تبنتها السلطات البريطانية في عدن، أبرق إلى وزارة الخارجية بوجوب توضيح الإجراءات الجديدة والتأكيد بأنها تنطبق فقط على القطاع الجنوبي للبحر الأحمر، وأن التجارة بين السودان وجدة لن تتعرض لمثل هذه الإجراءات، حتى لا يستاء العرب في الحجاز، ولذا أوضح مكماهون لمندوب الشريف حسين الذي غادر بورسودان إلى الحجاز الإجراءات الجديدة وعدم إنطباقها على الحجاز[3] ، ويبدو أن ملاحظات مكماهون كانت إمتداداً للحساسية الإدارية بين السلطتين في القاهرة وعدن.

---

(١) جاء في بعض الوثائق البريطانية أن إحدى السفن البريطانية تعرضت لإعتداء إحدى المراكب التابعة للزرانيق في ميناء خوخة، مما يفسر لنا سبب هذا الإجراء، انظر : (PRO) FO 371/3055, From H.Fl Jacob, Aden Residency 1 Nov. 1915.

(٢) (PRO) FO 371/2481, Policy to be followed on the Red Sea Arabian lettoral by his Majesty's warships of the Southern Patrol. (Sd).C.H.U. Price, Resident and General Officer Commanding, Aden Brigade 5th,Nov 1915.انظر ملحق الوثائق

(٣) Same Series and Vol., Decypher, Sir H. Mcmahon, Cairo, Nov. 17th 1915.

ولإبلاغ السلطات الفرنسية فى جيبوتى والإيطالية فى أريتريا، كتب جاكوب المساعد الأول للمقيم السياسى فى عدن إلى قناصل هاتين الدولتين فى عدن، عن السياسة الجديدة التي تهدف إلى الحد من تدفق التجارة إلى موانئ العدو (العثمانيين) فى البحر الأحمر، وطلب من الأول أن يكتب إلى حاكم جيبوتى ومن الثانى إلى حاكم أريتريا بمضمون السياسة الجديدة للسلطات البريطانية فى عدن مع رجاء التعاون المتبادل الذى يحقق فشل العدو، والحرص على التقليل من التجارة بواسطة المراكب إلى ميناء ميدى، وتكليف ربابنة هذه المراكب بالتوقف فى كمران فى طريقهم من جيبوتى وأريتريا إلى ميناء ميدى لإثبات هويتها لدى جمارك الميناء[1] .

وقد استجابت السلطات الإيطالية فى مستعمرة أريتريا لهذه التعليمات حيث ستحد من التجارة، وستصدر رخصاً خاصة تتضمن التعليمات الورادة، ومنها التوقف فى كمران. ونظراً لصعوبة إبلاغ المكاتب الإيطالية فى المستعمرة بسرعة فقد طلبت هذه السلطات زيادة المهلة إلى بداية شهر ديسمبر ١٩١٥/١٣٣٤بدلاً من ١٥ نوفمبر١٩١٥م[2].

وافقت السلطات فى عدن على الفور على الطلب الإيطالي، وفي يناير ١٩١٦/ ١٣٣٤هـ أصدرت عدن تعليمات جديدة إضافية تقرر فيها أن تتوقف المراكب الفرنسية والإيطالية التى تتعامل مع ميدي ميناء الأدريسى، فى كمران فى رحلتي الذهاب والإياب، وقد أبلغت السلطات الإيطالية بذلك، ولم يصل رد منها بهذا الشأن، وفي مارس ١٩١٦م/١٣٣٤هـ أصبحت ميدى هدفاً للمهربين، ولذا وافق الأدريسى بعد التفاهم معه على استخدام ميناء جيزان عوضاً عن ميدى، وتم إبلاغ إيطاليا بذلك وبإنقاص الصادرات البريطانية اعتباراً من ٢ مارس ١٩١٦م/١٣٣٤هـ على أمل أن تحذو إيطاليا مثل ذلك. كتب القنصل الإيطالي إلى السلطان فى عدن يستوضح عما

---

(١) (PRO) FO 371/3055, From H.F. Jacob, To the Consul for Italy, Aden. and The Ag. Consular Agent for France, Aden, 5th Nov. 1915.

(٢) Same Series and Vol. From Consul for Italy, Aden, 16th Nov. 1915.

إذا كان ميناء جيزان هو الميناء الوحيد المفتوح للتجارة فى البحر الأحمر كما يتوقع، فوصله الرد فى ١٢ أبريل ١٩١٧م/١٣٣٥هـ من السلطات فى عدن بالإيجاب والإعلام بأن بقية الموانئ مغلقة فى وجه التجارة. عارض القنصل الإيطالي تقييد التجارة في البحر الأحمر بهذا الشكل، فقابله جاكوب موضحاً له أن بريطانيا لم تقيد التجارة ضد عصب ومصوع لصالح التجارة البريطانية وإنما لظروف الحرب. وفى ٢٥ مايو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ طلبت السلطات فى عدن من الحكومة الإيطالية إيقاف مواصلات المراكب (الداوات) بين موانئ أريتريا وجيزان واستبدالها بخدمات السفن البخارية إذا أمكن، فوافقت الحكومة الإيطالية على ذلك. وحتى تتم مثل هذه الإجراءات قلصت مؤقتاً خدمات المراكب ... وبعد ذلك شددت السلطات البريطانية فى تضييقها على التجارة في البحر الأحمر ولم تسمح إلا بمرور خمس مراكب إيطالية فى الشهر إلى جيزان، وتراجعت عن فكرة السماح للسفن البخارية الإيطالية كبديل للمراكب. ورغم التفاهم بين الجانبين في أغلب الموضوعات فقد شكا المسئولون الإنجليز فى كمران من عدم توقف بعض المراكب في كمران، كما وجدت بعض المراكب الإيطالية فى ميدي التى أقفلت منذ شهور أمام التجارة، مما اضطر السلطات البريطانية إلى احتجاز العديد من المراكب الإيطالية في ميدي واستمرت التجاوزات الإيطالية بتأييد من القنصل فى عدن والتي تريد أن تمارس بعض المناورات السياسية من خلال مناقشة الأمور التجارية – حسب زعم الإنجليز[١] .....

ويتضح من خلال هذه المداولات حول السياسة البريطانية الجديدة فى البحر الأحمر ما يلي :-

١ – تشديد بريطانيا فى حصارها لموانئ البحر الأحمر حتى لا تصل أي إمدادات إلى العثمانيين.

٢ – مقاومة محاولات الحكومة الإيطالية التى استجابت أحياناً باعتبارها حليفة لبريطانيا فى الحرب للسياسة الجديدة لبريطانيا فى جنوب البحر الأحمر، ولكن

(١) (PRO) FO 371/3055, Astatment by Major W., P. Wood, First Assistant Resident, Aden, September 1917.

استمرت فى مطالبها لتحقيق بعض المكاسب التجارية والسياسية فى الموانئ العربية المقابلة لمستعمرتها أريتريا.

هذا وكانت التعليمات الجديدة التى صدرت فى ٢٧ يناير ١٩١٦م/١٣٣٤هـ والتي عدلّت بها السياسة البريطانية فى موانئ البحر الأحمر الجنوبية الصادرة فى ٥ نوفمبر ١٩١٥م/١٣٣٣هـ تتضمن عدة بنود تختص بالأدريسى، إذ سبق أن عرضنا ما يختص منها بالمراكب الفرنسية والإيطالية، ومن أهم هذه البنود :-

- ستجاز التجارة المتبادلة بين موانئ الأدريسى الواقعة بين البرك وحابل لمراكب الأدريسي فقط، وسيمنح ربابنة هذه المراكب من قبل الأدريسي تصاريح خاصة بالموانئ، وَعَلم الأدريسي. والأوراق اللازمة حتى لا يتعرضون للحجز من قبل السفن البريطانية.

- كل الموانئ الواقعة بين خور البرك وحابل ستكون مفتوحة للتجارة بواسطة المراكب القادمة من القطاع الشمالي للبحر الأحمر التى تشملها دورية هذا القطاع بما فيها جدة، كما أن كل موانئ الأدريسى سيسمح لها بالإتجار مع موانئ القطاع الشمالي بشرط تنفيذ الشروط الخاصة بالتصاريح والعلم والأوراق الأخرى.

- سيسمح للبضائع بالعبور بالمراكب من عدن إلى جيبوتى وأوبوك ولكن تحت ضمانات خاصة[1].

ويعني هذا أن الأدريسى قد أُعطى مميزات كبيرة لتوسيع تجارته رغم ظروف الحرب، وذلك مقابل زيادة نشاطه ضد العثمانيين، ولإعطاء الدليل أمام بقية العرب على مميزات التحالف مع بريطانيا، وفى المقابل قيدت التجارة بين مستعمرة الإيطاليين فى أريتريا والفرنسيين فى جيبوتى مع موانئ الأدريسى وقصرتها على ميدى أولاً ثم جيزان بدلاً منها.

---

(١) (PRO) FO 371/2769, Policy for His Majesty's Ships in the Southern Red Sea Patrol, Aden Residency, 27th January 1916.
انظر ملحق الوثائق.

رابعاً ـ تقوية النفوذ البريطانى في هذه الأنحاء عن طريق تنسيق السياسة مع الأدريسى.

في ٢٧ يناير ١٩١٦م/١٣٣٤هـ أبرق الجنرال برايس المقيم فى عدن إلى بومباى بمحتوى التقرير الذى قدمه هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم فى عدن حول زيارته إلى الأدريسى كممثل للمقيم فى عدن، وبعث بصور مماثلة من التقرير إلى دلهي والقاهرة ولندن.

وصل جاكوب إلى جيزان فى ٦ يناير ١٩١٦/١٣٣٤ على ظهر السفينة مينتو Minto برفقة الكولونيل واهوب Wauhope الذى كان يعمل فى تسجيل طبوغرافية المنطقة، والميجور برادشو Major-Bradshow أركان حرب القوة البريطانية فى عدن الذى جاء لمعرفة الوضع العسكري.

عند وصول السفينة إلى جيزان قدم وزير الأدريسي محمد يحيى باصهي للترحيب بهؤلاء، وأخطرهم أن الأدريسى سيقابلهم على الساحل ليلاً، وفهم جاكوب أن الأدريسى يريد أن يحميهم من مواطنيه، كما كان يريد إخفاء حقيقة اتصاله بغير المسلمين حتى لا يفقد مكانته أمام أتباعه، وتلك كانت سياسته منذ علاقاته الأولى مع إيطاليا.

ومع حلول الظلام نزل جاكوب وزملاؤه إلى الساحل فاستقبلهم ثلاثة من رجال الأدريسى وأوصلوهم إلى دار مجاوره، حيث استقبلهم الأدريسى، واجتمع بهم بحضور وزيره باصهي، وقد لاحظ جاكوب أن الأدريسى يعتمد كثيراً على مشورة وزيره الذى يسيطر على شئون الملاحة والسفن، وبعد انتهاء الإجتماع حاول جاكوب أن يلتقى بالأدريسى على انفراد وهمس في أذنه سائلاً عن مدى ثقته بوزيره، فأكد الأدريسى ثقته به. ناقش جاكوب موضوع سياسة دورية القطاع الجنوبي للبحر الأحمر مع الأدريسى، وطلب أن يكون خور البرك وليس رأس طرفه الحد الشمالي للتجارة في سواحله، وحابل الحد الجنوبى رغم أن أراضيه حسب ادعائه تمتد إلى جنوب حابل بقليل، وقد صرح الأدريسى أن الاتجار بين موانئه سيضمن النوايا الطيبة لرعاياه، ولن يسمح بمرور أى إمدادات إلى العثمانيين عن طريق موانئه ... رغم اعترافه

بإمكانية تهريب الإمدادات عن طريق السواحل التى تقع بين موانئه ... ولذا اقترح أن تراقب الدورية البريطانية هذه الأماكن.

ثم ناقش جاكوب موضوع الإتجار مع جدة، وخطورة وصول إمدادات مهربة إلى موانئ الليث والقنفذة، حيث كان الأدريسي يحصل على الحبوب من جدة، ولذا فكر جاكوب بإمكانية جلب الحبوب إليه من عدن رغم أن أسعار الحبوب ستكون أرخص إذا جلبت من جدة، وقد عبّر الأدريسى عن صعوبة إيقاف جلب الحبوب من جدة. وأدرك جاكوب أن إيقاف التجارة بين جدة وموانئ الأدريسى ستكون له آثار منها :-

- أن وقف الاتصال بين جدة وموانئ الأدريسى يلغى الفوائد السياسية التى يمكن لبريطانيا أن تحصل عليها.
- ستبرز شكوك ضد بريطانيا إذا منعت الأدريسى من الاتجار مع جدة المفتوحة للتجارة مع السودان والهند.
- أن ميناء جدة يعتبر محايداً والمنع يؤثر على هذا الاعتبار.
- جدة ميناء عربي وسياسة بريطانيا جذب العرب.
- سترتفع الأسعار ويتأثر الأصدقاء الجدد لبريطانيا.

ثم دخل جاكوب مع الأدريسي فى نقاش حول التجارة بين موانئه وموانئ إيطاليا وفرنسا على الساحل الأفريقى المقابل ... فى محاولة لإقناعه بالسياسة البريطانية فيما يتعلق بتعامله مع الدول الأوربية الأخرى.

اتفق الطرفان بعد ذلك على قيام الأدريسى بإصدار تصاريح خاصة من قبله للمراكب التجارية التى تجوب بين الموانئ، ووضع أعلام خاصة توضح هوية هذه المراكب ... ونّبه جاكوب الأدريسى إلى الحادثة التي وقعت لإحدى السفن البريطانية في شواطئ عسير، وقد حاول الإدريسي إرجاع ذلك إلى عدم استتباب الأمن فى الشواطئ البعيدة عن الموانئ الرئيسية.

وعندما سأل جاكوب عن أسباب إخفاق الأدريسى أمام اللحيه، قال أن قلة المدافع والأسلحة التى لديه حالت دون ذلك، وحاول الأدريسي إثبات نجاح مهمته بأنه

لو لم يقاتل العثمايين فى اللحيه لكانت جنودهم فى لحج، أي أنه احتجز مجموعة من الجيش ستستخدم فى ميدان آخر غير اللحيه وهو لحج.

ولذا رأى جاكوب أن الإدريسى قد نجح سياسياً فى اجتذاب بعض القبائل ولكن يحتاج إلى مزيد من السلاح إذا أُريد منه تحقيق انتصارات عسكرية، كما اقترح تشجيعه بإعطائه وسامٍ أو لقبَ شرفٍ بريطاني.

وهكذا فإن السياسة البريطانية الخاصة بدورية القطاع الجنوبي للبحر الأحمر والتى صدرت فى ٢٧ يناير ١٩١٦م/١٣٣٤هـ وفق ما أشرنا إليه، قد تمت بنودها الخاصة بالادريسى بالاتفاق معه خلال زيارة جاكوب لجيزان فى السادس من يناير ١٩١٦/١٣٣٤.

وقد علق المقيم في عدن البريجادير جنرال برايس على تقرير جاكوب فى برقيته إلى بومباى بما فحواه:-

- تمت مناقشة النقاط المهمة فى السياسة التجارية البريطانية فى جنوب البحر الأحمر مع الإدريسى.
- أبدى المقيم ارتياحه لمناقشة موضوع تجارة الإدريسى مع جدة.
- الحديث عن منح الأدريسى وساماً أو ميداليةً سابق لأوانه.
- الإشادة بمقدرة جاكوب ومعرفته التامة بهذه البلاد(١) .

ومن خلال تقرير جاكوب والمقيم نرى مدى حرص السلطات فى عدن على تحقيق عدة أهداف فى آنٍ واحد ومنها تطبيق سياسة قوية وفاعلة فى جنوب البحر الأحمر، تمنع وصول الإمدادات إلى العثمانيين، وتقيد أطماع الدول الأوربية الأخرى، وترضي

---

(١) (PRO) FO 371/2769, From Brigadier-General C.H.U. Price, Political Resident, Aden. to Secretary to Govern, Political Dept - Bombay, 27th, January 1916, With Report of A Visit to the Idrisi, Saiyid Muhammad Bin Ali Bin Muhammad bin Ahmed at Jezan, by H.E. Jacob First Assistant Resident, Aden, 17th, January 1916

انظر ملحق الوثائق .

الحليف المناوئ للعمثانيين الإدريسي ... كما تفيد دقة ملاحظات جاكوب بخصوص الإدريسي ووزيره وحذر الأول في إخفاء حقائق تعامله مع غير المسلمين ..... إلخ.

وفي نهاية شهر يناير ١٩١٦م/١٣٣٤هـ كتب المقيم السياسي في عدن الجنرال برايس Price إلى بومباي رسالة مرفقاً بها صورة للتقرير الذي قدمه القائد العام للقوات البريطانية في عدن إلى رئاسة الأركان في دلهي ومرفقاً به تقرير من أركان حرب الفرقة البريطانية في عدن الرائد برادشو C.R.Bradshow حول زيارته إلى الإدريسي ونتائجها من وجهة نظر عسكرية.

جاء في تقرير برادشو أن الإدريسي ووزراءه لا يضعون العمليات العسكرية في المرتبة الأولى حيث سحب الأدريسي رجال قبائله إلى مجال حدود نفوذه الخاص بعد هزيمته من العثمانيين أمام اللحيه، وفي المقابل لم تلاحقه قوات العرب الموالين للعثمانيين، وأشار التقرير أنه ليس لدى الإدريسي فكرة واضحة عن عدد القوات العثمانية ... ولكن يعتقد أن القيادة العثمانية ضعيفة وخاصة من جانب راغب بك قائد القوات العثمانية في البلاد التي يدور فيها الصراع مع الأدريسي، وبالتالي لا يتخوف الأدريسي من هذا القائد.

ويعتقد برادشو أن الإدريسي خامد من الناحية العسكرية ولا يفكر في عمل هجومي وبالرغم من هذا فإن عداء الأدريسي للعثمانيين والإمام إنعكس بصورة إيجابية لصالح البريطانيين، حيث يحتجز سبع طوابير عسكرية عثمانية في المثلث الحديدة – صنعاء – اللحيه، ومع ذلك لا يتوقع أن يقوم بأي عمل في الوقت الراهن بسبب عدم وجود احتياطي ذخيرة للسلاح الإيطالي الذي تستعمله قواته، ولذا يرى برادشو الاستفادة من وضعه الحالي كمناوئ للعثمانيين إلى حين يتم تزويده بالسلاح[١]

وبعد أن اطلع القائد العام للقوات البريطانية في عدن على هذا التقرير كتب حول الإدريسي عدة ملاحظات جديدة.

---

(١) (PRO) FO 371/2769, From Resident at Aden to Bombay, 29th January 1916, with Extract from a report by Major C.R. Bradshow, General Staff, Aden.

- أن الإدريسى لا يفكر بالهجوم العسكري حالياً وإنما يحاول أن يمد نفوذه السياسي إلى القبائل المجاورة مستفيداً من المميزات التجارية التى منحتها إياه بريطانيا، وبالتالي تستمر مساعدته لبريطانيا عن طريق حجزه للقوات العثمانية على حدوده التي قد تصرف لو لم يتم إشغالها بالأدريسى إلى الخدمة فى لحج.
- يجب إمداد الأدريسى بما طلبه من الأسلحة بأسرع ما يمكن رغم صعوبة الإستجابة لطلبه فيما يختص بالذخيرة الإيطالية التى اعتذرت السلطات الإيطالية عن تأمينها. وأشار أنه يمكن تأمين الذخيرة للأسلحة العثمانية التي لديه عن طريق الغنائم التى يستولى عليها من العثمانيين فى الميادين الأخرى وخاصة فى العراق(1).

وهذا يعني أن السلطات البريطانية عرفت أهمية إعطاء الأدريسى مميزات تجارية تقوي إقتصاده وتنمي ثروته ليكون قادراً على التأثير على اجتذاب القبائل إلى صفّه بالطرق السلمية بعد فشل فعاليته العسكرية الهجومية.

وفي مارس ١٩١٦م/١٣٣٤هـ كتب هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم السياسي فى عدن تقريراً عن الوضع السياسي الحالي فى المحميات وما وراء الحدود.

استهل جاكوب تقريره بالإشارة إلى تضاؤل مكانة بريطانيا منذ سقوط لحج بأيدي العثمانيين فى الرابع من يوليو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، بينما عرب المنطقة لا يحبون العثمانيين لشدة سياستهم، ولا يحبون البريطانيين أيضاً، وإنما المسألةنسبية المعاملة إذ يتلقون الإعانة البريطانية ولن يفرطّوا في هذا الإمتياز بالبحث عن مصدر آخر ... ومنذ سقوط لحج أيضاً يواجه البريطانيون الحقائق التالية :-

- سلطان الحوشبي الذى دخل العثمانيون عبر بلاده أثناء تقدمهم نحو لحج يعتبر الآن موالٍ للعثمانيين، إضافةً إلى وقوع أرض بلاد الصبيحة تحت رحمة العثمانيين، في حين نجح الأمير نصر أمير الضالع فى الحصول على إعانة عثمانية، فتبع طريقته عدد من مشايخ وقرى الشاعري وجبل جحاف، وقدِم سلطان العلوي إلى لحج، كما لبّى سلطان الفضلي دعوة على سعيد باشا بالقدوم إلى لحج رغم معارضة

(1) Same Series and Vol., From the General Officer Commanding, Aden to the Chief of the General Staff, Delhi, 29th, January 1916

بريطانيا.

- السلطان الأخير لبنى كاسد Kasid من يافع السفلى كان ضد البريطانيين بينما لا يعرف شعور السلطان الجديد المنتخب وإن كان يتوقع أنه يبغض العثمانيين.
- سلطنة البيضا التى تحاط بسلسلة من القبائل التى كان لبعضها اتصال بالإمام يحيى لا يعرف عن مدى سماح رعايا هذه السلطنة لسلطانهم بالقدوم إلى عدن لتوقيع اتفاقية مع الإنجليز.
- يخشى شريف بيحان من كيد الإمام يحيى ضد حدوده الشمالية.
- لا يعرف مدى موقف بعض قبائل يافع العليا الأخرى التى تتقاضى إعانات إنجليزية، ورغم أن هؤلاء كتبوا إلى عدن يؤكدون ولاءهم إلا أنهم كاتبوا بعض القبائل الموالية للعثمانيين.

ويؤكد جاكوب أن لاقتراب العثمانيين من عدن بشكل ينذر بالخطر عليها بعد استيلائهم على لحج، آثار سلبية على الساحة ربما تتزايد مع مرور الوقت ويخفف من هذه الآثار فشل علي سعيد فى ضم سلطاني العولقي وسلطان العوذلي أو أى شيخ فى حضرموت على الرغم من تبادل بعض الرسائل وموقف سلطان الفضلي الذى حاول تبرير سياسته إزاء علاقاته بالعثمانيين.

ثم يشير جاكوب إلى أن العثمانيين يستطيعون القيام بحركة صلح بين القبائل ولو مؤقتاً طالما أن النزاع يقف في طريق نجاح الإسلام ... وللوقوف أمام هذا التقدم العثماني ينبغي استعمال القوة المسلحة، عندها سيتغير موقف العرب إزاء بريطانيا ولن يجد الصلح بين بريطانيا والدولة العثمانية فى كسب جانب العرب، كما لا سبيل إلى توسط بريطانيا فى الصلح بين الإدريسى والإمام يحيى إذا لم تحصل بريطانيا على انتصار عسكرى فى المنطقة، ولذا يرى جاكوب أن التقدم البريطاني العسكري نحو لحج كفيل بجذب العرب إلى صف بريطانيا ضد العثمانيين ... ويبرر جاكوب عدم النشاط العسكري للإدريسى بنقص السلاح، ولكنه يستدرك ويشير إلى أن هناك أسباباً متعددة لموقفه هذا، منها أنه ينتظر التحرك العسكري البريطاني فى هذه النواحي والميادين الأخرى. وقد نبّه الأدريسى جاكوب أثناء زيارة الأخير له فى جيزان

إلى أنه مطمئن إلى انتصار بريطانيا فى الميادين الأخرى ولكن يخشى العثمانيين فى منطقته خاصة إذا وقف الأدريسى بمفرده أمامهم.

ويرى جاكوب استحالة الاتفاق بين الإمام فى اليمن والإدريسى وعدم إمكانية قيام اتحاد عربى ضد العثمانيين فى المنطقة، لوجود مصالح خاصة لكل واحد على حده، ويمكن أن يعارض كل واحد منهم العثمانيين بشكل منفصل إذا وضع بين يديه برنامجاً ملائماً، ورغم أن ذلك أمر جوهرى إلا أن جاكوب يعترف بعدم وجود سياسة بريطانية واضحة.

ويذكر جاكوب أن الإمام يحيى لم يشارك العثمانيين بشكل فعال على الرغم من إمداده لقواتهم بالمواد الغذائية، ثم يتحدث عن علاقات الإمام السابقة بمشايخ وسلاطين المحميات مشيراً إلى أنه قد سبق له أن أرسل إلى أغلب هؤلاء، ثم يذكر الفروق المذهبية بين الفريقين فالمحميات شافعية والإمام يدين بالمذهب الزيدي الذى لا يقّره هؤلاء، ثم ينبه جاكوب إلى أن المحميات كانت فى السابق تحت حكم الإمام، وبالتالى تكمن الخطورة فى إمكانية محاولة إعادة مثل هذا المجد.

أما الشيخ ابن ناصر مقبل شيخ ماويه فقد وقع إتفاقية مع بريطانيا فى أوائل الحرب رغم تبعيته للعثمانيين، ولا يعتبره جاكوب مخلاً بالعهد بل ما يزال يعتقد بإمكانية الاستفادة منه إذا سنحت له الفرصة، فلم يشارك العثمانيين فى هجومهم على لحج على رأى جاكوب، ولما طلبوا منه المشاركة ادّعى المرض[1] .

وقد علق وليام والتون W.C. Walton نائب المقيم السياسي فى عدن على ما أورده جاكوب، مشيراً إلى أنه يتفق مع وجهات نظره تلك بشكل عام، وأضاف عدة إضافات قدمها إلى حكومة بومباى، ومنها:ـ

ـ أن السياسة البريطانية في هذه النواحي قائمة على أسس سلبية إعتماداً على

(1) (PRO) FO 371/2769, Present Political Situation in our Hinter land and beyond the border, by H.F. Jacob, First Assistant Resident, Aden, 10th March 1916.

انظر ملحق الوثائق.

السياسة العسكرية البريطانية الحالية القائمة على الدفاع السلبي.

- لا يمكن تغيير سياسة الدفاع السلبى حتى يسمح الوضع العسكرى بذلك، ولكن على الأقل يجب وضع أسس السياسة المستقبلية من الآن.
- ينبغي التعهد بإكمال رسالة الرجل الأبيض فى جنوب الجزيرة العربية كما حصل فى مصر والهند، عن طريق التغلغل القوي بما في ذلك إنشاء الطرق البرية والحديدية والمدارس والمستشفيات والمحافظة على القانون البريطاني، مشيراً إلى أنه إذا لم تفعل ذلك بريطانيا سيقوم أوربيون آخرون بحمل عبء نقل الحضارة إلى هذه الجهات[1] .

بعد استعراض هذه الوثائق يمكن إيجاز آراء جاكوب ووالتون بالآتى :-

- الأسى على ضياع لحج وبالتالي سمعة بريطانيا فى هذه النواحي.
- وجوب تغيير السياسة البريطانية والخطة العسكرية القائمة على الدفاع ومحاولة استخدام القوة فى استعادة لحج.
- الحديث عن الإسلام ودوره، ورسالة الأوروبي حامل مشعل الحضارة فى اعتقاد نائب المقيم ... مما يشير إلى وجود الروح الصليبية والنوايا الاستعمارية فى ذهن رجال السياسة البريطانية، كما أصاب جاكوب بوصف أطماع سلاطين المنطقة فيما يختص بمصالح كل واحد منهم فيما لو أراد البريطانيون توحيدهم ضد العثمانيين.

خامساً: تنسيق سياسة عدن مع الموقف الجديد للشريف حسين ابن علي فى الحجاز:

عقد مؤتمر برئاسة الأدميرال ويميس R. Wemyss على ظهر السفينة البريطانية نورث بروك " Northe Brook " جاء فى تقرير جاكوب الموقع باسمه في

---

(1) Same Series and Vol., From Brigadier-general W.C. Walton, Acting Political Resident, Aden, to the Secretary to Govern - Political Dept - Bombay, 14th March 1916.

انظر ملحق الوثائق.

الرابع من أبريل ١٩١٦م/١٣٣٤هـ عن هذا الاجتماع مايلـي :-

استـهل التقـرير بالتنويه عن أهداف السيـاسـة البـريطانيـة فى القطاع الشمـالي للبـحـر الأحـمـر التى درست من قـبل المسـتر سـتورز والميـجـور أوسليـفن O'Sullivan والتى تتلخص فى إغلاق جـدة أمـام كل المواصـلات القـادمـة من الهند، والإبقـاء على طريق مـعـروف ومـحـدد لإرسـال الإمـدادات الغـذائيـة إلى الشـريف حـسين، وإغـلاق كل الموانئ العـربيـة مـا عـدا جيـزان أمـام المواصـلات الخـارجيـة، ثم الهـجـوم على كل مـواقـع المدافـع العثمـانية على هذا السـاحل.

وقد اتفق الجميع على النقطة الأخيرة الخاصة بالهجوم على المواقع العثمانية، ثم أشـار جاكـوب فى هذا التقرير إلى سياسـة دورية القطاع الجنوبي للبحـرالأحمر والتي أعلنت فى نوفمبر ١٩١٥م/١٣٣٤هـ وأعيدت بصيغة جديدة بعد التفاهم مع الأدريسى فى ينـاير ١٩١٦م/١٣٣٤هـ منوهـاً إلى أن السلطات فى عـدن سـمـحت بدخـول البن والجلود وغيـرهـا من البـضـائع من اليـمن إلى عـدن حـتى لا يحـتـاج عـرب اليـمن إلى العثـمانيين، ثم ألمح إلى أن البضـائع والمؤن يمكن تهـريبهـا بسـهـولة إلى العثـمـانيين في القطاع الشمـالي للبحـر الأحـمـر الذى يدار بواسطة السلطـات فى القـاهرة، بينمـا لا تصل البضـائع المهربة من ميدي إلى الحديدة واللحيه إلى العثمانيين، وإنما إلى العرب العثـمانيين لأن أعداد هـؤلاء أكبر بكثـير من الأتراك العـثـمانيين، وأخـيراً يذكر جـاكـوب بعض الإسـتثناءات التى أُلحقت أخيراً وهى السمـاح لبعض المراكب بالذهاب من جيزان إلى الطايف مـيناء الزرانيق لإرضـاء مـحـمـد حـيـدر البـحـر بناء على طلب الإدريسي والسـمـاح للمـركب " دنقليه " التـابع للإدريسى بالقـيـام بخـدمـات بين كمـران وسـاحل الإدريسى لأغراض أسطول الأدريسى[1] .

وقد وضـع ويليام والتون المقيم الجديد فى عـدن ملخـصـاً لهذا الاجتمـاع بشكل واضح، ذكر فيـه أنه بناءً على طلب شـريف مكة تم الإتفـاق على إغلاق جـمـيع مـوانئ

---

(١) (PRO) FO 371/2768, Notes on a conference held on H.M.S "Northbrook" and Prsided over by Admiral Sir Rosslyn Wemyss. on March 31st 1916, (sd) H.E. Jacob, First Assistant Resident, Aden, 4th April 1916

القطاع الجنوبي للبحر الأحمر ماعدا :ـ

ـ المواصلات بين موانئ الإدريسى بالشروط المتفق عليها مع الإدريسى.

ـ السفينة البخارية التي تخدم تجاريا بين عدن وجيزان.

ـ المواصلات الفرنسية والايطالية إلى جيزان.

ـ مركب السيد محمد حيدر البحر من ميدي إلى الطايف.

ـ المركب "دنقلية" من كمران إلى ساحل الإدريسي.

ـ المراكب من جدة إلى موانئ الأدريسى، وستوقف إذا أقفلت جدة أمام الإمدادات القادمة من الهند[1] .

وقد وافقت وزارة الهند على الحصار المفروض على موانئ البحر الأحمر العربية بناءً على طلب الشريف حسين، شريطة ترك موانئ الأدريسى مفتوحة[2] .

وكانت وزارة الهند أيضاً قد اقتنعت قبل ذلك بامكانية قيام المكتب العربي بالقاهرة بالتنسيق حول الموضوع الذى طلبه الشريف حسين والخاص بإرسال وفود من قبله إلى الادريسى والإمام يحيى، بشرط إبلاغ المقيم فى عدن بكافة تفاصيل الموضوع وما يتعلق به من مراسلات أو تفاهم حول الموضوع[3] .

وهكذا نرى أن السلطات فى عدن ومن ورائها حكومة الهند ووزارة الهند في لندن قد بدأت فى التخفيف من حدة المنافسة مع السلطات فى القاهرة فيما يتعلق بمناطق النفوذ، نظراً لأن الموقف يستدعي مزيداً من التنسيق والتفاهم حول السياسة البريطانية فى البحر الأحمر، رغم أن بعض المسئولين فى عدن ما يزال يعبر عن فاعلية السياسة البريطانية فى عدن ومدى تطبيقها لأهداف السياسة البريطانية العامة، في حين يستفيد العدو في القطاع الشمالى أحياناً من جراء سياسة القطاع الشمالي

(١) Same Series and Vol. From B.G-William C.Waltom, Political Resident, Aden, to the Secretary to Govern-political Dept-Bombay Aden Residency 7th April 1916.

(٢) Same Series and Vol., From 1.0 To F.o, 20th April 1916

(٣) (PRO) FO 371/2767, From 1.0 to F.O, 28th, Feb. 1916.

الذى تديره القاهرة بسبب عدم تقييدها للتجارة هناك بشكل مماثل لسياسة السلطات في عدن ... وذلك من خلال ما أورده جاكوب في تقريره هذا.

سياسة بريطانيا تجاه الشريف حسين والإدريسى

من خلال ثورة الشريف حسين فى الحجاز ظهرت مسألة العلاقات بين الحجاز التابعة لإشراف السلطات البريطانية فى القاهرة، وبين عسير واليمن التابعتين لإشراف السلطات البريطانية فى عدن.

ورغم أن العلاقات كانت عدائية بين الطرفين قبل قيام الحرب العالمية الأولى، عندما استعانت الدولة العثمانية بالشريف حسين ضد الإدريسى، إلا أن السلطات في عدن توقعت أن يشارك الأدريسي الشريف فى القيام بحركة هجومية ضد العثمانيين، على الرغم من صعوبة إمداد الإدريسي بالسلاح فى الوقت الحاضر وخاصة النوع الإيطالى منه[1] .

وفى نهاية شهر مايو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ أبرق قائد القوات البريطانية والمقيم السياسى فى عدن ويليام والتون إلى حكومة الهند حول مخطط الشريف للقيام على العثمانيين فى الحجاز وسوريا وما سوف يقوم به من تخطيط وتنسيق مع الأدريسى والإمام يحيى للقيام بعمل مماثل من قبلهم.

ويرى والتون أن الوضع سيتفاوت حسب درجة نجاح إجراءات الشريف وعلى سبيل المثال :-

- ربما يفشل الشريف فى الحصول على دعم رعاياه أو القبائل الأخرى.
- ربما يحصل على دعم وتشجيع الإدريسي، وليس الإمام.
- ربما يحصل على تشجيع الطرفين الإدريسى والإمام.

ويرى والتون أن صداقة الإمام بالنسبة لبريطانيا أقل أهمية بشكل عام من صداقة الإدريسى نظراً لأن الأخير يملك أراضى ساحلية واسعة على البحر الأحمر

---

(1) (PRO) FO 371/2770, From Resident, Aden, 19th March 1916.

وبالتالي ترتبط مصالحه بالقوة البحرية البريطانية، ولكن بالنظر إلى الأراضي المتاخمة لعدن وسياسة بريطانيا في الحصول على مناطق داخلية تؤمن محمية عدن ربما تؤدي إلى إجبار بريطانيا على التعامل المباشر مع الإمام.

ثم يحلل والتون النتائج التى ستترتب على ثورة الشريف حسين فى عدن والمحميات على ضوء الفرضيات التى طرحها ... ففي الحالة الأولى التى قد يفشل الشريف فيها فى الحصول على تشجيع رعاياه، فإن الوضع لن يتغير بشكل كبير في الجبهة المقابلة لعدن إلا إذا حصل العثمانيون على تشجيع أكبر من عرب المنطقة بشكل عام والإمام بشكل خاص لو ثبت إخفاق الشريف ... ولكن الشريف إذا اختار الوقت المناسب للثورة فإن احتمال فشلها سيكون ضعيفاً.

أما في الحالة الثانية التى يفترض فيها نجاح الشريف فى الحصول على التشجيع من جيرانه، فإن الإدريسى سوف لن يجد صعوبة كبيرة فى كسب بعض قبائل الإمام يحيى المحاربة، وبإرسال الأسلحة إلى الأدريسي من قبل بريطانيا سيصبح فى وضع قوي يمكنه من قتال العثمانيين على الرغم من احتمال مساعدة الإمام لهم، وعندما ينجح الأدريسى في مناوشة العثمانيين فإنهم سينقلون أعداداً من جنودهم المرابطين فى جبهة عدن للقضاء على هجومه ... وهنا يطرح والتون تساؤلاً عمّا يجب فعله فى حالة انسحاب بعض القوات العثمانية من لحج للقتال ضد الإدريسي ... هل تقف القوات البريطانية فى عدن مكتوفة الأيدى ؟؟ أم تتقدم لمقاتلة العثمانيين فى لحج فى ظل انخفاض أعداد قواتهم ؟؟، وإذا كانت الفكرة الأخيرة مرغوبة فتحتاج إلى إجراءات سريعة ومتكاملة ومعدة.

ولما كان من الواضح أن الشريف سيقوم بالثورة فى يونيو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ فإنه يجب عدم إضاعة الوقت فى رأي والتون ... وربما يؤدى سقوط الكوت فى العراق إلى تأخير الثورة، ولذا يرى والتون أن أسباب وجوب الإسراع بالهجوم على العثمانيين فيما لو انسحبت بعض الفرق من لحج للقتال ضد الأدريسى أو الشريف تتلخص فى الآتـى :-

- الوفاء بالتعهدات البريطانية للإدريسى ومنع القضاء عليه.

ـ التقدم نحو الحدود السابقة كحق من حقوق بريطانيا، إذ سيضيع هذا الحق لو ترك العثمانيون ينسحبون بضغط من العرب وحدهم.

أما الفرضية الأخيرة التى طرحها والتون والخاصة باتحاد قوتي الإمام يحيى والإدريسى ضد العثمانيين، فيعتقد أنها ستلقى صعوبات قليلة جداً لوضع نهاية للجيش العثمانى فى اليمن، وفى هذه الحالة ستقع القوات العثمانية فى جبهة عدن فريسة للعرب أو تستسلم لبريطانيا ... ثم يلمح والتون إلى أن القوات العثمانية إذا لم تستسلم للبريطانيين وحدهم وليس للعرب فإن الإمام يحيى بالطبع سيطالب بالأراضي التي كان يحكمها العثمانيون نتيجة إستسلامهم للعرب. ولذا يجب أن تظهر بريطانيا بمظهر القوة أمام الإمام يحيى حتى لا يتقدم على حساب مصالح بريطانيا في المحميات.

كما يتخوف والتون من أمرين فى الوقت الراهن :-

ـ فشل الشريف ونجاح دعوة العثمانيين للجهاد.

ـ انتصار العثمانيين والألمان فى الميادين الأخرى وبالتالي ينصرف العرب إليهم، ولذا يمكن القول إن مصير هذه البلاد يتحدد وفق النتائج الحربية للمعارك فى الميادين الرئيسية فى أوروبا بين الحلفاء والمحور على الرغم من أهمية العامل المحلي في الجزيرة العربية.

ويصف والتون الصراع الدائر فى المنطقة بالملاكم الذى يقصر نفسه على جهة واحدة فى الهجوم فتقل احتمالات انتصاره، ضد مصارع آخر يساويه فى التدريب يستغل نقاط الضعف فى خصمه، ويرى والتون أن القوات العثمانية فى جبهة عدن هي إحدى نقاط الضعف ويجب على بريطانيا استغلالها.

ولذا يرى والتون وجوب التقدم نحو لحج فى أقرب فرصة ... وحتى يمكن تفادي الإخفاق مرة أخرى يجب تعزيز القوات فى عدن بقوات من الصومال البريطاني ولو لفترة وجيزة، ويمد السكة الحديدية باتجاه لحج بطول ستة عشر ميلاً ... ومع أن قرار مثل هذا الغزو ينبع من المتطلبات الاستراتيجية للامبراطورية إلا أن والتون يرى من

واجبه تقديم صورة حقيقية للوضع المحلي وما يترتب عليه من تصورات مستقبلية[1] .

وهكذا ربط المقيم فى عدن الوضع فى جبهة لحج وعدن بما سيقوم به الإدريسي من دور فعال ضد العثمانيين عند قيام الشريف حسين بالثورة، كما نلاحظ حرص البريطانيين من خلال آراء والتون على استغلال عامل استخدام العرب ضد العثمانيين فى الوقت الذى تقوم به بريطانيا بدور عسكري واضح يمنع إمكانية حدوث مطالب مستقبلية من العرب نظير مشاركتهم ضد العثمانيين ... أى أن الإنجليز فى عدن يخططون لأمرين :-

- الخلاص من العثمانيين.

- تجنب إدعاءات القوى المحلية مستقبلاً، بإثبات الدور البريطاني الفعلي فى الحرب.

وفى إطار التنسيق بين ثورة الشريف وسياسة البريطانيين فى عدن لحفز الإدريسى على العمل العسكري، وصلت برقية إلى السلطات فى عدن فى ٨ يونيو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ بأن ستورز وهوجارث التابعين للقاهرة قابلا أحد أبناء الشريف حسين، حيث تحدد موعد الثورة فى الحجاز فى ١٠ يونيو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ وقد بدأت فعلاً فى المدينة المنورة كما أن الشريف لم يصل إليه رد من الإدريسى الذى قدم اقتراحاً إلى بريطانيا باحتلال اللحيه كرهينة وضمان لعملياته التى سيقوم بها.

وأبدى استعداداً لمقابلة أي ضابط بريطاني فى كمران لدراسة المشروع لكي يكون جاهزاً للقيام بعمليات برية وبحرية بواسطة السفينة البريطانية فوكس " FOX ". وقد ردت السلطات فى عدن بأن عداء الأدريسى للعثمانيين لا يحتاج إلى دليل ولذا سيعاود الهجوم إذا حصل على السلاح وضمان محدد بتعهد الشريف حسين بالقيام بالعمليات العدائية، حيث إن الإدريسى يسد الآن الطريق من الحجاز إلى اليمن، وبناءً على ذلك تم تكليف الكابتن ترتون Turton بإيصال رسالة إلى الإدريسى لتنسيق

---

[1] (PRO) FO 371/2773, From the General Officer Commanding and Political Resident, Aden, to the Secretary to the Govern-of India, In Foreign Dept-Simla. Headquarters, Aden, 29th May 1916

العمليات معه[1] .

وقد دارت بين الإدريسي والكابتن ترتون قائد السفنية نورث بروك مراسلات متبادلة بين ١٨و ٢٧ يونيو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ ...

فى الرسالة الأولى بتاريخ ١٨ يونيو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ كتب ترتون إلى الإدريسى رسالة يخبره فيها أن عدة برقيات وصلت إليه من قائد السفينة " FOX " فوكس التابعة لدورية البحر الأحمر منذ مغادرته لجيزان على ظهر السفينة نورث بروك فى ١٢ يونيو، جاءت هذه البرقيات على النحو التالي :-

- "الشريف يهاجم العثمانيين فى كل أنحاء الحجاز ونحن نشاهد العمليات فى جدة".
- "بناءً على قول العرب القادمين من هناك، تم الإستيلاء على مكة بواسطة العرب".
- "بعد وصول إبلاغ رسمي من الشريف بأن مكة تحت تصرفه استسلم نائب الوالي وموظفي العثمانيين ... ما عدا قوة جبلية لم تستسلم".
- "استيلاء الشريف على الطائف" "FOX" فوكس.

وفى نهاية الرسالة وعد ترتون الإدريسي بإبلاغه بآخر الأنباء، كما عبر عن سعادته لتمكنه من إحضار رسالة أخرى من عدن مع الأسلحة والذخائر[2] .

وفى ٢١ يونيو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ كتب ترتون رسالة أخرى إلى الإدريسي يطلعه فيها على أعداد الأسرى العثمانيين الذين استسلموا فى جدة، والغنائم التى حصل عليها الشريف والعرب ... ثم طلب من الإدريسي إطلاعه على خططه وتاريخ بداية عملياته والنقاط المختارة للهجوم، حتى يتم التنسيق مع السفن البريطانية لتساعد قوات الإدريسي البرية من البحر[3]. ويلاحظ على هاتين الرسالتين محاولة إغراء الإدريسي

---

(١) (PRO) FO 371/2770, From Resident at Aden, to Simla, 8th June 1916

(٢) Same Series and Vol., To saiyid M.A.M.A. Bin Idrisi, H.M.S "Northbrook-(Sd) L.N.Turton Commander in Command, 18th June, 1916

(٣) (PRO) FO 371/2770, To S.M.A.M.A. Bin Idrisi, H.M.S "NorthBrook(Sd) L.N. Turton, 21st, June 1916.

باستغلال الفرصة بعد إعطائه صورة مبالغ فيها للغنائم التى جناها الشريف ورعاياه، وسهولة انتصارهم على العثمانيين ..... إلخ.

وعند وصول هذه الرسائل إلى الادريسي كتب إلى ترتون معبراً عن سروره لانتصارات الشريف وللأخبار السارة فى الحجاز ... ثم قال " إن عملياتنا كما أخبرنا المقيم فى عدن ستكون فى الشمال ضد القنفذة والمواقع القريبة منها، حيث تنتظر القبائل القاطنة فى البرك وما حولها وصول الأسلحة والمؤن " ولم يعد الوضع بالنسبة للإدريسي كما كان سابقاً عندما كان يلاقي صعوبة فى قتال العثمانيين الذين يتلقون مساعدة العرب، أما الآن فقد غيرت ثورة الشريف الوضع ويسرت للادريسي مهمته مما دعا الأدريسى إلى القول بأن الشريف الآن " واحد من أصدقائنا " ... وفي نهاية الرسالة يشير إلى أن شيخ البرك الذى سبق له أن أرسل إليه عبر السفينة البريطانية "مينتو" رسالة ضمّنها ترتون فى رسائله السابقة إلى الأدريسى، طالباً سرعة إرسال السلاح والمؤن للبدء فى العمليات، هذه الأسلحة فى طريقها إليه الآن بعد أن أمر الإدريسي بذلك، كما أن إحدى السفن البريطانية وصلت بالفعل إلى البرك(١).

وبعد هذه المراسلات بين الإدريسي وترتون قائد السفينة نورث بروك التى عرضنا بعضاً منها، بعث الأخير بخلاصة الرسائل المتبادلة إلى المقيم فى عدن، ودوّنْ عدة ملاحظات استقاها من خلال رسائله المتبادلة ومنها :-

- أن الإدريسي يرنو بنظره إلى القنفذة وما حولها كحق من حقوقه، وعلى الرغم من استعداده للعمل مع الشريف في إطار ودي ضد العثمانيين إلا أن مستقبل العلاقات بينهما مشكوك فيه.
- لو فكر الشريف بضرورة قيامه بمفرده بالهجوم على القنفذة فالاحتمال الارجح وقوع أمر خطير.
- يرحب الإدريسي بتعاون قبائل حاشد وبكيل إذا وافقت بريطانيا على ذلك.
- سيتم حصار أبها وفق اقتراح الإدريسي.

---

(١) Same Series and Vol., To Captain Turtonm Commanding H.M.S "NorthBrook".

- لا يبدو أن الإدريسي مستعجل الآن للهجوم على اللحيه على الرغم من تأكيده بهجومه عليها مستقبلاً.

- قناعة الإدريسي بأن الموقف الحالي للإمام تجاهه ليس ودياً.

وفى نهاية البرقية نبه ترتون إلى الملاحظات التى دونها الملازم أول نالدر "Nalder" الذى عمل معه كمترجم خاص فى المسائل ذات الطبيعة السرية بين بريطانيا والإدريسى عبر السيد مصطفى قريب الإدريسي(١) .

استهل نالدر ملاحظاته التى دونها من خلال محادثاته مع السيد مصطفى وخلاصتها :

- تأكيد السيد مصطفى النوايا الطيبة للأدريسى تجاه الشريف حسين، حيث سيقدم له المساعدة بشتى الطرق الممكنة حتى فى مسألة الخلافة، رغم أن الادريسى استاء لعدم إبلاغ الشريف له بنواياه ... وبالنسبة للحدود بين ممتلكات الشريف والإدريسي لا يستطيع الشريف إنكار أن عسير بما فيها أبها كانت المجال الحقيقي له، ولكن إذا رغب الشريف طرد العثمانيين من القنفذة ومحايل وأبها، فإن الأدريسى سيذعن لتحكيم بريطانيا العادل حينئذ.

- لا أمل فى الحصول على مساعدة الإمام يحيى نظراً لتمسكه بالوقوف إلى جانب العثمانيين.

- لا يرغب الادريسى فى تجنيد بعض رجال قبائل حاشد وبكيل فى العمليات عند اللحيه والحديدة بل يرغب فى تجنيدهم من قبل بريطانيا عن طريقه للقيام بعمليات داخل اليمن فى صنعاء وبعض المراكز العثمانية الأخرى.

- يجب تأخير العمليات من قبل الأدريسى فى الجنوب حتى يتفرغ بعد نجاح عملياته فى الشمال لمساعدة الشريف لو وقع فى مأزق أمام العثمانيين.(٢)

---

(١) (PRO) FO 371/2770, To the political Resident at Aden, (sd) L.N. Turton 29th June 1916

(٢) Same Series and Vol., From L.F. Nalder to the Commandder L.U. Turton, R.N.H.M.S "NorthBrook", 29th June 1916.

وبعد هذه المراسلات المتبادلة مع الادريسى كتب نائب المقيم فى عدن المستر والتون[1] إلى حكومة الهند بصور لهذه المراسلات وتقارير الكابتن ترتون، وضمّن هذه البرقية آراءه وملاحظاته حول الموضوع :-

- الادريسى يعمل ضد العثمانيين فقط ومستعد لمساعدة الشريف حتى فى مسألة الخلافة، ولكن لن يرضى بأي ادعاء من قبل الشريف فى ملكية أيّ ميناء من موانئ عسير ومع ذلك فإن رسالته الودية إلى الشريف التى كان من الصعب الوصول إليها فى السابق تعتبر علامة على رغبته فى التعاون الودي معه.
- لا يعادي الادريسي الإمام بشكل فعال ولكن يصفه بأوصاف تقلل من شأنه حيث تتجدد المخاوف فى احتمال قيامه بقتال الادريسى، ولذلك لا أمل فى اشتراكه في الثورة العربية بل على العكس رمى بثقله مع العثمانيين على حسب تأكيدات السيد مصطفى ابن عم الادريسي، ولذلك فإن الخطة البريطانية على رأى والتون يجب أن تنحصر فى منع القوات العثمانية فى لحج من المشاركة مع القوات العثمانية الإمامية ضد الإدريسي، فى الوقت الذى يتم فيه تقديم السلاح للادريسى والمساعدة البحرية من البحرية البريطانية فى البحر الأحمر.
- بالنسبة لتجنيد بعض حاشد وبكيل وفكرة الإدريسي فى تقديم مكافآت لهم من قبل الإنجليز يرى والتون أن ذلك غير مجدٍ إلى أن يثبت انضمامهم الفعلي للأدريسى في العمليات، على الرغم من وضوح صداقتهم للادريسى وكراهيتهم للعثمانيين وعدم إنضوائهم تحت راية الإمام. إلا أنهم يدينون بالمذهب الزيدي، ويقترح والتون كحلٍ مناسب الوصول إلى تفاهم معهم حتى يستعان بهم عند الضرورة[2] ..

وهكذا نجحت الجهود البريطانية في تقريب سلطتين متعاديتين إلى وقت قريب،

---

(١) من خلال الوثائق التى استعرضناها بأسم المستر والتون يظهر الإختلاف فى ذكر منصبه فبعض الوثائق تشير إلى أنه المقيم بالإنابة فى عدن والبعض يشير إلى أنه المقيم فى عدن وقد حرصنا على كتابة الوظيفة كما هى حسب ذكر كل وثيقة.

(٢) (PRO) FO 371/2770, From-Brigadier General W.C.W. Walton, Acting Political, Resident, Aden to Simla, 4th July, 1916

لكل واحدة منهما مطالب وإدعاءات فى أراضي الآخر وهما الشريف حسين والادريسى وقد حقق الإنجليز هذا الهدف لعداء القوتين للعثمانيين، وإغراء كل منهما بالمساعدة العسكرية والمالية البريطانية، وإيهامهما بأن الأنتصار على الدولة العثمانية يتحقق بتحالفهما معاً أو على الأقل توحيد الهدف وقتال العثمانيين كلٌ من جهته. كما يلاحظ الدور الكبير الذى لعبته البحرية البريطانية بسفنها وقادتها لتنسيق الاتصال في هذا المجال.

الوضع السياسى والعسكري فى جنوب غربى الجزيرة العربية :

وضعت القيادة البريطانية في عدن عدة خيارات سياسية وعسكرية لتحريك الوضع فى هذه الجبهة ومنها :-

١ـ البقاء على الدفاع السلبي فى عدن مع قوة للحماية والتغطية فى الشيخ عثمان كما هو الوضع حينذاك.

٢ـ التقدم إلى لحج واحتلال المواقع التى تتحكم فى الطرق المؤدية إلى عدن.

٣ ـ التقدم إلى خط الحدود القديمة لمحمية عدن واحتلال الضالع (أي إلى الحدود التي كانت موجودة قبل الاتفاق مع العثمانيين).

٤ ـ احتلال تعز وإعلان الحماية على الزاوية الجنوبية الغربية لليمن مع خط حدود جديد، يراعى أن يكون مناسباً للدفاع استراتيجياً وسياسياً.

ويمكن إضافة احتلال الشيخ سعيد المقابلة لجزيرة بيريم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر إلى الخيارات الثلاثة الأولى كأمر ضرورى، أما فى الحالة الرابعة فيبدو احتلالها غير لازم.

وكان رأي والتون على النحو التالي :-

ـ أن الخيار الأول غير مجدٍ ويمكن اعتباره الحل الأخير الذى لا يلجأ إليه إلا عند تعذر الخيارات الأخرى، نظراً لأن الشيخ عثمان ليست مكاناً طبيعياً للدفاع عن عدن، ولأن هذا الخيار يؤدي إلى النزاع مع الدول الأوربية الأخرى التى لن تعترف باعتبار

المناطق المجاورة والمحاذية لعدن جزءاً لا يتجزأ من عدن كما هو الحال سابقاً.

- أما الخيار الثاني فإن لحج تُقدم لأي جيش يقيم بها مكاناً جيداً للعمليات كما أنها أقرب مركز هام يمكن منه السيطرة على عدن إذا تم الاستيلاء على الشيخ عثمان، ويمكن السيطرة على عرب الساحل من لحج ... وبالطبع يجب مد السكة الحديدية وتدريب القوات التى ستقوم بمهمة السيطرة على لحج مع الأخذ فى الاعتبار أن الإحتلال سيكون بصفة دائمة ... أما إذا كانت النية هى عدم احتلال ما وراء لحج فيجب احتلال الشيخ سعيد كنقطة دفاع لميناء جزيرة بيريم، وعدم السماح لأى دولة أوربية بالإستيلاء عليها .

- والخيار الثالث وهو احتلال الضالع والعودة إلى الحدود القديمة، تنحصر مزاياه في الحصول على مكان صحى للحامية فى عدن (مصح) وتسهل الاتصال بقبائل المنطقة، وتكون بديلاً عن احتلال تعز، هذا على الرغم من عدم أهمية موقعها كمكان إستراتيجى.

- أما احتلال تعز كخيار رابع فيشير والتون إلى أن هذه العملية تحتاج إلى دراسة عميقة، وإلى قوات كبيرة لتنفيذ هذا الاحتلال، كما يلزم الأمر مدّ السكة الحديدية من عدن إلى تعز. ورغم أن هذا المشروع يدخل الحكومة البريطانية فى نزاع مع الإمام يحيى، إلا أن الأدريسى يمكن أن يقدم المساعدة نظير إعطائه الساحل الممتد من اللحيه إلى رأس الكثيب ...كما أشار إلى أن جو تعز الجيد يمثل المكان الذي تتوفر فيه الشروط الصحية لإقامة الجنود البريطانية وتهيئتهم للخدمة فى الميادين الأخرى كالخليج والهند وشرق أفريقيا وسواحل البحر الأحمرأو في الغرب ... وستنمو التجارة فى تعز خاصة إذا مُدت السكة الحديدية منها إلى عدن أو رأس الكثيب.

وأخيراً يطلب والتون من حكومة الهند الاختيار مع إبداء أهمية اختيار البرنامج الذى يحقق المتطلبات الإستراتيجية والسياسية للوضع الحالي[1] .

---

(١) (PRO) FO 371/2770, letter from the General Officer Commanding Aden, W.C. Walton to the Secretary to the Govern-of India, 13th,May 1916

انظر ملحق الوثائق

ضمّن والتون رسالته تلك مذكرتين، الأولى مقدمة من الكولونيل واهوب R.A.Wauhope والثانية من هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم في عدن خاصة بدراسة الأوضاع السياسية في اليمن.

عنون واهوب مذكرته بـ "حدود محمية عدن" استهلها ببداية الوجود العثماني والبريطاني في المنطقة والظروف التاريخية التى أوصلت الطرفين إلى تحديد الحدود بين مناطق نفوذ الدولتين قبيل الحرب ... تلك الحدود التى أهملت الاعتبارات العسكرية، ولم تساير حدوداً طبيعية يمكن الإعتماد عليها.

يرى واهوب أنه مهما يكن الوضع بعد الحرب يجب تغيير الحدود آنذاك. فإذا قُدر أن العثمانيين باقون فى اليمن بعد الحرب فإن الحدود الجديدة يجب أن تُعطي لبريطانيا مميزات دفاعية وسياسية تحقق مصالحها في عدن ... أما إذا خرجوا من اليمن كنتيجة للحرب القائمة فلا سبيل إلى تحقيق المصلحة البريطانية إلا باحتلال أجزاء من اليمن لوضع حدود مناسبة لحمية عدن، والمكان المناسب في رأي واهوب هو احتلال تعز وملحقاتها ... ثم احتلال الحديدة، وبهذه السياسة يمكن تأمين عدن وإراحة جنودها.

وأخيراً يشير واهوب إلى أن تشغيل الجنود الهنود فى الجزيرة العربية وخاصة المسلمين منهم غير مناسب، وينبغى الإلتفات إلى العنصر المحلي[1] . وقد أيد والتون فى رسالته التى ضمّنها تقرير واهوب، رأيه هذا فيما يختص بتشغيل المسلمين الهنود معللاً ذلك بأنهم يتأثرون بفكرة وجودهم فى قرب الأماكن المقدسة.

هكذا يبدو العامل الديني الهاجس الأكبر للسلطات البريطانية فى المنطقة في صراعها فى الحرب العالمية الأولى.

أما المذكرة الثانية المقدمة من هارولد جاكوب فهى بعنوان "الخطة السياسية في منطقتنا الخلفية" أى ما وراء المحميات والقرى المحلية الأخرى.

---

(١) (PRO) FO 371/2770, Enclosure No. 1. The Boundary of the Aden Protecorate, Note by Colonel R.A. Wauhope, Political and Military Intelligence Officer, Aden.

انظر ملحق الوثائق

بدأ جاكوب المذكرة بالإشارة إلى أن سياسة بريطانيا فى صراعها مع العثمانيين فى هذه النواحى بدأت بالتحرك السياسيي أكثر من القيام بإجراءات عسكرية، فعقدت بريطانيا اتفاقية مع شيخ ماويه فى ١٩ فبراير ١٩١٥م/١٣٣٣هـ ومع الإدريسي فى ٣٠ أبريل ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، ويرى أنه لو حاول الإدريسى العمل بنشاط أكبر لأحبط الاستيلاء العثماني على لحج أو لتأخر زمن حدوثه ... أما مافيا وهو الأسم الذى يطلق على شيخ ماويه محمد ناصر مقبل فلم يشترك فعلياً مع العثمانيين وخاصة فى عملية الاستيلاء على لحج.

وبالنسبة للإمام أورد جاكوب بعض الأدلة على عدم انسياقه تجاه العثمانيين بشكل كبير فقد كان على علاقة جيدة مع العبادلة فى لحج، وسخط على العثمانيين لاستيلائهم على ذلك المكان.

ثم يتساءل جاكوب عن مدى رد الفعل لدى العرب إذا حاولت بريطانيا أن تحل محل العثمانيين فى حالة خروجهم من اليمن؟ فيرى أن الإمام يكره العثمانيين لا حباً فى الإنجليز وإنما لاعتقاده بأن اليمن بمعناها الواسع كانت ملك أجداده ... وعندما أبلغت بريطانيا الإمام يحيى بعد ضرب الشيخ سعيد فى أوائل الحرب بأنها لا تقصد التوسع فى الأراضي اليمنية وتطلب اشتراكه إلى جانبها، رفض ذلك لعلمه بأن وراء هذه الدعوة أهدافاً ونوايا أخرى، وكذلك فخط الحدود بين مناطق نفوذ بريطانيا والدولة العثمانية لم يعترف به عرب المنطقة، بل لقد قسم هذا الخط بعض القبائل المتحالفة مع بعض ولذا يرى جاكوب أن الوسيلة الإيجابية لبريطانيا هى طرد العثمانيين والعودة إلى الحدود القديمة التى عبرها العثمانيون، وضمّوا خلالها قبائل الحوشبى والأميرى إليهم ... وإلى أن يصل البريطانيون إلى حدودهم القديمة ستكون بريطانيا قد فقدت احترام العرب الموالين لها، عندها يبدو الأمر مناسباً للتفاوض حول الحدود مع الإمام يحيى وجهاً لوجه.

ومن جهة أخرى لم يؤيد جاكوب فكرة القيام باحتلال تعز وما حولها واقترح فكرة أخرى تقوم على مدّ النفوذ البريطاني إلى هذه الجهات دون احتلالها ووضع قادة موالين هناك، وستكون الخطوط الحديدية إلى تعز بادرة كبيرة لمد النفوذ هناك.

وتتلخص خطة جاكوب في العودة إلى الحدود القديمة، وترك العرب يحكمون بلادهم تحت حماية ورعاية بريطانيا، وترك فكرة ضم هذه الأراضي باستثناء احتلال الحديدة التى يمكن الإستفادة منها لتشكل مع عدن والمكلا موانئ هامة تحقق المصالح البريطانية في التحكم بمداخل الإمدادات إلى الداخل من هذه الموانى[1] .

ومن خلال استعراض مذكرتي واهوب وجاكوب يتبين أن رسالة والتون التي حوت الخيارات الأربعة تعتمد بعضها على الأفكار التى قدمها هذان الرجلان ..كما يلاحظ الفرق بين خطتي الأثنين، إذ دعا واهوب إلي الإحتلال العسكرى بينما يدعو الآخر إلى التغلغل السياسي عن طريق بسط السيطرة بالاعتماد على العناصر المحلية ... وكلتاهما موجهتان لطرد العثمانيين وبسط السيطرة البريطانية بطريقة أو بأخرى.

أما عن الوضع العسكري فإنه في الوقت الذى يدرس فيه المسؤولون البريطانيون فى عدن الأوضاع السياسية الحالية والمستقبلية كانت ثورة الشريف حسين قد أعطت دفعاً كبيراً لعملية تحريك الإدريسى فى عسير الذي لاحظ البريطانيون تركيزه في السنة الأولى وبداية الثانية للحرب على التحرك السياسي فى جذب العرب دون النظر إلى العمليات العسكرية خلا الهجوم على اللحيه وذلك لاعتذاره بقلة السلاح الذى لديه.

وعندما بدأ الادريسى بالتحرك العسكري ادعىّ أن هناك ثلاث كتائب عثمانية تقف فى حدوده الشمالية، وثمانٍ فى حدوده الجنوبية ... وضماناً لنجاح هذا التحرك حاول البريطانيون إقناع الإدريسى بعدم إثارة الشريف حسين أو الإمام يحيى والتفرغ للعمل ضد العثمانيين، وذلك بعد إمداده بالسلاح وإشراك بعض رجال قبائل حاشد وبكيل للقتال معه[2] .

---

(١) (PRO) FO 371/2770, Enclosure No.2,A Political Policy in our Hinterland, Note by L.C.H.F.F Jacob, First Assistant Resident, Aden, 10 th May 1916.

انظر ملحق الوثائق.

(٢) (PRO) FO 371/2779, Arabian Report (No. XXA.) Asia, 28th June 1916.

وكانت أولى ثمار تحرك الأدريسى احتلال القنفذة ـ الميناء الواقع بين سواحل الحجاز وعسير ـ بواسطة مشايخ البرك الذين احتلوها بالنيابة عنه بمساعدة مدافع السفن البريطانية، ذلك الاحتلال الذى حرك مكامن قلب شريف مكة ... وقد كتبت التقارير البريطانية التى صدرت عن المكتب العربي بالقاهرة بعض المعلومات التى أدلى بها خمسة أسرى عثمانيون من القنفذة، عن الجيش العثمانى فى عسير على النحو التالى :

فرقة عسير الحادية والعشرين-ومركزها الرئيسي أبها بقيادة محي الدين بك ومؤلفة من سبع كتائب تعود للفوج ١٢١و١١٢.

وتشكيلات كتائب المشاة على النحو التالي :-

أبهـــا – ثلاث كتائب كل واحدة منها حوالي أربعمائة رجل.

محايـل – كتيبة واحدة حوالي أربعمائة رجل.

رجال ألمع – كتيبتــان.

القنفـذة – كتيبة واحدة مع كتائب صغيرة موزعة فى القاع والقوز وحلي، والغالبية من هؤلاء عثمانيون والباقي من العرب، كما أن القبائل الموالية للعثمانيين في عسير مسلحة بالبنادق تحت قيادة مشايخهم، وتم تزويد القاطنين فى أبها ومحايل ورجال ألمع بالبنادق والذخيرة. أما الحصون والقلاع القريبة من أبها وعلى طريق أبها-محايل فقد تم زيادة تحصينها بالمدافع والمؤن.

أما عن موقف القبائل المحيطة بالقنفذة وأهمها قبيلتي بنى زيد وبنى يعلى فقد كانوا على صداقة مع العثمانيين، ولم يدخلوا معهم فى أي نزاع، وعندما هاجم الأدريسى هذه البلاد في عام ١٩١١م/١٣٣٠هـ تم تسليح هاتين القبيلتين بالبنادق العثمانية، وفى الوقت الراهن يبدو الاحتمال الأرجح فى تقربهم أكثر إلى شريف مكة.

وقد اعترف بعض الأسرى العثمانيين أنهم علموا أن القنفذة ستضرب من قبل السفن البريطانية قبل أسبوع من حدوث هذه العملية ...

وبعد استسلام القنفذة التى رفع الادريسي علمه عليها، انقسم الرأي العام بين

القبائل فى منطقة القنفذة بين الإدريسى والشريف، حيث أرسل ثلاثة عشر شيخاً من مشايخ القبائل التى من أهمها بنو يعلى وبنو زيد وحلي ..... إلـخ إلى الشـريف حسين يعدونه بالولاء ويطلبون منه تولي السلطة، فأرسل الشـريف فى ٢٢ يوليـو ١٩١٦م/ ١٣٣٤هـ الشـيخ محـمـد ناصـر مع ثلاثين رجـلاً لاستـلام القنفذة بالنيابة عنه، وبالطبع رفض عـامل الإدريسى فى القنفـذة بتـشـجـيع من بعض السكان تسليم المدينة بدون أوامر من رئيسه الأدريسى ... فأصبح الموقف حساساً خاصة وأن الشريف يرغب فى توسع الأدريسى جنوباً على حساب العثمانيين لا شمالاً فى المناطق التي يرنو إليها الأدريسى.[1]

وقد أبدى الإدريسى لبريطانيا مخاوفه من اهتزاز مكانته إذا تراجعت حاميته من القنفذة بشكل سريع، وطلب مهلة أيام وهدد بأنه إذا لم يتم ذلك سيأمر بإعادة جميع قواته ويترك حامية أبها العثمانية حرة للهجوم على الشريف فى مكة إذا كان ذلك في تخطيطها ... أما الشريف فقد إدعى أن حدوده الجنوبية تصل إلى البرك.

ومن جـهـة أخـرى هاجـمت قـوات الادريسى فى شـهـر يونيـو ١٩١٦م/١٣٣٤هـ محـايل وقطعت كل الاتصـالات العثمانية مع أبها ... وقام الأسطول البريطاني بإنشاء محطة برقية صغيرة لتسهيل الاتصالات للقوات البريطانية[2] .

وكان من الطبيعى أن تسعى السلطات البريطانية إلى التفرغ لقتال العثمانيين بواسطة سفنها في البحر الأحمر أو عن طريق ثورة الشريف وتحركات الادريسي، وأن تسعى فى إيجاد الحلول المناسبة للطرفين الأدريسى والشريف فيما يتعلق بمسألة القنفذة ... ولذا طلبت من الادريسى إعادة حاميته من القنفذة وحل المسألة جذرياً فيما بعد ... فوافق الادريسى شريطة اجتماعه بمندوب من قبل الشريف حسين حتى يكون انسحابه من القنفذة وفق خطة سياسية محكمة أمام القبائل لا انسحاب أو تراجع منه، وإلا فإن هذه القبائل ستشارك العثمانيين إذا علمت أن قوات الأدريسى قد أُجبرت على

(١) (PRO) FO 371/2771, Secret, Summary Reports, D.G. Hogarth Lieut-Commander, Acting Derector, Arab Bureau, Cairo, August, 1.1916. pp. 130-154.

(٢) Ibid, p. 166.

الانسحاب، واقترح أن يكون الاجتماع بين ممثل الأدريسي وممثل الشريف في إحدى السفن البريطانية الراسية في ميناء البرك. وقد أيّد قائد السفينة نورث بروك فكرة هذا الاجتماع[1] .

وكإجراء بريطاني أبرق قائد القوات البحرية البريطانية في جزر الهند الشرقية إلى الضابط الأسطولي البريطاني في البحر الأحمر في ٦ أغسطس ١٩١٦م/١٣٣٤هـ لسحب السفينة البريطانية الراسية في القنفذة والذهاب إلى جدة، وبالفعل وصلت هذه التعليمات إلى السفينة صوفا "Suva" في القنفذة وأعطيت حامية الادريسي مهلة ثمانٍ وأربعين ساعة لإخلاء المدينة، بعد أن قررت السلطات البريطانية ترك موضوع حل مشكلة القنفذة فيما بعد، ومغادرة السفينة الراسية هناك حتى لا تتهم القوة البريطانية بالإنحياز إلى جانب دون الآخر، إلا أن الادريسي رفض مهلة الثمان وأربعين ساعة وطلب مهلة عشرين يوماً على الأقل ووضع مسئولية حماية حاميته على السلطات البريطانية في حالة مغادرة السفينة البريطانية للقنفذة ... ولذا رأت قيادة السفينة نورث بروك الراسية في جيزان التي نقلت وجهة نظر الادريسي تلك أن رفض زيادة المهلة يعني وقف الهجوم الأدريسي على العثمانيين وبداية مرحلة عدائية مع شريف مكة[2] . وبالفعل أخلى الأدريسي القنفذة في ٢٥ أغسطس، أي بعد مهلة عشرين يوماً ... وبعد ذلك بأشهر أعاد العثمانيون الإستيلاء على القنفذة في ٣ أكتوبر ١٩١٦م ولكن انسحبوا إلى الداخل بعد أسبوع ... فأرسل الشريف مِن قبله مْن أعاد الاستيلاء عليها[3] .

وهكذا كانت مسألة القنفذة بين الادريسي والشريف الفتيل الذى أشعل الخلاف القديم بينهما، فركزت السلطات البريطانية جهودها لفك النزاع حتى لا يعوق خططها الرامية إلى توجيه الحرب ضد العثمانيين فقط.

---

(١) (PRO) FO 371/2774, From The Political Resident at Aden, to Simla, 12th August 1916.

(٢) Same Series and Vol., From High Commissioner, Egypt to Vr. Simla, 13th August 1916.

(٣) (IOR) L/P&S/20/E81, Handbook of Hejaz, op, Cit p. 57.

أما العمليات الأخرى الموجهة ضد العثمانيين فى هذه النواحي، فقد أشارت بعض التقارير البريطانية إلى الهجوم الذى قامت به مجموعة من قبائل الزرانيق على الحامية العثمانية فى بيت الفقيه الواقعة بين الحديدة وصنعاء ... مما دعا السلطات في عدن إلى إرسال مزيد من المؤن إليهم لتشجيعهم على القيام بهجمات أخرى(١) .

أما في الجانب العثماني فقد وصلت بعض الأنباء عن تحرك حوالي أربعة آلاف زيدي بأسلحتهم عن طريق بيحان قاصدين حضرموت ... فى حين هدد سعيد باشا القائد العثمانى فى لحج سلطان العولقي ولكن رفض الرد واستنجد بالسلطات في عدن .. كما طلب سلطان المكلا السير غالب من عدن إمداده بالأسلحة وبزيارة إحدى السفن البريطانية إلى ميناء المكلا (٢).

وفى هذه الأثناء ظهرت مسألة جزر فرسان مرة أخرى إذ أبرقت وزارة الهند إلى نائب الملك فى الهند بفحوى البرقية التى أرسلت إلى مكماهون بالقاهرة حول تساؤلات السفير الإيطالى بلندن عن جزر فرسان وهل هى تحت الاحتلال البريطانى؟ مما يعني أن الحكومة الإيطالية تخطط للمطالبة بحقوق وإدعاءات فى البحر الأحمر مساوية للمصالح البريطانية والفرنسية فى البحر الأحمر، وبالتالي من الضروري أن تمنع السلطات البريطانية نجاح هذه المحاولات ... وفى نهاية البرقية طلب وزير الهند من نائب الملك عن مدى ما وصلت إليه المفاوضات مع الأدريسى. وهل احتلاله لجزر فرسان فعّال ونافذ المفعول وهل أبرز هناك أي علم ؟(٣) .

وفى اليوم التالي وصل الرد بما تم إنجازه حيال جزر فرسان مع الادريسى بالتفصيل فقد سبق للمقيم أن كتب إلى الأدريسى فى ٢٩ مايو ١٩١٥م/١٣٣٣هـ بأن بريطانيا تعلم أن جزر فرسان محتلة من قبل الأدريسى وقد أرسلت إليه العلم

---

(١) FO 371/2779, Secret, Arabian Report (No. XXA), 28th June 1916.

(٢) (PRO) FO 371/2770, From Resident at Aden, 28th June 1916.

(٣) (PRO) FO 371/2769, From Secretary of State To Viceroy 20th December 1916.

البريطاني مقترحة رفع هذا العلم فوق الجزر إذا لم يكن لديه اعتراض لتعريف سفن الدول الصديقة أن الجزر تحت الحماية البريطانية ... وقد أجاب الادريسي في رسالة مؤرخة في الثالث من يونيو ١٩١٥م/١٣٣هـ بأن البحر الأحمر تحت السيطرة البريطانية، وقد ضمنت له عدم الإعتداء عليه من القوى الأخرى، ولم يذكر شيئاً عن جزر فرسان أو يرجع العلم البريطانى ... فرأى المقيم أن من حسن السياسة تأجيل الحديث عن الموضوع، وأشار إلى أن احتلاله للجزر غير فعّال رغم إصداره لتصاريح خاصة لصيادي اللؤلؤ، ولكن يجب إبلاغ جميع الدول باحتلاله هذه الجزر، وسوف يقوم جاكوب بالتفاهم مع الادريسى فيما بعد[1] .

وفي أوائل عام ١٩١٧م/١٣٣٥هـ قامت فرقة بريطانية بالنزول فى إحدى جزر فرسان ورفعت العلم البريطاني ... وقدرت قوة الادريسى هناك بحوالي مائة جندي، واقترح المقيم أن يقوم جاكوب بسحب القوة البريطانية التى رفعت العلم إذا قام بزيارة فرسان تمهيداً للتفاوض مع الادريسى[2] . وهذا يعني أن السلطات البريطانية أرادت إجبار الادريسى على تحقيق ما تريده بعد أن رأت منه تراخياً حيال الموضوع الخاص برفع العلم البريطاني.

وفي ٢ يناير ١٩١٧م/١٣٣٥هـ أبرقت قيادة السفينة البريطانية لنكا "Lunka" أن الأدريسى يرفض المقابلة، فأبلغته أن المسئولية تقع على عاتقه إذا رفض مثل ذلك. فقام المقيم فى عدن بتكليف جاكوب وأحد الضباط بالذهاب إلى جيزان على ظهر السفينة بيرث "Perth" حيث غادروا فى اليوم نفسه ٢-١-١٩١٧م/١٣٣٥هـ على أساس الذهاب إلى جيزان ثم فرسان فالعودة إلى جيزان ثم إلى جدة وبالإمكان التوقف فى جيزان في طريق العودة من جدة إلى عدن ... وذلك لإعطاء الإدريسى ثلاث فرص لمقابلة جاكوب[3] .

---

(١) Same Series and Vol., From Veceroy, 21st December 1916.

(٢) (PRO) FO 371/3042, From Aden, 1st, January 1917.

(٣) (PRO) FO 371/3042, From Political Resident, Aden,2nd,January1917.

وعندما شعر الإدريسى بجدية التحرك البريطاني كتب إلى السلطات البريطانية يطلب إليهم عدم رفع العلم البريطاني والاكتفاء بإعلان حماية بريطانية لهذه الجزر لإقناع الدول الحليفة [1] .

وصدرت التعليمات من وزارة الهند بأن يقابل جاكوب عند عودته من جدة الادريسى للتفاوض حول اتفاقية مشتركة، على أن يتم سحب القوة البريطانية من فرسان على الفور، وبإنزال العلم البريطاني عند تنفيذ الاتفاقية [2] .

وفى ٢٦ يناير ١٩١٧م/١٣٣٥هـ، بعث المقيم فى عدن (الميجور جنرال ستيوارت J.M.Stewart، بنسخة للاتفاقية الإضافية الجديدة مع الادريسى مع نسخة أخرى لمذكرة كتبها هارولد جاكوب حول الاتفاقية ... وقد أبدى المقيم رغبته في أن تنال هذه الاتفاقية موافقة حكومة الهند والحكومة البريطانية فى لندن خاصة وأن الادريسى تأثر من الوضع فى القنفذة، ومن العملية البريطانية الأخيرة ضد فرسان.

وتشمل بنود الاتفاقية الاضافية التى وقعت فى جيزان فى ٢٨ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/٢٢يناير ١٩١٧م النقاط التالية :-

- لا تبطل هذه الاتفاقية البنود التى تضمنتها المعاهدة بين الادريسى وبريطانيا بتاريخ ١٥جمادى الأولى-٣٠ أبريل ١٩١٥م.
- تعترف الحكومة البريطانية بأن جزر فرسان قد تم الاستيلاء عليها بواسطة الادريسى من أيدى العثمانيين، وأصبحت جزءاً من أراضيه التى ضمّن إستقلالها.
- يتعهد الادريسى بألا يتخلى أو يرهن أو يسلم جزر فرسان أو الأماكن الواقعة على سواحله لأي قوة أجنبية، على أن يخطر الحكومة البريطانية إذا حصل تهديد أو إعتداء على هذه الأماكن.
- تتعهد الحكومة البريطانية بحماية هذه الجزر وسواحل الأدريسي من العمليات العدائية بدون تدخل من جانبها فى شئون واستقلال الادريسى، كما تتعهد بمده

---

(١) Same Series and Vol., From Resident, Aden, 3rd, January 1917.

(٢) (PRO) FO 371/3044, Secret, Arabian, Report No. XXVII, January, 24, 1917.

بالأسلحة والذخيرة فى فترة الحرب وبعدها، وبالمشاركة فى تنمية المنطقة.

ـ يتعهد الادريسى بالإبقاء على قوة من قبله رمزاً لتبعية الجزر له وليكون إحتلاله لها سارى المفعول.

ـ يرتفع العلم الادريسى فوق الجزر بصفة دائمة وعلى جميع أراضيه الأخرى.

ـ ستشمل حقوق الأدريسى المذكورة عائلته وخلفاءه.

ـ وقعّ الاتفاقية من الجانب البريطانى هارولد جاكوب والإدريسى من الجانب الآخر.

أما المذكرة التى كتبها جاكوب حول هذه الاتفاقية وظروف توقيعها فقد استهلها بالتنبيه إلى أن هذه الاتفاقية يبدو للوهلة الأولى منها أنها حققت للادريسى مطالب لم يعهد تحقيقها فى الاتفاقيات الأخرى التى توقعها بريطانيا مع القوى المحلية نتيجة لإلحاح الادريسى على تحقيق بعض المطالب نظير التعهد بالمادة الخاصة بمنع التخلي أو الرهن أو التسليم لأراضيه ... ولأن الإدريسى لا يعلم عمّا ستنتهي الحرب عليه فقد كان فى العام الماضي واثقاً من انتصار الطفاء ولكن فى هذا العام بدأ يشكك في مقدرة بريطانيا وحلفائها على تحقيق النصر وبالتالى احتمال توصل بريطانيا والدولة العثمانية إلى توقيع معاهدة للسلام، ويبقى الإدريسى أمام العثمانيين ... وأشار جاكوب إلى أن الإدريسى يرى إخفاق بريطانيا فى لحج، وبطء تقدم الشريف حسين، والنتائج السيئة لبريطانيا فى العراق، كما أن موافقته على التعهد بعدم التنازل للدول الأخرى أو الرهن .... إلخ سيحرمه من مصدر السلاح الكبير من جيبوتي ومصوع التى كان يعتمد عليهما فى السابق، وسيزيد من غضب الحكومة العثمانية عليه نتيجة لهذه الاتفاقية.

ويذكر جاكوب أن من أهم نتائج هذه الاتفاقية سيكون بلا شك الوقوف دون مطامع الحكومة الإيطالية فى أراضي عسير، التى لم تكف محاولاتها حتى فى أثناء الحرب. وطلب جاكوب إلى السلطات البريطانية أن توفي بتعهداتها تجاه الأدريسى، حتى لا يفقد الإدريسى ما كان يكسبه من الدول الأخرى.

وأخيراً يشير جاكوب إلى أن الأوامر قد صدرت إلى السفينة البريطانية مينتو

لترحيل الجنود البريطانيين وإنزال العلم البريطاني من فرسان[١] .

وهكذا أكملت بريطانيا جوانب النقص فى الاتفاقية الأولى مع الادريسي بعد أن لاحظت أن الأولى لا تحقق المصالح البريطانية فيما يتعلق بالمحاولات الإيطالية والفرنسية لتوسيع دائرة نفوذ كل منهما في البحر الأحمر ... وإلا فقد علم البريطانيون عداءه للعثمانيين وبالتالي لم تكن هناك حاجة للاتفاقية لو لم تبرز قضية منافسة الدول الأخرى لبريطانيا على ما يبدو.

وفى نطاق المحاولات البريطانية لتقريب وجهات نظر الادريسى والإمام رغم صعوبة ذلك، أبرق الملازم البريطاني نالدر "Nalder" حول مقابلته مع الادريسى بحضور قائد السفينة البريطانية لنكا "Lunka" حيث أوضح الأدريسى عندما عرض عليه هذا الضابط إمكانية تحالفه مع الإمام، أن الإمام لا يرى من مصلحته التخلي عن العثمانيين لأن بعض رعاياه من القبائل تعارضه في علاقاته مع العثمانيين، ولأن الشافعية يعارضونه لأنه زيدي وبالتالى فالعثمانيون هم الفرقة الوحيدة التى تناصره ... كما أن الأدريسى يخطط الآن لبداية العمل من جديد ضد اللحيه وما حولها ومن الصعب الوصول إلى تفاهم معه، ثم أشار نالدر أن المدعو يحيى عبد الرحمن الغلالي الذى يحمل رسائل من الشريف حسين فى مكة إلى الإمام يحيى قد ذكر له أن الأدريسى لا يرغب فى ذهابه إلى الإمام فاستنتج يحيى عبد الرحمن أن الأدريسى خائف من قيام تفاهم بريطاني إمامى، والذى يعني وضع نهاية للوجود العثمانى في اليمن وبالتالي تضاؤل أهمية الادريسي[٢] .

---

(١) (PRO) FO 371/3042, From Major-General J.M. Stewart, C.B., Political Resident, Aden, to the Secretary to the Govern-of India, Delhi 26th, January 1917., with A supplementary Agreement Concluded Between his Majesty's Govern-, And The Idrisi, Dated 22nd January 1917, And Amemorandom on the supplementary Engagement Concluded with the Idrisi, by H.F. Jaeob First Assistant Resident at Aden, 24th January 1917.

(٢) (PRO) FO 371/3080, Secret, Eastren Report No.1, January 13,1917, (Incorporating Arabian Report N.S. XXVIII.

ويبدو من خلال ما ذكره الملازم نالدر أن الادريسى يهمه استفادة البريطانيين منه حتى يتمكن من الحصول على مطالبه، ولم تكن له رغبة فى الصلح مع الإمام ليس بسبب الخلاف المذهبي وإنما لن يستطيع التوسع جنوباً إلا على حساب الأراضي التي يحكمها الإمام ولن يحصل على هذه إلا بالقوة التى تسندها السلطات البريطانية على أساس أنها موجهة ضد العثمانيين كما هو الظاهر.

والأمر الملفت للنظر أن الطرفين الإدريسى والبريطانى لم يناقشا فى الاتفاقية الأخيرة موضوع القنفذة رغم أهميتها لحل النزاع بين الشريف والأدريسى ولكن السلطات البريطانية حاولت فصل هذا الموضوع والتركيز فى الاتفاقية على جزر فرسان وعلى عدم تدخل الدول الأخرى فى أراضى الأدريسى، ولكن عالجت مسألة القنفذة بطريقة أخرى هى الاستعانة بأقارب الأدريسي أصدقاء الإنجليز فى مصر أو فى السودان إذ أشارت إحدى البرقيات الواردة من عدن أن مبعوث السيد علي الميرغني المدعو الشيخ صالح البداوى قد عاد من زيارته التى قام بها إلى الأدريسى ... فى مهمة ربما تتعلق بمسألة القنفذة، التى قالت عنها السلطات فى عدن إنها مفتاح حل الوضع القائم إذ لو تم تسليمها للادريسى سيتعاون بلا شك وبفاعلية مع الحسين فى مكة[١] .

وقد شعر ريجنالد وينجت المندوب السامي فى مصر أن الوقت قد حان للتفاهم بين الشريف والأدريسى ... جاء ذلك فى برقية بعث بها إلى السلطات فى عدن واقترح فيها أن يقوم السيد مصطفى الادريسى فى القاهرة بزيارة إلى مكة لمقابلة الشريف حسين ثم يذهب إلى الإدريسى مع ممثل للحسين ... وفى الوقت نفسه يحاول المقيم فى عدن من جانبه التفاهم مع الادريسى حول الموضوع، وقد رحب المقيم باقتراح وينجت ووعد بالاتصال مع الادريسي فى أقرب فرصة[٢] .

---

(١) Same Series and Vol., Secret, Eastren Report No.111, Febuary 14, 1917, (Incorporating Arabian Report No. SXXX).

(٢) Same Series and Vol., Secret, Eastren Report (No. IV) Febuary 21, 1917.

وفى ٢٥ فبراير ١٩١٧م/١٣٣٥هـ أبرق المقيم فى عدن إلى وينجت بالقاهرة عن موافقة الأدريسى حول الزيارة المقترحة لمصطفى الادريسى[١] .

وكان الموقف فى القنفذة ينذر بالخطر خاصة وأن العثمانيين يتمركزون فى نقطة قريبة تقع إلى الشرق منها فى القوز ... حيث أرسلت قيادة السفينة البريطانية مينتو إلى أن العثمانيين فى القوز يحاولون جمع الإتاوات من العرب القاطنين فى المناطق القريبة منها، وأن هناك محاولات من شيخ الليث لمهاجمة العثمانيين فى القوز[٢].

طلب ملك الحجاز الشريف حسين من بريطانيا مساعدتها فى إقناع ابن سعود والأدريسى للاعتراف به كزعيم للحركة العربية ... فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا حريصة لتقوية الحسين فى حركته ضد الدولة العثمانية[٣] . وهذا يعني وجوب تقريب وجهات نظر الطرفين الادريسى والشريف.

أشارت الوثائق البريطانية إلى أن مصطفى الادريسى سيغادر فى الحال القاهرة متوجهاً إلى جيزان، وسيمر بعدن قبل توجهه إلى جيزان، ليصحبه أحد مساعدي المقيم فى عدن[٤]، وذلك فيما يبدو لإعطاء تصور لهذا المبعوث لآراء عدن ومن قبلها القاهرة فى سبيل إنجاح مهمته، وللضغط عليه بواسطة هذا الضابط.

وبالفعل قابل مصطفى الادريسى المقيم فى عدن، ورأى مصطفى أن من الأولى أن يقوم الادريسى بزيارة ودية للشريف حسين دون مفاتحته فيما يختص بالاعتراف بزعامة الشريف للحركة العربية لأن هذا الموضوع قد يضعف إمكانية نجاح عرض الصداقة المتبادلة ... كما أشار مصطفى إلى أن مسألة القنفذة هى العقبة الرئيسية فى طريق العلاقات الودية بين الطرفين، ولذا وافق المقيم على وجهة النظر الأولى وأصر

---

(١) Same Series and Vo., Secret, Eastren Report (No. V Febuary 28, 1917

(٢) (PRO) FO 371/3052, From Resident, Aden, 2nd April 1917.

(٣) (PRO) FO 371/3054, From Secretary of State to Vr, 23rd June 1917.

(٤) Same Series and Vol., From Resident, Aden, 24th, June 1917

على أن لا تناقش المسألة الثانية الخاصة بالحدود بينهما ووضع القنفذة، إذ أن هذه المشكلة يمكن مناقشتها بعد إنتهاء الحرب[1] . أي أن بريطانيا يهمها إيجاد نوع من العلاقة الودية بين الطرفين بشكل سريع بصرف النظر عن المسائل التي يحتاج حلها إلى وقت طويل، ولكن هيهات أن تجتمع القلوب على مسائل تعتمد على الرغبة في توسيع النفوذ والسلطة رغم ظهور كل طرف أمام رعيته بمظهر التقوى والورع، في الوقت الذى تمر فيه الأمة الإسلامية أحرج مواقفها فى العصور الحديثة.

سياسة بريطانيا تجاه علاقات الإمام يحيى بالعثمانيين:

رغم التفاؤل الذي سيطر على البريطانيين فى أوائل الحرب حول إمكانية انضمام الإمام إلى أعداء الدولة العثمانية وفق ما عرضناه فى السابق إلا أنه بمرور الوقت ثبت استمرار الإمام وثباته على مواقفه السابقة تجاه العثمانيين، وتعامله معهم وفق اتفاق ١٩١١م/١٣٢٩هـ فكان من الطبيعي أن تكون السلطات فى عدن راغبة فى معرفة الجديد فى مواقفه أو فى وضعه السياسي فى المناطق التى يحكمها.

ففى شهر مايو ١٩١٧م/١٣٣٥هـ أفاد المقيم فى عدن أن عدة مبعوثين من بينهم أحد أقرباء محمد ناصر مقبل شيخ ماويه، وصلوا إلى عدن فى التاسع من مايو، ومعهم رسالة من السيد محمد بن يحيى بن الهادى بن المؤيد بالله بن القاسم، من بيت القاسم من سادة صنعاء ... كما وصلت عدة رسائل من شريف بيحان ومن يحيى بن يحيى الشايف، وفحوى هذه الرسائل أن قبائل اليمن قررت خلع الإمام يحيى، وتأييد خليفته أبنه السيد محمد بن يحيى المذكور آنفاً، وهذا الأسم لم يعلن للملأ فى اليمن، والهدف الثاني طرد القوات العثمانية من اليمن وقد أيدت هذه الحركة الشخصيات التالية :-

السيد محمد بن يحيى بن الهادي، والشريف أحمد بن محسن شريف بيحان وقايد بن أحمد فى الحجرية، وناصر مقبل، والسيد عبد الله الواشري، وقبيلتى حاشد وبكيل. وقد أشار الوفد بالاضافة إلى فحوى الرسائل الأخرى، أن هذه المؤامرة على

---

(١) (PRO) FO 371/3054, From Resident, Aden, 12th July 1917

الإمام الحالي تحتاج إلى قوة تسندها، وأنهم يفضلون دعم بريطانيا ... وحتى لو لم تساعدهم بعمليات عسكرية فإنهم يطلبون السلاح والمال. وطلب المقيم فى عدن من الحكومة البريطانية إصدار التعليمات اللازمة فيما يتعلق بالرد البريطاني على مشروع هؤلاء[1] .

ردت حكومة الهند على المقيم، بأن هذه الحكومة لا تستطيع التكهن بمدى نجاح المؤامرة، كما أن هدف هؤلاء الأول هو الإطاحة بالإمام، والهدف الثانى طرد العثمانيين، ولما كانت السياسة التقليدية للحكومة البريطانية هى عدم التدخل في النزاعات الداخلية للعرب، فمن الأولى الالتزام بهذه السياسة، خاصة لو تم افتراض التأييد البريطاني لهذه المؤامرة، ولم يقدر لها النجاح، فإن الإمام يحيى سيصبح عدواً دائماً لبريطانيا ويقترب أكثر من العثمانيين، طلبت الهند من المقيم أن يكون محتوى رده على هؤلاء المندوبين، أنه إذا أصبح الهدف الرئيسي لهؤلاء هو طرد العثمانيين وظهرت بوادر نجاح خططهم فى هذا المجال فإن بريطانيا ستقدم لهم المساعدة. ويشير نائب الملك فى الهند فى نهاية البرقية أن من حسن السياسة ترك هؤلاء يتصارعون في اليمن، أي الإمام الحالي والمتآمرين، ومن ثم الإعتراف بالفئة الغالبة[2] .

وبعد ذلك وصلت تعليمات أخرى للمقيم من حكومة الهند، بالموافقة على الاقتراح الذى قدمه فى ٢٢ مايو ١٩١٧م/١٣٣٥هـ والمتضمن تقديم وعد بتشجيع هؤلاء بالمال والسلاح لطرد العثمانيين، شريطة عدم الوعد بتقديم مساعدة عسكرية من عدن ... وقد طلب من قائد القوات البريطانية فى البصرة بإرسال بعض السلاح والذخيرة العثمانية من هناك إلى عدن لتقديمها إلى هؤلاء[3] ... مما يشير إلى أن مفاوضات المقيم مع هذا الوفد نجحت فى إقناع هؤلاء لتوجيه الهدف الأول ضد العثمانيين فى اليمن.

---

(١) (PRO) FO 371/3056, From Resident, Aden, 15th May 1917.

(٢) Same Series and Vol., From VR, 17th May 1917.

(٣) Same Series and Vol., From Secretary of State to VR, 25th May 1915.

أوضح المقيم في عدن لحكومة الهند أن التعامل البريطاني السابق مع محمد ناصر مقبل شيخ ماويه (مافيا) وبقية عرب جنوب غربي الجزيرة العربية يجعل المقيم يتحفظ في الثقة بإخلاص هؤلاء فيما يتعلق بجعل هدفهم الأول طرد العثمانيين ... ومن جهة أخرى تقوم خطة عمل هؤلاء على الحديدة أو شقره في الجنوب مما يستدعي المواصلات بالبحر والتي تعتبر صعبة الإدراك، ومع ذلك أكدت تعليمات حكومة الهند للمقيم الحوار مع هؤلاء على أساس الثورة على العثمانيين وعند نجاح حركتهم يمكن التفاوض حول بقية الأهداف[1] .

وفي هذه الأثناء وصلت معلومات فحواها أن الإمام يحيى طلب مساعدة علي سعيد باشا لإمداده بالسلاح ضد الادريسي[2] . في الوقت الذي فشل فيه الادريسي في تجنيد رجال قبائل حاشد وبكيل الزيدية إلى جانبه كما كان مأمولاً في السابق ... مما جعل حكومة الهند تعيد تأكيد الوعد للتحالف المذكور بتقديم المساعدة بالسلاح والمال لطرد العثمانيين وبالتالي تصبح لهم القدرة على تنفيذ الهدف الثاني لخلع الإمام يحيي[3] .

وكدليل جديد على خطورة الإمام يحيي بالنسبة للمصالح البريطانية، اقترح الإمام لأتباعه الزيود بإرسال قوة من قبله لمساعدة ابن رشيد في حائل ضد الشريف حسين في الحجاز[4] .

وكان رأي المندوب السامي في القاهرة بعد علمه بالأحداث في اليمن وظهور تحالف ضد الإمام يحيى للتآمر عليه وعلى العثمانيين ... أن يترك الوضع في اليمن بدون تدخل، ومحاولة مراقبة الوضع هناك للإعتراف بالفرقة المنتصرة[5]. أي أن

(١) Same Series and Vol., From VR, 26th May 1917.

(٢) Same Series and Vol., From Political Resident, Aden, 27th, May 1917.

(٣) Same Series, and Vol., From VR, 7th, Agugst 1917.

(٤) Same Series and Vol., From Resident, Aden, 8th, August 1917.

(٥) Same Series and Vol., From VR, 14th August 1917.

السلطات البريطانية المعنية فى الهند والقاهرة كانت تؤيد فكرة عدم التدخل المباشر في مسائل اليمن الداخلية .. رغم أن الإمام يحيى وفق المعلومات السابقة يعمل بنشاط مع العثمانيين، إلا أن المسئولين البريطانيين عرفوا أن مصالح بريطانيا هى فى مد اليد للفئة القوية.

وأصبحت هذه القناعة حقيقة واقعة بعد أن قررت الحكومة البريطانية بشكل نهائي عدم التدخل فى هذه المؤامرة التي تحالفت فيها عدة عناصر محلية والاكتفاء بتشجيع هؤلاء لمنع انهيار خطتهم دون إمدادهم بالسلاح أو بالمال وإنما وعدهم بالمكافأة إذا نجحوا ضد العثمانيين[١] .

والواقع أن وثائق الخارجية البريطانية قد حوت عدة مراسلات كانت قائمة بين السلطات فى عدن وبعض مشايخ جنوب اليمن، وبتأييد من سلطان لحج الذى يقيم فى عدن الذى كتب بالفعل مؤيداً تشجيع حركة هذه العناصر ضد العثمانيين ورسائل بين هؤلاء مع الشريف فى مكة[٢] ، ولكن السلطات كما ذكرنا آثرت عدم التدخل بشكل مباشر. وربما أن لذلك عدة أسباب منها:

- أن السلطات البريطانية كانت متخوفة من فشل الخطة وخاصة فيما يتعلق بالتآمر على الإمام.
- أن المشروع تقوم به عدة عناصر محلية صغيرة ولو أنها اتخذت صفة التحالف، وهذا سيزعج السلطات البريطانية فيما بعد بكثرة مطالب وادعاءات هذه الأطراف الصغيرة.
- أن بريطانيا تركز على الاعتماد على الشريف والادريسى وتأمل في انضمام الإمام يحيى كقوة رئيسية.

---

(١) (PRO) FO 371/3056, From Secretary of State to Viceroy 16th August 1917.

(٢) راجع، نصوص المراسلات بين قايد بن أحمد شيخ الحجرية مع جاكوب المساعد الأول للمقيم فى عدن، ورسائل بين السلطان عبد الكريم بن فضل العبدلى إلى الميجور وود المساعد الأول للمقيم فى عدن، ومن قائد بن أحمد إلى المقيم فى عدن، وإلى رسائل متبادلة مع الشريف حسين من قبل بعض العناصر فى اليمن فى الملف .(PRO) FO 371/3060

ـ بريطانيا قوة بحرية لا تريد التدخل فى البر إلا فى أضيق الحدود.

ـ الاضطرابات المحلية ستعوق إمام اليمن من القيام بمهمة فعالة فى المنطقة.

وفي هذه الأثناء دار نقاش طويل فى الدوائر البريطانية بعد ضرب ميناء الحديدة فى عام ١٩١٧م إذ وصل إلى علم نائب الملك فى الهند أن البحرية البريطانية ضربت الحديدة بواسطة سفنها، الأمرالذى دعاه للاعتراض على وزارة البحرية لكي تفسح المجال للتشاور مع حكومة الهند حول هذا الموضوع، خاصة وأن الموضوع يتعلق بالسياسة التى تطبقها حكومة الهند في هذه الناحية، حيث، إن ضرب الحديدة سيجعل الإمام يحيى وبعض القوى المحلية فى المناطق الحدودية مع عدن، تتذمر من العمليات البريطانية وتفسر على أنها موجهة ضدهم[١] .

وكان الدافع لضرب الحديدة هو إنقاذ بعض رعايا بريطانيا، إلا أن وزارة الهند بناءً على إعتراض نائب الملك فى الهند، أبلغت وزارة البحرية البريطانية بأهمية التشاور مع السلطات المعنية وهى حكومة الهند التى تدير السياسة البريطانية هناك[٢] .

وفى ١٠ يوليو ١٩١٧م/١٣٣٥هـ أبرق وزير الهند بلندن إلى نائب الملك فى الهند بأنه قد صدرت تعليمات مشددة إلى القائد البحري البريطاني فى البحر الأحمر بعدم القيام بعمليات أخرى فى الحديدة دون التشاور مع وزارة البحرية[٣] .

وقد استطاعت السلطات البريطانية تدوين معلومات دقيقة عن وضع الإمام يحيى فى اليمن وأعداد القبائل وموقفها، حيث ذكرت المعلومات التالية :ـ

ـ توجد عدة قبائل يمنية أهمها العنس، والزرانيق، وحاشد وبكيل، وخولان ...... إلخ، وتقطن هذه القبائل سواحل البحر الأحمر من اللحيه إلى حدود محمية عدن وإلى الداخل بشكل متوازٍ أى مع المنطقة الخلفية لمحمية عدن، وتبلغ أعداد القبائل بحوالي أربعين ألف مقاتل.

---

(١) (PRO) FO 371/3058, From Viceroy, 4th July, 1917.

(٢) Same Series and Vol., India Office to Admiralty, 9th, July 1917.

(٣) Same Series and Vol., From Secretary of State to Viceroy, 10th July, 1917

ـ فى الآونة الأخيرة حصل اضطراب فى تعز وإب وجبل جحاف نتيجة لتحصيل الإتاوات ، كما طلب من التجار الهنود البريطانيين دفع ضريبة وتبرع[1] . بما يوحي أنه هو السبب الذى دعا الأسطول البريطاني لضرب الحديدة كما يبدو، إذا كان العثمانيين قد احتجزوا بعضهم لهذا السبب.

والواقع أن قوة الأسطول البريطاني فى البحر الأحمر من خلال ما أشير إليه فى ثنايا الفصل حول أسماء بعض السفن التي تجوب البحر الأحمر فى قطاعيه الشمالي والجنوبي ... هذه القوة تمكن البريطانيين من القيام بعمليات واسعة ضد العثمانيين ولكن بحكم وجود العناصر والقوى المحلية فى نفس الميدان وسياسة بريطانيا فى محاولة جذب هؤلاء إلى صفها أو على الأقل عدم انضمامها إلى العثمانيين يقلل فاعلية هذه القوة البريطانية فى حسم الموقف.

نقل الإشراف السياسي والعسكري فى عدن إلى القاهرة ولندن:

فى تطور مهم وغير متوقع خططت الحكومة البريطانية فى يوليو ١٩١٧م نقل الإشراف المباشر على العمليات العسكرية فى عدن والمجال الذى تحويه إلى وزارة الحرب، كما تم نقل الإشراف السياسي أيضاً إلى وزارة الخارجية البريطانية وأصبح قائد القوات البريطانية فى عدن يتلقى تعليماته من المندوب السامي في القاهرة بدلاً من حكومة الهند، كما نقل هارولد جاكوب إلى القاهرة كضابط اتصال بين عدن ومصر... على أن تبقى الإدارة المحلية فى عدن كما هي ... وقد أوضح وزير الهند لنائب الملك في الهند أن هذه الإجراءات موقوته بزمن الحرب وسيعاد النظر فيها بعد انتهاء الحرب ... وطلب سرعة إبداء وجهات نظره حيال هذا الاقتراح بدون تأخير[2].

---

(١) 9PRO) FO 371/3049; Secret, Arabia, 11722.

(٢) (PRO) FO 371/3054, Secret, From Secretary of State to Viceroy 21st, July 1917.

وبعد أيام أبرق نائب الملك فى الهند بوجهات نظره بخصوص الإجراءات الأخيرة على النحو التالى :-

- أن نقل الإشراف العسكرى إلى وزارة الحرب سيضع عدن على نفس الأساس الذي عليه العراق، ويرى عدم وجود عائق لذلك شريطة أن تكون الإجراءات الحالية بالنسبة للإشراف على العمليات والإدارة فى العراق يتعهد بها بالمثل فى عدن.
- بالنسبة لتحويل الإشراف السياسي سبقت موافقة نائب الملك من حيث المبدأ، ولكن يأمل أن لا يؤثر ذلك فى السياسة التقليدية التى اتبعتها حكومة الهند في جنوب الجزيرة العربية والتى يمكن القول بكل ثقة بنجاحها، وتنبغى ملاحظة أن المقيم في عدن الجنرال استيوارت ليس ضابطاً سياسياً متدرباً ولذا لا يمكن اعتباره ملماً إلماماً تاماً بهذه السياسة.
- الموافقة على تعيين جاكوب فى القاهرة[1] .

وفى ١٥ أغسطس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ أبرق وزير الدولة لشئون الهند إلى نائب الملك يطمئن فيها حكومة الهند أن الحكومة البريطانية لن تحيد عن السياسة التي كانت تطبقها فى هذه النواحي بشكل عام وستنظر بعين الاعتبار لمصالح حكومة الهند، وأبلغه أن المقيم فى عدن سيبدأ إعتباراً من هذا التاريخ بمخاطبة المندوب السامي في القاهرة رأساً، كما سيتولى المقيم فى عدن إبلاغ حكومة الهند بالأمور التى تمس مصالح حكومة الهند[2] .

وفى ٢٣ أغسطس ١٩١٧م/١٣٣٥هـ وصل خطاب من وزارة الهند إلى هارولد جاكوب الذى عمل مساعداً أول للمقيم فى عدن لفترة ليست بالقصيرة، أنه بناءً على القرار الأخير للحكومة البريطانية بتحويل الإشراف على العمليات العسكرية إلى وزارة الحرب، ووضع مسئولية الإشراف السياسي فى عدن وما حولها على عاتق المندوب

---

(١) Same Series and Vol., Military Secret, From Viceroy 24th, July 1917.

(٢) (PRO) FO 371/3054, From Secretary of State to Viceroy 5th, August 1917.

السامي البريطاني فى القاهرة التابع لوزارة الخارجية، تقرر نقل خدماته من حكومة بومباي لمدة سنة، ينظر بعدها فى ملاءمة تجديدها مرة أخرى ليعمل كضابط اتصال بين المندوب السامي فى مصر والسلطات فى عدن[1] .

ومع أن القرار البريطاني الخاص بعدن لم يتضمن أسباب ودوافع هذا القرار، إلا أن بعض الوثائق البريطانية الخاصة بمراسلات المندوب السامي البريطاني في القاهرة أمدتنا ببعض الأضواء التى قد تفسر دوافع هذا الإجراء.

ومن ذلك أن ريجنالد وينجت المندوب السامي فى القاهرة قد طرح للدراسة فكرة القيام بهجوم منسق من جانب بريطانيا ضد العثمانيين فى لحج وفلسطين[2] . ثم أشار وينجت إلى الهدف الأول للسياسة البريطانية فى بلاد العرب وهو الاحتفاظ بتحالف مع ملك الحجاز ورؤساء العرب الأقل أهمية بالقدر الذى يزعج العثمانيين ويجبرهم على سحب قوات من الميادين الرئيسية، ويمنع الألمان من الاقتراب من السواحل العربية[3] .

ولما كانت ثورة الشريف حسين بالتعاون مع السلطات في القاهرة قد خطت خطوات متقدمة فى النيل من العثمانيين فى الحجاز، ووقفت قوات الأدريسى كحاجز يفصل القوات العثمانية فى المدينة المنورة عن القوات العثمانية فى اليمن، وبرنامج السلطات فى القاهرة يحث على وجوب تنسيق الهجوم على لحج وفلسطين، فى الوقت الذى شهدت فيه الفترة الماضية تقدم العثمانيين وتراجع البريطانيين في عدن فإن كل تلك الأمور قد تفسر لنا دواعي وضع الإشراف فى منطقة البحر الأحمر تقريباً فى يد سلطة واحدة، هي السلطات البريطانية فى القاهرة لمنع أي تضارب أو تأخير فى القرار البريطاني فى مرحلة حاسمة بدأت فيها القوات البريطانية بالهجوم بدل الدفاع، لاسيما وأن الفترة الماضية قد شهدت المناقشات الطويلة بين حكومة الهند والسلطات

---

(١) Same Series and Vol., India Office, London, 23rd, August, 1917.

(٢) Same Series and Vol., Observations on Sir R. Wingate's letter on Our Arabian Policy, 13-7-1917.

(٣) Same Series and Vol., Reference Sir R. Wingate's despach No. 127 of the 11th June 1917.

فى القاهرة حول البحر الأحمر نتيجة لاختلاف مرجعي عدن والقاهرة.

الوضع فى جنوب غربى الجزيرة العربية فى المراحل الأخيرة للحرب :

بدأ المقيم فى عدن يرسل التقارير الأسبوعية إلى السلطات فى القاهرة ومن تلك التقارير التقرير الذى أرسله فى ١٣ أكتوبر ١٩١٧م/١٣٣٥هـ وضمّنه حقائق متعددة فى هذه النواحي ومنها :-

- وصول رسائل إلى المقيم من بعض مدعي الولاء لعدن فى بيحان ويرفقها بعض الرسائل المتبادلة بين بعض مشايخ المنطقة للتفكير فى الهجوم على العثمانيين في لحج، مما جعل المقيم يقع فى حيرة لمعرفة مدى جدية هؤلاء، خاصة وأن المقيمية في عدن لا تعرف عنهم معلومات كافية فى السابق، ولكنه خرج بنتيجة هى أن الوضع فى اليمن لغير صالح العثمانيين.
- من خلال هذه الرسائل التى قدمت للمقيم وردت معلومات عن تحركات للادريسى ضد العثمانيين، اعتبرها المقيم دليلاً على بداية تحرك جديد للادريسى.
- وصول معلومات للمقيم عن إرسال العثمانيين لفرقة عسكرية موجهة ضد ميناء شقره على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية، مما اضطر المقيم إلى إرسال قوة بواسطة البحر للاطمئنان على سلامة المدينة.
- أرفق المقيم مع التقرير الأخير صورة للخطاب المرسل من علي سعيد باشا قائد القوات العثمانية فى لحج إلى السيد حسن بن حامد المهدار وزير سلطان المكلا المؤرخ فى ٥ رمضان ١٣٣٥هـ-٢٥ يوليو ١٩١٧م يحذره من مغبة العمل ضد الدولة العثمانية، وينبهه إلى أن الدولة تعلم عن نواياه الرامية إلى بسط النفوذ على حضرموت تحت حماية الأعداء ... ثم أرسل رسالة أخرى إليه فى ١٤ذوالقعدة ١٣٣٥هـ-١٢سبتمبر١٩١٧م مذكراً إياه أن العمل لصالح البريطانيين فى عدن إنما هو تحالف مع أعداء الدولة والدين، حتى لو أغروه بالمال والمنصب والأوسمة، فالخير

في تعاونه مع الدولة العثمانية.

- أشار المقيم إلى أن السيد حسن المهدار، المذكور قدم إلى عدن لطلب المساعدة لسيده سلطان المكلا، الذى قدم بنفسه (أي سلطان المكلا) إلى عدن بعد ذلك لمتابعة مشروع المساعدة ... وعلق المقيم على رسائل العثمانيين إلى وزير سلطان المكلا بأنها لإحباط التعاون بن المكلا وعدن، وإذا ألحّ المقيم في عدن على السلطات في مصر للإسراع بالموافقة على مساعدة هؤلاء خاصة وأن بلاد الكثيري تحارب المكلا بمساندة من العثمانيين.

- وصول تقارير من كمران تؤكد عدم اشتراك هادي هيج فى عمليات عثمانية ضد الإدريسي فى الوقت الحاضر ... فى حين أفادت تقارير أخرى عن وقوع إشتباكات بين قوات الإدريسي وبعض القوات العثمانية فى بلاد بنى عبس خسر فيها العثمانيون العديد من القتلى ... ولكن المقيم يشك فى صحة هذه المعلومات بسبب عدم وصول أى تأكيدات إليه من الادريسى(١) .

وفى أحد التقارير التى كتبها علي سعيد باشا القائد العثماني فى لحج، أشار إلى وقوع هجوم بريطاني على موقع شرطة عثماني فى بير جابر قرب العماد، حيث كان يوجد حوالى ١٥٠ جندياً عثمانياً أتراكاً وصوماليين، ولكن لم ينجح الهجوم وتقهقرت القوة البريطانية تاركة وراءها كثيراً من المعدات الحربية(٢) .

وفى ٢٤ أكتوبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ كتب الميجور ستيوارت المقيم السياسي في عدن إلى الإمام يحيى رداً على الرسالة التى حملها نقيب عبد الواحد بن أحمد الخولاني مبعوث الإمام يحيى فى ٨ رمضان ١٣٣٥هـ - ١٨ يونيو ١٩١٧م، والتي عرضها على الحكومة البريطانية فأبلغت المقيم أن يحتوي الرد على النقاط التالية :-

---

(١) (PRO) FO 371/3060, From J.M. Stewart, to Sir Reginald Wingate, Aden Residency, 13th Ontober, 1917, with two letters from Ali Saeed, Commandin of the Turkish Forces at Lahaj, to Sayed Husan.

(٢) Same Series and Vol., Most Important News and Occurrences (sd), Ali Said.

- تعتبر الحكومة البريطانية اتصاله بها في الوقت الحالي دليلاً على الصداقة من جانب الإمام.
- بريطانيا والإمام ينظران إلى العثمانيين كأعداء لهم وللاستقلال العربي، وأن بريطانيا مستعدة لتقديم أي مساعدة للعرب الذين يقاتلون العثمانيين مع الأخذ فى الاعتبار أن بريطانيا عند سياستها التقليدية هي عدم التدخل فى الشئون الداخلية أو الدينية للعرب.
- الهدف الحالي لبريطانيا هو طرد العثمانيين من اليمن وإقامة حكم عربى.
- حكام العرب يعملون لطرد العثمانيين وبريطانيا تأمل أن يحذو الإمام نفس الطريق، وأي تردد سيفسر من الآخرين على أنه علامة على موقف الإمام المعادي للحركة العربية ... ولذا فإن بريطانيا تنتظر مشاركة الإمام حتى تبلغ جميع العرب باشتراكه في الحركة العربية.
- فى الرسالة البريطانية السابقة للإمام، عرضت بريطانيا تقديم نفس المخصصات التى كان يستلمها الإمام من العثمانيين ... وضمن المقيم تسليم المبلغ ساعة إعلانه الإنضمام إلى العرب(١) .

ومن خلال المعلومات السابقة يتضح أن السياسة البريطانية في عدن بدأت تركز بشكل أكبر على الاعتماد على عامل الحركة العربية كسلاح موجه ضد الدولة العثمانية ... خاصة بعد تولي السلطات فى القاهرة إدارة الشئون السياسية فى عدن، وبعد أن ثبت نجاح العامل العربي عقب بوادر نجاح ثورة الشريف فى الحجاز ... كما يتضح فى الجانب العثماني أن العثمانيين فى لحج بقيادة علي سعيد باشا لم يقفوا مكتوفي الأيدى بل كانوا يحاولون تعزيز مواقفهم وضم العناصر العربية الأخرى إليهم، وتحذير من يتصل بالسطات البريطانية من هؤلاء كما حصل بالنسبة لوزير سلطان المكلا ... أما الرد البريطانى على رسالة الإمام فكانت مقدمتها تشير إلى أنها مفاتحة أولى من قبل الإمام ولكن فى ثنايا الرد اتضح أن بريطانيا هى التى ابتدأت الحوار فى هذه

(١) (PRO) FO 371/3056, From Jajor-General J.M. Stewart, Political Resident, Aden, To Imam Yehya of Sana'a., 24th October, 1917.

الفترة حيث وعدت الإمام بتقديم المال والمساعدات ... ولم تلجأ السلطات فى عدن لهذا العرض الأخير إلا بعد أن قررت الحكومة البريطانية زيادة الاعتماد على العامل العربي ضد الدولة العثمانية.

وفي تقرير آخر بعثه المقيم فى عدن إلى المندوب السامي فى القاهرة فى أوائل نوفمبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ حول الزيارة التى قام بها الضابط رايلى "Reilly" إلى جيزان والتى كتب عنها تقريرا مفصلا قدمه للمقيم ... حيث أشار المقيم إلى أن التقرير بشكل عام يوحي بأن الوضع الحالي أفضل مما توقعه المقيم سابقاً فيما يتعلق بمخاوفه من مغادرة رؤساء حاشد وبكيل لجيزان، إذ شاهد الضابط البريطاني المدعو ناصر مبخوت ومعظم رجال هاتين القبيلتين المهمين ...

ثم يعلق المقيم على سماح الادريسى للضابط رايلي ورفاقه بالتجول بالسيارة فى مناطق داخلية محددة فى عسير، على أنه توجه أدريسى بشكل أكبر من السابق تجاه بريطانيا، خاصة وأنه لم يسبق أن سمح بذلك لمواطنى أى دولة أوربية أخرى.

ويشير المقيم إلى أنه على الرغم من رد الادريسى غير المناسب للضابط رايلى، إلا أنه يجب الاعتراف بصعوبة الإتصال بالأوربيين، خاصة وأن الإمام يحيى يستخدم عامل اتصال الادريسى بغير المسلمين فى الدعاية ضده ... ولذا اقترح المقيم أن يُعين أحد الضباط المسلمين من قبل بريطانيا لتسهيل الاتصالات بالادريسى، وطرح اسم الضابط ميان ناصر الدين، المعروف لدى السيد مصطفى قريب الأدريسى، وعمل مع الكولونيل وود فى عدن، وسبق له العمل فى البصرة، وبالتالى يعتبر مناسباً للعمل كضابط إتصال بريطاني مسلم مع الأدريسى ...

أما عن خطة حملة الادريسى المزمعة فتعتبر جيدة، إلا أن نقطة الضعف فيها هى أن كل وحدة في جيشه تعمل تحت قيادة مختلفة وبالتالى تقل فرص التنسيق بين هذه الجيوش، وعلى الرغم أن الأدريسى يعمل قائداً لهذه الجيوش عامة إلا أن قيادته لها قد يضعف من شأنها أن غالبية هذه الجيوش من المرتزقة، أما عن التأخير الحالي فى تحرك الأدريسى فقد يكون إيجابياً بالنظر إلى الأمل فى اشتراك الإمام فى اليمن فى الحركة ضد العثمانيين وبالتالي يمكن لبريطانيا أن تمنع تقدم الادريسى تجاه

مناطق يملكها الإمــام ...

وبالنسبة لقبائل الزرانيق فهم على استعداد الآن للتحرك، حيث يخططون للتوجه صوب مدينة زبيد، أما إذا استطاع بنويام الاستيلاء على المناخة فسيعد ذلك عملاً ناجحاً إذ تتحكم فى الطريق بين الحديدة وباقي اليمن، وستقسم القوات العثمانية بشكل فعال، فإذا فعلوا ذلك كان على القوات البريطانية أن تحتل الحديدة كمساعدة لهؤلاء، وتحذيراً للأدريسى كحد أقصى لعملياته[1] .

وعندما بدأت بوادر الانتصارات البريطانية فى جبهة فلسطين ضد العثمانيين عبر الادريسى عن ابتهاجه وأرسل تهانيه إلى السلطات فى القاهرة عبر قريبه السيد مصطفى، الذى أبلغ السلطات أيضاً أن الادريسى مسرور للإمدادات الأخيرة التي وصلته من البريطانيين وللمبالغ التى صرفوها له، مشيراً إلى أن الأدريسى يركز قواته فى المسارحه وبلاد بنى مروان تمهيداً للهجوم على اللحيه، فى حين وصلت أعداد من رجال قبيلتى حاشد وبكيل تقدر بألفى رجل إلى جيزان ...

ومن جهة أخرى نقل الادريسى مركزه إلى مكان يدعى المهدية يقع فى منتصف الطريق بين جيزان وميدى، حيث يشرف بنفسه على ترتيبات الحملة القادمة، وقد أبدى السيد مصطفى للسلطات فى مصر تفاؤله من الاستعدادات الأخيرة للاستيلاء على اللحيه وطرد العثمانيين.

أما عن العثمانيين فى لحج فقد أشارت بعض التقارير إلى محاولات علي سعيد باشا لإقناع القبائل المجاورة بالدفاع عن هذه البلاد فى حالة تقدم البريطانيين تجاه لحج لاستعادتها، في الوقت الذى بدأ فيه بنقل بعض الممتلكات العائدة للدولة إلى تعز تحسباً للموقف[2] .

وهكذا فإن التقارير الأخيرة تشير إلى تكامل استعدادات الادريسى بعد وصول

---

(١) (PRO) FO 371/3056, From Political Resident, Aden, to Regenald Wingate, Cairo, 3rd, November 1917

(٢) (PRO) FO 371/3394, From Political Resident at Aden, to High Commissioner, Cairo, 8th, December 1917.

الأسلحة إليه، وتجنيده للمرتزقة فى جيشه، وارتفاع معنوياته بعد انتصارات البريطانيين فى جبهة فلسطين.

وفى أواخر عام ١٩١٧م/١٣٣٦هـ كتب هارولد جاكوب من القاهرة تقريراً عن الحدود المستقبلية لبريطانيا فى اليمن ... أعاد فيه الآراء السابقة بخصوص الأولويات التى تخطط لها القيادة البريطانية فى القاهرة وعدن لاستعادة لحج ... وأن الوقت الآن أصبح فى صالح بريطانيا فيما يتعلق بإقناع القوى المحلية فى عسير واليمن بالتحرك ضد العثمانيين ... وبعد ذلك يمكن تشجيع كل رئيس أو شيخ فى حدوده وإبرام معاهدة صداقة جديدة معه ... أما بخصوص المدن الساحلية كالحديدة والمخا وموانئ الزرانيق ... إلخ، فيجب إدخالها فى النفوذ البريطاني، وخاصة الحديدة التى يجب أن تحصل فيها بريطانيا على إمتيازات لكى تصبح تحت التأثير البريطاني، ولإحباط طموحات الادريسى والإمام فى هذه المدينة، ثم ينتقل إلى الشعور السائد فى اليمن تجاه العثمانيين والبريطانيين هناك، مشيراً إلى أن بعض العرب الذين يتقربون للإنجليز ليس بدافع الحب وإنما كراهية للحكم العثمانى، واستشهد بالمثل الشائع "ناركم ولا جنة الترك" ... ثم أعاد ما ذكره فى تقاريره السابقة حول مد الخط الحديدى وإنشاء مدرسة لأبناء السلاطين[1] .

والواقع أن آراء جاكوب صاحب الخبرة الطويلة فى شئون جنوب غربي الجزيرة العربية تعتبر على جانب كبير من الأهمية ... ولذا لم تفرط فيه الحكومة البريطانية بعد تغيير الإشراف على عدن إلى المندوب السامي فى القاهرة، بل وضعته كحلقة إتصال بين القاهرة وعدن ... ويلاحظ على تقاريره الأخيرة أنه أخذ يدعو بشكل أكبر إلى إعادة الاستيلاء على لحج وعلى تعديل المعاهدات والتعامل مع العرب بسياسة تنبثق من معرفة مطالب العرب وطبيعية حياتهم ... وكان لإلمام جاكوب باللغة العربية أن عرف دقائق سياسة التعامل مع العرب، إذ كثيراً ما يورد الأمثال العربية المتداولة التى تكون بمثابة خلاصة أو صدى لوضع سياسي أو إجتماعي معين ... فالمثل الذى أورده

---

(١) (PRO) FO 371/3380, Our Future boundaries in the Yemen, by H.F. Jacob, Cairo, 18-11-1917.

"ناركم ولا جنة الترك" على جانب كبير من الأهمية يلخص حالة عامة وإن لم تكن شاملة وهي أن العرب لا يتعاطفون مع الإنجليز وهذا أمر طبيعي بالنسبة لهم كمسلمين يجدون فى التعامل مع الكفار حرجاً وخاصةً عامة الرعية دون بعض الزعماء الذين كانوا يتقاضون المرتبات والإعانات من الإنجليز، وفى نفس الوقت يعبر المثل عن الموقف تجاه العثمانيين حيث لم يقبل بعض عرب اليمن أسلوب حكمهم وهذا يدفعنا إلى معرفة الفرق بين أسلوبي الحكم العثماني والنفوذ البريطاني، فالأول يعتمد على الوجود العسكرى المتمثل فى كثرة القلاع والحصون والحاميات ودفع بعض المرتبات للموالين، والثاني يعتمد أسلوب الإعانة المالية[1] وتكريم رئيس القبيلة أو السلطنة عند قدومه إلى عدن وتوزيع الأوسمة ... ولكن كان الفارق كبيراً لمن كان يحدد علاقاته وتصرفاته بمعيار الدين، فالعثمانيون مسلمون والآخرون نصارى، وإن إدعى البعض تجاوزات بعض القيادات العثمانية وخاصة فى السنوات الأخيرة للحكم العثماني في اليمن.

وفى بداية العام الأخير للحرب سنة ١٩١٨م/١٣٣٦هـ أشارت تقارير السلطات فى عدن إلى أن الهجوم الادريسي باتجاه اللحيه قد بدأ بالفعل، إذ وقعت فى نهاية الشهر الأخير لعام ١٩١٧م/١٣٣٦هـ معركة بين قوات الأدريسى والعثمانيين فى موقع يسمى كتف الدكم، قتل فيها حسب إفادة هذا التقرير حوالي خمسين جندياً وأحد الضباط من الجانب العثمانى، وأحد عشر قتيلاً وسبعة جرحى من الجانب الادريسي، وقد اعترفت مجموعة من الأسرى العثمانيين فى هذه المعركة بمثل ذلك، ويقدر عدد هؤلاء بعشرة، رفض ثمانية منهم الذهاب إلى ميدي فقتلوا على الفور، وقد احتاج

---

(١) اعتمد البريطانيون فى تعاملهم مع مشايخ المنطقة دفع الأموال وقد مر خلال البحث العديد من الأمثلة ... وقد يدفع البريطانيون مثل تلك المبالغ قبل أن ينفذ الطرف الأخر ما يملى عليه، ومن هذه الأمثلة ما كتبه المدعو السيد محمد حسن بن سنان إلى المقيم في عدن يشكره ويدعو له بمضاعفة الثواب!!! على منحته المالية إليه دون سابق إتفاق بينهما ودون أن يقدم أى عمل لصالح المقيم فى عدن ويأمل أن يتمكن من تقديم المساعدة إليه ضد العثمانيين من موقعه في جبل راس، حيث يتوعد بالانتقام منهم. انظر : (PRO) FO 371/3394, From Sayed Mohammed Hassan bin Sinan, to the Political Resident at Aden, 29th, December, 1917.

الادريسى إلى مـزيد من المؤن الغذائية لإعـاشـة جنوده مما دعى المقيم إلى طلب هذه المؤن من الهند ... أمـا عن اليمن فـقد أشـار المقيم إلى انتـهـاء قـضـيـة أبو راس الزعيم الزيدي الذى قتل بالتعاون مع السلطة العثمانية فى اليمن بدفع الدية إلى ذويه ... كما أن السيد محمد بن محمد الدرويش ممثل الإمام فى مقاطعات الرياشية والحبشية بدأ يناهض العثمانيين واشتبك معهم فى معركة خسر فيها أخاه مما جعله يتوعد ويهدد بالإنتقام، وكاتب الادريسى يشرح له تفاصيل صراعه معهم متوعداً بمواصلة القتال[1]
.

ولما حاول العثمانيون فى لحج إمداد الشيخ سعيد عبد الله الرشيدي فى بلحاف بالسلاح، قبض سلطان شقره عاصمة الفضلي الموالي للإنجليز وهو السلطان عبد القادر بن حسين على شحنة السلاح المرسلة وأرسل إلى المقيم فى عدن يخبره باستيلائه عليها، فغادرت السفينة مينتو وعلى متنها الضابط السياسى ريتشاردسون Richarson للتحقق من الموضوع وإحضار السلاح إلى عدن ... فثبتت صحة الواقعة وتمت مكافأة السلطان عبد القادر ... ومن جهة أخرى استقبل المقيم رسالة من السلطان حسين بن أحمد سلطان الفضلي طالباً مقابلة مساعدة فى شقره أو فى أي مكان آخر على أن يرفق معه طبيباً لمعالجته من المرض الذى يشكو منه لكبر سنه، وقد اعتبر المقيم هذه الرسالة تحولاً فى موقف هذا السلطان الذى كانت له اتصالات مع العثمانيين منذ استيلائهم على لحج ... أما الشيخ محمد صالح الأخرم شيخ قبيلة القطيبى فقد أرسل هو الآخر رسالة ودية إلى عدن مشيراً إلى أن الحاج على الكمرانى الذى كان له دور فى المفاوضات الإنجليزية مع محمد ناصر مقبل (مافيا) قد أطلق سراحه بعد سجنه فى صنعاء أسيراً من قبل العثمانيين ...

وقد وصلت معلومات أخرى عبر مصادر متعددة أن محمود نديم الوالي العثماني فى اليمن قد توجه إلى لحج، فى غمرة التحركات العثمانية فى لحج ... وتلقى المقيم تقريراً من الكابتن لويس Lewis قائد السفينة البريطانية "كليو" "Clio" يفيد

---

(١) (PRO) FO 371/3394, From Resident at Aden, to High Commissioner, Cairo, 5th, January 1918.

أن قوات الأدريسي اقتربت على بعد عشرة أميال من اللحيه، وعند ذلك قررت التقهقر قليلاً لانتظار وصول السيد مصطفى قريب الأدريسى وبناءً على طلب الأدريسى ضربت السفينة البريطانية كليو حصن اللحيه فى ١٣ يناير ١٩١٨م/١٣٣٦هـ ثم ضربت السفنية فوكس "Fox" اللحيه بقوة فى ١٥ من الشهر نفسه، وفى ١٤ تموز من نفس الشهر وصل السيد مصطفى إلى ميدي حيث كان فى استقباله الأدريسى(١).

وهكذا تتكرر عملية المساندة البحرية البريطانية لقوات الادريسي فى ضرب اللحيه ... كما هو الحال فى ضرب القنفذة وغيرها، وهي بهذا تدعّى مساعدة الأدريسى ولكن بلا شك تقاتل القوات العثمانية والقوى المحلية الموالية لها بصرف النظر عن مساعدتها للادريسى من عدمه. كما يلاحظ من خلال هذه التقارير أن القوات العثمانية من جانبها بدأت بتحركات غير عادية فى لحج قد تكون توقعاً من العثمانيين بإمكانية تقدم القوات البريطانية والموالية لها إلى لحج خاصة وأن الأنباء فى الجبهات الأخرى كفلسطين كانت غير سارة للعثمانيين.

وفى فبراير ١٩١٨م/١٣٣٦هـ أشارت تقارير المقيم فى عدن إلى وصول رسائل إلى دار الإقامة فى عدن من المدعو محمد بن عبد الواحد أبرز مشايخ قطاع إب، ومنصور بن علي بن عبد الله من العدين، وأربعة مشايخ آخرين من هذين الإقليمين ... يطلبون فيها عقد إتفاقيات مع الإنجليز والمساعدة فى قتال العثمانيين، وقد فهم المقيم من بعض جواسيسه أن هؤلاء بحاجة إلى المساعدة المالية لتفريقها على رجالهم الذين يملكون أسلحة كافية نظير الوعد بتسليم تعز وإب وماويه للإنجليز بعد طرد العثمانيين.

أما عن الادريسي، فإن قواته تشترك فى قتال شبه يومي مع العثمانيين مما اضطرهم إلى طلب النجدة من القوات المتواجدة فى قطاع الحديدة ... وتقف الآن القوات الأدريسية فى موقع يبعد حوالى ثلاثة أميال شمال غرب العطن حيث تهدد هذه القوات اللحيه، فى الوقت الذي انشغل الأدريسي فيه بجمع ضرائب للمعركة من العاملين بالاتجار البحري فى ميدي، مما دعى محمد نديم الوالي العثمانى فى اليمن

(١) (PRO) FO 371/3394, 2nd Weekly letter, From Political Resident At Aden, to High Commissioner, Cairo, 18th, January 1918.

إلى تحذير أهالى تهامه للوقوف والدفاع عن أراضيهم ... بينما تبادل الأدريسى عدة مراسلات مع مشايخ الزرانيق للتعاون ضد العثمانيين، وتوصل الإمام يحيى إلى تفاهم مع الملك حسين فى الحجاز[1] .

ولذا فإن الوضع بلا شك كان يسير فى غير صالح العثمانيين، إذ اكتملت حلقة التركيز على القوات العثمانية على طول سواحل البحر الأحمر وإلى الداخل في مساحات واسعة من قبل الشريف فى مكة والأدريسى فى عسير والعناصر الصغيرة المتفرقة فى أنحاء اليمن بين عدن وصنعاء.

وفى شهر مارس ١٩١٨م/١٣٣٦هـ كتب المقيم فى عدن إلى الإمام يحيى رسالة ودية ضمنّها رسالة أخرى من المندوب السامي البريطاني فى القاهرة ريجنالد وينجت حيث أشار المقيم إلى أنه استلم الرسالة التي أحضرها وسيط الإمام يحيى المدعو نقيب عبد الواحد بن أحمد الخولانى، والتى أصبحت موضوع تداول بينه وبين مرجعه فى القاهرة..

أوضح المقيم فى رسالته للإمام، أنه إذا كان مستعداً لإخراج العثمانيين من اليمن فإن الحكومة البريطانية من جانبها مستعدة لتقديم الوعود التالية :-

- ضمان استقلاله فى اليمن على النحو الذى ضمن فيه الإستقلال للأدريسي فى أراضيه.
- تزويده بالمعدات الحربية اللازمة لقتال العثمانيين.
- ترك مصير أسرى الحرب العثمانيين لرغبة الإمام.
- تزويده بالمال له ولقبائله على أن يُدفع ما للقبائل عن طريقه وليس مباشرة من الإنجليز.
- فتح بعض الموانئ غير العائدة للأدريسى لتجارة الإمام فى حال قيامه بالثورة، وبخصوص المعاهدات المعقودة مع سلاطين ومشايخ المنطقة فإن بريطانيا ترى استثناءها عن المفاوضات الدائرة حالياً بين بريطانيا والإمام، وبالنسبة للادريسى فقد

(١) (PRO) FO 371/3394, 3rd Weekly letter from Aden, to Cairo, 8th, February, 1918.

أوضح المقيم للإمام أن الحكومة البريطانية على معاهدة معه ولا ترضى في أي تحركات عدائية من جانب الإمام ضده ... مشيراً إلى فحوى المعاهدة مع الأدريسى هى شن الحرب ضد العثمانيين، وتقوية العلاقة بين الطرفين البريطاني والأدريسى، ومنع الأدريسى من الإعتداء على الإمام طالما لم يشارك العثمايين مشاركة فعالة .....إلخ بنود الإتفاقية[1]، التى يمكن للإمام التفكير والتأمل فيها حتى تزول الشكوك التي تساوره تجاه نوايا الحكومة البريطانية مشيراً إلى المكاسب التى تحصّل عليها الأدريسى فى باقي بنود الاتفاقية، وأخيراً يأمل المقيم فى رد سريع من جانب الإمام على هذه الرسالة[2] .

وفى ٢٤ رجب ١٣٣٦هـ/٥ مايو١٩١٨م، أرسل الإمام يحيى رسالة جوابية على رسالتي المقيم والمندوب السامي بالقاهرة ... وفي الرسالة الجوابية للمقيم ذكر الإمام يحيى أنه دقق النظر فى رسالته ووجد أنها عبرت عن المشاعر الطيبة تجاهه من قبل بريطانيا ... مشيراً إلى أنه سبق طلب الإمام المساعدة من الحكومة البريطانية حول الوفاء بالتعهدات القديمة الجارية بينها وبين أسلافه، إذ لم يحدث ما يستدعى تغيير الصراحة فى التعبير بين البلدين، ثم يختم الرسالة منوهاً بأهمية مركزه السياسي والإجتماعي فى المنطقة التى يحكمها[3] .

أما الرسالة الأخرى الجوابية التى بعثها الإمام للمندوب السامي عن طريق المقيم فقد أعاد فيها تأكيده على رغبته في أن تنظر بريطانيا بعين الإعتبار إلى علاقاتها مع أسلافه بالإضافة إلى المراسلات السابقة بينه وبين بريطانيا التى أوضح فيها أن مطالبه تنحصر فى المحافظة على نظام حكم أسلافه بالطريقة المتبعة دون المبالغة في المطالب الأخرى، أما عن الادريسى فأشار الإمام إلى أنه دخيل على البلاد [4].

---

(١) يمكن الرجوع لتفصيلات الاتفاقية فى الفصل الخامس.

(٢) (PRO) FO 371/3408, From J.M. Stewart, Political Resident at Aden, to His Exceleincy, The Imam of Sana, 20th March 1918.

(٣) Same Series and Vol., From Imam Yahia of Yemen to the Political Resident at Aden, 24-7-1336, 5th May 1918

(٤) Same Series and Vol., Seal of Imam Yahia, to High

من خلال عرض هذه المراسلات يتضح قيام اتصالات بين بريطانيا والإمام في الفترة الأخيرة من الحرب، سبقته اتصالات في بداية الحرب العالمية الأولى وكان لكل مرحلة من هذه الاتصالات ظروفها الخاصة، فالمراسلات الأولى كانت بعد بداية الحرب لجس نبض الفريقين، والأخيرة كانت لمعرفة موقف الإمام وشرح سياسة بريطانيا للإمام يحيى بأسلوب يقربه إليها بشكل أكبر ... وقد سبق ترجيحنا أن بريطانيا هي التى فاتحت الإمام فى الموضوع، ولذلك عدة شواهد فمن ضمن سياسة بريطانيا في الحرب العالمية الأولى التأثير على العرب للثورة على العثمانيين، كما أن موضوع الادريسى يقتضى على بريطانيا الحوار مع الإمام حتى لا تتمادى فى إعطاء الادريسى ممتلكات تخلق لها مشاكل مستقبلية، كما أن بريطانيا ستجد العذر فى احتلال الموانئ الخاصة بالإمام كالحديدة إذا ما رفض العروض البريطانية لتنفيذ سياستها في هذه النواحى ... ومع ذلك استغل الإمام يحيى الفرصة ولم يسد طريق التفاوض حول إبداء وجهة نظره للإنجليز ... إلا أنه لم يتنازل عن مطالبه السابقة بالمحافظة على ميراث أجداده الزيديه فى اليمن، كما لم يتمادَ فى مفاوضاته مع الإنجليز بحيث تصل إلى درجة المعاهدة، ولم يشك العثمانيون فى وقوفه معهم.

العمليات البريطانية الأدريسية المشتركة فى نهاية الحرب[1]:

سبق للأسطول البريطاني أن شارك الأدريسى فى العمليات الحربية فى البحر الأحمر فى شواطئ عسير والحجاز الجنوبية ... بنفس الطريقة التى تساعد بها السفن الحربية الأخرى قوات الشريف حسين فى الحجاز.

وقد قدّم الضابط البحري الأول فى دورية البحر الأحمر إلى المقيم فى عدن تقريراً مطولاً عن المهمة التى قام بها الأسطول البريطانى لتدمير المنشآت العثمانية ولمساعدة القوات الأدريسية...

وقد استهل الكابتن ولستون C.H.B. Wollaston الضابط البحرى تقريره

Commissioner Cairo, 24-7-1336 = 5th May 1918.

(١) انظر ملحق الخرائط.

بالإشادة بالدور الذى يلعبه السيد مصطفى الأدريسى، وبسلطته وعلاقاته مع العرب التى كـان لهـا آثار أقـوى من دفع الأمـوال والهـبـات لهم ... وعلى الرغم من الأخطاءالموجودة أحياناً فى إستراتيجيته التنظيمية إلا أن له العذر فى ذلك لعدم خبرته العسكرية ولعدم وجود هيئة عسكرية معه، ولذلك بدون مصطفى لا يمكن تحقيق إلا القليل من الإنجـاز، فكان لابد من عودته إلى مسـرح العمليات ولكن يجب أن يرافقه أحد المستشارين حتى لا تفشل خططه.

فى ١٦ فبراير ١٩١٨م/١٣٣٦هـ وصل الضابط البحري الأول ولستون على ظهر السفينة الحربية فوكس "FOX" إلى اللحيه، ودرس معالم المدينة وتحصيناتها ثم تحركت السفينة لتضرب العطن إلا أن الضابط وجد القوات الادريسية قريبه منها، فقام بزيارة لها لمعرفة أهميتها الدفاعية والعسكرية ووجد أنها تتحكم فى وجود عدة آبار للمياه تغذي القرى المجاورة ومنها مدينة اللحيه ... كما أشار إلى آثار ضرب العطن فى ١٧فبراير١٩١٨م/١٣٣٦هـ على هذه القرية فى هدم كثير من الدور والأبنية...

وفي ٢١ فبراير ١٩١٨م، وصلت حاملة الطائرات المائية المسماه سيتى أوف اكسفورد "City of Oxford" إلى اللحيه ثم عقد القادة لقاء على ظهر السفينة فوكس وتقرر مايلي :-

- طائرة واحدة تقوم بالاستطلاع بعد الظهر فوق جبل قدميه، والزهرة، وشمال الزهرة، والتأكد من المواقع والخنادق العثمانية الموجودة فى بلاد قبائل الواعظات.
- مساعدة قوات الادريسى بأربع طائرات مزودة بالقنابل للهجوم على جبل قدميه في ٢٢فبراير ١٩١٨م/١٣٣٦هـ.

أظهر الإستطلاع الجوي فى ٢٢ فبراير أن قوات عثمانية تقدر بالمئات تتحصن فى جبل قدميه، والجهات المحيطة به، وفى ٢٣ فبراير نزل أحد ضباط المراقبة ومعه المترجم من إحدى الطائرات للتشاور مع السيد مصطفى الذى وصل إلى الساحل قبل ليلة لتنظيم الهجوم، وقامت أربع طائرات بالهجوم على جبل قدميه وعادت سالمة بعد إصابة إحداهن برصاصات العثمانيين ... وفى ٢٤ فبراير واصلت الطائرات هجومها

على جبل قدميه على أمل أن يهاجم العرب الموقع لاحتلاله ورغم كثافة الضرب من الجانبين العثماني والبريطاني إلا أنه لم ينجح الهجوم ... وقد علل كاتب التقرير الفشل بغموض الخرائط المعطاة للطيارين وتشابه القرى والأسماء المحلية لدرجة يصعب معها التفريق بين القرية الصديقة والمعادية ... وفى ٢٦ فبراير أشار أحد الضباط البريطانيين بمهاجمة بعض المواقع العثمانية فى قرى قبائل الواعظات، فى الوقت الذى ضربت فيه المدفعية العثمانية إحدى فصائل قوات الإدريسى على بعد ميلين من جبل قدميه... وقد ضلت إحدى الطائرات طريقها بعد ذهابها إلى المركز الرئيسي للعثمانيين فى هذه النواحى وهى مدينة الزهرة، ولم تعد هذه الطائرة إلا بعد قطع أميال عديدة نتيجة لعدم معرفة المواقع بالدقة...

ومع بداية شهر مارس ضغطت القيادة البريطانية على السيد مصطفى لشن هجوم على العثمانيين فى جبل قدميه، فطلب مصطفى مساعدة الطائرات البريطانية لتمكين قوات الادريسى من الهجوم على الجبل خاصة وأن المدفعية العثمانية تشكل خطورة كبيرة على قواته، فتمكنت بعض قوات مصطفى من الاستيلاء على إحدى المواقع فى الجبل إلا أنها أخلته لقلة المؤن والأغذية...

وفى الثالث من مارس ١٩١٨م/١٣٣٦هـ ضربت الطائرات البريطانية مدينة الزهرة بالقنابل، مما أظهر بعض الخلاف بين العثمانيين والزعيم هادي هيج من جانب وبعض مشايخ الواعظات من جانب آخر. ثم صدرت الأوامر بإبقاء الطائرات المائية على إتصال بالسفينة كليو "Clio" بعد مغادرة السفينة فوكس في ٥ مارس وعلى متنها السيد مصطفى إلى عدن.

وفى نهاية التقرير نوه الكابتن ولستون الضابط البحرى الأول فى البحر الأحمر مرة أخرى إلى أهمية السيد مصطفى ودوره، وإلى فاعلية الطائرات فى المعارك التى دارت فى هذه المناطق... وبالتالى أهمية عودته بسرعة من عدن[١] .

كما أن المترجم الخاص بدورية البحر الأحمر كتب تقريراً عما شاهده وسمعه من

(١) (PRO) FO 371/3392, From The Senior Naval Officer, Red Sea Patrol, to the Political Resident at Aden, 5th, March, 1918.

أحداث في اللحيه والمناطق القريبة منها في الفترة بين ١٦فبراير و٦مارس١٩١٨م/ ١٣٣٦هـ حيث ذكر أن السيد مصطفى ذهب إلى الادريسي في ميدي يخبره أن المدعو ناصر مبخوت قد اجتمع بهادي هيج شيخ قبائل الواعظات والقائد العثماني إسماعيل بك الذي أعطى ناصر مبخوت مبلغاً من المال... فأمر الادريسي قوة من رجاله تقدر بألف رجل لإحضار ناصر مبخوت وبعض مشايخ قبيلته إلى ميدي، وبالفعل تم لهم ذلك، وفي الوقت نفسه قامت قبيلة عسيرية موالية للأدريسي تحت قيادة الشريف منصور بمساعدة بني جميل بدخول مدينة اللحيه بواسطة البر والبحر وقبضوا على خمسة عشر أسير.. فاضطرت مجموعات من الأهالي والجنود العثمانية إلى الفرار من اللحيه، وفي ١٧ فبراير تم ضرب قرية العطن من البحر بواسطة الإنجليز، وسمع أثناءها صوت المدافع العثمانية في هذه القرية وقريتين مجاورتين مما نشر الذعر هناك فتم استدعاء العرب من اللحيه وما جاورها باتجاه هذه القرى فانسحبت القوات العثمانية إلى جبل الملح...

ثم يلخص صاحب التقرير المواقع العثمانية في المناطق التي تدور فيها العمليات الحربية قرب اللحيه، فيذكر أنهم يتمركزون في خط محصن يمتد من جبل الملح في الجنوب إلى عبس في الشمال، وأهم المراكز في هذا الخط ما يلي :-

- جبل الملح أو القدميه وبه حامية تقدر بأربعمائة رجل وقائدها إسماعيل بك.
- بيت المخاي، وبه حوالي أربعين جندياً.
- بين بيت المخاي وبيت أحمد باشا في الرساس Rassas والناشنيه حوالي ثلاثين جندياً في كل منهما.
- أبو كارش، وبها حوالي أربعمائة جندي أو أقل.
- في عبس، وتوجد بها أقوى الفرق العثمانية.

ثم ينتقل هذا المترجم إلى الآثار التي تركتها دخول الطائرات الحربية في المعارك الدائرة باعتراف بعض الأسرى لصالح قوات الادريسي والبريطانيين، مشيراً إلى أن العرب قد أبدوا إعجابهم بها وبحركاتها ويريدون منها أن تعمل كل شئ أي تدمر المواقع العثمانية لقدرتها على الإستكشاف... أما العثمانيين الذين أذهلهم الدعم

البريطاني للأدريسي من البحر بالسفن الحربية ومن الجو بالطائرات فلم يجدوا إلا رمي الأدريسي بأغلظ الألفاظ لتعاونه مع النصارى على حد ما ذكره المترجم فى هذا التقرير[1].

وفى مايو ١٩١٨م/١٣٣٦هـ أفادت تقارير دار الإقامة فى عدن أن السيد مصطفى يواصل عمله الشاق فى تنظيم القوات الادريسية المتمركزة أمام جبل الملح فى الوقت الذى يقوم فيه الوالي العثماني فى اليمن محمد نديم بالتجول على المراكز الهامة في مناطق بنى عبس والواعظات وبنى جمعه للإشراف على القوات ولجمع التبرعات للحرب، ثم قام بزيارات أخرى إلى الحديدة ومره وزبيد وباجل لنفس الغرض ولإعلان الجهاد على القوات الإدريسية وحلفاءها...

وعلمت السلطات البريطانية أن العثمانيين فى الحديدة نشروا بلاغاً في شهر أبريل ١٩١٨م/١٣٣٦هـ بأن وزير الحربية العثماني تحرك من المدينة فى ٥ مارس في طريقه إلى أبها مع عدد كبير من القوات لفتح المواصلات بين المدينة وعسير، ثم وصلت معلومات أخرى أن العثمانيين اتفقوا مع ابن سعود فى نجد لتسهيل الاتصالات بين الأستانة واليمن عن طريق نجد[2] .

وعندما رأى الوالي العثماني في اليمن أن هناك أعداداً كبيرة من الجرحى العثمانيين فى معارك تهامة، أمر غالب باشا قائد العثمانيين فى تهامة بالبقاء على الدفاع إلى أن تصل تعزيزات من المدينة المنورة... وكان علي سعيد فى لحج قد نشر عدة بلاغات إلى عرب المنطقة عن التعزيزات التى ستصل من المدينة المنورة لتقوية الحاميات والحصون العثمانية فى اليمن... وفي الوقت نفسه حاول العثمانيون بث الدعاية لهم فى المناطق الموالية بتجدد الآمال بانتصارات قادمة للعثمانيين[3] .

(١) (PRO) FO 371/3392, Report by Interpreter on Situation at Loheiya and Vicinety with notes of all that he heard and saw, between 16th, Febuary and 6th, March 1918.

(٢) (PRO) FO 371/3394, From Resident at Aden to High Commissionor, Cairo, 27th, May 1918.

(٣) Same Series Vol., From Resident at Aden, to High

وهكذا تتحدد أهم معالم الفترة الأخيرة للحرب بين الدولتين فى هذه النواحي، بالتالـى:-

- إزدياد الهجمات الادريسية بمعاونة وتشجيع الأسطول البريطاني والطائرات من البحر والجو، إضافةً إلى إمدادات الأسلحة والمعدات والمؤن، بتركيز إدريسي وبريطانى على اللحيه وما جاورها.
- استعانت السلطات البريطانية بالسيد مصطفى الادريسى قريب الادريسى فى عسير كقائد لقواته، له اتصالات قوية بالبريطانيين، تنقله السفن الحربية عند الضرورة إلى عدن أو مصر إذا احتاج الأمر للتشاور مع السلطات مباشرة.
- أن القيادة العثمانية فى اليمن قامت بتحركات متعددة، مثلتها تنقلات الوالي محمود نديم وقائد القوات أحمد توفيق فى تهامة ولحج وباقي مدن اليمن فى الوقت الذى إزدادت التوقعات بوصول التعزيزات من المدينة المنورة والاتفاق مع ابن سعود لتسهيل الاتصال باليمن بعد ثورة الشريف.
- بقاء مجموعة من القبائل على ولائها للعثمانيين كقبائل الواعظات والعناصر الأخرى الصغيرة فى باقي الأجزاء فى الوقت الذى جذبت فيه انتصارات الأدريسى بعض القبائل التى استمالها بالمال.

وفى أوائل سبتمبر ١٩١٨م/١٣٣٦هـ أشارت بعض التقارير التى وصلت إلى عدن أن العثمانيين قرروا التنازل عن أجزاء من اليمن نظير دفع الإمام مزيداً من المعونة لهم ولذا وصف المقيم هذه المعلومات إذا صحت على أنها دليل سار للبريطانيين على المركز الضعيف للعثمانيين فى اليمن[١] . وبالفعل وصلت معلومات مؤكدة للمقيم في عدن على منح العثمانيين للإمام السلطة على اليمن[٢] .

Commissionor, Cairo, 22nd August, 1918

(١) (PRO) FO 371/3408, From High Commissionor, Egypt, to the Govern-of India, 2nd, September, 1918.

(٢) Same Series and Vol., Form High Commissionor, Egypt, to the Govern-of India, 18th, September, 1918.

وفي يوم ١٣سبتمبر١٩١٨م/١٣٣٦هـ أبرق المندوب السامي في مصر إلى حكومة الهند ووزارة الخارجية وبغداد، عن احتلال الأدريسي لمدينة اللحيه والعطن[1] .

وبهذا يكون التعاون البريطاني الأدريسي قد نجح في إحتلال هذه المواقع العثمانية الهامة، كعمل عسكرى ملموس من قبل الإدريسي بعد فشل محاولاته السابقة لاحتلال اللحيه وما جاورها.

وفي ٣١ سبتمبر١٩١٨م/٢٥ ذي الحجة ١٣٣٦هـ، شاع في عدن عقد الهدنة بين العثمانيين وبريطانيا وحلفائها، وتأكدت الإشاعة بالفعل، حين أرسل استيوارت المقيم في عدن الهدنة رسمياً إلى علي سعيد باشا في لحج بواسطة أحد المندوبين، ثم بعث الحاكم الإنجليزى لجزيرة ميون (بيريم) إلى قومندان باب المندب حقي بك عن خبر الهدنة، فما كان من حقي بك إلا إبلاغ على سعيد باشا بالبرقية، فبعث علي سعيد بدوره إلى الإنجليز في ميون يشكرهم على التبليغ بعقد الهدنة...ثم توجه على سعيد باشا بنفسه إلى عدن لمقابلة المقيم هناك والتحقيق من الهدنة، أما والي اليمن محمود نديم بك وأحمد توفيق قائد القوات العثمانية فقد ارتابا في صحة التبليغ وزعما أن إشاعة الهدنة تزوير وخدعة من بريطانيا، وعاتبا علي سعيد لمقابلته المقيم في عدن، ورماه البعض بالخيانة، واحتوت الرسالة التى وجهها أحمد توفيق القائد العثماني إلى سعيد باشا عتابه على تلك الزيارة وتصديقه الخبر الصادر من الأعداء، وعدم انتظاره توجيهات وأوامر القيادة العليا في اليمن بما لا يتفق مع المبادئ العسكرية، منوهاً بالقيادات العثمانية في تهامة والمناطق الأخرى التى لم تستمع إلى هذه الإشاعات، ولذا حمّله مسئولية العواقب الوخيمة للاستسلام ورحيل الجنود بدون أوامر من القيادة الأعلى... كما أبرق أحمد توفيق إليه صورة كتاب زعم أنه وصله من طرف الإمام يحيى، يتعجب فيها الإمام ممّا وصل إليه من الوالي ومن قائد القوات العثمانية في اليمن نقلاً عما رفعه علي سعيد باشا في لحج بالبلاغ الذى وصله من عزت باشا بلزوم تسليم القطاعات العسكرية إلى من يستلمها من طرف الحكومة البريطانية، حيث

---

(١) Same Series and Vol., From High Commissionor, Egypt, to the Govern-of India, 14th, September, 1918.

لم يصل الإمام بلاغ من هذا القبيل من طرف الصدارة العظمى أو حتى من المقيم في عدن، فكان من الإمام تحرير خطاب إلى الوالي العثمانى فى اليمن والقائد العثماني بمنع مثل هذا التسليم[1].

وكتب الإمام إلى علي سعيد قائد القوات العثمانية فى لحج عن عزمه على القتال وحشده لقبائله، دون تصديق أعداء الله الإنجليز "وهل يرضى أحد من أهل الديانة والمتانة الإسراع إلى التسليم إلى الكافرين والدخول تحت ذمتهم" ... وسيكون مسئولاً أمام الحكومة العثمانية فى تحمل مسئولية عدم التسليم دون إلقاء اللوم على المأمورين العثمانيين فى اليمن... كما أبرق بعض موظفي وتجار لواء تعز إلى علي سعيد مظهرين استياءهم من تغيير الحالة وتبديل الحكم العثماني فى بلادهم[2] .

وكتب محمود نديم والى اليمن إلى المقيم فى عدن بواسطة سعيد في ٦أكتوبر١٩١٨م/١٣٣٧هـ بأنه اطلع على خبر الهدنة المذكورة فى خطاب المقيم للعثمانيين فى لحج وعلى شروطها، وبما أن الحكومة العثمانية قد أمرت قبل الحرب بالتشاور مع الإمام يحيى، فقد تم التذاكر بخصوص الهدنة وتقرر ما يلى : حيث إنه لم يصل أى أوامر من الحكومة العثمانية بانتقال العساكر وترك السلاح، وبما أن الإمام أمر بعدم خروج أى فردٍ من العثمانيين، فإنه لا يمكن التسليم حتى يأتي أمر صريح من الحكومة العثمانية كحق من حقوقه بموجب أحد مواد الهدنة...

وعلى الفور أرسل المقيم فى عدن إلى الوالي محمود نديم جواباً على رسالته السابقة بعدم إمكانية فتح المخابرة مع الإمام لاعتباره محايداً، كما أن قبول الدولة العثمانية للهدنة أمر إلزامي...

أما علي سعيد فقد أصر على التسليم وانتقد أسلوب زملائه فى القيادة العثمانية فى اليمن وعلى رأسها الوالي وقائد القوات فى التشكيك بإخلاصه لدولته...

وانتهت هذه المخابرات باخراج القوات العثمانية من اليمن وعسير، وسلّم علي

---

(١) العبدلي، هدية الزمن، ص ٢٤١-٢٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٨-٢٤٩.

سعيد نفسه وسلاحه وعساكره للمقيم في عدن في ربيع الأول١٣٣٧هـ/١٩١٨م[١] .

واستلم الادريسي ميناء اللحيه وبلدة الصليف وغيرها من البلاد ماعدا مدينة الحديدة التي احتلها الإنجليز... وتلقى محي الدين باشا المتصرف العثماني في عسير أمر حكومته عن طريق الإنجليز في عدن بواسطة الإدريسي بإخلاء عسير والرحيل عن طريق البحر على السفن البريطانية، فامتثل هذا وسلم البلاد إلى أهلها، ورحل بقواته التي تقدر بثلاثة آلاف رجل إلى بلاده بالبواخر البريطانية[٢] .

والواضح أن القيادات العثمانية في اليمن من خلال هذا العرض اختلفت وجهات نظرها في أمر التسليم بين علي سعيد قائد القوات العثمانية في لحج من جانب ووالي اليمن محمود نديم، وقائد القوات العثمانية أحمد توفيق من جانب آخر نتيجة لموقف كل جانب من الإمام يحيى، فالأول كان يهمه سلامة قواته وضمان تأمين رحيلها، والجانب الثاني بحكم علاقاته الطيبة مع الإمام آثر التشاور مع الإمام وعدم الإسراع بالتسليم، فكان أن سلم الأول قواته وجنوده للبريطانيين في عدن.

وقد ذكر العبدلي أن علي سعيد بقي أسيراً في عدن مدة ثم نقل مع بعض الأسرى الآخرين إلى مصر. أما الوالي محمود نديم فقد بقي في اليمن[٣] .

وتجدر الإشارة إلى موضوع أثارة الريحاني في كتابه ملوك العرب حول قضية العلاقة بين العثمانيين في لحج والإنجليز في عدن بقوله "فلما أمن الإنجليز على مركزهم في عدن والشيخ عثمان تركوا لحج للأتراك، ولما أمن الأتراك على لحج ونواحيها تركوا عدن للإنجليز، قنع كلٌ بما ملكت يده، وكللت القناعة بكرم الأخلاق أجل، بينما كانت رحى الحرب تطحن الإنسانية في شمالي فرنسا وتملأ الأرض هولاً وقبوراً، كان الترك والإنجليز في هذه الزاوية المباركة من اليمن السعيد يتبادلون المعروف والإحسان وكان للقائد الجركسي علي سعيد باشا الفضل الأكبر في ذلك

(١) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١-٢٦٠.

(٢) العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ٢ ص ٧٣١-٧٣٦.

(٣) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥-٢٦٨.

بشـهـادة الإنجليـز أنفـسـهم... كـذلك تم الصلح بين الأحـلاف والدول الوسطى، أو بالأحرى بين ممثليهم فى عدن وفى لحج، قبل أن تنتهي الحرب بسنتين[1] .

ويكاد يكون الريحانى هو المصدر الوحيد لهذه المعلومات، فلم نجد فى جميع الوثائق التى استعرضناها فى هذا الفصل والتى غطت جوانب كبيرة من موضوع الصراع العثمانى البريطاني، ما يؤيد ذلك أو ما يشير إليه، بل إن هذه الوثائق أمدتنا بحقائق تكاد تكون مناقضة لذلك وهـي :-

١ – أن المسئولين البريطانيين فى عدن وفي مصر أو أي مكان آخر إعتبروا ضياع لحج بأيدى العثمانيين خسارة كبيرة لبريطانيا على مصالحها ومركزها، وأعادوا مرات كثيرة أهمية إعادة الاستيلاء عليها بالقوة المسلحة كما فى آراء جاكوب والآخرين.

٢ – أن السلطات البريطانية عملت من جانبها ما فى وسعها لإعاقة التوسع العثماني وأعانت بذلك القبائل والمشايخ والقوى الأخرى على الثورة ضدهم أو على الأقل عدم الإشتراك أو التحالف معهم.

٣ – أن العثمانيين من جانبهم بقيادة علي سعيد باشا فى لحج حاولوا تأليب العناصر المحلية ضد الإنجليز كما حافظوا على مركزهم فى لحج وراسل علي سعيد عدة مشايخ سواءً لترغيبهم فى القدوم أو تحذيرهم من مغبة التحالف مع الإنجليز وفق ما عرضناه فى السابق.

٤ – وأخيراً كانت الأوامر قد صدرت للسلطات فى عدن بعدم القيام بعمليات عسكرية، فقد قرر مجلس الوزراء البريطاني فى سبتمبر ١٩١٦م/١٣٣٤هـ على تأجيل القيام بعمليات حربية فى جبهة عدن[2] .

٥ – أما ما ذكره الريحاني عن تبادل المعروف والإحسان، أى المواد الغذائية وغيرها...

---

(١) الريحاني، مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ٤٣١–٤٣٢.

(٢) (PRO) FO 371/3054, Secret, Reference to Sir. R. Wingate's sispatch No. 127, of the 11th June 1917

فقد سبقت الإشارة إلى ما ذكرته بعض الوثائق البريطانية عن سماح السلطات فى عدن بإيصال بعض البضائع والحاميات من عدن إلى العناصر العربية في هذه النواحى لترغيبها وعدم إثارتها حتى ولو وقع شئ منها بيد العثمانيين مع محاولة منع ذلك.

وهكذا ينتهى الحكم العثماني فى جنوب غربى الجزيرة العربية كجزء من انسحابها من ولاياتها بمقتضى معاهدات الهدنة بين الحلفاء وقوات دول الوسط.

الخاتمة

لعل أربع سنوات من الحرب والدمار الشامل الذى عم مساحات كبيرة من العالم وأفنى جماعات كثيرة من البشر يعتبر مأساة عالمية حضارية، ولكن آثار هذه الحرب كانت أدهى وأمرّ على دولة الخلافة العثمانية، نظراً لقدرة الدول الأوربية وخاصة الحليفة منها على إستعادة قوتها بعد أن كان النصر حليفها فى نهاية الحرب ولقوتها الذاتية فى عصر نموها الإستعمارى.

وقد تحقق ما كانت تصبو إليه الدول الأوربية في حل المسألة الشرقية ليس على مائدة المفاوضات التى فشلت محاولاتها السابقة، وإنما بطريقة تقسيم الغنيمة بعد إقتناصها بالسلاح الأوربى المشترك، ذلك السلاح الذى تعددت وسائله السياسية والعسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى، سواءً فى قدرة السياسة البريطانية لإقناع الشريف حسين بالثورة وإشعال فتيل القومية لخدمة أهدافه الذاتية وأهداف من تبعه، أو باستعمال القوة فى ميادين القتال الذى بلغ مداه بانتزاع القدس الشريف من عالم التوحيد الإسلامي إلى عالم التثليث الصليبي.

ولم تكن نوايا العالم النصراني الأوربى لتقسيم الدولة العثمانية حقداً منها على العناصر التى تضم هذه الدولة فحسب وإنما كانت رغبة لتحطيم الوحدة الإسلامية المتمثلة فى هذه العناصر... ذلك العداء الذى ورثته هذه الدول منذ عصر الفتوحات العثمانية الذى كان الجهاد الإسلامى عماده الأول.

وكانت خبرة الدول الأوربية قد بلغت مداها فى صراعها الطويل مع المسلمين، إذ أن سلاح المواجهة ضد الوحدة الإسلامية لم يؤتِ ثماره، وعرفت أن النجاح يكمن في إيجاد عناصر مناوئة داخل الدولة العثمانية... فكان اختيار العنصر العربي الذى يمثل مادة الإسلام الأولى دلالة كبيرة على عمق المخططات الإستعمارية ضد الوحدة الإسلامية أثناء الحرب العالمية الأولى، ذلك بعد أن فرغت من إحداث مقدمات النزاع

داخل الصف الإسلامى بتبنيها تشجيع الحركة الطورانية من قبل داخل العنصر التركى فى الدولة العثمانية.

كانت الدولة العثمانيةتعيش فى هذه الفترة عهد الشيخوخة وهى صفة حرص الإستعمار على إلصاقها بتلك الدولة، ووصفها بالرجل المريض لزيادة الوهن في أوصالها . أباحت فترة الحرب العالمية الأولى لبعض العناصر العربية كي تقاوم الدولة العثمانية بتشجيع مسموم من بريطانيا، وكان الأجدر بهذه العناصر أن تعمل على الحفاظ على بيضة الإسلام والوحدة الإسلامية. وعلى الرغم من الأحداث التى نجمت عن ثورة الإتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد من اضطراب فى السياسة العثمانية، إلا أن هذا لن يكون مبرراً يسوغ وقوف بعض العناصر الإسلامية فى صف الحلفاء لخدمة أهدافهم، وحتى أولئك القادة العثمانيين الذين جرّوا الدولة إلى الدخول فى الحرب قد نالوا من سوء النهاية بما يوحي أنه عقاب من الله فقد قتل بعد الحرب أنور باشا وجمال باشا وطلعت باشا وسعيد حليم باشا . واضمحلت بعد ذلك مملكة الشريف حسين، وانتهت إمارة الأدريسي.

وإن الأحداث التى تجري فى المنطقة بعد حوالى السبعين سنة من نهاية تلك الحرب، تَدُلك على أن هذه السنوات كانت حبلى بالتمزق والوهن فى صفوف المسلمين والقوة والسيطرة فى صفوف أعدائهم.

وجدير بالذكر أن ماسمىَ بالثورة العربية الكبرى أو الحركة العربية آنذاك، إنما هو تعبير مبالغ فيه، إذ لم تضم الثورة التى أشعلها الشريف حسين العرب قاطبة أو حتى غالبيتهم، وإنما قامت بها بعض الرؤوس المدبرة للثورة وأعضاء بعض الجمعيات السرية كجمعية العربية الفتاة والعهد، ومن انضم من النصارى أو العرب الآخرين بدافع الإرتزاق، وبإغراء المال الإنجليزى المدفوع للشريف حسين، ويدفعنى إلى القول بعدم دقة تعبير الثورة العربية أو ثورة العرب أو النهضة العربية، أن كثيراً من القيادات العربية القائمة آنذاك لم تقتنع بجدوى طعن الدولة فى فترة الحرب، بل إن البعض

ساعد وشارك الدولة فى صراعها ضد بريطانيا استجابةً لنداء الجهاد رغم تحالف الدولة مع قوة نصرانية كبرى هى ألمانيا.

كما أعتقد أن هناك خطأً آخر فى الإشارة بكلمات الترك والأتراك وتركيا، تعبيراً عن الدولة العثمانية آنذاك، مما هو موجود فى غالبية الكتب العربية تقليداً لما تكتبه المصادر والمراجع الأجنبية، وتشجيعاً من الكُتاب العرب النصارى الذين تصدّوا للكتابة عن القومية العربية أمثال جورج أنطونيوس واضرابه، وأجد أن عبارة العثمانيين أدق من الناحية التاريخية والواقعية، فإن هذه العبارة ظلت متداولة تاريخياً إلى إعلان جمهورية تركيا الحديثة في ١٩٢٤، وواقعياً باحتواء الدولة آنذاك على عناصر كثيرة لا يمثل العنصر التركي إلا جزءاً منها.

ومن خلال سير الرسالة وجدنا أن الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا قد وقفتا موقف الهجوم ضد بريطانيا في المنطقة فى بداية الحرب، ووجدت بريطانيا نفسها في موقف الدفاع فى مصر وعدن، وإن أمسكت بزمام الموقف فى البحر الأحمر لتفوق أسطولها البحري، ثم ظهر التوازن بين القوتين حينما خسر العثمانيون أمام قناة السويس، ونجحوا فى الإستيلاء على لحج القريبة من عدن. ثم تحول الموقف في المرحلة الثانية فى السنتين الأخيرتين من الحرب لصالح بريطانيا نتيجة لدور السياسة البريطانية التى عالجت موقفها الحربي فى المنطقة على عدة محاور سياسية وعسكرية، وثبت أن التفوق السياسي رجح كفة الصراع فى المنطقة لصالح بريطانيا بعد أن انتزعت الشريف حسين من جسد الدولة وساندت الادريسى، وزادت من قبضتها في مصر السودان وعدن، وفى المقابل كانت سياسة الدولة العثمانية تفتقر إلى عناصر التفوق السياسي الذى مارسته السياسة البريطانية بمساندة الأسطول، وقسمت البحر الأحمر إلى قطاعين: شمالي تحت إشراف السلطات البريطانية فى مصر، وجنوبي تحت إشراف المقيم فى عدن، إلى أن رأت فى السنة الأخيرة من الحرب توحيد عمليات البحر الأحمر وجعلها فى السلطات فى مصر لتنسيق قيام العمليات العسكرية في جبهات القتال.

وإن أهم نتائج هذا الصراع خروج الدولة العثمانية من الجزيرة العربية والبحر الأحمر نهائياً بعد قرون عديدة تأرجحت فيها السيادة العثمانية فى هذه المناطق بن القوة والضعف تبعاً لقوة الدولة وضعفها، أما بريطانيا فقد مكنت لنفسها فى مصر والسودان وعدن والبحر الأحمر عامةً، وأفسحت المجال أكثر من أي وقت مضى لإيجاد بذور النزاعات المحلية بين قوى المنطقة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين.

الملاحق

ـ ملحق رقم (١)
ـ ملحق رقم (٢)
ـ ملحق رقم (٣)
ـ ملحق رقم (٤) الخرائط.

ملحق رقم ١
وثائق خاصة بسياسة الدولتين فى مصر والسودان والبحر الأحمر عامة

وثيقة رقم ١ : صورة لأحد التقارير الشهرية التى كانت تصدرها المخابرات البريطانية فى مصر والسودان. (Sudan Intellignce Report) وتدون أحداث مصر والسودان وأقاليم البحر الأحمر عامة كالحجاز وعسير واليمن وأرتيريا والحبشة.

المصدر F.O 371/2349

وثيقة رقم ٢ : صورة لأحدى فتاوى الجهاد التى نشرها العثمانيون للحرب ضد بريطانيا ودول الحلفاء.

المصدر : دوننما جمعيتي مركز عموميسنده ، إستانبول

وثيقة رقم ٣ : صورة لنداء موجه باللغة العربية للدخول فى الجهاد ومحاربة أعداء الدولة العثمانية.

المصدر : F.O 371/2146

وثيقة رقم ٤ : قرار لجنة الدفاع الامبراطوري البريطانية بإنشاء المكتب العربى Arab Bureau فى القاهرة، ليتولى تزويد الوزارات البريطانية المعنية بتقارير وافية عن التحركات العثمانية الألمانية فى المنطقة، ولبث دعاية لبريطانيا وحلفائها هناك.

المصدر : F.O 371/2670

وثيقة رقم ٥ : صورة لأحد التقارير الأسبوعية التى تدون أحداث منطقة البحر الأحمر والمعروفة بالتقرير العربى. Arabian Report

المصدر : F.O 371/3044

وثيقة رقم ٦ : نموذج لتقرير آخر يدون أحداث منطقة البحر الأحمر ومناطق أخرى فى آسيا وأروبا . والمعروف بالتقرير الشرقى.

المصدر : F.O 371/3080

Sudan Intelligence Report.

No. 250.

ملحق رقم (١)
وثيقة رقم (١)

May 1915.

General.

Moves.—H.E. the Governor-General left Khartoum for Erkowit on the 6th May and returned on the 3rd June.

Public Health.—Outbreaks of cerebro-spinal meningitis are still reported from various parts, but towards the end of the month the disease seemed gradually to be dying out.

Several deaths from the extreme heat have occurred among the lately-arrived battalion of the London Regiment.

General.—Evidence is afforded by the discovery of seditious pamphlets inserted in packing cases, that strenuous efforts continue to be made to tamper with the loyalty of the Sudan, but there are no indications that native feeling generally is unsatisfactory.

Native pedlars travelling through the country form a natural channel for the circulation of news, and it has been almost inevitable that undesirable rumours, such as the discomfiture of the British arms and a coming change of Government, should have obtained some currency in the provinces.

As time goes on, however, and no visible change is apparent, these rumours gradually lose force. Generally speaking, except in and near the towns, the war continues to arouse little interest and is almost unknown to the peaceful cultivators and nomads of the country.

A close watch is still maintained on strangers whose movements or conduct is in any way suspicious, and foreign mendicants of doubtful antecedents are deported from time to time.

A heavy shower of rain fell in Khartoum on the afternoon of the 31st May, and reports from the Provinces show that showers have already occurred in many other parts of the country.

Once busy cultivating in the fields the natives will have little time or inclination to listen to bazaar stories.

Halfa Province.

Crops.—The date census of Halfa District has been completed, and shows a noteworthy increase in the number of date palms.

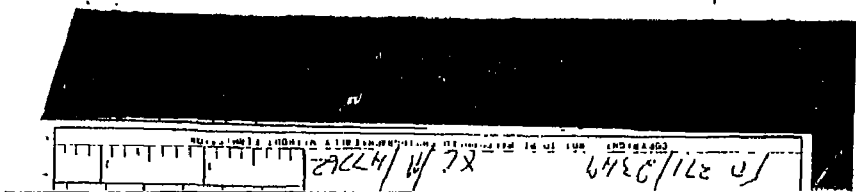
The prospects of the coming crop are very promising.

Locusts.—The measures taken to destroy the swarms of locusts which were reported last month seem to have been completely successful, as no further reports of their appearance are to hand.

Dongola Province.

Poor House.—It has been found necessary to open a poor-house at Tura on Argo Island, where already the number of women and children in receipt of relief exceeds 500.

Cattle Census.—The cattle census of all Mamurias, recently completed, shows that the mortality since June 1911 has been upwards of 51 per cent.



ملحق رقم (١)
وثيقه رقم (٢)

دونما

آبونه:
استانبول وطشره ایچون ٤٠ غروش
اجنبی مملکتلره ١٢ فرانقدر

مرجع: دونما جمعیتی مرکز عمومیسنده دائرهٔ مخصوصه

٤ محرم ١٣٣٣
پازارایرتسی ١٠ تشرین‌ثانی ١٣٣٠
٢٣ تشرین‌ثانی ١٩١٤

نسخه‌سی ٤٠ پاره — دونما جمعیتنك هفتالق غزته‌سی — نومروسی: ٦١-٦٩

61-69

فتاوای منیفهٔ جهادك اوتوتیپی اصول ایله اصلندن استنساخ ایدیلمش صورتلری

ملحق رقم (١)
وثيقة رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على المرشد الاعظم رسول الله وآله وصحبه ومن والاه :
معاشر العساكر المسلمين الذين بيد اعداء الله ويد اعداء رسوله واعدائكم الفرنسيس والانكليز والموسكوف اعلموا ان محاربتكم مع اعداء الله المذكورين كفر صريح موجب لغضب الله ولعنته الدائم وكل من مات في معركتهم وهو يحارب معهم كان مثلهم من الصاغرين [illegible] الخالدين في النار وذلك لانها محاربة تحت علمهم ولنصرتهم ودعائهم على الكفر والزندقة سيما فرنسا فانها رفضت كل الاديان وسبت الله ورسوله وكتبه فمن حارب معهم فقد حارب في سبيل الطاغوت والباطل واتبع هواه لذلك وهذا هو الكافر [illegible] والمحارب في سبيل الطاغوت هو الكافر قال الله تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) فوجب علينا حينئذ ان نقاتلهم جميعهم وتخليص العالم الاسلامي من ايديهم لا ان نقاتل معهم عملاً بقول الله تعالى (فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً) ولا يسمع الكلام جاهل مطموس البصيرة يقول انا اذا قاتلناهم قتلونا لانا نقول له واذا قاتلت معهم [illegible] والمحاربون [illegible] والاثم حاصل على كل حال لكن في المحاربة معهم كفر وزندقة وشقاوة ابدية [illegible] [illegible] وجهاد في سبيله وسعادة في الدارين وقد رأيتم من هؤلاء اعداء الاسلام انهم كلما قدروا [illegible] على [illegible] واجتهدوا في محوه مادة ومعنى [illegible] من المسلمين [illegible] ومحو امته الاسلامية [illegible] اعداء الله [illegible] المروءة والشهامة الاسلامية بل ولا الانسانية واعلموا انهم قد جاؤا الى بلادنا وتسلطوا علينا وتحملوا الذل [illegible] في بلادنا وطمعوا في اموالنا فاستولوا عليها وعمدوا على منابع الثروة كلها وتركونا في الفقر المدقع يتسلطون كالطير والنمر [illegible] الثروة الطائلة [illegible] اين اغنياؤكم اين من كان [illegible] مئات من [illegible] وصناديق مملوءة من الذهب والفضة [illegible] متخمة لمآت من الصنوف [illegible] والواردة من الفقراء [illegible] كل هؤلاء [illegible] بيد اعداء الله الباغية [illegible] العلوم الدينية حيث [illegible] وابدلوها بالزندقة وسعوا في افساد الاخلاق [illegible] كان [illegible] المساجد وابدلوا [illegible] وعطلوا الزوايا [illegible] اوقاف المسلمين ونهبوا اموالها [illegible] المسلمين كلها وشعائرها الدينية ومسحوا الاحكام الشرعية وابدلوها بقوانينها الجائرة المنحرفة عن الحق .

انظروا اين علمائكم اعلام الهدى الذين كانوا يعدون بالآلاف اي المدرسون والمؤلفون والطلبة والمدارس والمساجد التي كانت [illegible] بهم كخلايا النحل يعدون بمآت الآلاف .

اين حفاظ كلام الله وكتاتيب القرآن العظيم التي كانت عامرة كل قرية وكل بادية وكان تونس وملحقاتها والجزائر [illegible] [illegible] وتعدون حافظا للقرآن العظيم والآن [illegible] واحد بل اصبح الامر في كثير من الاماكن [illegible] [illegible] ولا رجلاً [illegible] [illegible] ولا طالب يشتغل بشيء من ذلك كل هذا [illegible] واعداء رسوله واعداء دينها واعداء الانسانية [illegible] وحرموا كل حق [illegible] اليهود في بلادكم لها الحرية والتمتع بكل الحقوق [illegible] [illegible] لكم سلبوا كل [illegible] الكلاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في كل واحد منهم في بلادك ايها المسلم سلطان ظالم جبار ولا [illegible] وكل فرد من افراد الحكومة [illegible] فانظروا اين [illegible] الذين كانوا [illegible] والآلاف من الرجال في ميادين القتال .

اين علماؤكم اين [illegible] [illegible] [illegible] الاسلامية من [illegible] [illegible] الموت مع الشرف عن تحمل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ارواحهم الطاهرة [illegible] الحكم العدل وكل ذلك بيد اعداء الله الظالمين [illegible] .

←

اى معاشر الجند المسلمين هذا فالهوا وعصيهم للاوامر [illegible] اموالنا واعراضنا [illegible] لا [illegible] منهم وارجاع اموالنا ودمائنا وشرفنا وعددنا وما اللائم لنا من ذلك [illegible] حقوق [illegible] ولا [illegible] [illegible]
قول الله تعالى (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) [illegible]
المشروع بعض مما اشد من الموت واى لذة فى هذه الحياة مع هذه المذلة واسمعوا قول الله تعالى (وقاتلوا فى سبيل الله [illegible]
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل) [illegible]
يا معشر الجند ان الموجود منكم فى بلاد [illegible] الى عدو الله [illegible] كلكم مجتمعون على [illegible] الاسلامية [illegible]
[illegible] عاملا [illegible] جماعة المسلمين يجمع كلكم [illegible] والجهاد [illegible]
وترك [illegible] وجوهكم كلها [illegible] وعلوا كل عدو من الفرنسيين [illegible]
وتطلبوا استقلالكم تحت حماية دولتكم [illegible] الاسلامية [illegible] من الالمان والانجليز [illegible] ان شاء الله تعالى [illegible]
سبقوا الدار الحرب فالواجب عليهم [illegible] الالمان [illegible] اليها ويساعدوا جميعا على اعدائهم [illegible]
من الاحتلال لا سيما فانهم ما قاتلونا [illegible] ولا اخرجونا من ديارنا ولا ظاهروا احداً على اخراجنا [illegible] الفرنسيين و[illegible]
والروس فانهم فعلوا ذلك كله والله تعالى يقول (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم [illegible]
يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم [illegible]

فيا عساكر الاسلام هذا وقتكم ووقت ارجاع شرفكم [illegible] واجب دينكم ووطنكم والله [illegible]
من اتبع الهدى وقاتل الاعداء وخلص دينه ووطنه و [illegible] من الشقاء والردى .

العلامة السيد احمد الشريف التولبى احد اعضاء
جمعية العلماء الاسلامية

العلامة السيد مصطفى [illegible] احد اعضاء
الجمعية المذكورة

العلامة السيد عمر [illegible] الجزائرى
من الجمعية المذكورة

العلامة السيد [illegible]
من الجمعية المذكورة

العلامة السيد مختار [illegible] السودانى
من الجمعية المذكورة

العلامة السيد [illegible]
من الجمعية المذكورة

العلامة السيد احمد [illegible]
من الجمعية المذكورة

العلامة السيد [illegible]
من الجمعية المذكورة

العلامة السيد [illegible]
احد اعضاء الجمعية المذكورة

العلامة السيد [illegible]
الافغانى

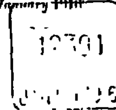
ملحق رقم (١)
وثيقه رقم (٤)

THE PERMANENT UNDER SECRETARY OF STATE FOR FOREIGN AFFAIRS.
(For Record)

[This Document is the Property of His Britannic Majesty's Government.]

545

Printed for the Committee of Imperial Defence. January 1916.



SECRET.
230 B.

COMMITTEE OF IMPERIAL DEFENCE.

Establishment of an Arab Bureau in Cairo.

Report of an Inter-Departmental Conference

2 Whitehall Gardens, S.W.,
January 10, 1916.

TERMS OF REFERENCE.

THE Prime Minister desires that an Inter-Departmental Conference, composed as follows:—

Mr. L. OLIPHANT, Foreign Office,

Sir A. HIRTZEL, K.C.B., India Office,

Brigadier-General G. M. W. MACDONOGH, C.B., Director of Military Intelligence, War Office,

Brigadier-General F. B. MAURICE, C.B., Director of Military Operations, War Office,

Lieutenant-Colonel Sir MARK SYKES, Bart., M.P., War Office,

Lieutenant-Colonel O. A. G. FITZGERALD, C.M.G., War Office,

Lieutenant-Colonel C. N. FRENCH, War Office,

Captain W. R. HALL, C.B., R.N., Director of the Intelligence Division, Admiralty,

Lieutenant Colonel M. P. A. HANKEY, C.B., Secretary, Committee of Imperial Defence,

Lieutenant-Colonel W. DALLY JONES, Assistant-Secretary, Committee of Imperial Defence, *Secretary*,

shall meet to consider the question of the establishment of an Islamic Bureau at Cairo.

2, *Whitehall Gardens, S.W.*
January 6, 1916.

SECRET.

ESTABLISHMENT OF AN ARAB BUREAU IN CAIRO.

A MEETING of the Conference took place at 2, Whitehall Gardens at 3 P.M. on Friday, January 7, 1916.

Present.

Brigadier-General G. M. W. MACDONOGH, C.B. (*in the Chair*).

Mr. L. OLIPHANT, Foreign Office.

Brigadier-General F. B. MAURICE, C.B., War Office.

Lieutenant-Colonel O. A. G. FITZGERALD, C.M.G., War Office.

Captain W. R. HALL, C.B., Admiralty.

Sir A. HIRTZEL, K.C.B., India Office.

Lieutenant-Colonel Sir MARK SYKES, Bart., M.P., War Office.

Lieutenant-Colonel C. N. FRENCH, War Office.

Lieutenant-Colonel W. DALLY JONES, Assistant Secretary C.I.D. (*Secretary*).

PROCEEDINGS.

On the motion of Sir A. Hirtzel, seconded by Brigadier-General Maurice, Brigadier-General Macdonogh took the chair.

Brigadier-General Macdonogh opened the proceedings by referring to a Memorandum by Lieutenant-Colonel Sir Mark Sykes, which had been circulated to the members of the Conference, to serve as a basis for discussion on the constitution and functions of the proposed Bureau, and to enable the Conference to form conclusions in conformity with the reference before them.

The Conference having accepted the general principle of establishing a Bureau at Cairo, Brigadier-General Macdonogh pointed out that in the first place there was an objection to the suggested title of "Islamic," the use of which would make it appear that the functions of the Bureau would apply to the whole of Islam. This was not the case. It would be concerned only with Arabs, and he proposed that the Bureau should be entitled either Arab or Arabian. The Conference agreed that it should be called the Arab Bureau.

The Conference then proceeded to consider seriatim the suggestions made in the Memorandum referred to above as to the organisation and functions of such a Bureau.

REPORT.

The Conference are agreed on the desirability of establishing an Arab Bureau for reasons which will be apparent in the consideration of its functions which follows. They are of opinion and recommend that it should be organised as a section of the existing Soudan Intelligence Department in Cairo, and that it should make its report through the High Commissioner of Egypt to the Foreign Office. The additional European personnel that will be required in making this extension of the Department should be supplied by the Foreign Office in conjunction with the India Office, the War Office, and the Admiralty.

The first function of the Bureau will be to harmonise British political activity in the Near East, and to keep the Foreign Office, the India Office, the Committee of Imperial Defence, the War Office, the Admiralty, and the Government of India simultaneously informed of the general tendency of Germano-Turkish policy.

The second function will be to co-ordinate propaganda in favour of Great Britain and the *Entente* among non-Indian Moslems without clashing with the susceptibilities of Indian Moslems and the *Entente* Powers.

[1151]

٥١٦

ملحق رقم (١)
وثيقه رقم (٥)

[This Document is the Property of His Britannic Majesty's Government.]

Printed for the Committee of Imperial Defence.

4094

SECRET. FOR REFERENCE ONLY.

1917.

8

ARABIAN REPORT.

N.S. No. XXIV. *January 3, 1917 (night).*

CONTENTS.

PART I.

PART I.

HEJAZ.

The New Title.

The Agence Stefani has announced the recognition by Great Britain, France, and Italy of the Sherif as King of Hejaz.

ملحق رقم (١)
وثيقة رقم (٦)

[This Document is the Property of His Britannic Majesty's Government.]

233

Printed for the War Cabinet.

47812

MAR 5 1917

SECRET.

FOR REFERENCE ONLY.

32

EASTERN REPORT.

No. V. *February* 28, 1917.

(Incorporating ARABIAN REPORT N.S. XXXII.)

CONTENTS.

ملحق رقم ٢
وثائق خاصة بالحجاز وثورة الشريف حسين

وثيقة رقم ١ : صورة لبعض الوثائق التى تحوي المراسلات التى جرت بين بريطانيا والشريف حسين تمهيداً لقيام الشريف حسين ضد الدولة العثمانية.

المصدر : (P.R.P) F.O 371/2768

وثيقة رقم ٢ : صورة لإحدى رسائل الشريف حسين إلى مكماهون مكتوبةً باللغة العربية.

المصدر : (P.R.O) F.O 371/2486

وثيقة رقم ٣ : صورة للصفحة الأولى من جريدة القبلة التى أصدرها الشريف حسين في مكة المكرمة بعد إعلانه الثورة.

المصدر : معهد الإدارة العامة بالرياض، محفوظة بالميكروفيلم.

وثيقة رقم ٤ : صورة لبرقية بعثها جمال باشا قائد الجيش العثمانى الرابع إلى أنور باشا يخبره بضرورة إرسال مبالغ من المال إلى ابن رشيد إضافةً إلى الأسلحة اللازمة ليتحرك لصالح الدولة العثمانية.

المصدر: Şevkat Sureyya Aydemir, Enver, Paşsa, Istanbul

وثيقة رقم ٥ : صورة لرسالة بعثها فيصل بن الحسين إلى أهالى شمال الحجاز بعد أن واصلت قوات الأشراف تقدمها إلى هناك، يدعوهم فيها لمساعدة الثورة.

المصدر : مركز الشرق الأوسط بجامعة اكسفورد. M.E.C

وثيقة رقم ٦ : صورة لأحد تقارير قوات الشريف حسين عن الأسرى العثمانيين، فى عمليات الثورة بعد وصولها إلى شمال الحجاز وجنوبي سوريا.

المصدر : مركز الشرق الأوسط بجامعة اكسفورد. M.E.C.

ملحق رقم (١)
وثيقة رقم (١)

B. 222.

This Document is the property of His Majesty's Secretary of State for India.

SECRET.

Correspondence with the Grand Sherif of Mecca.

1. Telegram to Mr. Cheetham, Cairo, from Foreign Office, dated 24th September 1914. No. 219. Secret.

Following from Lord Kitchener.

Intelligence report 6th September, statement regarding attitude of Sherif of Mecca. Tell Storrs to send secret and carefully chosen messenger from me to Sherif Abdullah to ascertain whether "should present armed "German influence at Constantinople coerce Calif against his will and "Sublime Porte to acts of aggression and war against Great Britain, he "and his father and Arabs of Hedjaz would be with us or against us."

2. Telegram from Mr. Cheetham, Cairo, to Foreign Office, dated 31st October 1914. No. 233.

Your telegram No. 219.

Messenger has returned from Mecca with letter from Sherif Abdalla. Communication is guarded, but friendly and favourable. Desires "closer union" with Great Britain, but expects and "is awaiting written promise "that Great Britain will abstain from internal intervention in Arabia and "guarantee Emir against foreign and Ottoman aggression."

Sherif himself in a secret conversation with messenger, expressed himself more freely and openly, saying "Stretch out to us a helping hand and we will never aid these oppressors."

Messenger was received and treated with great consideration. It should be noted that Sherif Abdalla is only repeating without any additions proposals he made to His Majesty's Agency on 8th January (group undecypherable).

Reply is being prepared subject to your approval disclaiming all intention of internal intervention and guaranteeing, against external aggression only, independence of Sherifate.

Messenger must leave Monday morning or week will be lost. Please instruct me at once.

3. Telegram to Mr. Cheetham, Cairo, from Foreign Office, dated 31st October 1914. No. 303.

Your telegram No. 233 of 31st October.

Following from Lord Kitchener:

Lord Kitchener's salaam to the Sherif Abdalla. Germany has bought the Turkish Government with gold, notwithstanding that England, France and Russia guaranteed integrity of the Ottoman Empire if Turkey remained neutral in this war. The Turkish Government have against the wish of the Sultan through German pressure committed acts of war by invading the frontiers of Egypt with armed bands followed by Turkish soldiers which are now massed at Akaba to invade Egypt. If the Arab nation assist England in this war that has been forced upon us by Turkey, England will guarantee that no internal intervention takes place in Arabia and will give the Arabs every assistance against external foreign aggression.

It may be that an Arab of the true race will assume the Caliphate at Mecca or Medina and so good may come by the help of God out of all evil which is now occurring.

ملحق رقم (٢)
وثيقه رقم (٢)

1

451

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الشهم الهمام ذو الأصالة والرياسة الوزير الخطير فخامة [illegible]

بمله الأيناس تلقينا مرسومكم الموقر الصادر ١٠ ذي الحجة ١٣٣٣ واحللناه محل التبجيل ومع مؤداه يجيب السرور

اولا تسهيلا للوفاق وخدمة للاسلاميه فرارا مما يكلفنا المشاق والأوهام ولما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة لدينا نترك الالحاح في ادخال ولايات مرسين واضنه في اقسام المملكة العربيه واما ولايتي حلب وبيروت وسواحلها فهي ولايات عربيه محضه ولا فرق بين العربي والمسيحي والمسلم فانهما ابناء جد واحد ونستقوم فيهم منا مماشي المسلمين ما سلكه امير المؤمنين عمر بن الخطاب من احكام الدين الاسلامي ومن تبعه من الخلفاء بان يعاملوا المسيحيين كمعاملتهم لانفسهم بقوله لهم ما لنا وعليهم ما علينا علاوة على امتيازاتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة وتحكم به

ثانيا - حيث ان الولايات العراقيه هي من اجزاء المملكة العربيه المحضه بل هي مقر حكوماتها على عهد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده وبها قامت مدنية العرب واول ما اختطوه من المدن والأمصار واستفحلت دولهم فلا لدى العرب اقصاهم وادناهم القيمة الثمينة والآثار التي لا تنسى فلا يمكننا ارضاء الأمة العربيه وارضاخها لترك ذلك الشرف ولكنه تسهيلا للوفاق سيما والمحاذير التي اشرتم اليها في المادة الخامسة من رقيمتكم آنف الذكر محفوظة



461

-٢-

وصيانتها من طمعه وضرورة ما نحن فيه وحياء ما نريد التوصل
اليه فان اهم ما في هذا هي صيانة نقطة المفروض المترجمة
بحقوقنا بصورة كانت الجوهر الفرد يمكننا الرضاء بترك الجهات
التي هي الآن تحت الاشغال البريطاني الى ان يسير البحث فيها
بقليل من قدرها دون ان يمس حقوقه الجانبية مضرة او خلل
سيما العربية بالنسبة للامة ما افقها ومنابع الاقتصاد من
الحياتية وان يدفع للمملكة العربية في مدة الاشغال المقدار
المناسب من المال لضرورة ما تركنيه كل مملكة حديثة
الوجود مع احترامنا لموافقاتكم المشار عنها من سياستكم تلك
الجهات وبالاخص ما كان منها جوهريا

ثالثا رغبتكم في الاسراع بالحركة نرى فيه من الفوائد بقدر ما نرى
فيه من المحاذير اوله خشية لوم المسلمين كما سبق الى الكلام عنه
مقابلة الحالة بانا شققنا عصاها واتعبنا قواها بالشان المقام
امام تركيا معاضدتها جميع ما في قوى جرمانيا بجهلنا عما اذا
حصل وصار احد دول الائتلاف وارجحها عن بعض دول الائتلاف
فكيف تكون خطة بريطانيا العظمى وحلفائها لتلافي تحكم الامة العربية
اما تركيا وحلفائها ان اذ لابد ان ما اذا كنا والعثمانية راسا
لراس وعلى هذا فضروري ملاحظة هذه الاوجه ولاسيما
عقد صلح اشتركنا في حربه بصورة غير رسمية يخول للعثمانيين
البحث فيه عن شؤوننا

رابعا - ان الامة العربية لتعتقد يقينا ان العثمانيين عندما تضع
اوزار الحرب سيرجعون بكل اعمالهم فيما يغضب العرب ويغتصب
حقوقهم المادية والمعنوية ودهاء شعارهم واحسابهم واخلاقهم
لكل معاني الاخضاع مع بقائها تحت النفوذ الالماني فهم عازمون
على حربهم حتى لا يبقى لنا باقيه وما يرى فينا الآن من التأني

٤

فقد سبق بيانه علته

خامساً — متى علمت العرب ان حكومة بريطانيا حلفائهم لم يتركوهم
عند الصلح على حالهم امام تركيا وجرمانيا وانهم يساعدونهم
ويدافعون عنهم الدفاع الفعلي فالدخول في الحرب من الساعة
لاشك انه ما يوافق المصالح العمومية العربية

سادساً — افادتنا السابقة الصادرة بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٣٣
تغني عن اعادة القول في المادة الثالثة والرابعة من
مرسومكم هذا المؤرخ في خصوصات الهيئات الحاكمة
والمستشارين والموظفين سيما وقد صرحتم يا حضرة
الشريف بانكم لا تتداخلون في امور الداخلية

سابعاً — وصول الجواب الصريح القطعي في اقرب زمن
عن كل اعلاه من الطلبات اذ انا استعملنا كلما لقربنا
الكريم من التساهل الجدي الذي لا يراد به حقيقة
جوهرية فانا نعلم ان نصيبنا من هذه الحروب
اما سعادة تضمن للعرب الحياة التي تناسب تاريخهم
او الاضمحلال في سبيلها ولولا ما رأيته ورأيت بالهمة عزمهم
لاخترت العزلة في احد شواهق الجبال ولكنهم ابوا
علي يا عزيزي الحركة البادي بمرضاته الا ان يقودوني
الى هذه المواقف ودم لنا سالما بما تحبه وتريده

وحرر ٢٧ من الحجة ١٣٣٣

ملحق رقم (٢)
وثيقة رقم (٣)

العدد ١

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه

السنة الأولى

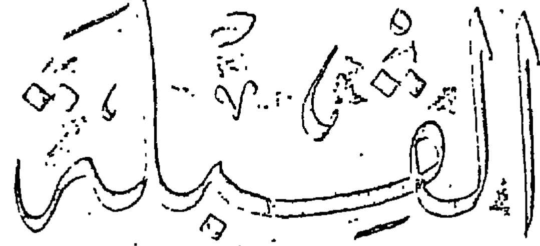
المراسلات

تدفع باسم

ادارة جريدة « (القبلة) »

في

المطبعة الاميرية بحارة جياد



جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع

لخدمة الاسلام والعرب

الاشتراك السنوي

ثلاثة ريالات مجيدية في الحجاز

وخمسة عشر فرنكا في سائر الاقطار

الاعلانات

يتفق عليها مع ادارة الجريدة

مكة المكرمة | يوم الاثنين ١٥ شوال سنة ١٣٣٤

كلمة الجريدة

بسم الله الرحمن الرحيم

ألبانيا واتصلت الولايات المتحدة ثم استطار …

حول النهضة العربية في الحجاز

سلسلة من اخبارها

الكاتب فاضل في مكة المكرمة

ملحق رقم (٢)
وثيقة رقم (١٤)

Cemal Paşadan Enver Paşaya–
(İbnürreşid'e verilen 30.000 altın hakkında)
Metinde verilen belgenin fotokopisi

ملحق رقم (٢)
وثيقة رقم (٥)

A (2)

DS 2444 ٢
DS 9755 A ٠

الى كافة اهل الشمال حضريهم وبدويهم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فانه يتبين لكم
من الفرمان الذي ضمن هذا الكتاب الصلاحية التي خولنا
اياها جلالة والدي المعظم في بلادكم وعليه شئنا ان نأتي
الى بلادكم بشخصي قد انبت عني الشريف ناصر بن علي
والسيد نسيب البكري لتكونوا واياهما يداً واحدة على اعدائنا
واعدائكم وتبذلون غاية الجهد في كل ما تستطيعون فعله
مع عدوكم وتفادوه بالنفس والنفيس والغالي والرخيص
لتخلصوا بلادكم من ربقة الذل والهوان وتطردوا من دياركم
عدواً طالما طغى في اراضيكم وتعدى في بلادكم وقتل وشنق اعاظم
رجالكم وعن قريب ان شاء الله اكون عندكم واقر
نفساً طالما تشوقت لرؤيتكم وتأملت لقائكم وما ذلك على
الله بعزيز في غرة شعبان ١٣٣٦
قائد الجيش الشمالي
ابن ملك العرب



ملحق رقم (٢)
وثيقة رقم (٦)

تقرير عن [illegible]

أن قيادة الضباط والجنود [illegible] في [illegible] ... [illegible] :

أين هي الفرقة ١٨ ؟

... ان منطقة [illegible] ويمكن ان نؤكد بما [illegible] الفرقة [illegible] ان [illegible]

وتتوزع الفرقة كالآتي :

مقر الفرقة ١٨ : عمان [وهي تتشكل من الالوية (١٥٠) و (١٥١) و (١٥٢)]
مقر اللواء ١٥٠ : عمان
ومقر ل ١٥١ : الزرقاء
ومقر ل ١٥٢ : الكرك

وكل لواء يتشكل من ثلاثة أفواج

فوج [illegible] من ل ١٥٠ : في جسر [illegible] [illegible]
ومقر [illegible] من ل ١٥٠ : عمان [ووظيفة هذا الفوج [illegible] من عمان [illegible]]
ومقر [illegible] من ل ١٥٠ : عمان
ومقر [illegible] من ل ١٥١ : [illegible] [ووظيفة هذا الفوج [illegible]]
ومقر [illegible] من ل ١٥١ : في [illegible] [illegible]
ومقر [illegible] من ل ١٥١ : [illegible] [illegible]
ومقر [illegible] من ل ١٥٢ : الكرك [ومهمة هذا الفوج [illegible]]
ومقر [illegible] من ل ١٥٢ : [illegible]
ومقر [illegible] من ل ١٥٢ : [illegible]

والفرقة [illegible] :

[illegible] : في [illegible] [ووظيفة [illegible]]
[illegible] من ل [illegible] : في عمان

وفي الزرقاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
منطقة [illegible] .

اما [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

←

ولهذه الفرقة اثنا عشر [illegible] [illegible] [illegible] من هذه المنطقة [illegible] [illegible] [illegible]

ثانياً .. ان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ؟

[illegible] [[illegible] من [illegible]] [illegible] [illegible] [١٠٠٦] [illegible] [٠٠٠] [illegible]
[illegible] [illegible] ؟ وكذلك [illegible] [[illegible]] [illegible] [٥٠٠] [illegible] [illegible]

كيف كانت وقعة وادي [illegible] ؟

ثالثاً .. ان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .. وقد اشتركت في هذه [illegible] قطعات [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [[illegible]] وهذه اسماء القطعات التي اشتركت في [illegible] حسب ترتيب
[illegible] :

من [illegible] :	[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
	وفوج الرشاش
من [illegible] :	[illegible] [illegible]
	وفوج الرشاش من [illegible]
	وفوج الرشاش من [illegible]
المدافع :	[illegible] [illegible] [illegible]
	و[illegible] [illegible] [[illegible]]
من [illegible] :	[illegible]
	وفوج الرشاش
الخيالة :	[illegible] من [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

والمجموعة [illegible] اشتركوا في هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [٨٧]
[illegible] [illegible] [illegible] [٢٦٠] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

رابعاً .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

خامساً .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] :

١ .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

٢ .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] !!....

←

سابعاً .. ان هذه الفرقة التي منها الضابط [illegible] شكلت الفرقة [٦٨] سيما في فترة الرشاشة فهل يمكن فيما بعد أن تترتب عنه أخطار من هذه الفرقة مالم نبحثه من جديد [illegible] من استخدام جنود جدد [illegible] الحافظة الكرك [illegible] يوجد فيها [illegible] سوا واياد بدون شك .

بعض أخبار عمان

ثامناً .. ان قائد [الحرس في عمان] الموجود في [illegible] [illegible] كما يلي :

أ .. ان طاحونه كان مرتبطاً بقيادة البادية سابقاً فقط [illegible] وظيفة

ب .. ان مهمة هذا الطاحون [illegible] في عمان بينما قائد العدو [illegible] الأوامر [illegible] من [illegible] الشاهين [illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ج .. ان القصد من استملاك قصر الأشرف منع أتباع الشريف من الوصول الى عمان [illegible] [illegible]

د .. أرهقت [illegible] الأوامر [illegible] [illegible]

هـ .. [illegible] [illegible] [illegible] الأوامر [illegible] [illegible] [illegible] الناس

و .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ز .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كما يلي :

[illegible] [illegible] { ذهب }

[illegible]

ح .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في أقرب وقت . اهـ ...

ماذا يشيع العدو في البلاد السورية ؟

تاسعاً .. ان الاشاعات التي [illegible] في البلاد السورية [illegible] العدو بحركتنا العربية [illegible] [illegible] سوريا [illegible] [illegible] الثورة العربية [illegible] [illegible] [illegible] سوريا [illegible] [illegible] الا [illegible] . اهـ [illegible]

ضابط [illegible]

[illegible]

ملحق رقم ٣
وثائق خاصة بجنوب غربي الجزيرة العربية

مجموعة الوثائق رقم ١ : وثائق عن بعض قرارات السلطات البريطانية فى عدن حول السياسة الواجب اتباعها فى جنوب البحر الأحمر، وما يختص بكيفية التعامل مع موانئ عسير.

المصدر : (P.R.O) F.O 371/2481-2769

وثيقة رقم ٢ : صورة لتقرير بعثة المقيم السياسى فى عدن الجنرال برايس Price حول زيارة الضابط برادشو Bradshaw إلى الأدريسي، وتاريخ الرسالة ٢٩ يناير ١٩١٦م.

وثيقة رقم ٣ : صورة لتقرير آخر بعثة المقيم السياسي فى غدن الجنرال برايس فى ٢٧ يناير ١٩١٦م حول زيارة هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم إلى الأدريسي والتقرير الذي كتبه جاكوب عن هذه الزيارة

المصدر : (P.R.O) F.O 371/2769

وثيقة رقم ٤ : صورة لتقرير بعثة والتون Walton المقيم بالإنابة في عدن مرفق به التقرير الذي كتبه هارولد جاكوب عن الوضع السياسي في المحميات وما وراء حدودها أثناء الحرب العالمية وتاريخ كتابة تقرير جاكوب فى ١٠ مارس ١٩١٦م.

المصدر : (P.R.O) F.O 371/2769

وثيقة رقم ٥ : صورة لتقرير بعثة والتون من عدن إلى حكومة الهند، ومرفق به تقرير كتبه الكولونيل واهوب Wauhope عن حدود محمية عدن، وتقرير آخر كتبه هارولد جاكوب عن الوضع السياسي فى المنطقة المحاذية

للمحميات.

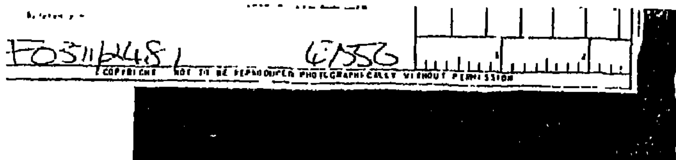
المصدر : (P.R.O) F.O 371/2770

وثيقة رقم ٦ : صورة لمجموعة وثائقية تحوي مراسلات بريطانيا مع الأدريسي وتتضمن المعاهدات التي تمت بين الطرفين.

المصدر : (P.R.O) F.O 371/3414

وثيقة رقم ٧ : صورة لمجموعة وثائقية تحوي اتصالات وتعهدات شيخ ماويه مع بريطانيا

المصدر : (P.R.O) F.O 371/3417



371

ملحق رقم (٣)
وثائق رقم (١)

No.C.813.

POLICY TO BE FOLLOWED ON THE RED SEA ARABIAN LITTORAL BY HIS MAJESTY'S WARSHIPS OF THE SOUTHERN PATROL.

---

1. After 15th November 1915 no further traffic by dhows will be allowed from Aden, Perim and Kamaran to any Arabian ports.

2. All goods from Aden to Idrisi port of Medi, and vice versa will be carried by Cowasjee Dinshaw & Bros' steamers.

3. No other Southern Red Sea Arabian port will thereafter be open for trade.

4. Perim has occasionally traded with Zaila but this trade will be stopped after communication with Commissioner, Barbera, who is being asked to stop dhows from Somaliland plying to any Red Sea or Aden Gulf port between Perim and Aden.

5. This revised policy will be communicated to the French and Italian Governments at Djibouti and Massowah respectively who, it is believed, will readily coincide with the new programme. Some little time will necessarily elapse before views are exchanged, and therefore some leniency will be necessary as regards a strict application of the time limit as per paragraph 1. It will be proposed to Foreign Governments that their dhows plying to Medi should report to Port Officer at Kamaran en route and that it is to our mutual interests that this course be taken so as to minimise the possibility of trade at enemy ports en route.

6. The same remark will apply to import trade to Aden from such ports as Ghuleifika, Taif and Mokha. This ...ll it is expected die a natural death now that no

←

goods are exported there from Aden, but some discretion is necessary till such time as our policy becomes known. It is understood however, that if hereafter such trade is feasible, it will be carried solely by Cowasjee Dinshaw & Bros' steamers.

7. All dhows found transgressing these orders after 15th instant will be detained by our Naval patrols.

(Sd.) C.H.U.Price, Brigadier-General,
Political Resident and General Officer Commanding, Aden Brigade.

ADEN RESIDENCY,
5th November 1915.



SECRET.

From Brigadier General C. H. U. Price, C.B., D.S.O., Political Resident, Aden, to the Secretary to Government, Political Department, Bombay.

No. C. 95

Aden Residency,
29th January 1916.

Sir,

In continuation of my letter No. C. 80, dated the 27th January 1916, I have the honour to forward herewith copy of a letter No. 1657 G.O., dated 29th idem, from the General Officer Commanding, Aden, to the Chief of General Staff, Delhi, forwarding a report from the General Staff Officer, Aden Brigade, who accompanied Colonel Jacob on his recent visit to the Idrisi Sayyid.

I am forwarding copies of this letter and its accompaniments direct to His Majesty's Secretary of State for India, the Foreign and Political Department, Delhi, and His Britannic Majesty's High Commissioner, Cairo.

I have, &c.,
C. H. U. Price, *Brigadier-General,*
Political Resident, Aden.

Aden Residency,
29th January 1916.

No. C. 96.

Copy forwarded, with compliments, to His Majesty's Secretary of State for India, London.

I have, &c.,
C. H. U. Price, *Brigadier-General,*
Political Resident, Aden.

From the General Officer Commanding, Aden, to the Chief of the General Staff, Army Headquarters, Delhi, India.

1657-55 G.O.

Headquarters, Aden,
29th January 1916.

Sir,

With reference to my telegram No. 167 A.P. of 3rd instant, I have the honour to submit an extract of a report by Major C. R. Bradshaw, General Staff, Aden, on the Idrissi movement from a military point of view.

2. During November last, the Idrissi informed us of his dispositions, from which it was understood that his intention was to seize Lohaya. He was offered naval co-operation to achieve this object. He pointed out that though the Turks lightly held that place, they assured its safety by the presence of Turkish-Arab forces, well equipped in guns, in strong natural positions flanking his communications to the east and south, and though seizure of the town by coup-de-main would not be a difficult operation, it would result in his own discomfiture, unless his enemies were first ousted from their positions in the hill tracts, which he was not strong enough to effect. This summed up his appreciation of the situation.

3. Shortly after, his force was pressed back to its present position. It is apparent that the Idrissi has no thought of resuming the offensive. He is devoting his attention to consolidating his political influence, and to winning over influential tribes, through the assistance offered to him by our treaty and trade policy.



SECRET

From Brigadier-General C. H. U. Price, C.B., D.S.O., Political Resident, Aden, to the Secretary to Government, Political Department, Bombay.

No. C. 80

Aden Residency,
27th January 1916.

Sir,

I have the honour to forward, with reference to my telegram No. 167 A.P. of 3rd January 1916, an interesting report of Lieutenant-Colonel H. F. Jacob, First Assistant Resident, on his visit, as my representative, to the Idrisi. I have forwarded copies of the report and of this letter direct to Foreign Department, Delhi, His Britannic Majesty's High Commissioner, Cairo, and His Majesty's Secretary of State for India. The Idrisi welcomed Lieutenant-Colonel Jacob and the officers who accompanied him most cordially, and I am confident that the mission and the reciprocation of views will bear good results.

2. The clauses of our Trade Policy were fully discussed seriatim. I am glad to say that the Idrisi is in accord with the terms of the policy, which are given in the accompanying Schedule. I trust they will meet with approval.

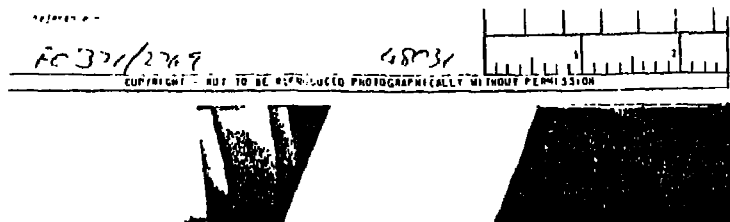
3. I was desirous of the question of trade between Idrisi ports and Jeddah being discussed, in which connection the Southern Red Sea Patrol has experienced some difficulty in controlling dhow traffic. The reasons being that while our Policy prohibits dhows plying between ports in this Administration and ports on the Southern Red Sea coast line, and while control has been assured over such traffic from Somaliland, French, and Italian ports, yet it does not interfere with dhows from ports in the Northern Red Sea area, including Jeddah, trading with Idrisi ports, and under which pretence there is little doubt they run their goods into enemy ports.

It was known, also, that the Idrisi was embarrassed by this exemption, as facilities were afforded to his own dhows to smuggle goods into enemy ports lying towards Jeddah.

This question was discussed, therefore, and it is noticed that the Idrisi appreciates the advantages, generally, of prohibiting this trade. It would seem that his apparent objection to its cessation is based on material grounds, affecting the interests of his people in depriving them of a source of cheaper grain. In the circumstances it is advisable to drop the matter.

4. The export of kerosine oil to Mocha has been engaging my attention for some time. We have reduced consignments from Aden to within reasonable limits. The French and Italian authorities have met my representations and requests on this matter in a cordial spirit. I have addressed, also, the High Commissioner, Egypt in connection with this export trade from ports in the Northern Red Sea area.

5. I am not in favour, at present, of exempting any of the enemy ports from the restrictions imposed by the trade Policy. We have experienced some disappointment already in this respect. From all information I have received the Arabs lay all the blame for their troubles upon the Turks and



Report of a Visit to the Idrisi Saiyid Muhammad Bin Ali Bin Muhammad Bin Ahmed at Jezan.

As representative of the Political Resident, Aden, I arrived in H.M.S. *Minto* Commander Crauford, R.N., at Jezan, at 12.30 noon on 6th instant. I was accompanied by Colonel Wauhope, C.B., C.M.G., C.I.E., R.E. who sought topographical information, and Major Bradshaw, General Staff Officer who came to discover the military situation. The Political Resident's letter of introduction was taken ashore, and later in the day Muhammad bin Yahya Ba Sahi, the Idrisi's Wazir, came aboard to give us welcome and to tender sheep and fowls as a present from the Idrisi. He said his master would see us after dark and on shore. I found that this manoeuvre was due to the Idrisi's desire to disarm his people's prejudice against the foreigner. I remarked that the whole countryside knew of the treaty between the Idrisi and British Government and the close nexus and friendship existing, and proved by the monopoly given to the Idrisi *qua* opening of his ports alone to traffic from Aden, Djibouti, Massawa, and Assab. It is a commonplace that this preferential treatment has greatly enhanced the Idrisi's prestige and importance in the Arab world. Earlier in the war certain of the Idrisi's tribesmen, it is said, were averse to his fighting the Turks, and although now the Turk has fallen in Arab estimation, the Idrisi thought it better not to deal too openly with non-Moslems lest the old feeling for the Turks should be re-awakened. Again, the *rôle* of the Idrisi is [illegible] and too great a familiarity with us might be misinterpreted. To tell the truth, the Idrisi feared loss of caste. It is a fact, however, that during his part with Italy, no Italian officers were allowed to land on Idrisi soil, and before our arrival at Jezan, the only privileged person to land had been Commander Crauford of H.M.S. *Minto* on two occasions. For the same reasons the Idrisi would not board the *Minto*.

We got ashore after 6.30 p.m., when two or three officials met us and conducted us to a house hard by, where upstairs in an anteroom the Idrisi met us standing, and after salutations conducted us to an inner room where, himself seated on a couch, he gave us places on chairs each side. (The party included Commander Crauford, R.N., who was there to watch naval interests.) His Wazir, Ba Sahi, was in attendance. This Minister will not allow his master to discuss matters except in his presence. I have known Ba Sahi for several years, and have met him often in Aden. My impression is that the Idrisi depends on his advice and judgment. The Idrisi himself told me that all maritime and shipping affairs were in Ba Sahi's hands, that he himself managed affairs inland. All through the interview, which lasted three hours, the Idrisi constantly turned to his Minister to seek corroboration of his views, and on many a subject broached he would say "For this, please deal with Ba Sahi."

I had an opportunity after the interview to talk a few minutes alone with the Idrisi. I asked him if Ba Sahi were not serving his own interests rather than his master's. He replied rather dubiously and asked if I had any suspicion. He asserted that Ba Sahi was a good man. I quoted the tradition "Al Mustashar Mutaman," *i.e.*, "It is incumbent to trust one whose advice you seek." The Idrisi felt relieved and said these were his sentiments. I shall touch on Ba Sahi again later.

Southern Red Sea Patrol Policy. I discussed the revised Red Sea patrol policy of 7th December 1914. The Idrisi asked that Khor al Birk and not Ras Turfa be regarded as the northern limit of his coastal area for trade and Haid as the southerly point, though he claims that his territory extends from Hali Point to Lohaiya, a little south of Haid. The trade between ports in the area he considers a most valuable asset to secure the goodwill of his maritime subjects. He was confident that no supplies could reach



ملحق رقم (٣)
وثيقة رقم (٤)

SECRET.

No. C. 273.

From Brigadier-General William C. Walton, Acting Political Resident, Aden, to the Secretary to Government, Political Department, Bombay.

Aden Residency,
14th March 1916.

Sir,

I have the honour to forward herewith a Note on the present political situation in our Hinterland and beyond the Border, by Lieutenant-Colonel Jacob, First Assistant Resident, and to state that I am in general agreement with his views.

2. If I may say so, our past policy in this part of the world appears, for some reason of which I am not aware, to have been based on passive principles corresponding to and probably partially accounting for our present military role of "passive defence."

3. As a result of the world war, the past will remain in history sharply divided from the future, and each will receive judgment on its merits.

The present, being the child of the past, must inherit its qualities. The passive defence cannot now be changed until the Imperial Military situation permits. The sooner the better. But, at least, the foundations of a future policy may be laid now.

4. To me, if I may say so without presumption, it seems as necessary in South Arabia as ever it was in India or Egypt, that we should undertake "the white man's burden," and accomplish our mission by means of gradual, masterful penetration, including the construction of roads, railways, schools, hospitals, &c., and the maintenance of law and the *pax Britannica*.

If we do not, other white men, less conscientious perhaps, but more alert, will, before long, claim the responsibility and the right to open up this country to free traffic and to civilization.

To sum up, I advocate for political as well as military reasons the *immediate* commencement and further continuation, in accordance with the situation, of roads and railways on a pre-arranged scheme, with a final view to the proper government and protection of our Protectorate.

5. It seems improbable that Government can have already determined what is to be their future policy in the Yemen, but I feel sure that an early indication of what is to come would be of great value.

I have, &c.,
WILLIAM C. WALTON,
Brigadier-General,
Acting Political Resident, Aden.

Present Political Situation in our Hinterland and beyond the Border.

1. Since the fall of Lahej on 4th July 1915 our prestige has naturally been on the wane. No Arab loves the Turk, whose rule is strict and relentless. The Arab does not love us, but it is just a matter of comparative treatment. He receives our doles, and is not going to forgo this concession in return for a very nebulous compensation from elsewhere.

2. Since the fate of Lahej we are now to-day confronted with the following facts :-

The Haushabi Sultan, through whose country the Turks passed *en route*, is now Turkish. So is the entire tract of Subehi country and the many Sheikhs. Amir Nasr, of Dala, too, has gone over and draws a Turkish stipend. Some of the Shairi villages and Sheikhs have followed suit; also the Hill of Jihaf. The Mawri Sheikh had to go to Lahej owing to Turkish pressure. The principal Sheikh of the Radfan coterie Muhammad Saleh the Kotaibi declares for us, but is apprehensive of a Turkish incursion after seeing the fate of the Shairi village of Al Malaha and the plight of those on the Dala plateau. His nephew went to Lahej to treat and temporise with the Pasha.

The Fadli Sultan, urged by fear, and seeing what befell the Abdali at Lahej, answered the Pasha's call to Lahej. We protested at his action, and in fact we checked the Turkish advance on Harur by the reconnaissance of 12th January 1916, when the Turks had the worst of the engagement. We shall not blame Sultan Husein for this defection if we view things through his spectacles. He knows of our power in ordinary times, but he sees us engaged all over the globe, and has noted our withdrawal from Gallipoli and the present impasse at Kut-al-Amara. So far as his own tract is concerned the Turks are in closer touch with him. "The Arab's intellect," as their proverb puts it, "lies in his eyes." He has no future and makes no forecast.

The late Sultan of the Bani Kasid (Lower Yafa) was anti-British and anti-Fadli alike. The newly elected Sultan is an unknown quantity. He is said to be a Turcophobe. He has no incentive to join us at this juncture. His tribesmen are out of hand. Several of the various clans have addressed us to know our policy

Some of the Upper Yafa non-stipendiaries have long resented their exclusion from our circle of friends, *i.e.*, recipients of doles, for democratic Arabia owns no superior, and cannot understand our choice of friends not always a happy one. Goaded by the non-recognition of their claims, these malcontents have for long been in touch with the Imam of Sana, and the descent of the Turkish forces opened an avenue for securing loot and some monetary consideration from the Pasha.

The Beda Sultanate is hedged in by a coterie of tribesmen, of whom the Humekani and Azzani are the most influential. The former have been for some time past in communication with the Imam. The new Sultan has not

ملحق رقم (٣)
وثيقة رقم (٥)

B. 231.

SECRET.

THE ADEN PROTECTORATE.

Letter from the General Officer Commanding, Aden, to the Secretary to the Government of India, Foreign Department, dated 13th May 1916.

Sir,

The attached note was made at my request by Colonel R. A. Wauhope, R.E., C.B., C.M.G., after conversation with me.

I also attach a note on the Political aspect of affairs in the Yemen by Lieutenant-Colonel H. Jacob, First Assistant Resident.

2. It appears to me that four alternatives present themselves for consideration as future possibilities.—

(1) To remain on the passive defence in Aden with a covering force at Sheikh Othman as at present.

(2) To advance to Lahej and occupy positions commanding the outlet from the Tiban defile along which only any military road from northwards approaches Aden.

(3) To advance to our old frontier line of protectorate delimitation, and to occupy Dala.

(4) To occupy Taiz, thus assuming a Protectorate over the whole south-west corner of the Yemen, with a new frontier line strategically and politically defensible.

3. To any or all of these may be added the occupation of Sheikh Said on the mainland opposite Perim. In the case of the adoption of propositions (1), (2) or (3), such an occupation must, almost of necessity, be added. But in the case of (4) would probably be unnecessary.

4. In the consideration of these propositions in detail a limitation is fixed by our necessary ignorance of the future. But it appears to me that, even with our present knowledge, certain conclusions may be arrived at conditionally, and that it will be of advantage to discuss these.

5.—(1) In the past it has been found practically impossible to regard Aden as an isolated post disconnected from the hinterland.

In the future it will be found even more difficult to regard it from this point of view. It seems likely that persistence in such a policy may lead to very serious complications with European Powers.

From a military point of view the Sheikh Othman position does not afford any natural defence, and does not give sufficient elbow-room for operations of any importance. Politically it is ineffective. Any further discussion of this proposition appears unnecessary, as I feel sure that no authority would recommend its adoption except as a last alternative.

(2) Lahej offers a position with a better radius of action for any troops stationed there. It is closer to Aden than any other centre at which a hostile force could collect for an attack on Aden, provided Sheikh Othman is held. It therefore offers the advantage of interior lines as compared with other centres, and it could be safely held. It is well situated for controlling the Arabs of the coast. If the Arabs be joined in strength by the Turks, or by the Imam's forces, it offers a position blocking the approaches to Aden.

The only line that offers any advantages to a force advancing from the north as a line of communication is that from Mavia and Taiz by the W. Warezan and W. Akhan routes converging in the W. Tiban route.

It is only by this route that water for any force larger than a battalion can be found. The Turks and Arabs have no organised system of supply,

ملحق رقم (٣)
وثيقة رقم (٦)

[This Document is the Property of His Britannic Majesty's Government.]

SECRET.

183771

POLITICAL INTELLIGENCE DEPARTMENT,
FOREIGN OFFICE.

Special No. 4.

350

MEMORANDUM ON BRITISH COMMITMENTS TO THE IDRISI.

THE Idrisi had for many years before the war been *de facto* the independent ruler of a tract of the Arabian Peninsula on the borders of Asir and Yemen. From this tract he had effectively excluded the Turks, with whom he was in a chronic state of war, and during the Turco-Italian war of 1911–12 the Italians entered into relations with him, and supplied him with arms.

On the other hand, his independence had never been recognised by foreign Powers; and in the division of the Arabian Peninsula into a Turkish and a British sphere, effected by the Anglo-Turkish Conventions of the 29th July, 1913, and 9th March, 1914,* the Idrisi's country was implicitly recognised by His Majesty's Government as being under the sovereignty of Turkey.

The fact, however, that the Idrisi possessed a coastline and two ports—Meidi and Jezan—over which the Turks had no control, brought him into direct relations with foreign governments on commercial matters, and he was thus in touch with His Majesty's Resident at Aden.†

In August 1914 he sent his Minister to Aden to discover His Majesty's Government's attitude towards him (in view, no doubt, of the Anglo-Turkish Convention concluded shortly before). And he again had a confidential agent at Aden in September 1914.‡ At that time Turkey had not intervened in the war, but her attitude was already threatening, and on the 11th September, 1914, the Resident at Aden accordingly telegraphed to Bombay suggesting that overtures to the Idrisi should be made by His Majesty's Government on the following lines:—

> "We could make Idrisi an offer of protection and friendship and a distinct adjudication of his claims against Imam; we could also make over to him Farsan, which was his property once and which was taken by Porte; also we would leave open his ports Meidi, Habl, and Djezan."

The Idrisi, the Turks, and the Imam of Sanaa were engaged in a three-cornered duel, and, in the event of war with Turkey, it was clearly His Majesty's Government's interest to obtain the co-operation against the Turks of at least one, and if possible both, of the two Arab rulers. The Turks, however, made a very high bid for the Imam's friendship, and it rapidly became clear that he would not take sides with us against them. In these circumstances the establishment of relations with the Idrisi became essential.

On the 30th October, 1914, the Resident telegraphed to the Government of India reporting that the Idrisi's agent had assured him that the Idrisi had not come to terms with the Imam and would never do so with the Turks, and proposing that a verbal message should be sent him through the agent.§

This proposal was transmitted by the Viceroy to the India Office in a telegram of the 1st November, 1914‖:—

> "It seems desirable that negotiations with Idrisi's agent should immediately be commenced by Resident on lines proposed in his telegram of the 11th ultimo with these modifications. He should offer our protection and friendship and good offices to Idrisi, but not adjudication in settlement of differences with Imam, also protection of his ports Djezan, Meidi, and Habl. Restoration to him of Farsan in event of war might be hinted but not promised by Resident. In negotiating with Idrisi Resident should be warned to do nothing likely finally to estrange Imam, who appears to be wavering."

* See Draft of despatch dated August 1914, to His Majesty's Ambassador at Constantinople.
† [illegible] to trade between Aden and Idrisi's ports in [illegible]
‡ [illegible]/14 and [illegible]22/15 (reprint of correspondence communicated by Government of India).
§ [illegible] 1914
‖ [illegible]/14 and [illegible]/14.

[illegible] B

ملحق رقم (٣)
وثيقة رقم (٧)

[This Document is the Property of His Britannic Majesty's Government.]

SECRET

POLITICAL INTELLIGENCE DEPARTMENT,
FOREIGN OFFICE.

Special 6.

MEMORANDUM ON BRITISH COMMITMENTS TO THE SHEIKH OF MAVIA.

SHEIKH BIN NASIR MUKBIL of Mavia is the most important local ruler on the Turkish side of the Aden-Yemen border, as laid down in the Anglo-Turkish Convention of the 9th March, 1914 "His jurisdiction extends from Kataba (on the plateau) down to Sheikh Said, and he can control Ahmed Noman in that neutral zone."*

The neutral zone referred to is of course the Yellow Area of the 1914 Convention, which is of vital strategical importance in connection with the control of the Red Sea, and which Turkey pledged herself not to alienate.

Mavia was thus recognised by us as falling within the sphere of Turkish sovereignty, and he held his chieftainship, with a stipend, as a Turkish kaimakam (21061/15).

His Majesty's Government's negotiations with Mavia were started at a later stage than those with the Idrisi, at a date when Turkey had already intervened in the war, and when the Imam's intention of adopting a neutrality unfriendly to Great Britain had become more or less apparent. Mavia took the initiative by writing a letter to His Majesty's Resident at Aden which was reported by the latter in a telegram of the 17th December, 1914 (81480/14):—

> "Powerful Sheikh Bin Nasir Mukbil, hereinafter to be styled Mavia, writes praising our goodwill to Arabs and desire of pact between himself and Abdali Sultan, provided that we guarantee his independence thereafter. I have just received deputation of Mavia's agent and the influential Haj Ali Nasir al Kamaran . Mavia and Abdali Sultan wish to make an offensive and defensive alliance, which would gain support of all our protected chiefs. If backed by us, and his independence under us guaranteed, Mavia will break away from Turks at once."

This was commented upon as follows by the Government of India in a telegram of the 20th December, 1914, to the India Office (87040/14):—

> "The proposed alliance between Mavia and Abdali, although it is not usual in the case of protected chiefs, should, we consider, be countenanced in the special circumstances, and the independence of Mavia, under the protection of Great Britain, at the close of the war should be guaranteed by Government. It should be made clear, however, that at present we have no intention of giving these chiefs support in offensive operations, but will merely help them to protect and pacify their territories by granting them arms, ammunition, and money, and that, unless Sheikh Said is used for the purpose of making an attack on Perim, we shall take no further action against it."

On the 28th December, 1914, the India Office telegraphed in regard to this to the Government of India (139./15):—

> "Your proposals are approved. . . . I understand from Resident's telegram that Mavia may be expected to get the Turks out of Sheikh Said."

On the 2nd February, 1915, however, the Turks invaded the Aden Protectorate, and the effect of this development upon our negotiations with Mavia was discussed by the Resident in a telegram dated the 8th February, 1915 (15601/15):—

> "Turks and Imam's troops crossed the frontier and were encamped within 7 miles Dala 2nd February. Amir Nasir is with Turks. He has been deposed by his people, who are prepared to resist invasion, but urgently press for assistance of arms and ammunition and presence of our troops. I can supply arms and ammunition.

* Telegram of the 17th December 1914, from the Resident at Aden, in 81480/14.

[1936]

ملحق رقم ٤
الخرائط

أولاً ـ خرائط وثائقية

خريطة رقم ١ - المصدر (P.R.O) F.O 371/3393

خريطة رقم ٢ - المصدر (P.R.O) F.O 371/2776

خريطة رقم ٣ - المصدر بويوك حريدة حربي، جلد لاحقه ٢٩ - ترتيب قائمقام محمد نهاد. استانبول عسكرى مطبعة ١٩٢٨م.

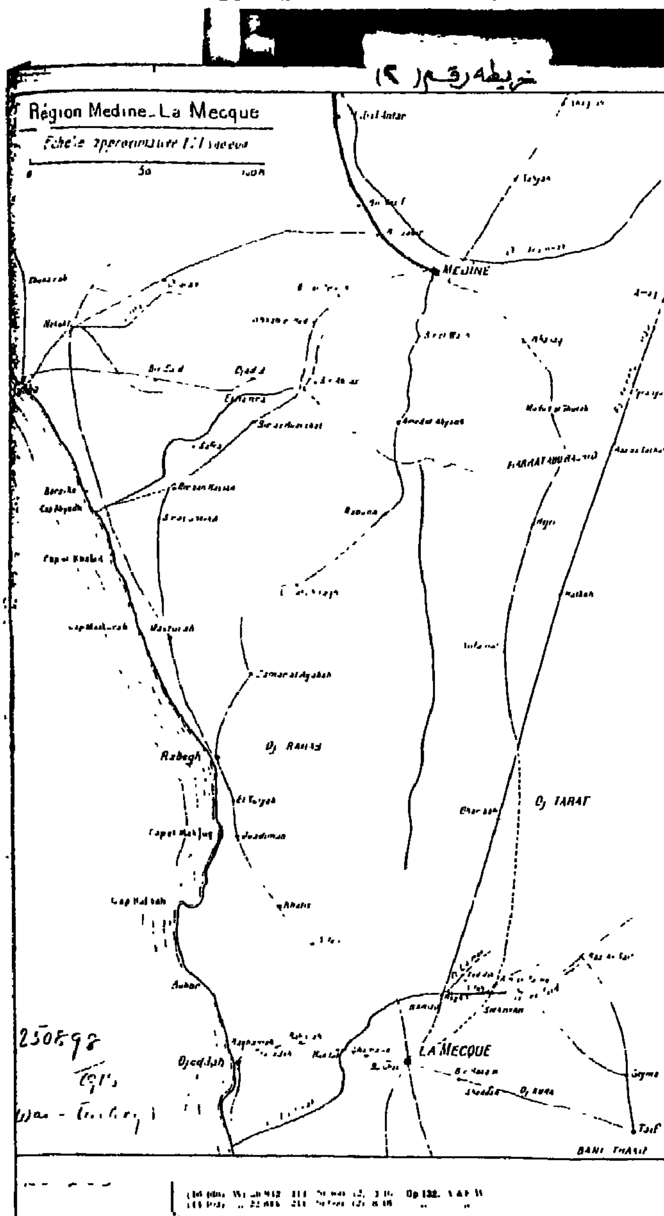
خريطة رقم ٤ - منطقة البحر الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى.

خريطة رقم (1)

402

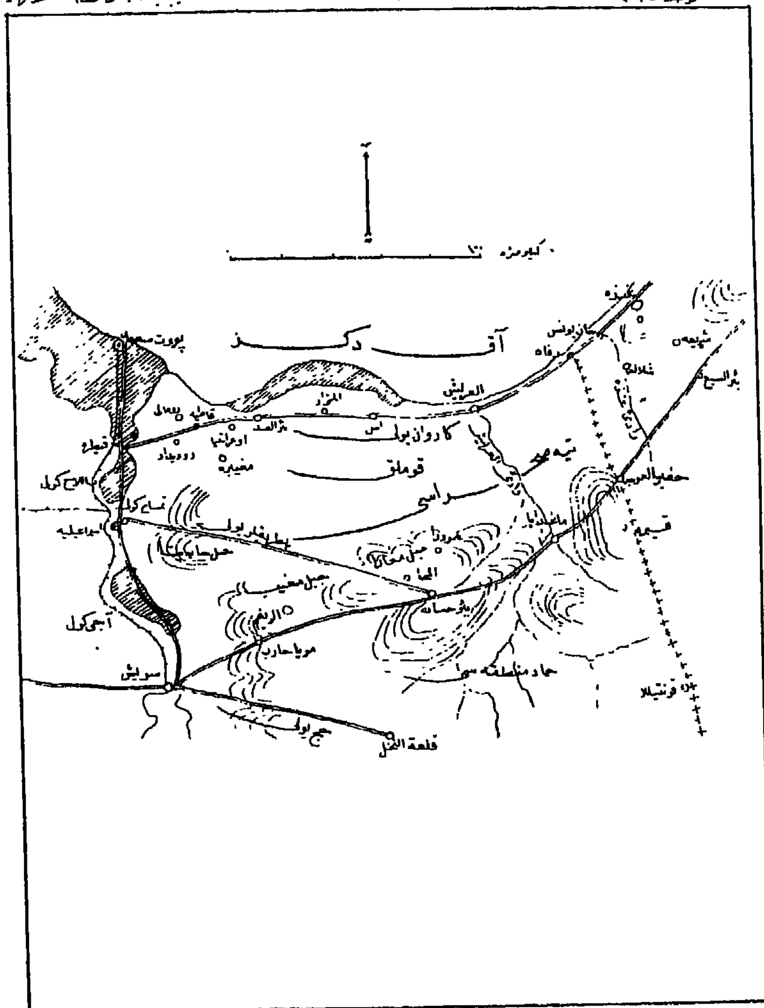
TRIBAL MAP OF ARABIA

FO 371/2776

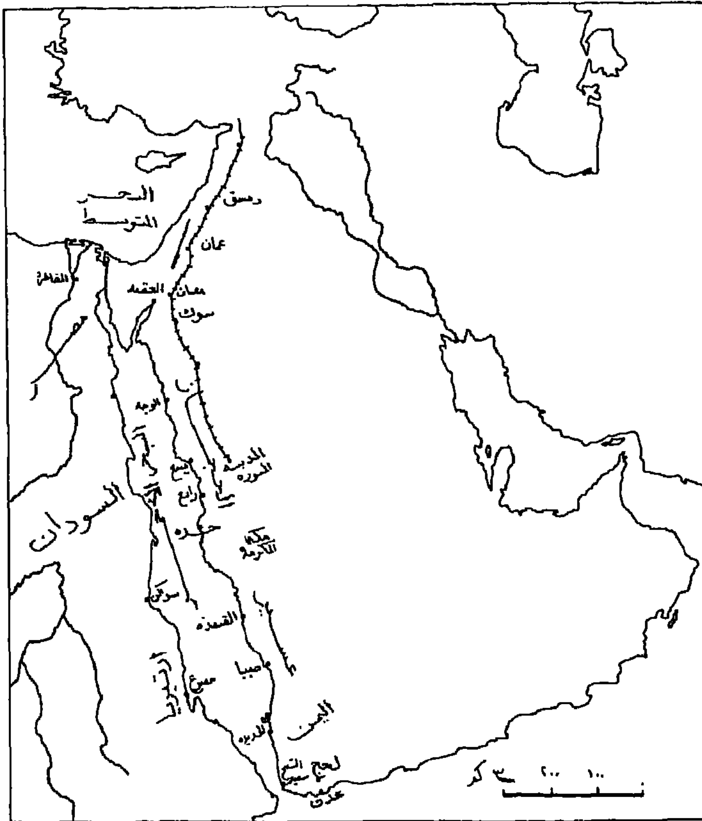


خريطة رقم (٢)
Région Medine_La Mecque
MEDINE
Rabegh
Dj RAHAS
Dj TARAT
Djeddah
LA MECQUE
Taif
BANI THAKIF

خريطه رقم (٣)



خريطة رقم (٤)



منطقة البحر الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى

قائمة
المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : وثائق دار السجلات العامة ببريطانيا

Public Records Office (P.R.O)

١ – وثائق غير منشورة من وزارة الخارجية Foreign Office F.O السلسلة رقم (371)

رجعت إلى الملفات التالية :

1922, 1963, 1065, 1968, 1970, 1971, 1972, 1973,
2130, 2131, 2132, 2134, 2137, 2138, 2139,
2140, 2142, 2143, 2144, 2145, 2349, 2357, 2478, 2479,
2480, 2481, 2483, 2485, 2486, 2487, 2489,
2490, 2492, 2669, 2670, 2670, 2767, 2768, 2769, 2770,
2771, 2773, 2774, 2775, 2776, 2778, 2779,
2781, 3042, 3044, 3046, 3047, 3049, 3051, 3052, 3054,
3055, 3056, 3058, 3060, 3061, 3080, 3199,
3380, 3384, 3390, 3392, 3393, 3394, 3403, 3408, 3413,
3414.

٢– وثائق غير منشورة من وزارة المستعمرات Colonial Office

CO 535/39

CO 535/44

٣– وثائق غير منشورة من وزارة الحرب War Office W.O

WO 95/4360

ثانياً : وثائق سجلات وزارة الهند India Office Records (I.O.R)

١– غير منشورة

L/P & S/11/113

L/P & S/10/558

٢- مطبوعة فى شكل كتب

- L/P & S/20/E 77, The Red Sea and Gulf of Aden Pilot, Sixth Edition, The Admiralty, London, 1909.

- L/P & S/20/E 55, Military Report on the Aden Protectorate General Staff, India, Simla, 1915.

- L/P & S/20/E 80, Handbook of Yemen, First Edition Arab Bureau, Cairo, 1917.

- L/P & S/20/E 81, Handbook of Hejaz, Second Edition Arab Bureau, Cairo, 1917.

- L/P 'S/20/E 85, Arabia, 1919.

ثالثاً : وثائق مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة اكسفورد :

- U.O.O, M.E.C., DS/25. 3 W. 45, Faisal Akaba Archive.

- DS 43./F4, Documents from Syrian Archive on Feisal's Rule in Damascus, 1919-1920.

- DS. 244. 4.

رابعاً : وثائق دار الوثائق القومية بالقلعة (القاهرة) :

- محفوظات مجلس الوزراء، نظارة الخارجية

- المحفظة ٩ أ، المجموعة ٢١.

- المحفظة ٩ ب، المجموعة ٣٨١.

خامساً : وثائق منشورة :

- AITCHISOM, C.U., (ED) ACOLLECTION OF TREATIES, ENGAGEMENTS AND SANADS, VOL XI, KRAUS REPRINT, NENDELN, 1973.

- GOOCH, G.P. and Temperley, H. (ed) British Documents on the Origins of the War 1898-1914, Vol., X Part II, London 1938.

- Hurewitz, J.C., (ed), The Middle East and North Africa in World Politics, Second Edition, 2 Vols, New Hven and London, 1975.

سادساً : مصادر ومراجع باللغة العربية

أ- كتب :

- أحمد حسين شرف الدين

اليمن عبر التاريخ، الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٠٠هـ.

- أحمد شفيق باشا

مذكراتي فى نصف قرن، جـ ٢، جـ ٣، الطبعة الأولى، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٦.

- أحمد رؤوف بك

كيف دخلت تركيا الحرب العالمية، تعريب فؤاد ميدانى، نشرت تباعاً فى جريدة الأحرار، بيروت : ١٩٣٢.

- أحمد عبد الرحيم مصطفى

علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو إسماعيل، دار المعارف ١٩٦٧.

مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦-١٨٨٢، دار المعارف بمصر ١٩٦٥.

تاريخ مصر السياسى من الإحتلال إلى المعاهدة، دار المعارف ١٩٦٧.

- أحمد فضل بن علي محسن العبدلي،

هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت، ١٤٠٠هـ. وهو من المصادر العربية الهامة عن أحداث لحج

ومحميات عدن الأخرى خلال الحرب العالمية الأولى، حيث عاصر المؤلف أحداث هذه الفترة.

- أسعد داغر

مذكراتى على هامش القضية العربية، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ب. ت.

- أمين الريحانى

ملوك العرب، جـ ١-٢، الطبعة الأولى للمجموعة العربية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

- أمين سعيد

ثورات العرب فى القرن العشرين، دار الهلال، مصر.

الثورة العربية الكبرى، جـ ١، دار احياء الكتب العربية، مصر.

أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، دار الكاتب العربي، ب. ت.

- أمين محمود عبد الله

الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر، المطبعة الحديثة، أسيوط ١٩٧١.

- أنور الرفاعي، وآخرون

جزيرة العرب جغرافيا، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والآداب، دمشق ١٩٤٩.

- أنور عبد العليم، البحار والمحيطات، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ب. ت.

- توفيق علي برو

العرب والترك فى العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، ١٩٦٠.

- جـاد طـه

سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٩.

- أ.ج. جرانت، وهارولد تمبرلي

أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠، ترجمة محمد علي أبو دره ولويس إسكندر، جـ ٢، سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٨.

- جلال يحيي ومحمد نصر مهنا

مشكلة القرن الأفريقى وقضية شعب الصومال، دار المعارف، مصر، ١٩٨١.

- جمال باشا

مذكرات جمال باشا، تعريب علي أحمد شكري، مكتبة الهلال، القاهرة، ١٩٢٣. وهو من المصادر العثمانية الهامة.

- جمال باشا (الصغير)

كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب، ترجمة فؤاد ميداني، بيروت، ١٩٣٢. وهو من المصادر العثمانية الهامة حيث شارك المؤلف فى أحداث المنطقة أثناء الحرب، وعمل فى عدة مناصب عسكرية فى سوريا والحجاز. وضمن هذه المذكرات العديد من البرقيات المتبادلة مع القيادات العثمانية فى إستانبول.

- جورج أنطونيوس

يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨.

- الجيش الرابع

إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرت تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه، نشرت من قِبل القائد العام للجيش الرابع در عليه، مطبعة الطنين، ١٣٣٤هـ.

- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني

صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٤هـ.

- حسين صبري الخولي

سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين، المجلد الأول، دار المعارف بمصر،١٩٧٣م.

- حسن قنديل (بكباشي)

فتح دارفور سنة ١٩١٦م ونبذة عن تاريخ سلطانها علي دينار، الإسكندرية ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

- حسين بن محمد نصيف

ماضى الحجاز وحاضره، جـ ١، الطبعة الأولى، مكتبة خضير، مصر ١٣٤٩هـ.

- حافظ وهبه

جزيرة العرب فى القرن العشرين، الطبعة الخامسة، لجنة التأليف

والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

- خير الدين الزركلي

الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧. الأعلام، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

- رأفت غنيمي الشيخ

مصر والسودان فى العلاقات الدولية، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٩.

- راشد البراوي

الصومال الكبير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦١.

- زين نور الدين زين

الصـراع الدولي فى الشـرق الأوسط وولادة دولتي سـوريا ولبنان، الطبعة الثانية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧.

- ساطع الحصري

البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥.

- السلطان عبد الحميد

مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة محمد حرب عبد الحميد، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٨م.

مذكراتى السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٧م.

- سليمان موسى

الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤، الطبعة الثانية، دار النهار، بيروت،

١٩٧٧. المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨، الثورة العربية الكبرى، المجلد الأول، الطبعة الأولى عمان، ١٩٧٣.

- سمعان بطرس فرج الله

العلاقات السياسية الدولية فى القرن العشرين، جـ ١، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤.

- السيد محمد رجب حراز

التوسع الإيطالي فى شرق إفريقيا وتأسيس مستعمرتي أرتيريا والصومال، جامعة القاهرة، ١٩٦٠.

- السيد مصطفى سالم

الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥، القاهرة ١٩٦٩. تكوين اليمن الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٧١.

- شرف بن عبد المحسن البركاتي

الرحلة اليمانية لصاحب الدولة أمير مكة المكرمة الشريف حسين باشا مع جغرافية البلاد العربية وأسماء قبائلها، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٤هـ.

- شكرى محمود نديم (العميد الركن)

حرب فلسطين ١٩١٤-١٩١٨، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥.

- شمس الدين ابي عبد الله محمد ابي طالب الدمشقي

نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، ب. ت.

- شوقى عطا الله الجمل

سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع

عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

- طالب محمد وهيم

مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥، دراسة فى الأوضاع السياسية، الطبعة الأولى، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٢.

- الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي

جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، الطبعة الأولى، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر، ١٩٥٠م.

- عبد الراحمن الرافعي بك

ثورة ١٩١٩-تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى ١٩٢١، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٦.

- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

معالم التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر، الطبعة الثانية، دار المتنبى، الدوحة، ١٩٨٢.

النشاط التجارى فى البحر الأحمر فى العصر العثمانى ١٥١٧-١٧٩٨ بحث مقدم إلى سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس عن "البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة" (أبحاث الأسبوع العلمى الثالث مارس ١٩٧٩). القاهرة، ١٩٨٠.

- عبد الصبور مرزوق

ثائر من الصومال الملا محمد عبد الله حسن، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، ب. ت.

- عبد العزيز الشناوى

قناة السويس والتيارات السياسية التى أحاطت بإنشائها، جـ ١، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١.

- عبد العزيز الشناوى، وجلال يحيى.

وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، ١٩٦٩.

- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم

السلام البريطانى فى الخليج العربى ١٨٩٩-١٩٤٧ دراسة وثائقية، الطبعة الأولى، دار المريخ، الرياض ١٤٠٢هـ.

"سلطات الهند البريطانية والتيارات السياسية فى البحر الأحمر ١٨٢٧-١٢٤٣هـ - ١٨٧٢م/١٢٨٩هـ مجلة مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول ١٤٠٣هـ.

- عبد الله بن الحسين

الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين، الطبعة الثانية، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٩ وهو من المصادر الهامة التى تعبر عن وجهة نظر الشريف عبد الله ووالده الحسين وأحداث ثورة الحسين على الدولة العثمانية.

- عبد الواسع بن يحيى الواسعي

تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن، الطبعة الثانية، مطبعة حجازى، القاهرة، ١٩٤٧.

- على فؤاد (الجنرال التركى)

كيف غزونا مصر، ترجمة نجيب الأرمنازي، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٢. وهو من المصادر العثمانية الهامة حيث شارك المؤلف فى أحداث الحرب

العالمية الأولى.

- علي المحافظة

الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤، الطبعة الثانية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨.

- عمر عبد العزيز عمر

دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠.

- فائق بكر الصواف

العلاقات بين الدولة العثمانة وإقليم الحجاز ١٨٧٦-١٩١٦م، مطابع سجل العرب، ١٩٧٨.

- فاروق عثمان أباظة

عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٨-١٩١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

- فؤاد حمزة

فى بلاد عسير، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١.قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ.

- هـ. ا. ل. فيشر

تاريخ أوروبا فى العصر الحديث، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر، ب. ت.

- ا. كيرزي (الليفتنانت كولونيل)

العمليات الحربية فى مصر وفلسطين، من أغسطس ١٩١٤ إلى يونية

١٩١٧ ترجمة محمد على فهمي وأحمد الأورفلي، الطبعة الأولى العربية ١٩٤٩. وهو من المصادر الهامة التى قامت على ما ورد فى الوثائق والخرائط الرسمية والمذكرات الشخصية التى كتبها المؤلف بنفسه أثناء اشتراكه فى هذه العمليات الحربية.

- جورج لنشوفسكي

الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ ١، ترجمة جعفر خياط، مكتبة دار المثنى، بغداد ١٩٦٤.

- ت. أ. لورانس

أعمدة الحكمة السبعة، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩. وهو من المصادر الإنجليزية الهامة التى توضح دور لورانس ومن وراءه المخابرات البريطانية فى الاشتراك فى ثورة الشريف حسين على العثمانيين.

- محمد أنيس

الدولة العثمانية والشرق العربى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

- محمد عبد الرحمن برج

قناة السويس، أهميتها السياسية والاستراتيجية وتأثيرها علي العلاقات المصرية البريطانية من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٥٦، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨.

- محمد فريد

أوراق محمد فريد- مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤-١٩١٩، المجلد الأول مركزوثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٨. تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧.

- محمد بن أحمد العقيلي

المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان المخلاف السليماني، الطبعة الثانية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٩٧٩.تاريخ المخلاف السيماني، جـ ٢ ، الطبعة الثانية دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٩٨٢.

- محمد فؤاد شكري

مصر والسودان، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣.

السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٤٨.ميلاد دولة ليبيا الحديثة، المجلد الثانى، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٥٧.

- محمد كرد علي

الرحلة الأنورية إلى الأصقاع الحجازية والشامية، بيروت، ١٣٣٤/ ١٩١٦.

- محمد محمود السروجي

"موقف بريطانيا فى البحر الأحمر فى الحرب العالمية الأولى" بحث مقدم إلى سمنار الدراسات العليا بجامعة عين شمس عن البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة (أبحاث الأسبوع العلمى الثالث مارس ١٩٧٩)، القاهرة، ١٩٨٠.

- محمود حلمى مصطفى

دراسات فى تاريخ مصر السياسى، مكتبة الطليعة، أسيوط، ب. ت.

- محمود طه أبو العلا

جغرافية شبه جزيرة العرب، جغرافية اليمن الشمال والجنوب، جـ ٤، الطبعة الأولى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٢.

- مصطفى كامل

كتاب المسألة الشرقية، الطبعة الأولى، مصر، ١٨٩٨.

- مصطفى النحاس جبر يوسف

سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية، ١٩٠٦-١٩١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥.

- مكي شبيكة

السودان فى قرن ١٨١٩-١٩١٩، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٧.

- ممتاز العارف

الأحباش بين مأرب واكسوم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ب. ت.

- هنري مورغنتو

مذكرات سفير أمريكا فى الآستانة، تعريب فؤاد صروف، مطبعة المقطم، مصر، ١٩٢٣.

ب - رسائل جامعية غير منشورة :

- توفيق برو

العرب والترك فى الحرب العالمية الأولى، رسالة دكتوراة غير منشورة بإشراف د. أحمد عزت عبد الكريم، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٤.

- على أحمد عيسى عسيري

عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م - ١٢٨٩هـ/١٨٧٢ رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية العلوم الإجتماعية بجامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٤هـ.

- لطيفة محمد سالم

مصر فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م-١٩١٨م. رسالة ماجستير غير منشورة، نسخة فى مكتبة جامعة القاهرة.

جـ - جرائد ومجلات ودوريات :

- جريدة الوقائع المصرية.
- جريدة القبلة، مكة المكرمة.
- المنار، مجلد ١٦، جـ ٤
- مجلة العرب جـ ١١، السنة الخامسة، جمادى الأولى ١٣٩١هـ (بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا).

جـ ١٢، السنة الخامسة، جمادى الآخرة ١٣٩١هـ.

جـ ٥ ، السنة السادسة، ذى القعدة ١٣٩١هـ.

جـ ٨ ، السنة السابعة، صفر ١٣٩٣هـ.

جـ ١٠، السنة الخامسة، ربيع الثانى، ١٣٩١هـ.

- مجلة مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الأول، محرم ١٤٠٣هـ.

سابعاً : مصادر ومراجع باللغة الإنجليزية :

- Baker, randall., King Husain and the Kingdom of Hejaz, The Oleander Press, Cambridge, 1971.

- Bullard, Reader., Britain and the Middle East. Third Edition, Hatchinsont & Co. Ltd, 1964.

- Busch, Briton. Cooper, Britain, India. and the Arabs, 1914,

University of California Press, Berkely, Los Angeles, London, 1971.

- Cornwallis, Kinahan., Asir Before world I, a handbook, Oleander Falcon, Cambrige, 1976.

- Cruttwell, C.R.M.R, A History of the Great War, 1914-1918, Second Edition, Granda Publishing Limited, London, 1982.

- Earle, Edward, Mead., Turkey, The Great Powers and the Bagdad Rail Way, Reissuad, Russell and Russell, New York, 1966.

- El-Edroos, Syed. Ali., (Retd-Pakistan Army), The Hashemite Arab Army 1908-1979, The Publishing Committee, Amman, Jordan, 1980.

- Gooch, G.P., History of Modern Europe 1878-1919, Fifth Impression, Cassell and Company Ltd, London, 1937.

- Gravin, R.J., Aden Under British Rule, 1839-1967, First Published, C., Hurstand Coltd, London, 1975.

- Hayes, Paul., The Nineteenth Century, 1914-80, First Published, Adam & Charles, London, 1975.

- Heller, Joseph., British Policy towards, The Ottoman Empire, 1908-1914, First Published, Fankcoss, London, 1983.

- Hogarth, D.G., Arabia. Clarendon Press, Oxford, 1922.

- Hoskins, H.L., The Middle East, forth Printing, The Macmillan Co. New York, 1957.

- Howard, Hanny, N., The Partition of Turkey, Howard-fertig, New York, 1966.

- Hunter, F.M., An Account of the British Settlement of Aden in Arabia. Frankcoss, London, 1968.

- Kenyon, J. P. (ed), Adictionary of British History, First Rllished,

Secker & Warburg, London, 1981.

- Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, Second Edition, Oxford, 1968.

- Lewis, L.M., The Modern History of Somali land Wedenfeld and Nicolson, London, 1965.

- LLoyd, Lord., Egypt Since Cromer, Vol I, Macmillan and Co. Limited, London, 1933.

- Lowe, C.J., and Marzari, F., Italian Foreign Policy, 1870-1940, First Eddition, Routledge & Kegan Paul, London and Boston, 1975.

- Macmunn, George, and Falls, Cyril., Military Operations, Egypt and Palastine, From the outbreak of War with Germany to June 1917, London 1928, and from June 1917, to the End of the War Part 1 by Falls, Cyril. London, 1930.

  Both books are the History of the Great War based on Official documents by direction of the historical section of the Committee of Impirial Defence.

- Mansfields, Peter., The Ottoman Empire and its Successors, First Published, London, 1973.

- Pears, Edwin., Life of Abdul Hamid, Reprint Edition, New York, 1973.

- Shaw, Stanford. J., and Shaw, Ezelkural, History of the Ottoman Empire and Modern Turkcy, First Published, Cambrige 1977.

- Shukla, Ram, La. Khan., Britain, India and the Turkish Empire, 1953-1882, People's Publishing House, New Delhi, 1973.

- The Middle East, Apolitical and Economic Survey, First Published, Royal Institute of International Affairs, London & New York, 1950.

ثامناً : مصادر ومراجع باللغة التركية (العثمانية) :

- حسين حسنى أمير

بيلديرم، استانبول، ١٣٣٧.

- م. لارشه ر، بويوك حربده تورك حربي

ترجمة من الفرنسية إلى التركية محمد نهاد، استانبول ١٩٢٨.

- Ergun Hicyilmaz, Teşkilat-1 Ma hsusa I stanbul, 1979.
- Şevket suryya Aydemir Enver Paşa
  Ucuncu Cilt (1914-1922)
  Istanbul.

العبيكان
Obeikan
Printing & Publishing

ردمك ١ - ١٨١ - ٢٧ - ٩٩٦٠